عقود المرجان

في

تفسير القرآن

تأليف

السيد نعمة الله الجزائري

المتوفى سنة ١١١٢ هـ

تحقيق

مؤسسة شمس الضحى الثقافية

عقود المرجان

في

تفسير القرآن

تأليف

السيد نعمة الله الجزائري

المتوفى سنة ١١١٢ هـ

المجلد الرابع

شبكة الفكر
alfeker.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة

احياء الكتب الإسلاميه

ايران قم المقدسه ارم ٤ پلاك ١٣٥

٢٩٣٦٣٥٢ ٠٠٩٨٢٥١ ـ ٧٧١٩٦٥٧ ٠٠٩٨٢٥١

◆ عقود المرجان في تفسير القرآن ج ٤
◇ تأليف السيد نعمة الله الجزائري
◆ انتشارات نوروحى
◇ چاپخانه اميران
◆ چاپ اول ١٣٨٨ — ٢٠٠٠ عدد
◇ قيمت دوره — ٥٠٠٠٠ تومان
◆ شابك — ٩٧٨ـ٩٦٤ـ٢٥٩٢ـ٢٩ـ٦
◇ شابك دوره — ٩٧٨ـ٩٦٤ـ٢٥٩٢ـ٢٤ـ١

۳۰.
سورة الروم

عن النبيّ ﷺ: من قرأ سورة الروم، كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ ملك يسبّح لله بين السماء و الأرض و أدرك ما ضيّع في يومه و ليلته.(۱)

الروم: من جعلها في إناء زجاج ضيّق الرأس في منزل قوم، اعتلّ من فيه. و إن دخل إليه غريب اعتلّ.(۲)

[۱ ـ ۲] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الم * غُلِبَتِ الرُّومُ».

«الم». مرّ تفسيرها في البقرة.

«الم * غلبت الروم». عن عليّ عليه السلام قال: نزلت فينا و في بني أميّة.(۳)

«غلبت الروم». و قرئ في شواذّ: «غلبت» بالفتح.(٤)

«غلبت الروم». عن أبي جعفر عليه السلام: انّ لهذا تأويلاً لا يعلمه إلّا الله و الراسخون في العلم من الأئمّة. إنّ رسول الله ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة و قد ظهر الإسلام، كتب إلى ملك الروم كتاباً يدعوه إلى الإسلام، و كتب إلى ملك فارس يدعوه إلى الإسلام. فأمّا ملك الروم فإنّه عظّم كتابه و أكرم رسوله. و أمّا ملك فارس، فإنّه خرق كتابه و استخفّ برسوله. و كان ملك فارس يومئذ يقاتل ملك الروم. و كان المسلمون يهوون أن يغلب ملك الروم ملك فارس و كانوا لناحية ملك الروم أرجى منهم لملك فارس. فلمّا غلب ملك فارس، اغتمّ المسلمون.

۱ـ مجمع البيان ۸ / ٤٥۹.
۲ـ المصباح / ٦۰۹.
۳ـ تأويل الآيات ۱ / ٤۳٤.
٤ـ تفسير الصافي ۲ / ۲۹٥.

فأنزل الله: «الم غلبت الروم».(١)

«غلبت الروم». قال المفسّرون: غلبت فارس الروم و ظهروا عليهم على عهد رسول الله ﷺ. و فرح بذلك كفّار قريش من حيث إنّ أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب. و ساء ذلك المسلمين. و كان بيت المقدس لأهل الروم كالكعبة للمسلمين، فدفعتهم فارس عنه.(٢)

«غلبت الروم». كان المشركون يجادلون المسلمين ـ و هم بمكّة ـ يقولون: إنّ الروم أهل كتاب و قد غلبهم الفرس. و أنتم تزعمون أنّكم ستغلبون بالكتاب الذي أنزل على نبيّكم، فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم. فأنزل الله تعالى الآية. ثمّ أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبيّة ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب. و عن ابن‌عبّاس: لقي نبيّ‌الله مشركي العرب و التقت الروم و فارس، فنصر الله النبيّ و المسلمين على مشركي العرب و نصر أهل الكتاب على مشركي العجم، ففرح المسلمون بنصر الله إيّاهم و نصر أهل الكتاب على العجم. و قيل: إنّهم ظهروا يوم بدر.(٣)

«غلبت الروم». قيل: احتربت الروم و فارس بين أذرعات و بصرى فغلبت فارس الروم. فبلغ الخبر مكّة فشقّ ذلك على المسلمين و فرح المشركون.(٤)

[٣] «فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ».

«في أدنى الأرض»؛ أي: في أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس يريد الجزيرة و هي أقرب أرض الروم إلى أرض فارس. «و هم». يعني الروم، من بعد غلبة فارس عليهم، سيغلبون فارس.(٥)

«في أدنى الأرض». و هي الشامات و ما حولها.(٦)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٥٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦١.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٦.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٠.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٥٢.

قرئ في الشواذّ: «سيغلبون» بالضمّ. و عليه بناء ما في كتاب الاستغاثه لابن ميثم. قال: فقد روينا من طريق علماء أهل البيت عليهم السلام في أسرارهم و علومهم التي خرجت منهم إلى علماء شيعتهم: انّ قوماً ينسبون إلى قريش و ليسوا من قريش بحقيقة النسبة. و هذا ممّا لايعرفه إلّا معدن النبوّة و ورثة علم الرسالة. و ذلك مثل بني أميّة. ذكروا أنّهم ليسوا من قريش و أنّ أصلهم من الروم. و فيهم تأويل هذه الآية: «الم * غلبت الروم». معناه أنّهم غلبوا على الملك و سيغلبهم على ذلك بنو العبّاس.[1]

[٤] «فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ».

«في بضع سنين». من الثلاثة إلى العشرة. «من قبل»؛ أي: من قبل أن غلبت الروم. «و من بعد» أن غلبت الروم. فإن شاء جعل الغلبة لأحد الفريقين على الآخر و بالعكس، و إن شاء أهلكهما جميعاً. «يومئذ»؛ أي: يوم يغلب الروم فارساً. «يفرح المؤمنون» بدفع الروم فارساً عن بيت المقدس، فإنّهم كفّار، و لاغتمام المشركين بذلك، و لتصديق خبر الله و رسوله، و لأنّه مقدّمة لنصرهم على المشركين.[2]

«في بضع سنين». قال أبوعبيدة: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: أليس الله يقول: «في بضع سنين»؟ و قد مضى للمسلمين سنين كثيرة مع رسول الله صلى الله عليه و آله و في إمارة أبي‌بكر و إنّما غلبت المؤمنون في إمارة عمر! فقال: ألم أقل لك إنّ لهذا تأويلاً و تفسيراً و القرآن ناسخ و منسوخ؟ أما تسمع قوله: «لله الأمر من قبل و من بعد»؟ يعني إليه المشيّة في القوم[3] أن يؤخّر ما قدّم و يقدّم ما أخّر إلى يوم تحتّم القضاء بنزول النصر فيه على المؤمنين. و ذلك قوله: «و يومئذ» ـ الآية.[4]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قيام القائم عليه السلام.[5]

١ـ تفسير الصافيّ ٢ / ٢٩٥.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٠.

٣ـ المصدر: القول.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٥٣.

٥ـ تأويل الآيات ١ / ٤٣٤.

[٥] «بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

«بنصر الله»؛ أي: تغليب من له كتاب على من لا كتاب له.(١)

«العزيز» في الانتقام من أعدائه. «الرحيم» بمن أناب إليه من خلقه.(٢)

[٦] «وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

«وعد الله لا يخلف الله وعده». أي بظهور الروم على فارس. «ولكنّ أكثر الناس»؛ أي: كفّار مكّة «لا يعلمون» صحّة ما أخبرناهم.(٣)

[٧] «يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ».

أي: يعلمون منافع الدنيا و مضارّها و متى يزرعون و متى يحصدون و كيف يبنون و هم جهّال بالآخرة، فعمروا دنياهم و خرّبوا آخرتهم. و قد بلغ علم أحدهم بدنياه أن يـقلّب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه و ما يحسن أن يصلّي.(٤)

«ظاهراً من الحياة الدنيا». ظاهر الدنيا ما يعرفه الجهّال من التمتّع بزخارفها. و أمّا حقيقة باطنها، فهو أنّها مجاز إلى الآخرة يتزوّد منها إليها بالطاعات. و في تنكير الظاهر إشارة إلى أنّهم لا يعلمون إلّا ظاهراً واحداً من جملة ظواهرها.(٥)

[٨] «أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ».

«في أنفسهم». يحتمل أن يكون ظرفاً. أي: ألم يحدثوا التفكّر في أنفسهم؟ أي: في قلوبهم الفارغة من الفكر. و يجوز أن يكون صلة للتفكّر. كقولك: تفكّر في الأمر. و «مـا خـلق» متعلّق بالقول المحذوف. معناه: ألم يتفكّروا فيقولوا هذا القول؟ و قيل: معناه فيعلموا. لأنّ في

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٧.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٠.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٠.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦١.

٥ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٨.

الكلام دليلاً عليه. «إلّا بالحقّ و أجل مسمًّى»؛ أي: ما خلقها باطلاً و عبثاً بغير غرض صحيح و حكمة بالغة، و لا لتبقى خالدة. و إنّما خلقها مقرونة بالحقّ و بتقدير أجل مسمًّى لابدّ لها من أن تنتهي إليه و هو قيام الساعة. و الباء في قوله: «إلّا بالحقّ» للملابسة و المعيّة. فإن قلت: إذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكّر، فما معناه؟ قلت: معناه: أو لم يتفكّروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات ـ و هم أعلم و أخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها ـ فيتدبّروا ما أودعها الله ظاهراً و باطناً من غرائب الحكم الدالّة على التدبير دون الإهمال و أنّه لابدّ لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم حتّى يعلموا عند ذلك أنّ سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة و التدبير و أنّه لابدّ لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت. «بلقاء ربّهم». أي إلى الأجل المسمّى.(١)

[٩] «أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثَارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«أو لم يسيروا». تقرير لسيرهم في البلاد و نظرهم إلى آثار المدمّرين من عاد و ثمود و غيرهم. ثمّ أخذ يصف لهم أحوالهم و أنّهم «كانوا أشدّ منهم قوّة و أثاروا الأرض»؛ أي: حرثوا. و سمّي ثوراً لإثارته الأرض و بقراً لأنّها تبقرها؛ أي: تشقّها. «و عمروها». يعني أولئك المدمّرون. «ممّا عمروها»: من عمارة أهل مكّة، و أهل مكّة أهل واد غير ذي زرع ما لهم إثارة الأرض و لا عمارة لها. فما هو إلّا تهكّم بهم. «فما كان الله ليظلمهم»؛ أي: ما كان تدميره إيّاهم ظلماً. «و لكن كانوا أنفسهم يظلمون» حيث عملوا ما يوجب تدميرهم.(٢)

«أثارو الأرض»؛ أي: قلبوا وجهها لاستنباط المياه و استخراج المعادن و زرع البذور و غيرها. «أكثر ممّا عمروها». يعني أهل مكّة. فإنّهم أهل واد غير ذي زرع. و هو تهكّم بهم

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٨ ـ ٤٦٩.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٩.

من حيث إنّهم مغترّون بالدنيا مفتخرون بها و هم أضعف حالاً فيها؛ إذ مدار أمرها على التصرّف في أقطار الأرض بأنواع العمارة و هم ضعفاء ملجؤون إلى واد لا نفع له.(١)

[١٠] «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوأىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُنَ».

«عاقبة». قرأ أهل الكوفة غير أبي‌بكر بالنصب، و الباقون بالرفع. «أساؤوا» إلى أنفسهم بالكفر بالله و تكذيب الرسل. «السوأى»؛ أي: الخلّة التي تسوء صاحبه إذا أدركها و هي عذاب النار. «أن كذّبوا»؛ أي: لتكذيبهم.(٢)

«عاقبة». من قرأ: «عاقبةَ» بالنصب، يكون الاسم «السوأى» أو «أن كذّبوا».(٣)

«السوأى»؛ أي: إنّهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثمّ كان عاقبتهم السوء، إلّا أنّه وضع المظهر موضع المضمر. أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة و هي جهنّم. «أن كذّبوا». يجوز أن يكون أن بمعنى أي. لأنّه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب و الاستهزاء كانت في معنى القول، نحو نادى و كتب. أو يكون «أساؤوا السوأى» بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هو أسوأ الخطايا و «أن كذّبوا» عطف بيان لها و خبر كان محذوف إرادة الإبهام. و كتب «السوأى» بألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها.(٤)

[١١] «اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

«ترجعون». أبوعمرو بالياء.(٥)

[١٢] «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ».

«يبلس المجرمون»؛ أي: ييأسون من رحمة الله.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٦.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٢ و ٤٦٤.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٢ و ٤٦٤.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٧٠.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٥.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٦.

«يبلس». الإبلاس؛ أي: يبق ساكناً غير متحرّك متحيّراً.(١)

[١٣] «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَ كَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ».

«من شركائهم» الذين عبدوهم من دون الله . «كافرين». أي بإلهيّتهم و يجحدونها. أو: و كانوا في الدنيا كافرين بسببهم.(٢)

[١٤] «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ».

«يومئذ يتفرّقون» فيصير المؤمنون أصحاب اليمين و المشركون أصحاب الشمال فيتفرّقون تفرّقاً لا يجتمعون بعده.(٣)

[١٥] «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ».

«في روضة يحبرون»؛ أي: في الجنّة ينعمون و يسرّون سروراً يبين أثره عليهم. و الروضة: البستان المتناهي منظراً و طيباً. و قيل: معنى يحبرون يلذّذون بالسماع. و عنه ﷺ: ما من عبد يدخل الجنّة إلّا و يجلس عند رأسه و عند رجليه ثنتان من الحور تغنّيان بأحسن صوت سمعه الإنس و الجنّ، و ليس بمزمار الشيطان و لكن بتمجيد الله و تقديسه. و عنه و قد ذكر الجنّة و ما فيها من الأزواج و النعيم و في القوم أعرابيّ فجثا لركبتيه و قال: يارسول الله ، هل في الجنّة من سماع؟ قال: نعم يا أعرابيّ. إنّ في الجنّة نهراً حافتاه الأبكار من كلّ بيضاء يتغنّين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها. فذلك أفضل نعيم الجنّة. يتغنّين بالتسبيح. و في الخبر أنّ في الجنّة لأشجاراً عليها أجراس من فضّة فإذا أراد أهل الجنّة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرّك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً.(٤)

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٧٠.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٧٠.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٦.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

[١٦] «وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَـاتِنَا وَ لِـقَاءِ الْآخِـرَةِ فَـأُولٰئِكَ فِي الْـعَذَابِ مُحْضَرُونَ».

«لقاء الآخرة»: أي: البعث و القيامة.(١)

«محضرون»: أي: مدخلون لايغيبون عنه.(٢)

[١٧] «فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ».

«فسبحان». خبر في معنى الأمر. أي: سبّحوه و نزّهوه عمّا لايليق به في وقت مجيء ظلام اللّيل و مجيء ضياء النهار.(٣)

[١٨] «وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيّاً وَ حِينَ تُظْهِرُونَ».

«في السموات و الأرض»: أي: هو المستحقّ لحمد أهلها. «و عشيّاً»: أي: وقت العشاء. «حين تظهرون»: حين تدخلون في الظهيرة و هو نصف النهار. و قيل: إنّ الآية تدلّ على الصلوات الخمس. لأنّ قوله: «حين تمسون» يقتضي المغرب و العشاء الآخرة، و «حين تصبحون» يقتضي صلاة الصبح، و «عشيّاً» يقتضي صلاة العصر، و «حين تظهرون» يقتضي صلاة الظهر. و هو الأحسن، لأنّه خصّ هذه الأوقات بالذكر. و إنّما خصّ صلاة اللّيل باسم التسبيح و صلاة النهار باسم الحمد، لأنّ الإنسان في النهار متقلّب في أحوال يوجب تنزيه الله تعالى من الأسواء فيها فلذلك صار الحمد بالنهار أخصّ فسمّيت به صلاة النهار، و التسبيح باللّيل أخصّ فسمّيت به صلاة اللّيل.(٤)

[١٩] «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَـيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَـيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٧.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٧.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٨.

«يخرج الحيّ»؛ أي: يخرج الإنسان من النطفة، و يخرج النطفة من الإنسان. و [قيل:] يخرج المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن. «و يحيي الأرض» بالنبات «بعد موتها»؛ أي: بعد جدبها. «و كذلك تخرجون»؛ أي: كما أحيا الأرض بالنبات، فكذلك يحييكم بالبعث و تخرجون من قبوركم أحياء. «كذلك تخرجون». حمزة و الكسائيّ بفتح التاء و الباقون بضمّها.[١]

[٢٠] «وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ».

«و من آياته»؛ أي: دلالاته على وحدانيّته و كمال قدرته «أن خلقكم»؛ أي: خلق آدم الذي هو أبوكم «من تراب» ثمّ خلقكم منه. و ذلك قوله: «ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون»؛ أي: ثمّ إذا أنتم ذرّيّة [بشر] من لحم و دم تتفرّقون في أطراف الأرض. فهلّا دلّكم ذلك على أنّه لايستحقّ العبادة غيره؟[٢]

[٢١] «وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».

«من أنفسكم»؛ أي: من شكلكم و جنسكم. لأنّ الشكل إلى الشكل أميل. و قيل: معناه: انّ حوّاء خلقت من ضلع آدم. و قيل: إنّ المراد بقوله: «من أنفسكم» أنّ النساء خلقن من نطف الرجال. «لتسكنوا إليها»؛ أي: لتطمئنّوا [إليها] و يستأنس بعضكم ببعض. «رحمة»؛ أي: شفقة. «في ذلك»؛ أي: في خلق الأزواج مشاكلة للرجال. «لآيات»؛ أي: دلالات واضحات.[٣]

[٢٢] «وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٨ و ٤٦٥.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦٨.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٠.

«و من آياته» الدالّة على توحيده «خلق السموات و الأرض» و ما فيهما من عجائب خلقه و بدائع صنعه. «و اختلاف ألسنتكم». و هو أن ينشئها الله تعالى مختلفة في الشكل و الهيئة فيختلف نغماتها و أصواتها من نفسين هما أخوان. و قيل: إنّ اختلاف الألسنة هو اختلاف اللّغات من العربيّة و العجميّة و غيرهما. و لا شيء من الحيوان يتفاوت لغاتها كتفاوت لغات الإنسان. فإن كانت اللّغات توقيفيّاً من الله ، فهو الذي فعلها و ابتدأها. و إن كانت مواضعة من قبل العباد، فهو الّذي يسّرها. «و ألوانكم»؛ أي: اختلاف ألوانكم من البياض و الحمرة و غيرهما فلايشبه أحد أحداً مع التشاكل في الخلقة. و ما ذلك إلّا للتراكيب الغريبة. «للعالمين». حفص بكسر اللّام الأخيرة، و الباقون بفتحها.[١]

[٢٣] «وَ مِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ ابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ».

«و ابتغاؤكم من فضله». أي بالنهار. و قيل: إنّ اللّيل و النهار معاً وقت للنوم و وقت لابتغاء الفضل. لأنّ من الناس من يتصرّف في كسبه ليلاً و ينام نهاراً. «لقوم يسمعون» ذلك فيقبلونه و يتفكّرون فيه.[٢]

[٢٤] «وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

«يريكم البرق»؛ أي: النار تنقدح من السحاب يخافه المسافر و يطمع فيه المقيم. أو: خوفاً من الصواعق و طمعاً في الغيث. أو: خوفاً من أن يخلف و لايمطر و طمعاً في المطر. «بعد موتها»؛ أي: بعد انقطاع الماء عنها. «لقوم يعقلون»؛ أي: للعقلاء المكلّفين.[٣]

«يريكم البرق». مقدّر بأن. كقوله:

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٠ و ٤٦٩.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٠ ـ ٤٧١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧١.

ألا أيّهذا الزاجري أحضر الوغى و أن أشهد اللّذّات هل أنت مخلدي

أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر. كقولهم: تسمع بالمعيدي [خير من أن تراه]. أو صفة لمحذوف تقديره: آية يريكم [بها] البرق.(١)

[٢٥] «وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ».

«أن تقوم السماء و الأرض» بلا دعامة تدعمها. «بأمره» لهما بالقيام. و قيل: «بأمره»؛ أي: بفعله و إمساكه. «من الأرض»؛ أي: من القبر. يأمر الله عزّ و جلّ إسرافيل فينفخ في الصور فيخرج الخلائق من قبورهم. «تخرجون». أي من الأرض أحياء. و قيل: إنّه سبحانه جعل النفخة دعاء لأنّ إسرافيل يقول: أجيبوا داعي الله، فيدعو بأمر الله.(٢)

«ثمّ إذا دعاكم دعوة». عطف على «أن تقوم» على تأويل مفرد. كأنّه قيل: و من آياته قيام السموات و الأرض بأمره ثمّ خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة فيقول: أيّها الموتى، اخرجوا.(٣)

[٢٦] «وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ».

«و له من في السموات و الأرض» من العقلاء يملكهم و يملك التصرّف فيهم. و إنّما خصّ العقلاء لأنّ ماعداهم في حكم التبع. «قانتون»؛ أي: مطيعون في الحياة و البقاء و الموت و البعث و إن عصوا في العبادة.(٤)

[٢٧] «وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلىٰ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٩.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧١ ـ ٤٧٢.

«يبدأ الخلق»؛ أي: يخترعهم ابتداء. «ثمّ يعيده»؛ أي: يعيدهم. فجعل سبحانه ما ظهر من ابتداء خلقه دليلاً على ما خفي من إعادته، استدلالاً بالشاهد على الغائب. ثمّ أكّد ذلك بقوله: «و هو أهون عليه»؛ أي: هيّن. أو إنّه إنّما قال: «أهون» لما تقرّر في العقول أنّ إعادة الشيء أهون من ابتدائه؛ أي: أيسر و أسهل. و هم كانوا مقرّين بالابتداء، فكأنّه قال لهم: كيف تقرّون بما هو أصعب و تنكرون ما هو أهون عندكم؟ و قيل: الهاء في «عليه» يعود إلى الخلق بمعنى المخلوق. و الإعادة على المخلوق أهون من النشأة الأولى، [لأنّه إنّما يقال له في الإعادة كن فيكون و في النشأة الأولى] كان نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاماً ثمّ كسيت العظام لحماً ثمّ نفخ فيه الروح. فهذا على المخلوق أصعب و الإنشاء يكون أهون عليه. و هذا قول النحويّين. و روي مثله عن ابن‌عبّاس. قال: و هو أهون على المخلوق لأنّه يقول له يوم القيامة كن فيكون. «و له المثل الأعلى»؛ أي: الصفات العليا «في السموات و الأرض». و هي أنّه لا إله إلّا هو وحده لا شريك له. لأنّها دائمة يصفه بها الثاني كما يصفه بها الأوّل. و قيل: هي [أنّه] ليس كمثله شيء. و قيل: هي جميع ما يختصّ به عزّ اسمه من الصفات العلى التي لا يشاركه فيها سواه و الأسماء الحسنى التي تفيد التعظيم كالقاهر و الإله. «العزيز» في ملكه. «الحكيم» في خلقه.(١)

[٢٨] «ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

«مثلاً». كان سبب نزولها أنّ قريشاً و العرب كانوا إذا حجّوا يلبّون و كانت تلبيتهم: لبّيك اللّهمّ لبّيك لا شريك لك، و هي تلبية إبراهيم. فجاءهم إبليس في صورة شيخ فقال: ليس هذا تلبية أسلافكم. كانوا يقولون: لبّيك اللّهمّ لبّيك. لبّيك لا شريك لك إلّا شريك هو

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٣.

لك. فنفرت قريش من هذا القول. فقال لهم إبليس: على رسلكم حتّى آتي [على] آخر كلامي. فقالوا: ما هو؟ فقال: إلّا شريك هو لك تملكه و ما يملك. ألا ترون أنّه يملك الشريك و ما ملك؟ فرضوا بذلك. و كانوا يلبّون بهذا قريش خاصّة. فلمّا بعث الله رسوله، أنكر عليهم ذلك و قال: هذا شرك. فأنزل الله : «ضرب لكم مثلاً».(١)

«ضرب لكم مثلاً». احتجّ سبحانه على عبدة الأوثان فقال: «ضرب لكم» أيّها المشركون «مثلاً من أنفسكم»؛ أي: بيّن لكم شبهاً لحالكم ذلك المثل من أنفسكم. [ثمّ بيّنه] فقال: «هل لكم ممّا ملكت أيمانكم»؛ أي: من عبيدكم و إمائكم «من شركاء فيما رزقناكم» من المال و الأملاك و النعم؟ أي: هل يشاركونكم في المال؟ «فأنتم فيه سواء»؛ أي: فأنتم و شركاؤكم من عبيدكم فيما رزقناكم شرع سواء. «تخافونهم» أن يشاركوكم فيما ترثونه من آبائكم «كخيفتكم أنفسكم»؛ أي: كما يخاف الرجل الحرّ [شريكه الحرّ] في المال يكون بينهما أن ينفرد دونه بأمر فهو يخاف شريكه. يعني أنّ هذه الصفة لا يكون بين المالكين و المملوكين كما تكون بين الأحرار. و معنى أنفسكم هاهنا أمثالكم من الأحرار. و المعنى: انّكم إذا لم ترضوا في عبيدكم أن يكونوا شركاء في أموالكم، فكيف ترضون لربّكم أن يكون له شركاء في العبادة؟(٢)

و من الأولى للابتداء. لأنّ معناه: مثلاً منتزعاً من أحوال نفوسكم التي هي أقرب الأمور إليكم. و من الثانية للتبعيض. و الثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي. «كذلك»: مثل هذا التفصيل. «نفصّل الآيات»: نبيّنها. فإنّ التمثيل ممّا يكشف المعاني و يوضحها. «لقوم يعقلون»: يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال.(٣)

«من شركاء فيما رزقناكم»؛ أي: ترضون أنتم فيما تملكون أن يكون لكم فيه شريك؟ و إن لم ترضوا أنتم أن يكون لكم شريك فيما تملكوه، فكيف ترضون أن تجعلوا لي شريكاً فيما

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٥٤.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٣ ـ ٤٧٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٠.

أملك؟[١]

[٢٩] «بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ».

«بل اتّبع الذين»؛ أي: اتّبعوا أهواءهم في الشرك بغير علم جاءهم من الله. فهم جاهلون لايكفّهم شيء. فإنّ العالم إذا اتّبع [هواه] ربما ردعه علمه.[٢]

«فمن يهدي» إلى الثواب و الجنّة. «من أضلّ الله»: من ضلّ عن الله الذي هو خالقه و المنعم عليه مع ما نصبه له من الأدلّة. فمن يهديه بعد ذلك؟ و هو من قولهم: أضلّ [فلان] بعيره بمعنى ضلّ. «من ناصرين» يدفعون عنهم العذاب إذا حلّ بهم.[٣]

[٣٠] «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

«فأقم وجهك». عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «فأقم وجهك للدين حنيفاً» قال: هي الولاية. و عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قوله: «فطرة الله التي فطر الناس عليها» قال: هو «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ أميرالمؤمنين وليّ الله». إلى هاهنا التوحيد. و عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «فأقم وجهك» قال: يقوم في الصلاة لايلتفت يميناً و لا شمالاً.[٤]

«فأقم». خطاب للنبيّ و المراد منه جميع المكلّفين. أي: أقم قصدك للدين و كن معتقداً له غير ملتفت عنه. و هو تمثيل للإقبال و الاستقبال عليه و الاهتمام به. و قيل: معناه: اثبت و دم على الاستقامة عليها. «حنيفاً»؛ أي: مائلاً إليه ثابتاً عليه. «فطرة الله»؛ أي: اتّبع فطرة الله، و هي الدين و الإسلام و التوحيد، التي خلق الناس عليها و لها و بها؛ أي: لأجلها و التمسّك

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٥٤.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٤.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٥٤ ـ ١٥٥.

بها. فيكون كقوله: «و ماخلقت» ـ الآية.[١] و هو كما يقول القائل لرسوله: بعثت على هذا و لهذا و بهذا، و المعنى واحد. و منه قوله ﷺ: كلّ مولود يولد ـ الحديث. و قيل: معناه: اتّبع من الدين ما دلّك عليه فطرة الله و هو ابتداء خلقه للأشياء، لأنّه خلقهم و ركّبهم على وجه يدلّ على أنّ لهم صانعاً لا يشبهه شيء. «لا تبديل لخلق الله»؛ أي: لا تغيير لدين الله الذي أمر الناس بالثبات عليه في التوحيد و العدل و الإخلاص في العبادة. و هو بمعنى النهي. أي: لا تبدّلوا دين الله التي أمرتم بالثبات عليها. و قيل: المراد به النهي عن الخصاء. عن ابن عبّاس. و قيل: معناه: لا تبديل لخلق الله فيما دلّ عليه، بمعنى أنّه فطره الله علىٰ وجه يدلّ على صانع حكيم و لايمكن أن يجعله خلقاً لغير الله حتّى يبطل وجه الاستدلال.[٢]

«فطرة الله»؛ أي: خلقته. نصب على الإغراء أو المصدر لما دلّ عليه ما بعدها. «فطر الناس عليها»: خلقهم عليها. و هي قبولهم للحقّ و تمكّنهم من إدراكه. أو: ملّة الإسلام. فإنّهم لو خلّوا و ما خلقوا عليه، أدّى بهم إليها. و قيل: العهد المأخوذ من آدم و ذرّيّته. «ذلك». إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له، أو الفطرة إن فسّرت بالملّة. «و لكنّ أكثر الناس لايعلمون» استقامته لعدم تدبّرهم.[٣]

[٣١] «مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

«منيبين إليه». زعم النحويّون أنّ معناه: فأقيموا وجوهكم منيبين إليه، لأنّ مخاطبة النبيّ ﷺ تدخل معه [فيها] الأمّة. فقوله: «فأقم وجهك» معناه: فأقيموا وجوهكم منيبين إليه؛ أي: راجعين إلى كلّ ما أمر به من التقوى و أداء الفرائض.[٤]

[٣٢] «مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ».

«من الذين فرّقوا دينهم». بدل من المشركين. و تفريقهم اختلافهم فيما يعبدون على

١ـ الذاريات (٥١) / ٥٦.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٤ ـ ٤٧٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٠.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٥ ـ ٤٧٦.

اختلاف أهوائهم. و على قراءة «فارقوا» بمعنى: تركوا دينهم الذي أمروا به. «شيعاً»؛ أي: فرقاً تتابع كلّ فرقة إمامها الذي هو أضلّ دينها. «فرحون»؛ أي: مسرورون ظنّاً بأنّه الحقّ. و يجوز أن يجعل فرحون صفة «كلّ» على أنّ الخبر «من الذين فرّقوا».[١]

[٣٣] «وَ إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ».

«دعوا ربّهم»؛ أي: إذا أصابهم مرض أو فقر، دعوا ربّهم مخلصين له في الدعاء. «أذاقهم منه رحمة» بأن يعافيهم من المرض أو ينجيهم من الشدّة. «يشركون»؛ أي: يعودون إلى عبادة غير الله على خلاف ما يقتضيه العقل من مقابلة النعم بالشكر.[٢]

[٣٤] «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ».

«ليكفروا». ثمّ بيّن سبحانه أنّهم يفعلون ذلك ليكفروا بما آتيناهم من النعم؛ إذ لا غرض في الشرك إلّا كفران نعم الله. و قيل: إنّ هذه اللّام للأمر على وجه التهديد؛ مثل قوله: «فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر».[٣] ثمّ قال سبحانه مخاطباً لهم على وجه التهديد: «فتمتّعوا» بهذه الدنيا و انتفعوا بنعيمها الفاني كيف شئتم. «فسوف تعلمون» عاقبة كفركم.[٤]

«ليكفروا». اللّام مجاز، مثلها في «ليكون لهم عدوّاً»[٥].[٦]

[٣٥] «أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ».

«أم أنزلنا». هذا استفهام مستأنف معناه: بل أنزلنا عليهم برهاناً و حجّة يتسلّطون بذلك على ما ذهبوا إليه؟ «فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون»؛ أي: فذلك البرهان كأنّه يتكلّم بصحّة شركهم و يحتجّ لهم به. و المعنى أنّهم لايقدرون على تصحيح ذلك و لايمكنهم ادّعاء برهان و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٠.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٦.
٣ـ الكهف (١٨) / ٢٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٦.
٥ـ القصص (٢٨) / ٨.
٦ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٠.

حجّة عليه.[١]

[٣٦] «وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ».

«و إذا أذقنا الناس»؛ أي: الكفّار. «رحمة»؛ أي: نعمة و عافية من صحّة بدن أو سعة رزق أو نحو ذلك. «فرحوا» بتلك الرحمة. «سيّئة». و هو ما يسوؤهم بذنوبهم التي قدّموها كالقحط و انقطاع المطر. «يقنطون» من رحمة الله.[٢]

[٣٧] «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

ثمّ نبّههم على توحيده فقال: «أو لم يروا» ـ الآية. «ويقدر»؛ أي: يضيّق على من يشاء. «إنّ في ذلك»؛ أي: بسط الرزق لقوم و تضييقه لقوم آخرين، لدلالات لقوم يؤمنون.[٣]

[٣٨] «فَآتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ ذٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

«فآت»؛ أي: و أعط ذوي قرباك ـ يا محمّد ـ حقوقهم التي جعلها الله لهم من الأخماس. و روى أبوسعيد الخدريّ أنّه لمّا نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وآله أعطى فاطمة عليها السلام فدكاً و سلّمه إليها. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. و قيل: إنّه خطاب له و لغيره. و المراد بالقربى قرابة الرجل. و هو أمر بصلة الأرحام بالمال و النفس. «و المسكين و ابن السبيل». معناه: و آت المسكين و المسافر المحتاج ما فرض الله لهم في مالك. «ذلك»؛ أي: إعطاء الحقوق مستحقّيها. «خير للّذين يريدون وجه الله» بالإعطاء دون الرياء و السمعة.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٦.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٨.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٨.

«المفلحون»؛ أي: الفائزون بثواب الله.(١)

«فآت ذا القربى». فإن قلت: كيف تعلّق قوله: «فآت ذا القربى» بما قبله حتّى جيء بالفاء؟ قلت: لمّا ذكر أنّ السيّئة أصابتهم بما قدّمت أيديهم، أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل و ما يجب أن يترك. و حقّ ذي القربى صلة الأرحام.(٢)

«و المسكين و ابن السبيل» ما فرض لهما من الزكاة. و الخطاب للنبيّ أو لمن بسط له.(٣)

[٣٩] «وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ».

قيل في هذا الربا قولان. أحدهما: أنّه ربا حلال؛ و هو أن يعطي الرجل العطيّة أو يهدي الهديّة ليثاب أكثر منها. فليس فيه أجر، لأنّه لم يقصد بها وجه الله، و لا وزر، لعدم الربا فيه. عن ابن عبّاس. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. و القول الآخر: انّه الربا المحرّم، فيكون كقوله: «يمحق الله الربا و يربي الصدقات».(٤) يريد: و ما أعطيتم أكلة الربا من رباً «ليربو في» أموالهم ليزيد و يزكو في أموالهم، فلايزكو عند الله و لايبارك فيه. و أمّا قراءة ابن كثير: «أتيتم» بالقصر، فمعناه: ما جئتم به من إعطاء الربا. و هو يؤول إلى معنى المدّ.(٥)

«آتيتم». ابن كثير مقصورة الألف غير ممدودة، و الباقون بالمدّ. و أهل المدينة: «لتربوا» بالتاء و ضمّها و سكون الواو. و الباقون: «ليربو» بالياء و فتحها و نصب الواو.(٦)

و معنى قراءة: «لتربوا» أي: لتزيدوا في أموالهم. كقوله: «و يربي الصدقات»؛ أي: يزيدها. «من زكاة»؛ أي: صدقة تبتغون به وجهه خالصاً لاتطلبون به مكافاة و لا رئاء و لا سمعة. «هم المضعفون»: ذوو الإضعاف من الحسنات. قيل: نزلت في ثقيف و كانوا يربون. و

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٨.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٠ ـ ٤٨١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢١.
٤ـ البقرة (٢) / ٢٧٦.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٩ و ٤٧٧، و الكشّاف ٣ / ٤٨١.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٤٧٧.

قيل: المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له ليعوضه أكثر ممّا وهب أو أهدى. فليست تلك الزيادة بحرام، و لكن لا ثواب عليها. و قالوا: الربا ربوان: حلال و حرام. و هذا من الحلال. «المضعفون». التفات حسن. كأنّه قال لملائكته و خواصّ خلقه: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم، هم مضعفون. فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون.(١)

[٤٠] «اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

«الله» مبتدأ و خبره «الذي خلقكم». أي: الله هو فاعل هذه الأفعال الخاصّة التي لايقدر على شيء منها أحد غيره. ثمّ قال: هل من شركائكم الذين اتّخذتموهم أنداداً له من الأصنام و غيرها من يفعل شيئاً من تلك الأفعال حتّى يصحّ ما ذهبتم إليه؟(٢)

[٤١] «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

«في البرّ و البحر». نحو الجدب و القحط و قلّة الريع في الزراعات و الربح في التجارات و وقوع الموتان في الناس و كثرة الحرق و الغرق و إخفاق الصيّادين و الغاصّة و محق البركات من كلّ شيء و قلّة المنافع و كثرة المضارّ. و عن ابن عبّاس: أجدبت الأرض و انقطعت مادّة البحر. و قالوا: إذا انقطع المطر عميت دوابّ البحر. و قيل: المراد بالبحر مدن البحر و قراه التي على شاطئه. و عن عكرمة: العرب تسمّي الأمصار البحار. «بما كسبت أيدي الناس»: بسبب معاصيهم و ذنوبهم. كقوله تعالى: «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم».(٣) و عن ابن عبّاس: الفساد في البرّ بقتل ابن آدم أخاه، و في البحر بأنّ جلندىٰ ملك عمان كان يأخذ كلّ سفينة غصباً. و قيل: كان ذلك قبل البعث. فلمّا بعث رسول الله ، رجع راجعون عن

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٠.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٢.
٣ـ الشورى (٤٢) / ٣٠.

الضلال و الظلم. و يجوز أن يريد ظهور الشرّ و المعاصي بكسب الناس ذلك. فإن قلت: ما معنى قوله: «ليذيقهم بعض الذي»؟ قلت: أمّا على التفسير الأوّل فظاهر؛ و هو أنّ الله قد أفسد دنياهم و محقها ليذيقهم [وبال] بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة، لعلّهم يرجعون عمّا هم عليه. و أمّا على الثاني، فاللّام مجاز على معنى أنّ ظهور الشرور بسببهم ممّا استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم إرادة الرجوع و كأنّهم أفسدوا و تسبّبوا لفشوّ المعاصي في الأرض لأجل ذلك.(١)

«ظهر الفساد في البرّ». ذكر سبحانه ما أصاب الخلق بسبب ترك التوحيد. و معناه: ظهر القحط و قلّة المطر «في البرّ» حيث لايجري نهر و هو البوادي «و البحر» و هو كلّ قرية على شاطئ نهر عظيم. «بما كسبت أيدي الناس». يعني كفّار مكّة. و ليس المراد بالبرّ و البحر في الآية كلّ برّ و بحر في الدنيا. و إنّما المراد به حيث ظهر القحط بدعاء النبيّ صلى الله عليه وآله. فيكون تقديره: ظهر عقوبة الفساد. و قيل: الفساد ولاة السوء في البرّ و البحر. «لعلّهم يرجعون» في المستقبل. أو: ليرجع من يأتي بعدهم عن المعاصي.(٢)

«ظهر الفساد». عن ميسرة(٣) عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: «ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي الناس»؟ قال: ذاك ـ و الله ـ يوم قالت الأنصار: منّا رجل و منكم رجل.(٤)

[٤٢] «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ».

«قل» يا محمّد «سيروا في الأرض». مبالغة في العظة. و عن ابن‌عبّاس أنّه قال: من قرأ القرآن و عمله، سار في الأرض. لأنّ فيه أخبار الأمم.(٥)

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨٠ ـ ٤٨١.
٣ـ المصدر: ميسر.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٠.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨١.

«سيروا في الأرض». أكّد تسبّب المعاصي لغضب الله و نكاله حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الأمم فأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم. و دلّ بقوله: «كان أكثرهم مشركين» على أنّ الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم و أنّ ما دونه من المعاصي يكون سبباً لذلك.(١)

[٤٣] «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ».

«فأقم وجهك للدين القيّم»؛ أي: استقم للدين المستقيم بصاحبه إلى الجنّة لا تعدل عنه يميناً و لا شمالاً.(٢)

«القيّم»: البليغ الاستقامة. «من الله». متعلّق بيأتي. أي: يأتي من الله يوم لا يردّه أحد. أو بمردّ، لأنّه مصدر بمعنى الردّ. أي: لا يردّه هو بعد أن يجيء به و لا ردّ له من جهته لتعلّق إرادته القديمة بمجيئه. «يصّدّعون»؛ أي: يتفرّقون، فريق في الجنّة و فريق في السعير.(٣)

[٤٤] «مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ».

«يمهدون»؛ أي: يسوّون منزلاً في الجنّة. و تقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ العمل الصالح ليسبق صاحبه إلى الجنّة فيمهد له كما يمهد لأحدكم خادمه فراشه.(٥)

[٤٥] «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ».

«ليجزي الذين آمنوا». علّة ليمهدون أو ليصّدّعون. و الاقتصار على جزاء المؤمنين

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٣.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨١.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٢.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨١.

للإشعار بأنّه المقصود بالذات و الاكتفاء على فحوى [قوله:] «إنّه لايحبّ الكافرين». فإنّ فيه إثبات البغض [لهم] و المحبّة للمؤمنين. و «من فضله» دالّ على أنّ الإثابة تفضّل محض. و تأويله بالعطاء و الزيادة على الثواب، عدول عن الظاهر.(١)

«من فضله»: ممّا يتفضّل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب.(٢)

[٤٦] «وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«الرياح»: الشمال و الصبا و الجنوب. و قراءة حمزة: «الريح» على إرادة الجنس. «من رحمته». يعني المنافع التابعة لها. و قيل: الخصب التابع لنزول المطر المسبّب عنها، أو الروح الذي هو مع هبوبها. و العطف على علّة محذوفة دلّ عليها «مبشّرات» أو عليها باعتبار المعنى، كأنّه قيل: ليبشّركم و ليذيقكم.(٣)

«بأمره». و إنّما زاد بأمره لأنّ الريح قد تهبّ و لاتكون مؤاتية فلابدّ من إرساء السفن و الاحتيال لحبسها، و ربما عصفت فأغرقتها. «من فضله». يريد تجارة البحر. «تشكرون»؛ أي: و لتشكروا نعمة الله فيها.(٤)

[٤٧] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ».

«بالبيّنات»؛ أي: المعجزات و الآيات الباهرة. «و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين» بإعلاء الحجّة و دفع الأعداء عنهم. و عنه ﷺ: ما من امرئ مسلم يردّ عن عرض أخيه إلّا كان حقّاً على الله أن يردّ عنه نار جهنّم يوم القيامة. ثمّ قرأ: «و كان حقّاً علينا» ـ الآية.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٢.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣، و الكشّاف ٣ / ٤٨٤.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٤.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨٣ ـ ٤٨٤.

«و كان حقّاً علينا نصر المؤمنين». تعظيم للمؤمنين و إظهار لفضل سابقة حيث جعلهم مستحقّين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظفرهم. و قد يوقف على «حقّاً» و معناه: و كان الانتقام منهم حقّاً، ثمّ يبتدأ: «علينا نصر المؤمنين».[١]

[٤٨] «اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ».

«فتثير سحاباً»؛ أي: تهيجه كيف يشاء، إن شاء بسطه مسيرة يوم و إن شاء مسيرة يومين، [و] يوجّهها إلى أيّ جهة و أيّ بلد شاء. «كسفاً». أبوجعفر و ابن‌ذكوان بسكون السين، و الباقون بفتحها. «كسفا»؛ أي: قطعاً متفرّقة. و قيل: متراكباً بعضه على بعض حتّى يغلظ. و قيل: قطعاً تغطّي ضوء الشمس. «الودق»؛ أي: المطر. «به»؛ أي: بذلك.[٢]

«فيبسطه» متّصلاً تارة «و يجعله كسفا»؛ أي: قطعاً تارة. «يخرج من خلاله» في التارتين. و المراد بالسماء سمت الدنيا. كقوله: «و فرعها في السماء»[٣].[٤]

[٤٩] «وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ».

«و إن كانوا من قبل»؛ أي: قبل إنزال المطر عليهم قانطين آيسين من نزول المطر. و كرّر «من قبل» للتوكيد عند الأخفش و غيره. و قيل: إنّ الأوّل من قبل الإنزال للمطر و الثاني من قبل الإرسال للرياح.[٥]

«من قبله». [من] باب التكرير و التوكيد. و معنى التوكيد فيه الدلالة على أنّ عهدهم بالمطر قد تطاول و بعد فاستحكم بأسهم و تمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٤.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨٤.
٣ـ إبراهيم (١٤) / ٢٤.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٥.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨٤.

اغتمامهم بذلك.(١)

[٥٠] «فَانْظُرْ إِلىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتىٰ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«آثار». ابن‌عامر و أهل الكوفة غير أبي‌بكر: «إلى آثار» على الجمع. و الباقون: «أثر» بغير ألف على الواحد. «لمحيي الموتى»؛ أي: إنّ الله يفعل ما ترون و هو الله تعالى ليحيي الموتى في الآخرة بعد كونهم رفاتاً.(٢)

[٥١] «وَ لَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ».

«و لئن». هي اللّام الموطّئة للقسم، دخلت على حرف الشرط. «لظلّوا». جواب القسم سدّ مسدّ الجوابين و معناه: ليظلّنّ. ذمّهم الله بأنّه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته و ضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين، فإذا أصابهم برحمته و رزقهم المطر استبشروا و ابتهجوا، فإذا أرسل [ريحاً] فضرب زروعهم بالصفار ضجّوا و كفروا بنعمة الله . فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة: كان عليهم أن يتوكّلوا على الله و فضله فقنطوا، و أن يشكروا نعمته و يحمدوه عليها فلم‌يزيدوا على الفرح و الاستبشار، و أن يصبروا على بلائه فكفروا. و الريح التي اصفرّ لها النبات، يجوز أن يكون حروراً و حرجفاً ـ أي: باردة ـ فكلتاهما ممّا يصوح لها النبات و يصبح هشيماً. و قال: «مصفرّاً» لأنّ تلك صفرة حادثة. و قيل: فرأوا السحاب مصفرّاً لأنّه إذا كان كذلك لم‌يمطر.(٣)

[٥٢] «فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتىٰ وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ».

«مدبرين». قيّد الحكم [به ليكون أشدّ استحالة].(٤)

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٥.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨٢ و ٤٨٤.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٥ ـ ٤٨٦.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٤.

[٥٣] «وَ مَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ».

«عن ضلالتهم». سمّاهم عمياً لفقدهم المقصود الحقيقيّ من الإبصار أو عمى قلوبهم. «يؤمن بآياتنا». فإنّ إيمانهم يدعوهم إلى تلقّي اللّفظ و تدبّر المعنى. و يجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للإيمان.(١)

«مسلمون»؛ أي: منقادون لأمر الله.(٢)

[٥٤] «اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ».

«من ضعف»؛ يعني: من نطفة منتنة ضعيفة.(٣)

ثمّ عاد سبحانه إلى ذكر الأدلّة فقال: «الله الذي خلقكم من ضعف»؛ أي: من نطف. و قيل: أطفالاً لاتقدرون على البطش و المشي و التصرّفات. «ضعف». عاصم و حمزة: «من ضعف» بالضمّ. و الباقون بفتح الضاد. «قوّة»؛ أي: شباباً. «و شيبة». يعني حال الشيخوخيّة. «يخلق ما يشاء» من ضعف و قوّة. «القدير» على فعله بحسب ما يعلمه. «العليم» بما فيه مصالح خلقه.(٤)

«و هو العليم القدير». فإنّ الترديد في الأحوال المختلفة مع إمكان غيره، دليل العلم و القدرة.(٥)

[٥٥] «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٤.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨٥.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦. و فيه: نطفة منتنه.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨٥ ـ ٤٨٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٤.

«الساعة»؛ أي: القيامة. سمّيت بها لأنّها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو لأنّها تقع بغتة. و صارت علماً لها بالغلبة؛ كالكوكب للزهرة. «مالبثوا» في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا و البعث و انقطاع عذابهم. و في الحديث: «ما بين فناء الدنيا و البعث أربعون.» و هو محتمل للساعات و الأيّام و الأعوام.(١)

«يقسم المجرمون»؛ أي: يحلف المشركون «مالبثوا» في القبور «غير ساعة» واحدة. و قيل: يحلفون مامكثوا في الدنيا غير ساعة، لاستقلالهم مدّة الدنيا. أو يحلفون مالبثوا بعد عذاب القبر غير ساعة. و متى قيل: كيف يحلفون كاذبين مع أنّ معارفهم في الآخرة ضروريّة؟ فالجواب: انّهم حلفوا على الظنّ و لم يعلموا لبثهم في القبور. فكأنّهم قالوا: مالبثنا غير ساعة في ظنوننا. أو إنّهم استقلّوا الدنيا لما عاينوا من أمر الآخرة. فكأنّهم قالوا: ما الدنيا في الآخرة إلّا ساعة. فاستقلّوا [حيث اشتغلوا] في المدّة اليسيرة بما أوردهم تلك الأهوال الكثيرة. «كانوا يؤفكون» في دار الدنيا. أي: يكذبون. و قيل: يصرفون. صرفهم جهلهم عن الحقّ في الدارين.(٢)

[٥٦] «وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

«و قال الذين أوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم». فإنّ هذه الآية مقدّمة و مؤخّرة. و إنّما هو: «و قال الذين أوتوا العلم و الإيمان في كتاب الله لقد لبثتم إلى يوم البعث».(٣)

«الذين أوتوا العلم». أي من الملائكة أو الإنس. «في كتاب الله»؛ أي: في علمه أو قضائه أو ما كتبه لكم ـ أي: أوجبه ـ أو اللّوح أو القرآن. و هو قوله: «و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون».(٤) ردّوا بذلك ما قالوه فحلفوا عليه. «يوم البعث» الذي أنكرتموه. «لاتعلمون» أنّه حقّ لتفريطكم. و الفاء لجواب شرط محذوف. أي: إن كنتم منكرين البعث، فهذا يومه. أي:

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٤.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨٦.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٠.
٤ـ المؤمنون (٢٣) / ١٠٠.

فقد تبيّن بطلان إنكاركم.[١]

[٥٧] «فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ».

قرأ الكوفيّون: «لاينفع» بالياء، لأنّ المعذرة بمعنى العذر، أو لأنّ تأنيثها غير حقيقيّ و قد فصل بينهما.[٢]

«يستعتبون». من قولك: استعتبني فلان فأعتبته؛ أي: استرضاني فأرضيته. و ذلك إذا كنت جانياً عليه. و حقيقة أعتبته: أزلت عتبه. و المعنى: لايقال: أرضوا ربّكم بتوبة و طاعة.[٣]

[٥٨] «وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ».

«للناس»؛ أي: قد وصفنا لهم كلّ صفة كأنّها مثل في غرابتها و قصصنا عليهم كلّ قصّة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة و قصصهم و ما يقولون و ما يقال لهم و ما لاينفع من استعذارهم و لايسمع من استعتابهم. «و لئن جئتهم»؛ أي: لكنّهم لقسوة قلوبهم و مجّ أسماعهم حديث الآخرة إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا: جئتنا بزور و باطل.[٤]

[٥٩] «كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ».

«كذلك»؛ أي: مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة. و معنى طبع الله منع الألطاف التي تنشرح لها الصدور حتّى يقبل الحقّ. و إنّما يمنعها من علم أنّها لاتجدي عليه و لاتغني عنه. كما يمنع الواعظ الموعظة من يظهر له أنّ الموعظة تلغو و لاتنجع فيه. فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم و ركوب الرين و الصدأ إيّاها. فكأنّه قال: كذلك تقسو و تصدأ قلوب

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٧ ـ ٤٨٨.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٨.

الجهلة حتّى يسمّوا المحقّين مبطلين و هم أعرق خلق الله في تلك الصفة.[١]

[٦٠] «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ».

«فاصبر». أي على عداوتهم.[٢]

«إنّ وعد الله» بنصرتك و إظهار دينك على الدين كلّه «حقّ» لابدّ من إنجازه. «و لايستخفّنّك»؛ أي: و لايحملنّك على الخفّة و القلق «الذين لايوقنون» بتكذيبهم و إيذائهم. فإنّهم شاكّون ضالّون لايستبدع منهم ذلك.[٣]

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٨.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٥.

٣١.
سورة لقمان

عن أبي جعفرعليه السلام: من قرأ سورة لقمان في ليلة، وكّل الله به في ليلته ثلاثين ملكاً يحفظونه من إبليس و جنوده حتّى يصبح. فإن قرأها بالنهار، لم يزالوا يحفظونه من إبليس و جنوده حتّى يمسي.[١]

لقمان: عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، كان لقمان له في القيامة رفيقاً و أعطي من الحسنات عشراً بعدد من أمر بالمعروف و نهى عن المنكر.[٢]

يكتب لمن فيه نزف الدم و الأوجاع.[٣]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الم».

[٢] «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ».

«الكتاب الحكيم»: ذي الحكمة. أو وصف بصفة الله على الإسناد المجازيّ.[٤]

[٣] «هُدىً وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ».

«هدًى و رحمة للمسلمين»؛ أي: بيان و دلالة و نعمة للموحّدين المطيعين. «رحمة». حمزة: «و رحمة» بالرفع، و الباقون بالنصب، على أنّه حال عن الاسم المبهم. أي: في حال

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨٨.
٢ـ المصباح / ٥٨٧.
٣ـ المصباح / ٦٠٩.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٨٩.

الهداية [و الرحمة]. و الرفع على إضمار المبتدأ.[١]

[٤ ـ ٥] «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولٰئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

[٦] «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ».

«لهو الحديث». اللّهو: كلّ باطل ألهى عن الخير و عمّا يعني. و لهو الحديث نحو السمر بالأساطير و الأحاديث التي لا أصل لها و التحدّث بالخرافات و المضاحيك. و قيل: كان النضر بن الحارث يشتري المغنّيات فلايظفر بأحد يريد الإسلام إلّا انطلق به إلى قينته فيقول: أطعميه و اسقيه و غنّيه، و يقول: هذا خير ممّا يدعوك به محمّد صلى الله عليه وآله من الصلاة و الصيام و أن تقاتل بين يديه. و أمّا [معنى] إضافة اللّهو إلى الحديث، فهو التبيين و هي الإضافة بمعنى من. أي: اللّهو من الحديث. لأنّ اللّهو يكون من الحديث و غيره فبيّن بالحديث. و المراد بالحديث [الحديث] المنكر.[٢]

«لهو الحديث»؛ أي: أباطيله. و أكثر المفسّرين على أنّ المراد به الغناء. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله و أبي الحسن الرضا عليهم السلام. و عن أبي عبدالله: هو الطعن في الحقّ و الاستهزاء به و ما كان أبوجهل و أصحابه يجيئون به إذ قال: يا معشر قريش، ألا أطعمكم من الزقّوم الذي يخوّفكم به صاحبكم؟ ثمّ أرسل إلى زبد و تمر و قال: هذا هو الزقّوم الذي يخوّفكم به. و قال: و منه الغناء. فيدخل فيه كلّ شيء يلهي عن سبيل الله و عن طاعته من الأباطيل و المزامير و الملاهي و المعازف، و الترّهات و البسابس على ما قاله عطا.[٣]

و المراد من المشتري هنا إمّا حقيقة ـ كما ورد في شأن النضر بن الحارث كان يتجر

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٨٩.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٩٠ ـ ٤٩١.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩٠ ـ ٤٩١.

فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم و يحدّث بها قريشاً و يقول لهم: إنّ محمّداً يحدّثكم بحديث عاد و ثمود و أنا أحدّثكم بحديث رستم و إسفنديار و أخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه و يتركون استماع القرآن ـ و إمّا بمعنى الاستبدال، و إمّا بمعنى الاستحباب و المحبّة، يعني أحبّوا الباطل من اللّهو على الحقّ.

«ليضلّ عن سبيل الله»؛ أي: يضلّ غيره. و من أضلّ فقد ضلّ. و من قرأ بفتح الياء ـ كابن كثير ـ فالمعنى: ليصير أمره إلى الضلال، و هو إن لم يكن يشتري للضلال فإنّه يصير أمره إلى ذلك. و «سبيل الله» قراءة القرآن. «بغير علم»؛ أي: [إنّه] جاهل فيما يفعله. أهل الكوفة: «و يتّخذها» بالنصب، و الباقون بالرفع للعطف على الفعل الأوّل. أي: من يشتري و يتّخذ. و من نصب عطف على ليضلّ. «و يتّخذها هزواً». أي: يتّخذ آيات القرآن يستهزئ بها. «مهين»؛ أي: مذلّ.(١)

قرئ «ليضلّ» بضمّ الياء و فتحها. فإن قلت: القراءة بالضمّ بيّنة. لأن النضر كان غرضه باشتراء اللّهو أن يصدّ عن الدخول في الإسلام. فما معنى القراءة بالفتح؟ قلت: فيه معنيان. أحدهما: ليثبت على ضلاله الذي كان عليه و لا يرجع عنه و يزيد فيه و يمدّه. فإنّ المخذول كان شديد العداوة للدين. و الثاني أن يوضع موضع ليضلّ من قبل أنّ من أضلّ كان ضالّاً، فدلّ بالرديف على المردوف. و قوله: «بغير علم» [أي: بغير علم] بالتجارة و بغير بصيرة بها حيث يستبدل الباطل بالحقّ. و نحوه: «فما ربحت تجارتهم و ما كانوا مهتدين».(٢) [أي: ما كانوا مهتدين] للتجارة بصراء بها. «يتّخذها»؛ أي: السبيل، لأنّها مؤنث.(٣)

[٧] «وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ».

«ولّى مستكبراً» لا يعبأ بها [و لا يرفع بها] رأساً.(٤)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩١ و ٤٨٩.
٢ـ البقرة (٢) / ١٦.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٩١.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٩٢.

«و إذا تتلى عليه آياتنا»؛ أي: يقرأ عليه القرآن، «ولّى» ؛ أي: أعرض عن سماعه إعراض من لايسمعه رافعاً نفسه فوق مقدارها. «أذنيه». نافع بسكون الذال. «وقراً»؛ أي: ثقلاً يمنعه عن سماع تلك الآيات. «أليم»؛ أي: مؤلم في القيامة.[١]

[٨ـ ٩] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«وعد الله حقّاً»؛ أي: وعداً وعده حقّاً.[٢]

«وعد الله حقّاً». مصدران مؤكّدان؛ الأوّل مؤكّد لنفسه و الثاني لغيره. لأنّ قوله: «لهم جنّات النعيم» في معنى الوعد و أمّا حقّاً فدالّ على معنى الثبات أكّد به معنى الوعد. و مؤكّدهما جميعاً قوله: «لهم جنّات النعيم».[٣]

[١٠] «خَلَقَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَ أَلْقىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ».

«بغير عمد ترونها». يعني أنّه عمدها بعمد لاترى؛ و هي إمساكها بقدرته.[٤]

«بغير عمد ترونها». إذ لو كان لها عمد لرأيتموها لأنّها [لو كانت] تكون أجساماً عظاماً حتّى يصحّ منها أن تقلّ السموات. و لو كانت كذلك، لاحتاجت إلى عمد آخر و كان يتسلسل. فإذاً لا عمد لها. و قيل: إنّ المراد بغير عمد مرئيّة. و المعنى أنّ لها عمداً لاترونها. و الصحيح الأوّل. «رواسي»؛ أي: جبالاً ثابتة. «أن تميد بكم»؛ أي: كراهة أن تميد بكم. «من كلّ دابّة» تدبّ على وجهها من أنواع الحيوانات. «فأنبتنا فيها»؛ أي: في الأرض بذلك الماء من كلّ صنف. «كريم»؛ أي: حسن النبت طيّبة الثمرة.[٥]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩١ و ٤٨٩.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩١.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٩٢.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٩٢.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩١.

[١١] «هٰذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَا ذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«هذا خلق الله»؛ أي: ما تقدّم ذكره من خلق السموات و الأرض و ما فيهما. «من دونه». يعني آلهتهم التي يعبدونها. «مبين». أي: إنّهم لايجدون لهذا الكلام جواباً و لايمكنهم أن يشيروا إلى شيء هو خلق آلهتهم، فلم يحملهم على عبادتهم خلقهم لشيء ولكنّهم في عدول ظاهر عن الحقّ.(١)

[١٢] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلّٰهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ».

«لقمان». قيل: إنّه كان حكيماً و لم يكن نبيّاً. عن أكثر المفسّرين. و قيل: كان نبيّاً. و فسّروا الحكمة بالنبوّة. و قيل: إنّه كان عبداً أسوداً حبشيّاً غليظ المشافر مشقوق الرجلين في زمن داوود. فقال له بعض الناس: ألست كنت ترعى؟ فقال: نعم. فقال: من أين أوتيت ما أرى؟ قال: قدر الله و أداء الأمانة و صدق الحديث و الصمت عمّا لايعنيني. و قيل: إنّه كان ابن أخت أيّوب. «الحكمة»؛ أي: العلم و العمل. «أن اشكر لله»؛ أي: قلنا له: اشكر لله على ما أعطاك من الحكمة. «يشكر لنفسه». لأنّ ثواب شكره عائد عليه و يستحقّ المزيد.(٢)

«لقمان» من أولاد آزر. عاش ألف سنة و أدرك داوود و أخذ منه العلم. و كان يفتي قبل مبعث داوود. فلمّا بعث قطع الفتوى. فقيل له، فقال: ألا أكتفي إذا كفيت؟(٣)

روي: انّ مولى لقمان أمره بذبح شاة و بأن يخرج منها أطيب مضغتين، فأخرج اللّسان و القلب. ثم أمره بمثل ذلك بعد أيّام و أن يخرج أخبث مضغتين، فأخرج اللّسان و القلب. فسأله عن ذلك فقال: هما أطيب ما فيها إذا طابا، و أخبث ما فيها إذا خبثا.(٤)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩٣.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ٢١ / ٥٤.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٩٣.

«الحكمة». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أوتي معرفة إمام زمانه.(١)

أوّل ما ظهر من حكم لقمان أنّ تاجراً سكر و خاطر نديمه أن يشرب ماء البحر كلّه و إلّا سلّم إليه ماله و أهله. فلمّا أصبح و صحا ندم. فطالبه صاحبه بذلك. فقال لقمان: أنا أخلّصك بشرط ألّاتعود. قل: أشرب الماء الذي كان فيه وقت المخاطرة، فأتني به. أو أشرب ماءه الآن فسدّ أفواهه لأشربه. أو أشرب الماء الذي يأتي به فاصبر حتى يأتي. فأمسك صاحبه منه. بيان التنزيل لابن شهرآشوب.(٢)

[١٣] «وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ».

«لابنه». قيل: كان اسمه أنعم. و قيل: كان ابنه و امرأته كافرين فمازال بهما حتّى أسلما.(٣)

«و إذ قال»؛ أي: و اذكر يا محمّد. «و هو يعظه»: يؤدّبه و يذكّره. «لاتشرك بالله»؛ أي: لاتعدل بالله شيئاً في العبادة. «لظلم عظيم». أصل الظلم النقصان. و قيل: إنّه ظلم نفسه ظلماً عظيماً بأن أوبقها. ابن‌كثير في رواية البزّيّ: «يا بني لاتشرك بالله» ساكنة الياء «يا بنيّ إنّها» مكسورة الياء «يا بنيّ أقم الصلاة» مفتوحة الياء. و قرأ في رواية القوّاس: «يا بني لاتشرك» «يا بني أقم» ساكنة الياء فيهما «يا بنيّ إنّها» مكسورة الياء. [و قرأ ابن‌فليج: «يا بنيّ لاتشرك» «يا بنيّ إنّها» مكسورة الياء] فيهما «يا بنيّ أقم» مفتوحة الياء. قرأ حفص: «يا بنيّ» بفتح الياء في كلّ القرآن، و الباقون بكسر الياء في كلّ القرآن.(٤)

[١٤] «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَ فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ».

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و وصّينا الإنسان بوالديه» قال: «رسول الله و عليّ صلوات الله عليهما.» و إنّما كنى عنهما بالوالدين لأنّ الوالد هو السبب الأقوى في إنشاء الولد و لولاهما

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦١.

٢ـ بحارالأنوار ١٣ / ٤٣٣.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩٤ و ٤٩٢.

لم يكن إنساناً و لا حيواناً و لا دنيا و لا آخرة؛ لقوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك» و قوله سبحانه لآدم: «لولا شخصان أريد أن أخلقهما منك، لما خلقتك.» و معنًى آخر و هو أنّهما والدان في العلم و الهدى و الدين الذي هو سبب حياة الإنسان و الوالد يغذّي بالثدي و الشراب و الطعام و هما يغذّيان الإنسان بالعلم و البيان.(١)

«و فصاله»؛ أي: فطامه من الرضاع في انقضاء عامين. لأنّ العامين جملة مدّة الرضاع. فهو قوله: «يرضعن أولادهنّ حولين كاملين» ـ اه.(٢) و المراد أنّها بعد ما تلد ترضعه عامين و تربّيه فليحقها المشقّة بذلك أيضاً. «أن اشكر لي و لوالديك». هذا تفسير قوله: «و وصّينا الإنسان». أي: وصّيناه بشكرنا و شكر والديه. فشكر الله سبحانه بالحمد و الطاعة، و شكر الوالدين بالبرّ و الصلة. «إليّ المصير». فيه تهديد. أي: مرجعكم إليّ فأجازيكم على حسب أعمالكم.(٣)

«وهناً على وهن»؛ أي: تهن وهناً على وهن. و هو في موضع الحال. أي: تضعف ضعفاً فوق ضعف.(٤)

[١٥] «وَ إِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَ صَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«و إن جاهداك» أيّها الإنسان «على أن تشرك بي» معبوداً آخر، فلاتطعهما. و هو قوله: «ما ليس لك به علم». لأنّ ما يكون حقّاً يعلم صحّته فما لايعلم صحّته فهو باطل. فكأنّه قال: فإن دعواك إلى باطل، «فلاتطعهما» في ذلك. «و صاحبهما في الدنيا»؛ أي: في أمور الدنيا، و أحسن إليهما و ارفق بهما. «و اتّبع سبيل»؛ أي: اسلك طريقة من رجع إلى طاعتي و أقبل إليّ بقلبه و هو النبيّ صلى الله عليه وآله و المؤمنون. «ثمّ إليّ مرجعكم»: [مرجعك] و مرجعهما. «فأنبّئكم بما كنتم تعملون». فأجازيك على إيمانك و أجازيهما على كفرهما. و الآيتان معترضتان في

١ـ تأويل الآيات ١ / ٤٣٧ ـ ٤٣٨.
٢ـ البقرة (٢) / ٢٣٣.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩٥.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٩٤.

تضاعيف وصيّة لقمان تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك. فكأنّه قال: و قد وصّينا بمثل ما وصّى به. و ذكر الوالدين للمبالغة في ذلك. فإنّهما مع أنّهما تلو الباريء في استحقاق التعظيم و الطاعة، لايجوز أن يستحقّاه في الإشراك، فما ظنّك بغيرهما! (١)

[١٦] «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ».

«إنّها إن تك»؛ أي: إنّ الخصلة من الإساءة أو الإحسان [إن] تك مثلاً في الصغر كحبّة خردل. و رفع نافع «مثقال» على أنّ الهاء ضمير القصّة و كان تامّة و تأنيثها لإضافة المثقال إلى الحبّة، أو لأنّ المراد به الحسنة أو السيّئة. «فتكون في صخرة»؛ أي: في أخفي مكان و أحرزه كجوف صخرة أو أعلاه كمحدب السموات أو أسفله كمقعر الأرض. «يأت بها الله»؛ أي: يحضرها فيحاسب عليها. «لطيف» يصل علمه إلى كلّ خفيّ «خبير» عالم بكنهه. (٢)

«مثقال». قرأ أهل المدينة: «مثقال» بالرفع و الباقون بالنصب. (٣)

[١٧] «يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

«أقم الصلاة» المفروضة في ميقاتها بشروطها. «بالمعروف». و هو الطاعة. «عن المنكر». و هو كلّ قبيح سواء كان من القبائح العقليّة أو الشرعيّة. «و اصبر على ما أصابك» من المشقّة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. عن عليّ عليه السلام. و قيل: ما أصابك من شدائد الدنيا و مكارهها. «من عزم الأمور»؛ أي: من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلاً من القبيح. و العزم: الإرادة المتقدّمة للفعل بأكثر من وقت. و هو العقد على الأمر لتوطين النفس على فعله. و التلوّن في الرأي يناقض العزم. و قيل: معناه: انّ ذلك من الأمور التي يجب

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٨.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩٨.

الثبات و الدوام عليها. و قيل: العزم النفاذ في الأمر.(١)

«من عزم الأمور»؛ أي: ممّا عزمه الله من الأمور؛ أي: قطعه قطع إيجاب و إلزام. و منه الحديث: لا صيام لمن لم يعزم الصيام من اللّيل؛ أي: لم يقطعه [بالنيّة]. و منه عزمات الملوك. و ذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده: عزمت عليك إلّا فعلت كذا. إذا قال ذلك، لم يكن للمعزوم عليه بدّ من فعله. و حقيقته أنّه من تسمية المفعول بالمصدر و أصله: من معزومات الأمور؛ أي: مقطوعاتها و مفروضاتها.(٢)

[١٨] «وَ لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ».

«و لاتصعّر خدّك للناس»؛ أي: لاتذلّ للناس طمعاً فيما عندهم.(٣)

«و لاتصعّر». أهل الكوفة غير عاصم و أبوعمرو و نافع: «و لاتصاعر» بالألف. «و لاتصعّر خدّك للناس»؛ أي: لاتمل وجهك من الناس تكبّراً و لاتعرض عمّن يكلّمك استخفافاً به. و هذا معنى [قول] ابن‌عبّاس و أبي عبدالله عليه السلام. يقال: أصاب البعير صعر؛ [أي] داء يلوي منه عنقه. فكأنّ المعنى: لايلزم خدّك الصعر. لأنّه [لا] داء للإنسان أدوى من الكبر. و قيل: هو أن يسلّم عليك فتلوي عنقك تكبّراً. «مرحاً»؛ أي: بطراً و خيلاء. «مختال فخور»؛ أي: متكبّر فخور على الناس.(٤)

[١٩] «وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ».

«و اغضض من صوتك»؛ أي: لاترفعه.(٥)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩٩ ـ ٥٠٠.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٩٦ ـ ٤٩٧.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٥.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٩٨ و ٥٠٠.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٥.

«و اقصد في مشيك»؛ أي: اجعل مشيك قصداً مستوياً على وجه السكون و الوقار. أي: تواضع في مشيك و توسّط فيه بين الدبيب و الإسراع. و عنهﷺ: سرعة المشي يذهب بهاء المؤمن. «و اغضض من صوتك»؛ أي: انقص من صوتك إذا دعوت و ناجيت ربّك. و قيل: لاتجهر كلّ الجهر و اخفض صوتك و لاترفعه متطاولاً به.(١)

«لصوت الحمير» أوّله زفير و آخره شهيق. و عن زيد بن عليّ أنّه أراد صوت الحمير من الناس و هم الجهّال، شبّههم بالحمير كما شبّههم بالأنعام في قوله: «أولئك كالأنعام».(٢) و عن أبي عبداللهعليه السلام: هي العطسة المرتفعة القبيحة، و الرجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحاً إلّا أن يكون داعياً أو يقرأ القرآن.(٣)

عنهﷺ: الحمير هنا إنّما هو زريق و صاحبه افراء وردا أسفل جهنّم يكون لهما شهيق و نهيق من حرّها كما يكون للحمير.(٤)

قال بعض العلماء: من نكر صوت هذا الحيوان أنّه لو مات تحت الحمل لايصيح و في أوقات عدم الحاجة يصيح و ينهق، و أمّا سائر الحيوانات فلاتصيح إلّا لحاجة.(٥)

[٢٠ ـ ٢١] «أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدىً وَ لَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَ وَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ».

«ما في السموات» من الشمس و القمر و النجوم. «نعمه». نافع و أبوعمرو و حفص بالجمع و الإضافة. و الباقون: «نعمة» على الواحد.(٦)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٩.

٢ـ الأعراف (٧) / ١٧٩.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٠.

٤ـ انظر: بحارالأنوار ٣٠ / ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

٥ـ تفسير النيسابوريّ ٢١ / ٥٧.

٦ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠١ و ٤٩٨، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٩.

«ظاهرة و باطنة». الظاهرة ما لايمكنكم جحده من خلقكم و إحيائكم و خلق الشهوة فيكم و نحوها. و الباطنة ما لا يعرفها إلّا من أمعن النظر فيها. و عنه ﷺ: أمّا ما ظهر فالإسلام و ما سوّى من خلقك و ما أفضل عليك من الرزق. و أمّا ما بطن فستر مساوئ عملك و لم يفضحك به. و قيل: الظاهرة [تخفيف] الشرائع. و الباطنة الشفاعة. و قيل: الظاهرة نعم الجوارح. و الباطنة نعم القلب. و قيل: الظاهرة ظهور الإسلام و النصر على الأعداء. و الباطنة الإمداد بالملائكة. [و قيل: الظاهرة حسن الصورة و تسوية الأعضاء. و الباطنة المعرفة.] و قيل: الظاهرة القرآن. و الباطنة تأويله و معانيه. و قال الباقر عليه السلام: النعم الظاهرة النبيّ ﷺ و ما جاء به من المعارف. و الباطنة ولايتنا أهل البيت و عقد مودّتنا. و لا تنافي بين هذه الأقوال و كلّها نعم الله تعالى و يجوز حمل الآية على الجميع.(١)

يروى في دعاء موسى عليه السلام: اللّهمّ دلّني على أخفى نعمك على عبادك. فقال: أخفى نعمتي على عبادي النفس.(٢)

«من يجادل في الله»: في توحيده و صفاته. «بغير علم» مستفاد من دليل «و لا هدًى» راجع إلى رسول «و لا كتاب منير» أنزله الله، بل بالتقليد. كما [قال:] «و إذا قيل لهم» ـ الآية. و هو منع صريح من التقليد في الأصول. «يدعوهم». يحتمل أن يكون الضمير لهم و لآبائهم. «إلى عذاب السعير»؛ أي: إلى ما يؤول إليه من التقليد و الإشراك. و جواب لو محذوف مثل: لاتّبعوه. و الاستفهام للإنكار و التعجّب.(٣)

[٢٢] «وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ وَ إِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ».

«و من يسلم وجهه»؛ أي: يخلص دينه لله فيوقع أعماله على موجب العلم و مقتضى الشرع. و قيل: إنّ إسلام الوجه إلى الله الانقياد لله في أوامره و نواهيه. «فقد استمسك»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠١.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٩٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢٩.

تعلّق بالعروة الوثيقة. «و إلى الله عاقبة الأمور»؛ أي: و عنده ثواب ما صنع. [و المعنى:] إنّ الأمور ترجع إليه لايملك الأمر و النهي فيها إلّا هو.[١]

«بالعروة الوثقى». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مودّتنا أهل البيت.[٢]

«يسلم وجهه إلى الله». فإن قلت: ما له عدّي بإلى و قد عدّي باللّام في قوله: «بلى من أسلم وجهه لله»[٣]؟ قلت: معناه مع اللّام أنّه جعل وجهه ـ و هو ذاته و نفسه ـ سالماً لله خالصاً له. و معناه مع إلى أنّه سلّم إليه نفسه كما يسلّم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه، و المراد التوكّل عليه و التفويض إليه. «بالعروة الوثقى». من باب التمثيل. مثّلت حال المتوكّل بحال من أراد أن يتدلّى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه. «و إلى الله ترجع الأمور»؛ أي: هي صائرة إليه.[٤]

[٢٣] «وَ مَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

«بما عملوا»؛ أي: نجازيهم بسوء أفعالهم. «بذات الصدور»؛ أي: بما تضمره الصدور.[٥]

[٢٤] «نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ».

«نمتّعهم»؛ أي: نعطيهم من متاع الدنيا و نعيمها ما يتمتّعون به مدّة قليلة. «ثمّ نضطرّهم إلى عذاب غليظ» يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ أو يضمّ إلى الإحراق الضغط.[٦]

[٢٥] «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«ليقولنّ الله» لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطرّوا إلى إذعانه.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٢.
٢ـ تأويل الآيات ١ / ٤٣٩.
٣ـ البقرة (٢) / ١١٢.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٩٩ ـ ٥٠٠.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٢.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٠.

«قل الحمد لله» على إلزامهم و إلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم. «لايعلمون» أنّ ذلك يلزمهم.(١)

[٢٦] «لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ».

«هو الغنيّ» عن [حمد] الحامدين. [«الحميد»:] المستحقّ للحمد و إن لم يحمد.(٢)

[٢٧] «وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

«و لو أنّ» ـ اه ـ أي: لو كان شجر الأرض أقلاماً و البحر مداداً و يمدّه سبعة أبحر مثله ـ أي تزيده بمائها ـ فكتب بتلك الأقلام و البحور، انكسرت تلك الأقلام و نفد ماء البحور، و «مانفدت كلمات الله»؛ أي: مقدوراته و معلوماته. لأنّها إذا كانت لاتتناهى، فكذلك الكلمات التي تكون عبارة عنها لاتتناهى. «إنّ الله عزيز» في اقتداره على جميع ذلك. «و البحر». أبوعمرو و يعقوب: «و البحر» بالنصب، و الباقون بالرفع. قرأ جعفر بن محمّد عليه السلام: «و البحر مداده».(٣)

عن العسكريّ عليه السلام في قوله: «سبعة أبحر» قال: هي عين الكبريت و عين اليمن و عين البرهوت و عين طبريّة و عين ماسيدان و جمّة ماء افريقية و عين ماحر(٤). و أمّا الكلمات التي لاتنفد، فنحن [الكلمات] التي لاتنفد علومنا و لاتدرك فضائلنا و لاتستقصى.(٥)

«من شجرة». فإن قلت: لم قيل: «من شجرة» على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر؟ قلت: أريد تفضيل الشجر و تقصّيها شجرة شجرة حتّى لايبقى من جنس الشجر و لا واحدة، إلّا و قد بريت أقلاماً. فإن قلت: الكلمات جمع قلّة. و الموضع موضع التكثير.

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٠.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٤.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٤ و ٥٠٣.
٤ـ المصدر: باجروان.
٥ـ تأويل الآيات ١ / ٤٤٠.

فهلّا قيل: كلم الله؟ قلت: معناه أنّ كلماته لاتفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه. «و البحر». بالنصب عطف على اسم أنّ. و بالرفع عطف على محلّ أنّ و معمولها على: و لو ثبت كون الأشجار أقلاماً و ثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر. فإن قلت: كان مقتضى الكلام أن يقال: و لو أنّ الشجر أقلام و البحر مداد. قلت: أغنى عن ذكر المداد قوله: «يمدّه». لأنّه من قولك: مدّ الدواة و أمدّها. جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة و جعل الأبحر السبعة مملوّة مداداً فهي تصبّ فيه مدادها أبداً صبّاً لاينقطع. و المعنى: [و لو] أنّ أشجار الأرض أقلام و البحر ممدود بسبعة أبحر و كتبت بتلك الأقلام و بذلك المداد كلمات الله، لما نفدت كلماته و نفدت الأقلام و المداد. عن ابن‌عبّاس أنّها نزلت جواباً لليهود لمّا قالوا: قد أوتينا التوراة فيها كلّ الحكمة. و قيل: إنّ المشركين قالوا: إنّ هذا ـ يعنون الوحي ـ كلام سينفد. فأعلم الله أنّ كلامه لاينفد.(١)

[٢٨] «مَا خَلْقُكُمْ وَ لَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ».

«إلّا كنفس واحدة»؛ أي: كخلق [نفس] واحدة و بعثها في قدرته. فإنّه لايشقّ عليه ابتداء جميع الخلق و لا إعادتهم بعد إفنائهم. و قيل: إنّ كفّار قريش قالوا: إنّ الله خلقنا أطواراً نطفة علقة مضغة لحماً. فكيف يبعثنا خلقاً جديداً في ساعة واحدة؟ فنزلت الآية.(٢)

«سميع بصير»: يسمع كلّ صوت و يبصر [كلّ] مبصر في حالة واحدة لايشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض. فكذلك الخلق و البعث.(٣)

[٢٩] «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

«يولج»؛ أي: ينقص من اللّيل في النهار و من النهار في اللّيل. أو إنّ كلّ واحد منهما يتعقّب الآخر. «وسخّر الشمس و القمر» يجريان على وتيرة واحدة لايختلفان.(٤)

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٠١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٤.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٢.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٤.

«و سخّر الشمس و القمر». كلّ واحد من الشمس و القمر يجري في فلكه و يقطعه إلى وقت معلوم، الشمس إلى آخر السنة و القمر إلى آخر الشهر. و قيل: الأجل المسمّى يوم القيامة. لأنّه لاينقطع جريهما إلّا حينئذ.[١]

[٣٠] «ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

«ذلك» الذي وصف من عجائب قدرته و حكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون، فكيف بالجماد الذي يدعون من دون الله، إنّما هو بسبب أنّه هو الحقّ الثابت إلهيّته و أنّ من دونه باطل الإلهيّة «و أنّ الله هو العليّ» الشأن «الكبير» السلطان. أو: ذلك الذي أوحي إليك من هذه الآيات، بسبب بيان أنّ الله هو الحقّ و أنّ إلهاً غيره باطل و أنّ الله هو العليّ الكبير عن أن يشرك به.[٢]

[٣١] «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ».

«بنعمة الله»؛ أي: بقدرته.[٣]

«بنعمة الله»؛ أي: بإحسانه و أسبابه.[٤]

«تجري في البحر بنعمة الله» عليكم. «من آياته»؛ أي: بعض أدلّته الدالّة على وحدانيّته. و وجه الدلالة من ذلك أنّ الله يجري السفن بالرياح التي يرسلها في الوجوه التي يريدون المسير إليها و لو اجتمع جميع الخلق ليجروا الفلك في بعض الجهات المخالفة لجهة الرياح، لما قدروا عليه. و في ذلك أعظم دلالة على أنّ المجري لها بالرياح هو القادر الذي لايعجزه شيء. فذلك بعض الأدلّة الدالّة عليه. «إنّ في ذلك»؛ أي: في تسخير الفلك و إجرائها على البحر و

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٢.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٢.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٦ ـ ١٦٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣١.

إجراء الريح على وفقها «لآيات»؛ أي: دلالات «لكلّ صبّار» على مشاقّ التكليف «شكور» لنعم الله . و إنّما قال ذلك ليدلّ على أنّ الصبر على بلائه و الشكر لنعمائه أفضل الطاعات. و قيل: الصبر نصف الإيمان. و الشكر نصف الإيمان. و اليقين الإيمان كلّه.(١)

[٣٢] «وَ إِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ».

«و إذا غشيهم»؛ أي: غشي أصحاب السفن «موج كالظلل»؛ أي: السحاب في ارتفاعه و تغطيته ما تحته و ركوب بعضه على بعض ـ و قيل: يريد كالجبال ـ و خافوا الغرق و الهلاك، فأخلصوا الدعاء في هذا الحال. «فلمّا نجّاهم» من هول البحر. «فمنهم مقتصد»؛ أي: عدل في الوفاء في البرّ بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له. و قيل: إنّ هذا كان [سبب] إسلام عكرمة بن أبي جهل و هو إخلاصهم الدعاء في البحر. و ذلك أنّه لمّا فتح مكّة، آمن رسول الله الناس إلّا أربعة نفر قال: اقتلوهم و إن وجدتموهم متعلّقين بأستار الكعبة، منهم عكرمة. فركب البحر فأصابتهم ريح عاصفة فقال أهل السفينة: أخلصوا. فإنّ آلهتكم لاتغني عنكم شيئاً هاهنا. فقال عكرمة: لئن لم ينجني في البحر إلّا الإخلاص، لم ينجني في البرّ غيره. اللّهمّ [إنّ] لك [عليّ] عهداً، إن أنت عافيتني ممّا أنا فيه، أن آتي محمّداً حتى أضع يدي في يده. فلأجدنّه عفوّاً كريماً. فجاءه فأسلم. و قيل: «فمنهم مقتصد» معناه: على طريقة مستقيمة و صلاح من الأمر. «ختّار»: غدّار. «كفور» لله في نعمه.(٢)

الظلّة: كلّ ما أظلّك من جبل أو سحاب أو غيرهما. «مقتصد»؛ أي: متوسّط في الكفر و الظلم خفض من غلوائه و انزجر بعض الانزجار. أو: مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر. يعني أنّ ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لايبقى لأحد قطّ و المقتصد قليل نادر. و قيل: مؤمن قد ثبت على ما عاهد الله عليه في البحر.(٣)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٦.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٦ ـ ٥٠٧.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٣.

[٣٣] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ اخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ».

«و اخشوا يوماً». يعني يوم القيامة لايغني فيه أحد عن أحد كلّ امرئ تهمّه نفسه. «إنّ وعد الله». أي بالبعث و الجزاء. «فلايغرّنّكم الحياة الدنيا»؛ أي: لايغرّنّكم الإمهال عن الانتقام و الأموال عن الإسلام. أي: لاتغترّوا بطول السلامة و كثرة النعم؛ فإنّهما قريب من الزوال. «و لايغرّنّكم بالله الغرور». و هو الشيطان. و قيل: هو تمنّيك المغفرة في عمل المعصية. و قيل: كلّ شيء غرّك حتّى تترك ما أمر الله به، فهو غرور، شيطاناً كان أو غيره.[1]

«لايجزي والد»؛ أي: لايقضي عنه شيئاً. و قيل للمتقاضي: المتجازي. و المعنى: لايجزي فيه. «الغرور»: الدنيا. و قيل: ذكرك لحسناتك و نسيانك لسيّئاتك غرّة. فإن قلت: «و لا مولود هو جاز» وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه. قلت: الأمر كذلك. لأنّ الجملة الاسميّة آكد من الفعليّة، و قد انضمّ إلى ذلك قوله: «هو» و قوله: «مولود». و السبب في مجيئه على هذا السنن أنّ الخطاب للمؤمنين و أكثرهم قبض آباؤهم على الكفر فأريد حسم أطماعهم و أطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة و أن يغنوا عنهم من الله شيئاً، فلذلك جاء به على الطريق الآكد. و معنى التوكيد في لفظ المولود أنّ الواحد منهم إن شفع للأب الذي ولد منه لم تقبل شفاعته، فضلاً أن يشفع لمن فوقه من أجداده، لأنّ الولد يقع على الولد و ولد الولد.[2]

[٣٤] «إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَا ذَا تَكْسِبُ غَداً وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ».

«إنّ الله» ـ اهـ. روي أنّ الحارث بن عمرو بن حارثة أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله،

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٧.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٣ ـ ٥٠٤.

أخبرني عن الساعة متى قيامها؟ و إنّي قد ألقيت حبّاتي و قد أبطأت عنها السماء. فمتى تمطر؟ و أخبرني عن امرأتي ـ فقد حملت ـ ما في بطنها؟ أ ذكر أم أنثى؟ و إنّي علمت ما عملت أمس. فما أعمل غداً؟ و هذا مولدي قد عرفته. فأين أموت؟ فنزلت.[١]

«و ينزّل». ابن‌كثير بالتخفيف.

«عنده علم الساعة»؛ أي: لم يطلع عليه أحداً من خلقه فلايعلم وقت قيام الساعة سواه. «و ينزّل الغيث» فيما يشاء من زمان أو مكان. و االصحيح أنّ معناه: و يعلم نزول الغيث في مكانه و زمانه. كما جاء في الحديث: انّ مفاتيح الغيب خمس لايعلمهنّ إلّا الله. و قرأ هذه الآية. «ما في الأرحام»؛ أي: يعلم ما في أرحام الحوامل أ ذكر أم أنثى أصحيح أم سقيم أ واحد أم أكثر. «ماذا تكسب غداً»؛ أي: ما تعمل في المستقبل. «بأيّ أرض تموت». قيل: إنّه إذا رفع خطوة، لم يدر أنّه يموت قبل أن يضع الخطوة أم لا. «عليم» بهذه الأشياء خبير بها.[٢]

قال الصادق عليه السلام: هذه خمسة أشياء لم يطّلع عليها ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل. و هي من صفات الله عزّوجلّ.[٣]

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٤ ـ ٥٠٥.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٧.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٧.

٣٢.
سورة السجدة

سمّيت سجدة لقمان أيضاً لئلّاتلتبس بحم السجدة. و عن أبي عبداللهعليه السلام: من قرأ سورة السجدة في كلّ ليلة جمعة، أعطاه الله كتابه بيمينه و لم‌يحاسبه بما كان منه و كان من رفقاء محمّد و أهل بيته.(١)

سجدة لقمان: عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها مع سورة الملك، فكأنّما أحيا ليلة القدر.(٢)

السجدة: من جعلها في منزل [وال عزل في سنته]. و إن علّقها [عليه] أمن من الحمّى و الشقيقة.(٣)

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«الم» على أنّها اسم السورة، مبتدأ خبره «تنزيل الكتاب». و إن جعلتها تعديداً للحروف، ارتفع «تنزيل الكتاب» بأنّه خبر مبتدأ محذوف، أو هو مبتدأ خبره «لا ريب فيه». و الوجه أن يرتفع بالابتداء و خبره «من ربّ العالمين». و «لا ريب فيه» اعتراض لا محلّ له. و الضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة. كأنّه قيل: لا ريب في ذلك؛ أي: في كونه منزّلاً من ربّ العالمين. و يشهد لوجاهته قوله: «أم يقولون افتراه». لأنّ قولهم: هذا مفتر، إنكار لأن يكون من ربّ العالمين.(٤)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٨.

٢ـ المصباح / ٥٨٨.

٣ـ المصباح / ٦٠٩.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٦.

«تنزيل الكتاب»؛ أي: هذه الآيات تنزيل الكتاب الذي وعدتم به لا شكّ فيه أنّه وحي من ربّ العالمين. أي لا ريب فيه للمهتدين و إن كان قد ارتاب فيه خلق من المبطلين لايعتدّ بهم، لأنّه ليس بموضع للشكّ. و قيل: معناه أنّه زال الشكّ في أنّه كلام ربّ العزّة لعجزهم عن الإتيان بمثله. و قيل: إنّ لفظه الخبر و معناه النهي. أي: لاترتابوا فيه. و الريب: أقبح الشكّ.(١)

[٣] «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ».

«أم يقولون افتراه»: بل أيقولون افتراه؟ و ليس الأمر على ما يقولونه. «بل هو الحقّ» نزل عليك «من ربّك».(٢)

«ما أتاهم». كقوله: «ما أنذر آباؤهم».(٣) و ذلك أنّ قريشاً؛ لم يبعث الله إليهم رسولاً قبل محمّد ﷺ. و أمّا قيام الحجّة عليهم، فهو و إن لم يكن من تعريف الرسل، إلّا أنّه كان من أدلّة العقل الموصلة إلى معرفة الله و توحيده و حكمته. «لعلّهم يهتدون». إمّا أن يكون على الترجّي من رسول الله، أو يستعار لفظ الترجّي للإرادة.(٤)

[٤] «اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا شَفِيعٍ أَ فَلَا تَتَذَكَّرُونَ».

«من وليّ و لا شفيع»؛ أي: إذا جاوزتم رضاه، لم تجدوا لأنفسكم وليّاً ناصراً و لا شفيعاً يشفع لكم. أو يكون معناه: انّ الله وليّكم الذي يتولّى مصالحكم و شفيعكم ـ أي ناصركم ـ فإذا خذلكم، لم يبق لكم وليّ و لا نصير.(٥)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٩.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٠٩.
٣ـ يس (٣٦) / ٦.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٧.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٧.

[٥] «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ».

«يدبّر الأمر»؛ أي: المأمور به من الطاعات و الأعمال الصالحة ينزله مدبّراً «من السماء إلى الأرض» ثمّ لا يعمل به و لا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصاً كما يريده و يرتضيه إلّا في مدّة متطاولة لقلّة عمّال الله و الخلّص من عباده و قلّة الأعمال الصاعدة، لأنّه لا يوصف بالصعود إلّا الخالص. و دلّ عليه قوله على أثره: «قليلاً ما تشكرون». أو: يدبّر أمر الدنيا كلّها «من السماء إلى الأرض» لكلّ يوم من أيّام الله و هو ألف سنة كما قال: «و إنّ يوماً عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون».[1] «ثمّ يعرج إليه»؛ أي: يصير إليه و يثبت عنده و يكتب في صحف ملائكته كلّ وقت من أوقات هذه المدّة ما يرتفع من ذلك الأمر و يدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدّة آخرها. ثمّ يدبّر أيضاً ليوم آخر، و هلمّ جرّاً إلى أن تقوم الساعة. و قيل: ينزل الوحي مع جبرئيل عليه السلام «من السماء إلى الأرض». ثمّ يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو ردّه مع جبرئيل. و ذلك في وقت [هو في] الحقيقة ألف سنة. لأنّ المسافة مسيرة ألف سنة في الهبوط و الصعود. لأنّ ما بين السماء و الأرض مسيرة [خمسمائة سنة و هو يوم من أيّامكم لسرعة جبرئيل، لأنّه يقطع مسيرة] ألف سنة في يوم واحد. و قيل: يدبّر أمر الدنيا «من السماء إلى الأرض» إلى أن تقوم الساعة. «ثمّ يعرج إليه» ذلك الأمر كلّه؛ أي: يصير إليه ليحكم فيه «في يوم كان مقداره ألف سنة». و هو يوم القيامة.[2]

«يدبّر الأمر». يعني الأمور التي يدبّرها و الأمر و النهي الذي أمر به و أعمال العباد. كلّ هذا يظهره يوم القيامة فتكون مقدار ذلك اليوم ألف سنة من سني الدنيا.[3]

[٦ ـ ٧] «ذٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ».

١ـ الحجّ (٢٢) / ٤٧. ٢ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٧ ـ ٥٠٨.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٨.

روي أنّ عكرمة سئل عن قوله تعالى: «أحسن كلّ شيء خلقه» فقال: إنّ است القرد ليست بحسنة ولكنّه أبرم خلقها؛ أي: أتقنه. «بدأ خلق الإنسان»؛ أي: ابتدأ خلق آدم الذي هو أوّل البشر. أهل الكوفة و نافع: «خلَقه» بفتح اللّام، و الباقون بسكونها.(١)

«أحسن». لأنّه ما من شيء خلقه إلّا و هو مرتّب على ما اقتضته الحكمة و أوجبته المصلحة. فجميع المخلوقات حسنة و إن تفاوتت إلى حسن و أحسن. كما قال: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم».(٢) و قيل: علم كيف يخلقه. من قوله: قيمة المرء ما يحسن. و حقيقته: يحسن معرفته؛ أي: يعرفه معرفة حسنة بتحقيق و إتقان. و قرئ: «خلْقه» ـ بسكون اللّام ـ على البدل. أي: أحسن خلق كلّ شيء. و «خلَقه» على الوصف. أي: كلّ شيء خلقه فقد أحسنه.(٣)

[٨] «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ».

«جعل نسله». سمّيت الذرّيّة نسلاً لأنّها تنسل منه؛ أي: تنفصل منه و تخرج من صلبه. و نحوه قولهم للولد: سليل، و نجل.(٤)

«من سلالة». و هو الصفوة من الطعام و الشراب. «من ماء مهين»: نطفة المنيّ.(٥)

«نسله»؛ أي: نسل آدم. يعني ولده. «مهين»؛ أي: ضعيف. و قيل: حقير مهان. يعني أنّه من شيء حقير لا قيمة له و إنّما يصير ذا قيمة بالعلم و العمل.(٦)

[٩] «ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ».

«ثمّ سوّاه»؛ أي: استحاله من نطفة إلى علقة و من علقة إلى مضغة حتّى نفخ فيه

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥١٢ و ٥١١.
٢ـ التين (٩٥) / ٤.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٨.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٨.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٨.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٥١٢.

الروح.[١]

«ثمّ سوّاه»؛ أي: جعله بشراً سويّاً و عدّله و رتّب جوارحه و نفخ في ذلك المخلوق من روحه.[٢]

[١٠] «وَ قَالُوا أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ».

«و قالوا أ إذا ضللنا». القائل أبيّ بن خلف. و لرضاهم بقوله أسند إليهم جميعاً. «ضللنا»: صرنا تراباً و ذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميّز منه، كما يضلّ الماء في اللّبن. أو: غبنا. «في الأرض» بالدفن فيها. و قرأ عليّ و ابن‌عبّاس: «ضللنا» بكسر اللّام. و الظرف في «أ إذا ضللنا» منصوب بما دلّ عليه «أ إنّا لفي خلق جديد» [و هو] نبعث أو يجدّد خلقنا. «بل هم بلقاء ربّهم». لقاء ربّهم هو الوصول إلى العاقبة من تلقّي ملك الموت و ما وراءه. فلمّا ذكر كفرهم بالإنشاء، و أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر و هو أنّهم كافرون [بجميع ما يكون] في العاقبة لا بالإنشاء وحده.[٣]

[١١] «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ».

«قل يتوفّاكم». التوفّي استيفاء النفس ــ و هو الروح ــ و هو أن يقبض كلّها لا يترك منها شيء. من قولك: توفّيت حقّي من فلان و استوفيته، إذا أخذته وافياً كاملاً. و قيل: حويت لملك الموت الأرض و جعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء. و قيل: يتوفّاهم و معه أعوان من الملائكة. و قيل: ملك الموت يدعو الأرواح فتجيئه ثمّ يأمر أعوانه بقبضها.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لمّا أسري بي إلى السماء، رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً و لا شمالاً مقبلاً عليه كهيئة الحزين. فقال جبرئيل:

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٨.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥١٢.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٩.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٥٠٩.

هذا ملك الموت مشغول في قبض الأرواح. فقلت: يا ملك الموت، أكلّ من مات أو هو ميّت أنت تقبض روحه؟ قال: نعم، و ليس الدنيا عندي إلّا كالدرهم في كفّ الرجل يقلبه كيف يشاء. و ما من دار في الدنيا إلّا و أدخله في كلّ يوم خمس مرّات. و أقول إذا بكى أهل الميّت على ميّتهم، لاتبكوا عليه. فإنّ لي إليكم عودة و عودة حتّى لايبقى منكم أحد.(١)

«وكّل بكم»؛ أي: بقبض أرواحكم. و قال رسول الله ﷺ: الأمراض و الأوجاع كلّها بريد الموت. فإذا حان الأجل، أتى ملك الموت بنفسه فقال: يا أيّها العبد، كم خبر بعد خبر؟ و كم رسول بعد رسول؟ أنا الخبر الذي ليس بعدي خبر، و رسول ليس بعدي رسول. و أنا الرسول. أجب ربّك طائعاً أو مكرهاً. فإذا قبض روحه و تصارخوا عليه قال: على من تصرخون؟ فو الله ما ظلمت له أجلاً و لا أكلت له رزقاً، بل دعاه ربّه. فليبك الباكي على نفسه. و إنّ لي فيكم عودات و عودات حتّى لا أبقي منكم أحداً.(٢)

[١٢] «وَ لَوْ تَرىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَ سَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ».

«و لو ترى» يا محمّد، أو يا أيّها الإنسان. «ناكسو رؤوسهم» يوم القيامة. «فارجعنا» إلى دار التكليف. «إنّا موقنون» إذ لم يبق لنا شكّ بما شاهدنا. و جواب لو محذوف تقديره: لرأيت أمراً فظيعاً. و يجوز أن يكون للتمنّي. و المضيّ فيها و في إذ، لأنّ الثابت في علم الله بمنزلة الواقع.(٣)

[١٣] «وَ لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَ لٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ».

«و لو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها» بأن نفعل أمراً من الأمور يلجئهم إلى الإقرار

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٨. ٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥١٤.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥١٤ ـ ٥١٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

بالتوحيد، ولكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف. و يجوز أن يكون المراد به: و لو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا من الردّ إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات. «ولكن حقّ القول منّي» أن أجازيهم بالعقاب و لا أردّهم. و قيل: معناه: و لو شئنا لهديناهم إلى الجنّة «ولكن حقّ القول منّي»؛ أي: ثبت قضائي و سبق وعيدي و هو: «لأملأنّ جهنّم».[1]

«لآتينا كلّ نفس هداها». قال: لو شئنا أن نجعلهم كلّهم معصومين، [لقدرنا].[2]

[١٤] «فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«بما نسيتم»؛ أي: بما فعلتم فعل من نسي لقاء جزاء هذا اليوم فتركتم ما أمركم الله به. و النسيان: الترك. «نسيناكم»؛ أي: فعلنا معكم فعل من نسيكم من ثوابه؛ أي: ترككم من نعيمه جزاء على ترككم الطاعة. «بما كنتم تعملون» من الكفر و المعاصي.[3]

و قال: «إنّا نسيناكم»؛ أي: تركناكم.[4]

[١٥] «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ».

«يؤمن بآياتنا»؛ أي: يصدّق بالقرآن الذين إذا وعظوا بها تذكّروا و اتّعظوا بمواعظها بأن «خرّوا سجّداً»؛ أي: ساجدين شكراً لله على أن هداهم بمعرفته و أنعم عليهم بفنون نعمته و سبّحوه و نزّهوه عمّا لا يليق به كالعجز عن البعث. «بحمّد ربهم»: حامدين له شكراً على ما وفّقهم للإسلام. «لا يستكبرون» عن عبادته.[5]

[١٦] «تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥١٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٥.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٨.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥١٥.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٨.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٥١٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٥.

يُنْفِقُونَ».

ثمّ وصف الله المؤمنين المذكورين في الآية المتقدّمة فقال: « تتجافى جنوبهم»؛ أي: ترتفع جنوبهم عن مواضع اضطجاعهم لصلاة اللّيل. و هم المتهجّدون باللّيل الذين يقومون عن فرشهم للصلاة. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. «تتجافى جنوبهم». قيل: هم الذين لاينامون حتّى يصلّوا العشاء الآخرة. قال أنس: نزلت فينا معاشر الأنصار. كنّا نصلّي المغرب فلانرجع إلى رحالنا حتّى نصلّي العشاء الآخرة مع النبيّ صلى الله عليه وآله. و قيل: هم الذين يصلّون ما بين المغرب و العشاء الآخرة. و هي صلاة الأوّابين. و قيل: هم الذين يصلّون العشاء و الفجر جماعة. «خوفاً» من عذاب الله تعالى. «و طمعاً» في رحمة الله. «ينفقون». أي في طاعة الله و سبيل ثوابه.(١)

[١٧] «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الله خلق جنّة بيده لم‌ترها عين و لم‌يطّلع عليها مخلوق. يفتحها الربّ كلّ صباح فيقول: ازدادي ريحاً. ازدادي طيباً. و هو قول الله عزّ وجلّ: «فلا تعلم نفس» ـ الآية.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام أنّ رسول الله قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إنّي رأيت في الجنّة نهراً أبيض من اللّبن و أحلى من العسل و أشدّ استقامة من السهم. فيه أباريق عدد نجوم السماء. على شاطئه قباب الياقوت الأحمر و الدرّ الأبيض. ثمّ قال: و الذي نفس محمّد بيده، إنّ في الجنّة شجراً يتصفّق بالتسبيح لم‌يسمع الأوّلون و الآخرون بمثله. يثمر ثمراً كالرمّان. تلقي الثمرة إلى الرجل فيشقّها عن سبعين حلّة. و المؤمنون على كراسيّ من نور. و هم الغرّ المحجّلون. أنت إمامهم يوم القيامة. على الرجل منهم نعلان شراكهما من نور تضيء أمامه حيث شاء من الجنّة. فبينا هو كذلك، إذ أشرفت امرأة من فوقه تقول: سبحان الله. فتناديه، فيقول لها: من أنت؟ فتقول:

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥١٧ ـ ٥١٨.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٧٠.

أنا من اللّواتي قال الله: «فلاتعلم نفس» ـ اهـ.(١)

و عن أبي عبدالله عليه السلام: ما من حسنة إلّا و لها ثواب مبيّن في القرآن إلّا صلاة اللّيل. فإنّ الله لم يبيّن ثوابها لعظم خطرها. قال: «فلاتعلم نفس» ـ الآية. «من قرّة أعين». من القرّ؛ أي: البرد. لأنّ الضاحك يخرج من شؤون عينيه دمع بارد، و المحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حارّ. و منه قولهم: سخنت عينه. «من قرّة أعين». إنّما أضاف القرّة إلى الأعين على الإطلاق لا إلى أعينهم، تنبيهاً على أنّها في غاية الحسن والكمال فتقرّ بها كلّ عين.(٢)

حمزة و يعقوب: «أخفي لهم» على أنّه مضارع أخفيت. «فلاتعلم نفس». أي لا ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل. «من قرّة أعين»؛ أي: ما تقرّ به عيونهم. كما قال: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.(٣)

[١٨] «أَ فَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ».

«أ فمن كان». هذا استفهام يراد به التقرير. أي: الفاسق الخارج عن الإيمان ليس مثل المؤمن في الشرف و المثوبة. تأكيد و تصريح. و الجمع للحمل على المعنى.(٤)

«أفمن كان». ذكر أبومخنف أنّه جرى عند معاوية بين الحسن بن عليّ عليهما السلام و بين الفاسق الوليد بن عقبة كلام فقال الحسن: لا ألومك أن تسبّ عليّاً و قد جلدك في الخمر ثمانين سوطاً و قتل أباك صبراً مع رسول الله في يوم بدر. و قد سمّاه الله في غير آية مؤمناً و سمّاك فاسقاً.(٥)

[١٩] «أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٤١.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥١٨ ـ ٥١٩.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٥.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٥١٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٦.

٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٤٣.

«جنّات المأوى». [فإنّها المأوى] الحقيقيّ و الدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة. و قيل: المأوى جنّة من الجنان. «نزلاً»؛ أي: عطاء. و قيل: ينزلهم الله فيها نزلاً كما ينزل الضيف. يعني أنّهم في حكم الأضياف.(۱)

[۲۰] «وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ».

«و أمّا الذين فسقوا» ـ الآية. قال: إنّ جهنّم إذا دخلوها، هووا فيها مسيرة سبعين عاماً. فإذا بلغوا أسفلها، زفرت بهم جهنّم. فإذا بلغوا أعلاها، قمعوا بمقامع الحديد. فهذه حالهم.(۲)

«أعيدوا فيها» عبارة عن خلودهم فيها. «و قيل لهم ذوقوا» إهانة لهم و زيادة في غيظهم. قال ابن أبي ليلى: نزل قوله: «أ فمن كان مؤمناً» ـ الآيات ـ في عليّ بن أبي طالب عليه السلام و رجل من قريش. و قال غيره: نزلت في عليّ و الوليد بن عقبة. فالمؤمن عليّ و الفاسق الوليد. و ذلك أنّه قال لعليّ عليه السلام: أنا أبسط منك لساناً و أحدّ منك سناناً. فقال عليه السلام: ليس كما تقول يا فاسق. قال قتادة: لا و الله ما استووا؛ لا في الدنيا و لا عند الموت و لا في الآخرة.(۳)

[۲۱] «وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

«و لنذيقنّهم من العذاب الأدنى». اللّام جواب القسم. أمّا العذاب الأكبر، فهو عذاب جهنّم في الآخرة. و أمّا العذاب الأدنى، ففي الدنيا. قيل: هو المصائب و المحن في الأنفس و الأموال. و قيل: هو القتل يوم بدر بالسيف. و قيل: هو ما ابتلوا به من الجوع سبع سنين بمكّة حتّى أكلوا الجيف و الكلاب. و قيل: هو عذاب القبر. و عن أبي عبدالله عليه السلام: العذاب الأدنى الدابّة و الدجّال. «لعلّهم يرجعون»؛ أي: ليرجعوا إلى الحقّ و يتوبوا من الكفر. و قيل:

۱ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۳۶، و مجمع البيان ۸ / ۵۱۹.

۲ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۱۷۰.

۳ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۳۶، و مجمع البيان ۸ / ۵۱۹.

ليرجع الآخرون عن أن يذنبوا مثل ذنوبهم.[١]

أي: نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة. «لعلّهم يرجعون»؛ أي: يتوبون عن الكفر. أو: لعلّهم يريدون الرجوع و يطلبونه.[٢]

«من العذاب الأدنى». هو عذاب الرجعة. «لعلّهم يرجعون». أي في الرجعة حتّى يعذّبوا.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام: الأدنى غلاء السعر. و الأكبر المهديّ بالسيف.[٤]

[٢٢] «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ».

«و من أظلم»؛ أي: لا أحد أظلم لنفسه ممّن نبّه على حجج الله التي توصله إلى معرفته و معرفة ثوابه «ثمّ أعرض عنها»؛ أي: لم يتفكّر فيها. و ثمّ لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها و إرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلاً. «من المجرمين» الذين يعصون الله.[٥]

[٢٣] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَ جَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ».

«موسى الكتاب». يعني التوراة. «في مرية»؛ أي: شكّ. «من لقائه»؛ أي: من لقائك موسى ليلة الإسراء بك. و قال صلى الله عليه و آله: رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً جعداً. و قيل: من لقاء موسى إيّاك في الآخرة. أو: لاتكن ـ يا محمّد ـ في مرية من لقاء موسى الكتاب. أو: لاتكن في شكّ من لقائك الأذى كما لقي موسى الأذى. أو: لاتكن في شكّ من لقائك الكتاب؛ لقوله: «و إنّك لتلقّى القرآن».[٦] فإنّا لقّيناك من الكتاب ما لقّيناه منه، فليس

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٠.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٥١٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٧٠.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٤٤.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٦.
٦ـ النمل (٢٧) / ٦.

ذلك ببدع لم يكن قطّ حتّى ترتاب فيه. «و جعلناه هدًى»؛ أي: جعلنا موسى هادياً لهم. أو: و جعلنا الكتاب هادياً لهم.[١]

[٢٤] «وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ».

«أئمّة»؛ أي: رؤساء في الخير يقتدى بهم يهدون إلى أفعال الخير بإذن الله تعالى. و قيل: هم الأنبياء الذين كانوا فيهم يدلّون الناس على الطريق المستقيم بأمر الله. «لمّا صبروا»؛ أي: لصبرهم على الطاعة أو عن الدنيا.[٢]

«لمّا». حمزة و الكسائيّ: «لما» بكسر اللّام. و الباقون: «لمّا» بالتشديد و فتح اللّام.[٣]

و قال عليه السلام ـ أي أبوعبدالله ـ في قوله: «و جعلنا منهم» ـ اه. قال: نزلت في ولد فاطمة عليها السلام خاصّة؛ لمّا صبروا على البلاء في الدنيا و علم الله منهم الصبر، جعلهم أئمّة يهدون بأمره عباده إلى طاعته المؤدّية إلى جنّته.[٤]

«لمّا صبروا». قال: كان في علم الله أنّهم يصبرون على ما يصيبهم، فجعلهم أئمّة. و عن أبي عبدالله عليه السلام: الأئمّة في كتاب الله إمامان. قال الله: «و جعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا» لا بأمر الناس يقدّمون أمر الله قبل أمرهم. و قال الله: «أئمّة يدعون إلى النار»[٥] يقدّمون أمرهم قبل أمر الله و يأخذون بأهوائهم خلافاً لما في كتاب الله.[٦]

[٢٥] «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

«يفصل بينهم»؛ أي: يحكم بين المؤمن و الكافر و الفاسق. «فيما كانوا فيه يختلفون» من التصديق برسل الله و الإيمان و البعث و النشور و غير ذلك من أعمالهم و أمور دينهم.[٧]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٦.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٦.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢١.

٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

٥ـ القصص (٢٨) / ٤١.

٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٧٠ ـ ١٧١.

٧ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢١.

[٢٦] «أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ أَ فَلَا يَسْمَعُونَ».

«أو لم يهد لهم»؛ أي: ألم يبصّرهم و يبيّن لهم «كم أهلكنا من قبلهم من القرون» الماضية، جزاء على كفرهم بالله. «يمشون في مساكنهم» و يرون آثارهم. و قيل: معناه: إنّا أهلكناهم بغتة وهم مشاغيل بنفوسهم و يمشون في منازلهم. «إنّ في ذلك»؛ أي: في إهلاكنا لهم دلالات واضحات على الحقّ. «أفلايسمعون»: أفلايسمع هؤلاء الكفّار ما يوعظون به من المواعظ؟[١]

الواو في «أولم يهد» للعطف على معطوف عليه منويّ من جنس المعطوف. و الضمير في «لهم» لأهل مكّة. و الفاعل ما دلّ عليه «كم أهلكنا». لأنّ كم لاتقع فاعلة. تقديره: أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون، أو هذا الكلام كما هو بمضمونه و معناه. و يجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون. و «القرون» عاد و ثمود و قوم لوط. «يمشون في مساكنهم» أهل مكّة في متاجرهم على ديارهم و بلادهم.[٢]

[٢٧] «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَ فَلَا يُبْصِرُونَ».

«أولم يروا»؛ أي: أولم يعلموا «أنّا نسوق الماء» بالمطر و الثلج. و قيل: بالأنهار و العيون. «إلى الأرض الجرز»؛ أي: اليابسة التي لا نبات فيها. و قيل: نسوق الماء بالسيول إليها، لأنّها مواضع عالية، و هي قرًى بين الشام و اليمن. عن ابن عبّاس. «أ فلايبصرون» نعم الله تعالى عليهم؟[٣]

«الجرز»: التي جرز نباتها؛ أي: قطع، إمّا لعدم الماء، و إمّا لأنّه رعي و أزيل. «أنعامهم». أي من التبن. «و أنفسهم». أي الحبّ.[٤]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٢.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٥١٦.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٢ ـ ٥٢٣.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٥١٦.

«الأرض الجرز». قال: الأرض الخراب. و هو مثل ضربه الله في الرجعة و القائم. فلمّا أخبرهم رسول الله بخبر الرجعة قالوا: «متى هذا الفتح»؟ و هذه معطوفة على قوله: «و لنذيقنّهم من العذاب الأدنى». فقالوا: «متى هذا الفتح إن كنتم صادقين»؟ فقال الله: «قل» لهم «يوم الفتح لاينفع الذين كفروا إيمانهم» ـ الآيات.(١)

[٢٨] «وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«متى هذا الفتح»؛ أي: فتح مكّة. عن الفرّاء. و قيل: الفتح هو القضاء بعذابهم في الدنيا، و هو يوم بدر. و قيل: هو الحكم بالثواب و العقاب يوم القيامة. و كانوا يسمعون المسلمين يستفتحون بالله عليهم فقالوا لهم: متى هذا الفتح؛ أي: متى هذا الحكم فينا؟(٢)

«هذا الفتح». الفتح: النصر، أو الفصل بالحكومة، من قوله: «ربّنا افتح بيننا».(٣) و كان المسلمون يقولون: إنّ الله سيفتح لنا على المشركين، أو يفتح بيننا و بينهم. فإذا سمع المشركون قالوا: «متى هذا الفتح»؛ أي: في أيّ وقت يكون؟(٤)

[٢٩] «قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَ لَا هُمْ يُنْظَرُونَ».

«لاينفع الذين كفروا». بيّن سبحانه يوم الفتح يكون يوم القيامة. «و لا هم ينظرون»؛ أي: لايؤخّر عنهم العذاب. و قيل في معنىً: الذين قتلوا يوم بدر، لم ينفعهم إيمانهم بعد القتل.(٥)

عن أبي عبدالله عليه السلام: « قل يوم الفتح»؛ أي: يوم يفتح الدنيا على القائم، لاينفع أحداً تقرّب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً و بهذا الفتح موقناً. فذلك الذي ينفعه إيمانه.(٦)

[٣٠] «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٧١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٣.
٣ـ الأعراف (٧) / ٨٩.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٥١٧.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٣.
٦ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٤٥.

«فأعرض عنهم» يا محمّد. فإنّه لاينجع فيهم الدعاء و الوعظ. و قيل: أعرض عن أذاهم و انتظر حكم الله فيهم. قال ابن‌عبّاس: نسخت آية السيف. «و انتظر» موعدي بالنصر على أعدائك. «إنّهم منتظرون» بك حوادث الزمان من موت أو قتل فيستريحون منك. و قيل: معناه: انّهم سيأتيهم ما وعد الله فيهم فكأنّهم ينتظرونه.(١)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٣.

٣٣.
سورة الأحزاب

عن أبي عبدالله عليه السلام: من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب، كان في يوم القيامة في جوار محمّد صلى الله عليه و آله و أزواجه.(١)

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها و علّمها أهله و ما ملكت يمينه، أعطي الأمان من عذاب القبر.(٢)

و من كتبها في رقّ ظبي و جعلها في حقّ في منزله، تزوّجت بناته سريعاً.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَ لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً».

«اتّق الله». نزلت في أبي‌سفيان بن حرب و عكرمة بن أبي‌جهل و أبي‌أعور السلميّ. قدموا المدينة و نزلوا على عبدالله بن أبيّ بعد غزوة أحد بأمان من رسول الله صلى الله عليه و آله ليكلّموه. فقاموا و معهم ابن أبيّ و عبدالله بن أبي‌سرح و طعمة بن أبيرق فقالوا: يا محمّد، ارفض ذكر آلهتنا اللّات و العزّى و منات و قل إنّ لها شفاعة لمن عبدها و ندعك و ربّك. فشقّ ذلك على النبيّ صلى الله عليه و آله فأخرجوا من المدينة. فنزلت الآية: «و لاتطع الكافرين» من أهل مكّة أباسفيان و صاحبيه. «و المنافقين»: ابن أبيّ و صاحبيه. «اتّق الله»؛ أي: اثبت على تقوى الله. أو: اتّق الله في إجابة المشركين إلى ما التمسوه. و قيل: إنّ بعض المسلمين همّوا بقتل أولئك الذين قدموا المدينة بالأمان، فقال: اتّق الله في نقض العهد.(٤)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٤.
٣ـ المصباح / ٦٠٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٥ ـ ٥٢٦.

[٢] «وَ اتَّبِعْ مَا يُوحىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً».

«ما يوحى إليك» من القرآن و الشرائع و بلّغه و اعمل به.[١]

«تعملون». أبوعمرو بالياء، على أنّ الواو ضمير الكفرة و المنافقين. أي: إنّ الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك.[٢]

[٣] «وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفىٰ بِاللهِ وَكِيلاً».

«و توكّل على الله»؛ أي: فوّض أمرك إلى الله و يكفي به حافظاً لك.[٣]

[٤] «مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَ مَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَ مَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ».

«من قلبين في جوفه». فإنّ أمر الرجل الواحد لاينتظم و معه قلبان. فكيف ينتظم أمور العالم و له إلهان معبودان؟ و قيل: إنّ هذه الآية ـ و هي «ماجعل الله» ـ نزلت في أبي معمر بن حبيب الفهريّ و كان لبيباً حافظاً لما يسمع و كان يقول: إنّ في جوفي لقلبين أعقل بكلّ واحد منهما أفضل من عقل محمّد. و كانت قريش تسمّيه ذاالقلبين. فلمّا كان يوم بدر و هزم المشركون و فيهم أبومعمر، تلقّاه أبوسفيان و هو آخذ بيده إحدى نعليه و الأخرى في رجله، فقال له: يا أبامعمر، ما حال الناس؟ قال: انهزموا. قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك و الأخرى في رجلك؟ فقال أبومعمر: ما شعرت إلّا أنّهما في رجلي. فعرفوا يومئذ أنّه لم يكن له إلّا قلب واحد لما نسي نعله في يده. و قيل: إنّ المنافقين كانوا يقولون إنّ لمحمّد قلبين، ينسبونه إلى الدهاء، فأكذبهم الله بذلك. و قيل: هو ردّ على المنافقين. و المعنى: ليس لأحد قلبان يؤمن بأحدهما و يكفر بالآخر. و إنّما هو قلب واحد، فإمّا أن يؤمن و إمّا أن يكفر.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٨.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٦.

«تظاهرون منهنّ». و هو أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمّي. و كانت العرب تطلّق نساءها في الجاهليّة بهذا اللّفظ. فلمّا جاء الإسلام، نهوا عنه و أوجب الكفّارة على من ظاهر من امرأته. و المعنى أنّ الزوجة لاتصير أمّاً بهذا الظهار، لأنّ الأمّ الحقيقيّة هي التي تلد و ترضع. أهل الكوفة [غير عاصم]: «تظاهرون» بالفتح و تخفيف الظاء. و ابن‌عامر بفتح التاء و تشديد الظاء. و الباقون: «تظهرون» بغير ألف و تشديد الظاء والهاء.(١)

أبوعمرو: «اللّاي» بالياء وحده، على أنّ أصله اللّاء بهمزة فخفّفت. و عن الحجازيّين [مثله. و عنهما] و [عن] يعقوب بالهمز وحده. و ابن‌عامر: «تظّاهرون» بالإدغام، و حمزة و الكسائيّ بالحذف، و عاصم: «تُظاهرون» من ظاهر.(٢)

«ماجعل الله لرجل». قال عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام: لايجتمع حبّنا و حبّ عدوّنا في جوف إنسان. إنّ الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه فيحبّ هذا و يبغض هذا. فأمّا محبّنا فيخلص المحبّة لنا كما يخلص الذهب بالنار. و من أراد أن يعلم حبّنا، فليمتحن قلبه. فإن شاركه في حبّنا حبّ عدوّنا، فليس منّا و لسنا منه.(٣)

الدعيّ: الذي قد تبنّاه الإنسان. نزلت في زيد بن حارثة. تبنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الوحي. و كان قد وقع عليه السبي فاشتراه بسوق عكاظ. فلما نبيّ‌ء، دعاه إلى الإسلام فأسلم. فأتى أبوه حارثة أباطالب و قال: سل ابن أخيك إمّا أن يبيعه أو يعتقه. فأعتقه، فأبى زيد أن يفارق رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال حارثة: يا معشر قريش، اشهدوا أنّه ليس بابني. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اشهدوا أنّ زيداً ابني. فكان يدعى ابن محمّد. فلمّا تزوّج النبيّ زينب و كانت تحت زيد، قالت اليهود و المنافقون: تزوّج امرأة ابنه و هو ينهى الناس عنه! فقال الله سبحانه: «و ماجعل» ـ الآية. «ذلكم قولكم»؛ أي: إنّ قولكم: الدعيّ ابن الرجل، شيء تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له عند الله. «و الله يقول الحقّ» الذي يلزم اعتقاده و له حقيقة، و هو أنّ

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٦ ـ ٥٢٧ و ٥٢٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣٩.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٧١ ـ ١٧٢.

الزوجة لاتصير بالظهار أمّاً و الدعيّ لايصير بالتبنّي ابناً.[١]

[٥] «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً».

«ادعوهم لآبائهم» الذين ولدوهم و انسبوهم إليهم أو إلى من ولدوا على فراشهم. «هو أقسط عند الله»؛ أي: أعدل عند الله قولاً و حكماً. عن ابن‌عمر قال: كنّا ندعو زيد بن حارثة ابن محمّد ﷺ حتّى نزل القرآن: «ادعوهم لآبائهم». «فإخوانكم في الدين» فقولوا: يا أخي. «و مواليكم»؛ أي: بنو أعمامكم. و يجوز أن يكون المراد: أولياؤكم في الدين في وجوب النصرة. و قيل: معناه: معتقوكم إذا أعتقتموهم من رقّ فلكم ولاؤهم. «فيما أخطأتم به» من نسبته إلى المتبنّي إذا ظننتم أنّه أبوه و لم تعلموا أنّه ليس بابن له، فلايؤاخذكم الله به. «تعمّدت قلوبكم»؛ أي: قصدته من دعائهم إلى غير آبائهم، فإنّكم تؤاخذون به. «غفور». أي لما سلف من قولكم. و في الآية [دلالة] على وجوب الانتساب إلى الأب و عدم جوازه إلى غيره. قال ﷺ: من انتسب إلى غير أبيه و انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله.[٢]

[٦] «النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً كَانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً».

«من أنفسهم»؛ أي: حكمه عليهم أنفذ من حكمهم على أنفسهم خلاف ما يحكم به. لأنّ طاعته مقرونه بطاعة الله. أو: إنّ حكمه عليهم أنفذ من حكم بعضهم على بعض. و روي أنّ النبيّ لمّا أراد غزوة تبوك و أمر الناس بالخروج، قال قوم: نستأذن آباءنا و أمّهاتنا. فنزلت هذه الآية. و في مصحف أبيّ: [«و أزواجه أمّهاتهم و هو أب لهم».] و هو المرويّ عن

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٧.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٨.

أبي‌جعفرعليه السلام. «و أزواجه أمّهاتهم»؛ أي: كالأمّهات في تحريم النكاح لا أنّهنّ أمّهات على الحقيقة. و لهذا منع من رؤيتهنّ و لا ميراث [بين] الأمّة و بينهنّ. فعلى هذا لايجوز أن يقال لإخوانهنّ و لا أخواتهنّ أخوال المؤمنين و لا خالات المؤمنين. «و أولو الأرحام». لمّا ذكر سبحانه أنّ أزواج النبيّ أمّهات المؤمنين، عقّبه بهذا و بيّن أنّه لا توارث إلّا بالولادة و الرحم. و المعنى أنّ ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض «من المؤمنين»؛ أي: من الأنصار «و المهاجرين»: الذين هاجروا من مكّة إلى المدينة. و قيل: معناه: من المؤمنين و المتواخين و المهاجرين. فصارت الآية ناسخة للتوارث بالهجرة و المؤاخاة في الدين. قيل: آخى رسول الله بين الناس. فكان يؤاخي بين الرجلين، فإذا مات أحدهما، ورثه الثاني منهما دون أهله. فمكثوا بذلك ما شاء الله حتّى نزلت: «و أولو الأرحام بعضهم» فنسخت هذه الآية [الموارثة بالمؤاخاة و الهجرة] فصار الميراث بالقرابات. «إلّا أن تفعلوا». استثناء منقطع. أي: لكن إن فعلتم إلى أوليائكم المؤمنين و حلفائكم ما يعرف حسنه، فهو حسن. و قيل: لمّا نسخ التوارث بالمؤاخاة و الهجرة، أباح الوصيّة؛ فيوصي لمن تولّاه من الثلث بما أحبّ. فمعنى المعروف هنا الوصيّة. و حكي عن أبي‌حنيفة و جماعة أنّ معناه الوصيّة لذوي القرابات من المشركين. و جوّزوه كثير من الفقهاء. و منعه بعضهم لقوله تعالى: «لاتتّخذوا عدوّي و عدوّكم أولياء».[١] و قال أصحابنا: إنّها جائزة للوالدين و الولد. «كان ذلك»؛ أي: نسخ الميراث بالهجرة و ردّه إلى الأرحام من القرابات. «في الكتاب»؛ أي: اللّوح المحفوظ، أو القرآن، أو التوراة. «مسطوراً»؛ أي: مكتوباً. و من في قوله: «من المؤمنين و المهاجرين» يحتمل ما ذكرناه، و يحتمل أن يكون التقدير: و أولو الأرحام من المؤمنين و المهاجرين أولى.[٢]

«و أولو الأرحام». عن عليّ‌عليه السلام: نزلت في الإمامة.[٣]

١ـ الممتحنة (٦٠) / ١.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٢٩ ـ ٥٣١.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٧٦.

[٧] «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً».

«و إذ أخذنا»؛ أي: و اذكر ـ يا محمّد ـ حين أخذ الله الميثاق على النبيّين خصوصاً بأن يصدّق بعضهم بعضاً و يتّبع بعضهم بعضاً و على أن يدعوا إلى عبادة الله. «و منك» يا محمّد. قدّم لشرفه، و خصّ من بعده بالذكر لأنّهم أصحاب الشرائع. «غليظاً»؛ أي: شديداً على الوفاء بما حمّلوا من الرسالة، أو على أن يعلنوا أنّ محمّداً رسول الله ﷺ و يعلن هو أنّه لا نبيّ بعده.(١)

[٨] «لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً».

«ليسأل الصادقين». [ثمّ بيّن] فائدة أخذ الميثاق. يعني فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين: ما الذي أجاب به أممكم. أو: يسألوا [الصادقين] في توحيد الله و عدله «عن صدقهم»؛ أي: عمّا كانوا يقولونه فيه تعالى، فيقال لهم: هل ظلم الله أحداً؟ فيقولون: هو عدل في حكمه. أو: ليسأل الصادقين: ماذا قصدتم بصدقكم؟ وجه الله أو غيره؟ و يكون فيه تهديد للكاذب. قال الصادق: إذا سأل عن صدقه على أيّ وجه قاله فيجازيه بحسبه، فكيف يكون حال الكاذب!(٢)

[٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً».

ذكّرهم سبحانه عظيم نعمته في دفع الأحزاب عنهم. «جنود». هم الذين تحزّبوا على رسول الله أيّام الخندق. «فأرسلنا عليهم ريحاً». و هي الصبا أرسلت عليهم حتّى أكفأت قدورهم و نزعت فساطيطهم. «و جنوداً لم تروها» من الملائكة. قيل: إنّ الملائكة لم يقاتل

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٣١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٣١.

يومئذ ولكن كانوا يشجّعون المؤمنين و يجبّنون الكافرين.(١)

«ريحاً و جنوداً». الجنود الملائكة و كانوا ألفاً كبّرت في جوانب عسكرهم. و أرسل الصبا في ليلة باردة شاتية فبرّدتهم و سفت التراب في وجوههم. و الملائكة قلعت الأوتاد و قطعت الأطناب و أطفأت النيران و هاجت الخيل بعضها في بعض. فانهزموا بغير قتال.(٢)

ذكر أصحاب السير في حديث الخندق: انّ نفراً من اليهود في جماعة من بني النضير الذين أجلاهم رسول الله، خرجوا [حتّى] قدموا على قريش بمكّة فدعوهم إلى حرب رسول الله و قالوا: إنّا نكون معكم عليهم حتّى نستأصلهم. و قالوا لقريش: إنّ دينكم خير من دين محمّد. و أنتم أولى بالحقّ منه. فاستعدّ قريش لذلك. ثمّ خرجوا أولئك النفر من اليهود حتّى جاؤوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله و أخبروهم أنّهم يكونون معهم عليه و أنّ قريشاً بايعوهم على ذلك، فأجابوهم. فخرجت قريش و قائدهم أبوسفيان و خرجت القبائل معهم. و أشار سلمان على النبيّ صلى الله عليه و آله بالخندق فعملوه. و كان أوّل مشهد شهده سلمان مع رسول الله. و قد قسم رسول الله الخندق كلّ أربعين ذراعاً بين عشرة. و اختلفت المهاجرون و الأنصار في سلمان كلّ يقول هو منّا. فقال رسول الله: سلمان [منّا] أهل البيت. فاقتحم الخندق عمرو بن عبدودّ و جماعة معه، فجالت بهم خيولهم. و كان ابن عبدودّ يعدّ بألف فارس. لأنّه هزم بني بكر لمّا اعترضوا ركب قريش قريباً من بدر و كانوا ألفاً. و نادى يطلب مبارزاً. فخرج إليه عليّ بن أبي طالب مقنّعاً بالحديد [... و فيما رواه أبومحمّد الحسينيّ ... عن حذيفة:] فأعطاه رسول الله درعه ذات الفضول و سيفه ذا الفقار و عمامته السحاب و دعا له. فلمّا بلغه قال له: ارجع. إنّي أكره أن أهريق دمك. فقال له عليّ عليه السلام: لكنّي أحبّ أن أهريق دمك. فغضب و نزل و سلّ سيفه كأنّه شعلة نار. فاستقبله عليّ بدرقته فضربه و قدّها و أصاب رأس عليّ. فضربه عليّ عليه السلام على حبل العاتق فسقط. و في رواية: و تسيّف عليّ عليه السلام رجليه بالسيف من أسفل فوقع على قفاه. و ثارت بينهما عجاجة فسمع عليّ

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٣١ ـ ٥٣٢.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٥٢٦.

يكبّر. فقال رسول الله: قتله و الله. فلمّا ارتفع العجاج، فإذا عليّ عليه السلام يمسح سيفه بدرع عمرو. فأقبل نحو رسول الله و وجهه يتهلّل. فقال له النبيّ: أبشر يا عليّ! فلو وزن اليوم عملك بعمل أمّة محمّد، لرجح عملك بعملهم. و ذلك أنّه لم يبق بيت من بيوت المسلمين إلّا و قد دخله عزّ بقتل ابن عبدودّ.(١)

[١٠] «إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا».

«من فوقكم»؛ أي: من فوق الوادي قبل المشرق قريظة و النضير و غطفان. «و من أسفل منكم»: من قبل المغرب من ناحية مكّة أبوسفيان في قريش و من تبعه. «زاغت الأبصار»: [عدلت] عن مقرّها من الدهش و الحيرة كما يكون الجبان فلايعلم ما يبصر. «و بلغت القلوب الحناجر». الحنجرة: جوف الحلقوم. أي: شخصت القلوب من مكانها. فلولا أنّه ضاق الحلقوم عنها أن يخرج لخرجت. «و تظنّون بالله الظنونا»؛ أي: الظنون المختلفة؛ ظنّ بعضكم النصر و بعضكم آيس و قنط. و قيل: ظنّ المنافقون أنّه يستأصل محمّد و ظنّ المؤمنون أنّه ينصر، إلى غير ذلك من الظنون. [أهل المدينة و ابن‌عامر و... :] «الظنونا» بألف في الوصل والوقف، و أهل البصرة و حمزة بغير ألف في الوصل و الوقف، و الباقون بالألف في الوقف و بغير ألف في‌الوصل.(٢)

[١١] «هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً».

«هنالك»؛ أي: يوم الخندق امتحن المؤمنون ليظهر لك حسن إيمانهم و صبرهم على ما أمرهم الله به من جهاد أعدائه فظهر من كان ثابتاً قويّاً في الإيمان و من كان ضعيفاً. «و زلزلوا»؛ أي: حرّكوا بالخوف تحريكاً شديداً. و ذلك أنّ الخائف لايستقرّ [على] مكانه. [قال الجبّائيّ: منهم من اضطرب خوفاً على نفسه من القتل.] و منهم من اضطرب عليه

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٣٣ ـ ٥٣٨.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٣٢ و ٥٢٩.

دينه.[١]

[١٢] «وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً».

«مرض»؛ أي: شكّ و ضعف في الإيمان. «إلّا غروراً» قال ابن‌عبّاس: إنّ المنافقين قالوا: يعدنا محمّد أن نفتح مدائن كسرى و قيصر و نحن لانأمن أن نذهب إلى الخلاء! هذا و الله الغرور![٢]

[١٣] «وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً».

«منهم». يعني عبدالله بن أبيّ و أصحابه من المنافقين. «لا مقام لكم»؛ أي: لا إقامة. أو: لا مكان لكم تقومون فيه للقتال. «فارجعوا» إلى منازلكم بالمدينة. و أرادوا الهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه و آله. «و يستأذن فريق منهم النبيّ» في الرجوع إلى المدينة. و هم بنو حارثة. «يقولون إنّ بيوتنا عورة» و ليست بحريزة، مكشوفة ليست بحصينة. أو: إنّها خالية من الرجال يخشى عليها السراق. أو: إنّ بيوتنا ممّا تلي العدوّ [و] لانأمن على أهلينا. «و ما هي بعورة». تكذيب لهم. بل هي حصينة. عن الصادق عليه السلام. «إن يريدون»: ما يريدون إلّا هرباً من القتال و نصرة المؤمنين. حفص: «لا مقام» بضمّ الميم، و الباقون بفتحها.[٣]

«يا أهل يثرب لا مقام». يثرب اسم المدينة. و قيل: أرض وقعت المدينة في ناحية منها. أي: فارجعوا إلى المدينة. أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله. «عورة». العورة: الخلل الذي يخاف منه العدوّ.[٤]

«إلّا فراراً». هم الذين قالوا لرسول الله: تأذن لنا نرجع إلى منازلنا؟ فإنّها في أطراف

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٤.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٥.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٥ و ٥٤٢.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٥٢٨.

المدينة و نخاف اليهود عليها. فأنزل الله فيهم: «إنّ بيوتنا عورة» إلى قوله: «يسيراً». و نزلت هذه الآية في الثاني لمّا قال لعبد الرّحمن بن عوف: هلمّ ندفع محمّداً إلى قريش و نلحق نحن بقومنا.(١)

[١٤] «وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَ مَا تَلَبَّثُوا بِهَـا إِلَّا يَسِيراً».

«و لو دخلت». أي البيوت أو المدينة. «عليهم»؛ أي: لو دخل الأحزاب على الذين يقولون: «إنّ بيوتنا عورة» و هم المنافقون من أقطار المدينة و نواحي البيوت، «ثمّ سئلوا الفتنة»؛ أي: دعوا هؤلاء إلى الشرك، لأشركوا. و هي الفتنة. «و ما تلبّثوا»؛ أي: ما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلّا قليلاً. و قيل: معناه: و لما أقاموا بالمدينة بعد إعطائهم الكفر إلّا قليلاً حتّى يعاجلهم العذاب.(٢)

«ثمّ سئلوا الفتنة لآتوها». المعنى أنّهم يتعلّلون باعورار بيوتهم ليفرّوا عن نصرة المؤمنين و عن مصافّة الأحزاب الذين ملؤوهم رعباً. و هؤلاء الأحزاب كما هم لو دخلوا عليهم أرضهم و عرضوا عليهم الكفر و قيل لهم كونوا على المسلمين، لسارعوا إليه و ما تعلّلوا بشيء. و ما ذاك إلّا لبغضهم الإسلام و أهله و حبّهم الكفر و حزبه.(٣)

«لآتوها». الحجازيّان بالقصر بمعنى لجاؤوها و فعلوها. «و ما تلبّثوا بها». أي: بالفتنة، أو بإعطائها. «إلّا يسيراً»: حيثما [يكون] السؤال و الجواب. و قيل: ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد إلّا يسيراً.(٤)

[١٥] «وَ لَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَ كَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُلاً».

«عاهدوا الله من قبل» ـ أي ليلة العقبة ـ أن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم. و قيل: هم قوم

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٨٨.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٥.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٥٢٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٤١.

غابوا عن بدر فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلنّ. «مسؤولاً»: مطلوباً مقتضًى حتّى يوفى به.[١]

«من قبل»؛ أي: من قبل الخندق حلفوا للنبيّ ﷺ أنّهم ينصرونه و لايرجعون عن مقاتلة العدوّ. «مسؤولاً»؛ أي: يسألون عنه في الآخرة.[٢]

[١٦] «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً».

«لن ينفعكم الفرار» ممّا لا بدّ لكم من نزوله من حتف أنف أو قتل. و إن نفعكم الفرار مثلاً فمتّعتم بالتأخير، لم يكن ذلك التمتّع إلّا زماناً قليلاً.[٣]

«لن ينفعكم الفرار» من الموت والقتل إن كان حضر آجالكم. «لاتمتّعون»؛ أي: إن لم تحضر آجالكم و سلمتم من الموت أو القتل في هذه الواقعة، لم تمتّعوا في الدنيا إلّا أيّاماً قلائل.[٤]

[١٧] «قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَ لَا نَصِيراً».

«يعصمكم من الله»؛ أي: يدفع عنكم قضاء الله و يمنعكم من الله. «إن أراد بكم سوءاً»؛ أي: عذاباً و عقوبة. «رحمة»؛ أي: نصراً و عزّاً. فإنّ أحداً لايقدر على ذلك. «وليّاً» يلي أمورهم. «و لا نصيراً» ينصرهم و يدفع عنهم.[٥]

«رحمة». فإن قلت: كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة و لا عصمة إلّا من السوء؟ قلت: معناه: أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة. فاختصر الكلام و أجري مجرى

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٢٨.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٥.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٥٢٨ ـ ٥٢٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٥.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٦.

قوله: «متقلّداً سيفاً و رمحاً». أو حمل الثاني على الأوّل لما في العصمة من معنى المنع.(١)

[١٨] «قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً».

«المعوّقين». و هم الذين يعوّقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ و يثبّطونهم لينصرفوا عنه. و ذلك بأنّهم قالوا لهم: ما محمّد و أصحابه إلّا أكلة رأس ولو كانوا لحماً التهمهم أبوسفيان و هؤلاء الأحزاب. «و القائلين لإخوانهم». يعني اليهود قالوا لإخوانهم المنافقين. «هلمّ إلينا»؛ أي: أقبلوا إلينا و دعوا محمّداً. و قيل: القائلون هم المنافقون قالوا لإخوانهم من ضعفة المسلمين: لاتحاربوا. فإنّا نخاف عليكم الهلاك. «البأس»؛ أي: القتال. «إلّا قليلاً». يخرجون رياء و سمعة قدر ما يوهمون أنّهم معكم. أو: لايحضرون القتال إلّا كارهين تكون قلوبهم مع المشركين.(٢)

«هلمّ إلينا». هي لغة أهل الحجاز، يسوّون فيه بين الواحد و الجماعة. و أمّا تميم فيقولون: هلمّوا يا رجال. و معناه: قرّبوا أنفسكم إلينا. «إلّا قليلاً»: إلّا إتياناً قليلاً يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنّهم معهم و لاتراهم يبارزون و يقاتلون إلّا شيئاً قليلاً إذا اضطرّوا إليه.(٣)

[١٩] «أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً».

«أشحّة عليكم»: في وقت الحرب أضنّاء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذابّ عنه المناضل دونه عند الخوف. «ينظرون إليك» في تلك الحالة كما ينظر المغشيّ عليه من معالجة سكرات الموت حذراً و خوراً أو لواذاً بك. فإذا ذهب الخوف و حيزت الغنائم

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٢٩.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٦.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٥٣٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٤٢.

و وقعت القسمة، نقلوا ذلك الشحّ و تلك الضنّة و الرفرفة عليكم إلى الخير ـ و هو المال و الغنيمة ـ و نسوا تلك الحالة الأولى و اجترؤوا عليكم و ضربوكم بألسنتهم و قالوا: وفّروا قسمتنا. فإنّا قد شاهدناكم و قاتلنا معكم. و بمكاننا غلبتم عدوّكم. و بنا نصرتم عليه. و نصب أشحّة على الحال أو الذمّ.[1]

«أولئك لم يؤمنوا» إخلاصاً. «فأحبط الله أعمالهم»؛ أي: أظهر بطلانه، إذ لم يثبت أعمالهم فتبطل. أو: أبطل تصنّعهم و نفاقهم. «و كان ذلك»؛ أي: الإحباط. «يسيراً»: هيّناً، لتعلّق الإرادة به و عدم ما يمنعه عنه.[2]

«أشحّة عليكم»؛ أي: بخلاء بالقتال معكم. أو: بخلاء بالنفقة في سبيل الله. و معناه: لاينصرونكم. ثمّ أخبر عن جبنهم فقال: «فإذا جاء الخوف». «كالذي يغشى عليه». و هو الذي قرب من الموت فيذهل و يذهب عقله. فإذا ذهب الفزع و جاء الأمن و الغنيمة، آذوكم بالكلام و خاصموكم بألسنة ذربة يقولون: أعطونا من الغنيمة؛ فلستم أحقّ منّا. فأمّا عند البأس فأجبن قوم. و أمّا عند الغنيمة فأشحّ [قوم]. و هو قوله: «أشحّة على الخير»؛ أي: بخلاء بالغنيمة يشاحّون المؤمنين عند القسمة. و قيل: بخلاء بأن يتكلّموا بكلام فيه خير. «أولئك». يعني المنافقين. «فأحبط الله أعمالهم». لأنّهم لم يقصدوا بها وجه الله. و فيه دلالة على مذهبنا في الإحباط. لأنّ المنافقين ليس لهم ثواب فيحبط. فليس [إلّا] أنّ جهادهم الذي لم يقارنه إيمان لم يستحقّوا عليه ثواباً. «و كان ذلك» الإحباط [«على الله يسيراً»].[3]

[٢٠] «يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَ لَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً».

أي: يحسبون أنّ الأحزاب لم ينهزموا، فانصرف المنافقون عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد و دخلهم من الجبن المفرط. «و إن يأت الأحزاب»

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٣٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٤٢.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٦ ـ ٥٤٧.

كرّة ثانية «يودّوا لو أنّهم»؛ أي: تمنّوا لخوفهم ممّا منوا به هذه الكرّة أنّهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب. «يسألون» كلّ قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم و عمّا جرى عليكم. «و لو كانوا فيكم» و لم يرجعوا إلى المدينة و كان قتال، لم يقاتلوا «إلّا قليلاً» رياء و خوفاً من التعيير.(١)

«يسألون عن أنبائكم»؛ أي: يودّ هؤلاء المنافقون أن يكونوا في البادية مع الأعراب يسألون عن أخباركم و لا يكونوا معكم، حذراً من القتل و تربّصاً للدوائر.(٢)

[٢١] «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللهَ كَثِيراً».

«أسوة حسنة»؛ أي: خصلة حسنة من حقّها أن يؤتسى بها، كالثبات في الحرب و مقاساة الشدائد. يعني كان عليكم أن تواسوا رسول الله ﷺ فتوازروه و تثبتوا معه، كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد و الثبات في الحرب حتّى كسرت رباعيته يوم أحد. «لمن كان يرجو». بدل من لكم. «يرجو الله و اليوم الآخر»؛ أي: ثواب الله ـ أو لقاءه ـ و نعيم الآخرة. أو: أيّام الله و اليوم الآخر خصوصاً. «و ذكر الله كثيراً»؛ أي: قرن الرجاء بالطاعات الكثيرة. فإنّ المؤتسي بالرسول من كان كذلك.(٣)

«أسوة». بضمّ الألف حيث وقعت عن عاصم. و الباقون بالكسر. و هما لغتان.(٤)

[٢٢] «وَ لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَ مَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَ تَسْلِيماً».

«ما وعدنا الله و رسوله». وعدهم الله أن يزلزلوا حتّى يستغيثوه في قوله: «أم حسبتم أن

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٣٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٤٢. ٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٤٢، و الكشّاف ٣ / ٥٣٠ ـ ٥٣١.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٨.

تدخلوا الجنّة و لمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم».[١] فلمّا جاء الأحزاب و رعبوا رعب الشديد، «قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله» و أيقنوا بالجنّة و النصر. و عن ابن‌عبّاس: قال النبيّ ﷺ لأصحابه: إنّ الأحزاب سائرون إليكم تسعاً أو عشراً؛ أي: في آخر تسع ليال أو عشر. فلمّا رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك. و «هذا» إشارة إلى الخطب أو البلاء.[٢]

«و ما زادهم» عن مشاهدة عدوّهم إلّا تصديقاً بالله و رسوله «و تسليماً» لأمره.[٣]

[٢٣] «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً».

«ما عاهدوا الله عليه»؛ أي: بايعوه ألّا يفرّوا فصدقوا في لقائهم العدوّ. «قضى نحبه»؛ أي: مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنّى. و قيل: معنى «قضى نحبه»: فرغ من عمله و رجع إلى ربّه. يعني به من استشهد يوم أحد. و قيل: النحب: النذر. و كان قوم نذروا أن يلقوا العدوّ و أن يقاتلوا حتّى يقتلوا [أو] يفتح الله، فقتلوا. «من ينتظر» ما وعد الله أو الشهادة على ما مضى عليه أصحابه. «و ما بدّلوا»؛ أي: ما غيّروا العهد الذي عاهدوا ربّهم كالمنافقين.[٤]

عن عبدالله بن الحسن، عن آبائه عليهم السلام قال: عاهد الله عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام و حمزة و جعفر ألّا يفرّوا في زحف أبداً. فتمّوا كلّهم. فأنزل الله: «من المؤمنين رجال» إلى قوله: «من قضى نحبه». [حمزة استشهد] يوم أحد و جعفر يوم موتة. «و منهم من ينتظر». يعني عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام. «و ما بدّلوا» الذي عاهدوا عليه.[٥]

[٢٤] «لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

١ـ البقرة (٢) / ٢١٤.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٥٣١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٩.
٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً».

«ليجزي الله الصادقين»؛ أي: صدق المؤمنون في عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم. [«و يعذّب المنافقين» بنقض العهد «إن شاء أو يتوب عليهم» إن تابوا. و يكون معناه] أنّه سبحانه إن شاء قبل توبتهم أو أسقط عقابهم و إن شاء لم يقبل توبتهم و عذّبهم. فإنّ إسقاط العذاب ـ على المذهب الصحيح ـ بالتوبة تفضّل من الله لايجب عقلاً و إنّما علمنا ذلك بالسمع و الإجماع على أنّ الله سبحانه يفعل ذلك. فالآية قاضية بما يقتضيه العقل من الحكم.[١]

[٢٥] «وَ رَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً».

«الذين كفروا». يعني الأحزاب؛ أباسفيان و جنوده و قبائل العرب. «بغيظهم»؛ أي: غمّهم الذي جاؤوا به. «لم ينالوا خيراً» أملوه من الظفر بالنبيّ و المؤمنين. و إنّما سمّاه خيراً لأنّ ذلك كان خيراً عندهم. و قيل: أراد بالخير المال. «القتال»؛ أي: مباشرة القتال بما أنزل على المشركين من الريح الشديدة و بالملائكة و بما قذف من الرعب في قلوبهم. و قيل: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام و قتل عمرو بن عبدودّ. و كان ذلك سبب هزيمة القوم. عن أبي عبدالله عليه السلام. «قويّاً»: قادراً على ما يشاء. «عزيزاً»: لايمتنع عليه شيء.[٢]

عن ابن مسعود أنّه كان يقرأ: «و كفى الله المؤمنين القتال بعليّ و كان الله قويّاً عزيزاً». أقول: يعني به قتله لابن عبدودّ.[٣]

[٢٦] «وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٤٩ ـ ٥٥٠.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٥٠.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٥١.

لمّا انهزم الأحزاب، دخل النبيّ صلى الله عليه وآله المدينة و اللّواء معقود. فأراد النبيّ أن يغتسل من الغبار، فناداه جبرئيل: و الله ما وضعت الملائكة لامتها. فكيف تضع لامتك؟ إنّ الله يأمرك أن لاتصلّي العصر إلّا ببني قريظة. فإنّي متقدّمك و مزلزل بهم حصنهم. فخرج النبيّ صلى الله عليه وآله فلقي حارثة بن النعمان. فقال له حارثة: هذا دحية الكلبيّ ينادي في الناس لايصلّينّ العصر أحد إلّا في بني قريظة. فقال: ذاك جبرئيل. ادعوا لي عليّاً. فجاء و خرجا إلى بني قريظة و الراية العظمى مع عليّ عليه السلام. و كان حول الحصن نخل كثير. فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فتفرّق في المفاوز و أنزل العسكر حول حصونهم فحاصرهم ثلاثة أيّام. فخرج منهم ابن سمؤل[١] فقال: يا محمّد، أعطنا ما أعطيت إخواننا من بني النضير. احقن دماءنا و نخلّي لك البلاد و ما فيها و لانكتمك شيئاً. فقال: لا أو تنزلون على حكمي. فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ. فقال: يارسول الله، حكمت أن تقتل رجالهم و تسبي نساءهم و ذراريهم و تقسم غنائمهم و أموالهم بين المسلمين المهاجرين و الأنصار. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة. و الرقيع: اسم سماء الدنيا. ففعل بهم ما حكم به سعد بن معاذ.[٢]

ثمّ ذكر سبحانه ما فعل باليهود من بني قريظة. «ظاهروهم»؛ أي: عاونوا المشركين من الأحزاب و نقضوا العهد الذي بينهم و بين رسول الله ألّاينصروا عليه عدوّاً. و قوله: «من أهل الكتاب»؛ يعني: من اليهود و هم بنوقريظة. «من صياصيهم »؛ أي: من حصونهم. «و ألقى في قلوبهم الرعب» من المؤمنين. «تقتلون». يعني الرجال. «و تأسرون فريقاً». يعني الذراري و النساء.[٣]

[٢٧] «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُهَا وَكَانَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً».

١ـ تفسير القمّيّ: غزال ابن شمول.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٨٩ ـ ١٩١ ، و مجمع البيان ٨ / ٥٥١ ـ ٥٥٣.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٥١.

«لم تطؤوها» بأقدامكم و سيفتحها الله لكم. و هي خيبر. و قيل: مكّة و الروم و فارس، أو كلّ أرض يفتح إلى يوم القيامة، أو ما أفاء الله على رسوله ممّا لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب.(۱)

[۲۸] «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً».

كان سبب نزولها أنّه لمّا رجع رسول الله ﷺ من غزوة خيبر و أصاب كنز آل أبي الحقيق، قلن له أزواجه: أعطنا ما أصبت. فقال: قسمته بين المسلمين. فغضبن من ذلك و قلن: لعلّك ترى أنّك إن طلّقتنا لانجد الأكفاء من قومنا يتزوّجونا؟ فأنف الله لرسوله فأمره أن يعتزلهم. فاعتزلهم رسول الله في مشربة أمّ إبراهيم حتّى حضن و طهرن. ثمّ أنزل الله هذه الآية. و هي آية التخيير. فقامت أمّ سلمة ـ [و هي] أوّل من قامت ـ فقالت: قد اخترت الله و رسوله. فقمن كلّهنّ فعانقنه و قلن مثل ذلك.(۲)

قال المفسّرون: إنّ أزواج النبيّ ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا و طلبن منه زيادة في النفقة و آذينه لغيرة بعضهنّ على بعض. فآلى رسول الله منهنّ شهراً ونزلت آية التخيير؛ و هو قوله: «قل لأزواجك». و كنّ يومئذ تسعاً. و عن ابن‌عبّاس: كان رسول الله ﷺ جالساً مع حفصة فتشاجرا بينهما، فقال لها: هل لك أن أجعل بيني و بينك رجلاً؟ فأرسل إلى عمر. فلمّا أن دخل عمر، قال لها: تكلّمي. فقالت: تكلّم و لاتقل إلّا حقّاً. فرفع عمر يده فوجأ وجهها فقال لها: يا عدوّة الله، النبيّ لايقول إلّا حقّاً! فقام النبيّ فصعد إلى غرفة فمكث فيها شهراً لايقرب شيئاً من نسائه يتعشّى و يتغذّى فيها. فنزلت. «هذه الحياة الدنيا»؛ أي: سعة العيش في الدنيا. «أمتّعكنّ»؛ أي: أعطكنّ متعة الطلاق. و قد مرّ بيانه. و قيل: أمتّعكنّ بتوفير المهر. «و أسرّحكنّ»؛ أي: أطلّقكنّ. و السراح الجميل: الطلاق من غير خصومة و لا

۱ـ مجمع البيان ۸ / ۵۵۱.
۲ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۱۹۲.

مشاجرة بين الزوجين.(١)

[٢٩] «وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً».

«تردن الله»؛ أي: طاعة الله و رسوله و الصبر على ضيق المعاش و الجنّة. «للمحسنات منكنّ»؛ أي: العارفات المطيعات لله.

و اختلف في هذا التخيير. فقيل: إنّه خيّرهن بين الدنيا و الآخرة. فإن هنّ اخترن الدنيا و محبّتها، استأنف حينئذ طلاقهنّ بقوله: «أمتّعكنّ و أسرّحكن». و قيل: خيّرهنّ بين الطلاق و المقام معه صلى الله عليه و آله. و اختلف العلماء في حكم التخيير. فقيل: إنّ الرجل إذا خيّر امرأته فاختارت زوجها، فلا شيء؛ و إن اختارت نفسها، تقع تطليقة واحدة. و إليه ذهب أبوحنيفة و أصحابه. و قيل: إنّها إذا اختارت نفسها، تقع ثلاث تطليقات. و إن اختارت زوجها، تقع واحدة. و إليه ذهب مالك. و قيل: إنّه إن نوى الطلاق كان طلاقاً، و إلّا فلا. و هو مذهب الشافعيّ. و رابعها: انّه لايقع بالتخيير طلاق. و إنّما ذلك للنبيّ. و إن اخترن أنفسهنّ لما خيّرهنّ لبنّ منه. فأمّا غيره، فلايجوز له ذلك. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام.(٢)

[٣٠] «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً».

«بفاحشة»؛ أي: بمعصية ظاهرة. «يضاعف لها العذاب» في الآخرة. «ضعفين»؛ أي: مثلي ما يكون على غيرهنّ. لأنّ نعم الله عليهنّ أكثر لمكان النبيّ صلى الله عليه و آله منهنّ و لنزول الوحي في بيوتهنّ. «و كان ذلك»؛ أي: عذابها على الله هيّناً. ابن‌كثير و ابن‌عامر: «نضعّف» بالنون و التشديد. «العذاب» بالنصب. و أهل البصرة: «يضعّف» بالياء و التشديد. «العذاب» بالرفع.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٥٤ ـ ٥٥٥.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٥٥.

و الباقون: «يضاعف» بالياء و الألف و فتح العين.[١]

«بفاحشة مبيّنة». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: هي قتال أميرالمؤمنين عليه السلام. يعني أهل الجمل.[٢]

[٣١] «وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً».

«و من يقنت منكنّ»؛ أي: من يطع الله و رسوله «و تعمل صالحاً» فيما بينها و بين ربّها. و عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال له رجل: إنّكم أهل بيت مغفور لكم. فغضب و قال: نحن أحرى أن يجري فينا ما أجرى الله في أزواج النبيّ من أن يكون[٣] [كما تقول. إنّا نرى] لمحسننا ضعفين من الأجر و لمسيئنا ضعفين من العذاب. ثمّ قرأ الآيتين. «رزقاً كريماً»؛ أي: عظيم القدر. أهل الكوفة [غير عاصم]: «و من يقنت» «و يعمل» «يؤتها» الجميع بالياء.[٤]

[٣٢] «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً».

«كأحد من النساء»؛ أي: ليس قدركنّ عندي كقدر غيركنّ من النساء الصالحات. أنتنّ أكرم عليّ لمكانكنّ من رسول الله صلى الله عليه و آله «إن اتّقيتنّ». شرط عليهنّ التقوى ليبيّن سبحانه [أنّ] فضيلتهنّ بالتقوى لا باتّصالهنّ بالنبيّ. «فلاتخضعن»؛ أي: لاترقّقن القول و لاتلنّ الكلام و لاتخاطبن الأجانب مخاطبة تؤدّي إلى طمعهم كما تفعل المرأة الراغبة في الرجال. «مرض»؛ أي: فجور و شهوة للزنى. و قيل: إنّ المرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب، لأنّ ذلك أبعد من الريبة.[٥]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٥٥ ـ ٥٥٦ و ٥٥٣ ـ ٥٥٤.
٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٥٣.
٣ـ المصدر: نكون.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٥٥٦ و ٥٥٤.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٥٥٨.

[٣٣] «وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولىٰ وَ أَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ وَ أَطِعْنَ اللهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

أهل المدينة و عاصم: «و قرن» بفتح القاف، و الباقون بكسرها. «و قرن». من الاستقرار أو الوقار. «و لاتبرّجن»؛ أي: لاتظهرن زينتكنّ كما كنّ يظهرن ذلك في الجاهليّة. و قيل: التبرّج: التبختر و التكبّر في المشي. و قيل: هو أن تلقي الخمار على رأسها و لاتشدّه فتواري قلائدها و قرطيها فيبدو ذلك منها. و «الجاهليّة الأولى» ما كان قبل الإسلام، أو ما كان بين آدم و نوح ـ و هو ثمانمائة سنة ـ أو ما كان بين عيسى و محمّد. و هذا لايقتضي أن يكون بعدها جاهليّة في الإسلام. لأنّ الأوّل اسم للسابق. و قيل: إنّ معنى «تبرّج الجاهليّة الأولى» أنّهم كانوا يجوّزون أن تجمع امرأة واحدة و خلّاً فيجعل لزوجها الأسفل و لخلّها نصفها الأعلى يقبّلها و يعانقها.(١)

«الجاهليّة الأولى»: الزمان الذي ولد فيه إبراهيم. كانت المرأة تلبس درعاً من اللّؤلؤة فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال. و الجاهليّة الأخرى ما بين عيسى و محمّد. و قيل: الجاهليّة الأولى جاهليّة الكفر قبل الإسلام. و الجاهليّة الأخرى جاهليّة [الفسوق] في الإسلام.(٢)

«إنّما يريد الله». قال زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ رجالاً من الناس يزعمون أنّما أراد الله بهذه الآية أزواج النبيّ. و قد كذبوا. و أيم الله لو عناهنّ لقال: ليذهب عنكنّ و يطهّركنّ، و لكان الكلام مؤنّثاً كما قال: «و اذكرن».(٣)

قال ابن‌عبّاس: «الرجس» عمل الشيطان و ما ليس لله فيه رضاً. و «البيت» التعريف فيه للعهد. و المراد به بيت النبوّة و الرسالة. و قد اتّفقت الأمّة بأجمعها على أنّ المراد

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٥٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٤٥.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٩٣.

بأهل البيت في الآية أهل بيت نبيّنا. ثمّ اختلفوا. فقال عكرمة: أراد أزواج النبيّ لأنّ أوّل الآية متوجّه إليهنّ. و قال أبوسعيد الخدريّ و أنس بن مالك و عائشة و أمّ سلمة: إنّ الآية مختصّة برسول الله و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام. روى الثعلبيّ عن أمّ سلمة أنّ النبيّ كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها حريرة فقال: ادعي زوجك و ابنيك. فجاءت بهم فطعموا. ثمّ ألقى عليهم كساء عليه خيبريّاً فقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي و عترتي. فأذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً. فقلت: يا رسول الله، و أنا معهم؟ قال: أنت إلى خير. و الروايات في هذا كثيرة من طرق العامّة و الخاصّة. قالت الشيعة: لاتخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة أو الإرادة التي يتبعها التطهير و إذهاب الرجس. فلايجوز الوجه الأوّل. لأنّ الله قد أراد [من كلّ مكلّف هذه الإرادة] المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق. و لأنّ هذا القول يقتضي المدح و التعظيم لهم بغير شكّ و شبهة و لا مدح في الإرادة المجرّدة. فثبت الوجه الثاني. و في ثبوته، ثبوت عصمة المعنيّين بالآية من جميع القبائح. و قد علمنا أنّ من ذكرناه من غير أهل البيت غير مقطوع على عصمته. فثبت أنّ الآية مختصّة بهم لبطلان تعلّقها بغيرهم. و متى قيل: إنّ صدر الآية و ما بعدها في الأزواج، فالقول فيه: إنّ هذا لاينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم. فإنّهم يذهبون من خطاب إلى غيره و يعودون إليه. و القرآن بذلك مملوء، و كذلك كلام العرب و أشعارهم.(١)

[٣٤] «وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً».

ثمّ عاد سبحانه إلى ذكر الأزواج فقال: «و اذكرن»؛ أي: اشكرن الله إذ صيّركنّ في بيوت يتلى فيها القرآن و السنّة. و قيل: «اذكرن»؛ أي: احفظن ذلك وليكن منكنّ على بال أبداً لتعملنّ بموجبه. و هذا حثّ لهنّ على حفظ القرآن و الأخبار و مذاكرتهنّ بها. و الخطاب و إن اختصّ بهنّ، فغيرهنّ يشاركهنّ فيه. «لطيفاً» بأوليائه. «خبيراً» بجميع خلقه.(٢)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٥٨ ـ ٥٦٠.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٠.

[٣٥] «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ وَ الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقَاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحَافِظَاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً».

و لمّا رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر، دخلت على نساء النبيّ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا. فأتت رسول الله فقالت: يا رسول الله، إنّ النساء لفي خيبة و خسارة لايذكرن بخير كما تذكر الرجال. فأنزل الله هذه الآية: «إنّ المسلمين و المسلمات»؛ أي: المخلصين الطاعة لله و المخلصات. أو: الداخلين في الإسلام من الرجال و النساء. و قيل: المستسلمين و المنقادين. «و المؤمنين و المؤمنات»؛ أي: المصدّقين بالتوحيد. و الإسلام و الايمان واحد عند أكثر المفسّرين. و قيل: الإسلام الإقرار باللّسان. و الايمان التصديق بالقلب. و يعضده قوله: «قالت الأعراب» ـ الآية.[1] «و القانتين و القانتات»؛ يعني: الدائمين على الأعمال الصالحات [و الدائمات]. أو: الداعين و الداعيات. «و الصادقين». أي في إيمانهم. «و الصابرين» على البلايا. «و الخاشعين»؛ أي: المتواضعين لله تعالى. «و المتصدّقين». المخرجين الصدقات و الزكوات. «و الحافظين فروجهم». أي من الزنى. «و الذاكرين الله». عن أبي عبدالله عليه السلام: من بات على تسبيح فاطمة، كان من الذاكرين الله كثيراً.[2]

[٣٦] «وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً».

«و ما كان». نزلت في زينب بنت جحش الأسديّة. و كانت بنت أميمة بنت عبد المطّلب، فخطبها رسول الله على مولاه زيد بن حارثة. و رأت أنّه يخطبها لنفسه. فلمّا علمت أنّه

١ـ الحجرات (٤٩) / ١٤.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٠ ـ ٥٦١.

يخطبها على زيد، أنكرت و قالت: أنا ابنة عمّتك. فلم أكن لأفعل. [و كذلك] قال أخوها عبدالله بن جحش. [فنزل: «و ماكان لمؤمن و لا مؤمنة» ـ الآية. يعني عبدالله بن جحش] و أخته زينب. فلمّا نزلت الآية قالت: رضيت يا رسول الله. و جعلت أمرها بيد رسول الله، و كذلك أخوها. فأنكحها رسول الله زيداً و ساق إليها المهر من ماله. و قوله: «و ماكان لمؤمن» ـ اه ـ معناه أنّ كلّ شيء حكم الله به، فليس لأحد مخالفته. «و من يعص الله و رسوله» فيما يختاران له، فقد ذهب من الحقّ ذهاباً ظاهراً. «أن يكون». أهل الكوفة و الشام بالياء و الباقون بالتاء.(١)

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «و ماكان لمؤمن» ـ الآية ـ: و ذلك أنّ رسول الله خطب على زيد زينب فقالت: يارسول الله، حتّى أؤامر نفسي فأنظر. فأنزل الله: «و ماكان» ـ الآية. فقالت: يارسول الله، أمري بيدك. فزوّجه إيّاه. فمكث عنده. ثمّ إنّهما تشاجرا في شيء إلى رسول الله، فنظر إليها النبيّ فأعجبته. فقال زيد: يا رسول الله، تأذن لي في طلاقها؟ فإنّ فيها كبراً و إنّها لتؤذيني بلسانها. فقال رسول الله: اتّق الله و أمسك عليك زوجك. ثمّ إنّ زيداً طلّقها فأنزل الله نكاحها على رسول الله.(٢)

[٣٧] «وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً».

«و إذ تقول»؛ أي: و اذكر يا محمّد [حين تقول]. «أنعم الله عليه» بالهداية إلى الإيمان. «و أنعمت عليه» بالعتق. أو: أنعم الله عليه بمحبّة الرسول و أنعم الرسول عليه بالتبنّي.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٣ ـ ٥٦٤ و ٥٦٢.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٩٤.

«زوجك». يعني زينب، يقول: احبسها و لاتطلّقها. [و هذا الكلام يقتضي مشاجرة][١] جرت بين الزوجين حتّى وعظه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: أمسكها. «و تخفي في نفسك». الذي أخفاه في نفسه هو أنّه إن طلّقها زيد تزوّجها و خشي عليه السلام لائمة الناس أن يقولوا أمره بطلاقها ثمّ تزوّجها. و قيل: الذي أخفاه هو أنّ الله أعلمه أنّها ستكون من أزواجه و أنّ زيداً سيطلّقها. فلمّا جاء زيد و قال له: أريد أن أطلّق زينب، قال: «أمسك عليك زوجك». فقال سبحانه: لم قلت: «أمسك عليك زوجك» و قد أعلمتك أنّها ستكون من أزواجك؟ و روي ذلك عن عليّ بن الحسين عليهما السلام. و هذا التأويل مطابق لتلاوة الآية. و ذلك أنّه سبحانه أعلمه أنّه يبدي ما أخفاه و لم يظهر غير التزويج فقال: «زوّجناكها». و لو كان الذي أضمره محبّتها أو إرادة طلاقها، لأظهره الله ذلك مع وعده بأنّه يبديه. فدلّ ذلك على أنّه إنّما عوتب على قوله: «أمسك عليك زوجك» مع إعلامه بأنّها ستكون زوجته و كتمانه ما أعلم الله به حيث استحيا أن يقول لزيد: إنّ التي تحتك ستكون امرأتي. و قال البلخيّ: و يجوز أيضاً على ما يقولون [أنّ] النبيّ استحسنها فتمنّى أن يفارقها زيد فيتزوّجها و كتم ذلك. لأنّ هذا التمنّي قد طبع عليه البشر و لا حرج على أحد في أن يتمنّى شيئاً استحسنه. و قيل: إنّه أضمر أن يتزوّجها إن طلّقها زيد من حيث كانت ابنة عمّته فأراد ضمّها إلى نفسه لئلّا يصيبها ضيعة؛ كما يفعل الرجل بأقاربه. عن الجبّائيّ قال: فأخبر الله الناس بما كان يضمره من إيثار ضمّها إلى نفسه ليكون ظاهره مطابقاً لباطنه. و قيل: إنّ زينب كانت شريفة. فزوّجها رسول الله من زيد مولاه و لحقها بذلك بعض العار. فأراد عليه السلام أن يزيدها شرفاً بأن يتزوّجها. فعزم أن يتزوّج بها إذا فارقها زيد. و قيل: إنّ العرب كانوا ينزلون الأدعياء منزلة الأبناء في الحكم. فأراد عليه السلام أن يبطل ذلك بالكلّيّة و ينسخ سنّة الجاهليّة. و كان يخفي في نفسه تزويجها لهذا الغرض، لئلّا يقول الناس إنّه تزوّج امرأة ابنه و يقرّفونه ما هو منزّه عنه، و لهذا قال: «أمسك عليك زوجك».[٢]

١ـ في النسخة: «لمشاجرة» بدل ما بين المعقوفتين.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٤ ـ ٥٦٥.

«أمسك عليك زوجك». إنّ رسول الله رآها بعد ما أنكحها إيّاه فوقعت في نفسه. فقال: سبحان الله مقلّب القلوب. و ذلك أنّ نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لاتريدها، و لو أرادتها لاختطبها. و سمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد. فـفطن و ألق الله في نـفسه كـراهـة صحبتها. فقال: أريد أن أفارق صاحبتي لأنّها تتعظّم عليّ لشرفـها و تـؤذيني. فـقال له: «أمسك عليك زوجك».(١)

«قضى»؛ أي: قضى حاجته من نكاحها فطلّقها و انقضت عدّتها و لم يكن في قلبه ميل إليها و لا وحشة من فراقها، أذنّا لك في تزويجها، توسعة على المؤمنين حتّى لايكون عليهم إثم أن يتزوّجوا أزواج أدعيائهم. «مفعولاً»؛ أي: كائناً لا محالة. و في الحديث أنّ زينب كانت تفتخر على سائر نسائه و تقول: زوّجني الله من النبيّ و أنتنّ إنّما زوّجكنّ أولياؤكنّ. و قد أكثر الوليمة عليها.(٢)

[٣٨] «مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً».

«من حرج»؛ أي: إثم و ضيق فيما فرض الله له من التزويج بامرأة الابن الدعيّ. «سنّة الله»؛ أي: كسنّة الله في الأنبياء الماضين و طريقته و شريعته فيهم في زوال الحرج عنهم و عن أممهم بما أحلّ الله لهم من ملاذّهم. و قيل: في كثرة الأزواج كما فعله داوود و سليمان. و كان لداوود مائة امرأة و لسليمان ثلاثمائة امرأة و سبعمائة سريّة. و قـيل: أشـار بـالسنّة إلى أنّ النكاح من سنّة الأنبياء. «قدراً مقدوراً»؛ أي: كان ما ينزل الله على أنبيائه من الأمر الذي يريده قضاء مقضيّاً. و قيل: إنّ القدر المقدور هو ما كان على مقدار ما تقدّم من غير زيادة و لا نقصان.(٣)

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٤٠.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٥.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٦.

[٣٩] «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللهَ وَ كَفَىٰ بِاللهِ حَسِيباً».

«الذين يبلّغون»؛ أي: يؤدّون. «و يخشونه»؛ أي: يخافون الله و لايخافون من سواه فيما يتعلّق بالأداء والتبليغ. و فيه دلالة على أنّ الأنبياء لايجوز عليهم التقيّة في تبليغ الرسالة. و أمّا قوله: «و تخشى الناس» فالجواب أنّه لم يتعلّق بالتبليغ و إنّما خشي المقالة القبيحة. [و العاقل] كما يتحرّز [عن المضارّ يتحرّز] من إساءة الظنون. و بالجملة المراد خشية الاستحياء لا خشية التقوى. فإنّ الحياء كان غالباً على طبيعته الكريمة.(١)

[٤٠] «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً».

و لمّا تزوّج زينب قال الناس: إنّ محمّداً تزوّج امرأة ابنه. فقال: «ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم» الذين لم يلدهم. يعني أنّه ليس بأب زيد حتّى يحرم عليه زوجته. و قد أراد بقوله: «من رجالكم» البالغين ذلك الوقت و لم يكن أحد من أبنائه رجلاً في ذلك الوقت. «ولكن رسول الله» فلايترك ما أباحه الله بقول الجهّال. «خاتم النبيّين»: ختم به النبوّة. و عنه ﷺ: إنّما مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها و حسّنها إلّا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلّا موضع هذه اللّبنة. قال: فأنا موضع هذه اللّبنة ختم بي الأنبياء. «خاتم». عاصم بفتح التاء، و الباقون بكسرها.(٢)

[٤١] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً».

قيل: هو أن لاينساه أبداً. و قيل: هو أن يقول: سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلّا الله و الله اكبر على كلّ حال. و قد ورد عن أئمّتنا عليهم السلام أنّهم قالوا: من قالها ثلاثين مرّة، فقد ذكر الله

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٦ و ٥٦٥.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٦ ـ ٥٦٧ و ٥٦٢.

كثيراً. و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من سبّح تسبيح الزهراء عليها السلام فقد ذكر الله ذكراً كثيراً.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا سبّحت تسبيح الزهراء عليها السلام باللّيل مرّة و بالنهار مرّة، فقد ذكرت الله كثيراً.[٢]

[٤٢] «وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً».

«و سبّحوه»؛ أي: نزّهوه عمّا لا يليق به بالغداة و العشيّ. و الأصيل: العشيّ. قيل: يعني به صلاة الصبح و صلاة العصر. و قيل: صلاة الصبح و صلاة العشاء الآخرة. خصّهما بالذكر لمزيّتهما على غيرها من حيث إنّ ملائكة اللّيل و النهار يجتمعون فيهما. و قيل: البكرة صلاة الفجر. و الأصيل الظهران و العشاء. و سمّيت الصلاة تسبيحاً لما فيها من التسبيح.[٣]

[٤٣] «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً».

«يصلّي عليكم». الصلاة من الله المغفرة والرحمة. و قيل: الثناء و الكرامة. و صلاة الملائكة طلب إنزال الرحمة. «من الظلمات إلى النور»؛ أي: من الجهل بالله تعالى إلى معرفته. أو: من الضلالة إلى الهدى بألطافه و هدايته.[٤]

عن ابن‌عبّاس في قوله: «هو الذي يصلّي عليكم و ملائكته» قال: الصلاة على النبيّ و أهل بيته صلّى الله عليهم لا غير. فهذه الآية خاصّة لمحمّد و آله ليس لغيرهم فيها نصيب. لأنّ الله لم يصلّ على أحد إلّا عليهم.[٥] لأنّه لو صلّى على أحد غيرهم، لكان هو و النبيّ في الفضل سواء. لأنّ الله سبحانه قال: «إنّ الله و ملائكته يصلّون على النبيّ»[٦] و قال للمؤمنين: «هو الذي يصلّي عليكم و ملائكته». فلم يبق بينه و بينهم فرق، فلم يبق إلّا أن

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٨.
٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٥٤.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٨.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٨.
٥ـ إلى هنا تمّ ما عن ابن‌عبّاس.
٦ـ الأحزاب (٣٣) / ٥٦.

يكون النبيّ و آله‌عليهم السلام هم المعنيّون بالصلاة خاصّة. و أمّا توجيه قوله: «ليخرجكم من الظلمات إلى النور» فمعناه أنّه سبحانه لمّا صلّى على محمّد و آله، خاطب شيعتهم إكراماً لهم فقال: ليخرجكم يا شيعة آل محمّد من ظلمات أعدائكم إلى نور أوليائكم أئمّتكم الأبرار. «و كان بالمؤمنين رحيماً». فصلّوا على النبيّ و آله.[١]

[٤٤] «تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً».

«تحيّتهم يوم يلقونه سلام»؛ أي: يحيّي بعضهم بعضاً يوم يلقون ثواب الله بأن يقولوا: السلامة لكم من جميع الآفات. و لقاء الله سبحانه معناه لقاء ثوابه. و عن البراء أنّه قال: يوم يلقون ملك الموت لايقبض روح مؤمن إلّا سلّم عليه. و ملك الموت مذكور في الملائكة. «أجراً كريماً»؛ أي: ثواباً جزيلاً.[٢]

«تحيّتهم». من إضافة المصدر إلى المفعول. أي: يحيّون يوم لقائه بسلام. فيجوز أن يعظّمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم. و قيل: سلام الملائكة عند دخول الجنّة. كما قال: «و الملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب * سلام عليكم».[٣][٤]

[٤٥ ـ ٤٦] «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً * وَ دَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجاً مُنِيراً».

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: «إنّا أرسلناك» إلى قوله: «و دع أذاهم»: فإنّها نزلت بمكّة قبل الهجرة بخمس سنين. فهذا دليل على خلاف التأليف.[٥]

«شاهداً» على أمّتك فيما يفعلونه من طاعة أو معصية. [«و مبشّراً»] لمن أطاعني بالجنّة. «و نذيراً» لمن عصاني بالنار. «و داعياً» إلى الإقرار بوحدانيّة الله و طاعة الله. «و سراجاً

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٥٤ ـ ٤٥٦.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٨ ـ ٥٦٩.
٣ـ الرعد (١٣) / ٢٣ ـ ٢٤.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٥٤٦.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٩٤ ـ ١٩٥.

منيراً» يهدى بك في الدين كما يهدى بالسراج المنير. و قيل: السراج المنير القرآن. أي: ذا سراج منير.(١)

[٤٧] «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً».

«أجراً كبيراً» زيادة على ما يستحقّونه من الثواب.(٢)

[٤٨] «وَ لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ دَعْ أَذَاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَ كَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلاً».

«دع أذاهم»؛ أي: أعرض عن أذاهم. فإنّي أكفك أمرهم إذا توكّلت عليّ. و قيل: معناه: كفّ عن أذاهم. و ذلك قبل أن يؤمر بالقتال. «وكيلاً»؛ أي: كافلاً و متكفّلاً.(٣)

[٤٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَ سَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً».

«من قبل أن تمسّوهنّ»؛ أي: من قبل أن تدخلوا بهنّ. «تعتدّونها»؛ أي: تستوفونها بالعدد و الإقراء و الشهور لبراءة رحمها. و إن شاءت تزوّجت من يومها. « فمتّعوهنّ». قال ابن‌عبّاس: هذا إذا لم‌يكن سمّى لها مهراً. فإذا فرض لها صداقاً، فلها نصفه و لا متعة. و هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام والآية محمولة عندنا على التي لم‌يسمّ لها فتجب لها المتعة. «و سرّحوهنّ»؛ أي: طلّقوهنّ طلاقاً للسنّة [من] غير ظلم عليهنّ. و قيل: سرّحوهنّ عن البيت. لأنّه ليس عليها عدّة فلايلزمها المقام في منزل الزوج. «سراحاً جميلاً» بغير جفوة و لا أذيّة. و قيل: السراح الجميل هو دفع المتعة إليها بحسب الميسرة و المعسرة.(٤)

[٥٠] «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٩.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٩.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٦٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٥٧٠ ـ ٥٧١.

مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَ بَنَاتِ عَمِّكَ وَ بَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَ بَنَاتِ خَالِكَ وَ بَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَ كَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً».

«آتيت أجورهنّ»؛ أي: أعطيت مهورهنّ. و الإيتاء قد يكون بالأداء و قد يكون بالالتزام. «و ما ملكت يمينك»؛ أي: أحللنا لك ما ملكت يمينك من الإماء «ممّا أفاء الله عليك» من الغنائم و الأنفال. فكانت من الغنائم مارية القبطيّة أمّ ابنه إبراهيم، و من الأنفال صفيّة و جويريّة أعتقها و تزوّجها. «و بنات عمّك و بنات عمّاتك». يعني نساء قريش. «و بنات خالك و بنات خالاتك». يعني نساء بني زهرة. «و اللّاتي هاجرن معك» إلى المدينة. و هذا إنّما كان قبل تحليل [غير] المهاجرات، ثمّ نسخ شرط الهجرة في التحليل. «و امرأة مؤمنة»؛ أي: و أحللنا لك امرأة مصدّقة بتوحيد الله وهبت نفسها بغير صداق لك، و غير المؤمنة إن وهبت نفسها لك لاتحلّ. «أن يستنكحها»؛ أي: إن آثر النبيّ نكاحها و رغبت فيها. «خالصة لك». و هذا من جملة خصائصه في النكاح فكان ينعقد النكاح له بلفظة الهبة و لاينعقد لغيره. و اختلف في أنّه هل كانت عند النبيّ امرأة وهبت نفسها. قيل: لا. و قيل: هي زينب بنت خزيمة من الأنصار. و قيل: أمّ شريك بنت جابر. عن عليّ بن الحسين عليهما السلام. «ما فرضنا عليهم في أزواجهم» من المهر والحصر بعدد محصور، و وضعنا عنك تخفيفاً عنك. «و ما ملكت أيمانهم»؛ أي: أخذ عليهم في ملك اليمين. كان يقع لهم الملك بوجوه معلومة من الشراء و الهبة و الإرث و السبي. و إنّما خصّصناك على علم منّا بالمصلحة فيه من غير محاباة و لا جزاف.[1]

«لكيلايكون عليك حرج». متّصل لخالصة لك من دون المؤمنين. و معنى هذه الجملة الاعتراضيّة: انّ الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج و الإماء و على أيّ حدّ

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٧١.

و صفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه. و علم المصلحة في اختصاص رسول الله بما اختصّه ففعل. و معنى «لكيلايكون عـليك حـرج»: لئـلّايكون عـليك ضـيق في ديـنك حـيث اختصصناك بالتنزيه و اختيار ما هو أولى و أفضل، و في دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات و زدنا لك الواهب نفسها.(١)

[٥١] «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لَا يَحْزَنَّ وَ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَ اللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَلِيماً».

«ترجي من تشاء»؛ أي: تؤخّر و تبعد عنك من تشاء. أي تدخل من تشاء في القسم و لاتدخل من تشاء. و كان يقسم بين أزواجه فأباح الله له ترك ذلك. و قيل: المراد: تعزل من تشاء منهنّ بغير طلاق و تردّ إليك من تشاء منهنّ بعد عزلك إيّاها بلا تجديد عقد. و قيل: المراد: تقبل من شئت و تترك من شئت. قال أبوجعفر و أبوعبدالله عليهما السلام: من أرجى لم ينكح و من آوى فقد نكح. «فلا جناح عليك»: أي: [إن] أردت أن تؤوي إليك امرأة ممّن عزلتهنّ، فلا سبيل عليك بلوم و لا إثم عليك في ابتغائها. أباح الله سبحانه [له] ترك القسم في النساء حتّى يؤخّر من يشاء عن وقت نوبتها و يطأ من يشاء في غير نوبتها. فضّله بذلك على جميع الخلق. «ذلك أدنى»؛ أي: نزول الرخصة من الله أقرّ لأعينهنّ و أدنى إلى رضاهنّ بذلك، لعلمهنّ بما لهنّ في ذلك من الثواب في طاعة الله. و لو كان ذلك من قبلك، لحزنّ و حملن ذلك على ميلك إلى بعضهنّ. «ما في قلوبكم» من الرضا و السخط والميل إلى بعض النساء دون بعض. أهل الكوفة ـ غير أبي‌بكر ـ و أهل المدينة: «ترجي» بغير همز، و الباقون بالهمز. نزلت حين غار بعض نسائه عليه و طلب بعضهنّ زيادة النفقة، فهجرهنّ شهراً حتّى نزلت آية التخيير و أمره الله أن يخيّرهنّ بين الدنيا و الآخرة و أن يخلّي سبيل من اختارت الدنيا و

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٥١.

يمسك من اختارت الله و رسوله على أنّهنّ أمّهات المؤمنين و لا ينكحن أبداً و على أنّه يؤوي من يشاء منهنّ و يرجي من يشاء، قسم لهنّ أو لم يقسم أو قسم لبعضهنّ أو لم يقسم أو فضّل بعضهنّ على بعض في النفقة و القسم أم لا. و هذه من خصائصه. فرضين بذلك كلّه و اخترنه على هذا الشرط. فكان يسوّي بينهنّ مع هذا إلّا سودة بنت زمعة أراد طلاقها فرضيت بترك القسم و جعلت يومها لعائشة. و قيل: لمّا نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلّقن و قلن: يا نبيّ الله، اجعل لنا من مالك و نفسك ما شئت و دعنا على حالنا. فنزلت الآية. و كان ممّن أرجى منهنّ سودة و صفيّة و جويريّة و ميمونة و أمّ حبيبة و كان يقسم لهنّ ما شاء كما شاء. و كان ممّن آوى عائشة و حفصة و أم سلمة و زينب فكان يقسم بينهنّ على السواء.[١]

[٥٢] «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَ لَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً».

«لا يحلّ». أبوعمرو و يعقوب بالتاء. و الباقون بالياء. أي: من بعد النساء اللّاتي أحللناهنّ لك في قولنا: «إنّا أحللنا لك أزواجك» ـ الآية، و هي ستّة أجناس لا يحلّ له غيرهنّ من النساء. و قيل: يريد المحرّمات في سورة النساء. عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: معناه: لا تحلّ لك اليهوديّات و لا النصرانيّات. «و لا أن تبدّل بهنّ»؛ أي: و لا أن تستبدل الكتابيّات بالمسلمات. لأنّه لا ينبغي أن يكنّ أمّهات المؤمنين. «إلّا ما ملكت يمينك» من الكتابيّات. فأحلّ له أن يتسرّاهنّ. و قيل: معناه: لا يحلّ لك النساء من بعد نسائك اللّاتي خيّرتهنّ فاخترن الله و رسوله. و هنّ التسع صرت مقصوراً عليهنّ و ممنوعاً من غيرهنّ و من أن تستبدل بهنّ غيرهنّ و إن أعجبك حسنهنّ، مكافاة لهنّ على اختيارهنّ الله و رسوله. و قيل: إنّه منع من طلاق من اختارته من نسائه كما أمر بطلاق من لم تختره. فأمّا تحريم النكاح عليه، فلا. و قيل: إنّ هذه الآية منسوخة و أبيح له بعدها تزويج ما شاء. فعن

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٧٣ ـ ٥٧٥.

عائشة أنّها قالت: ما فارق رسول الله الدنيا حتّى حلّل له ما أراد من النساء.(١)

«و لا أن تبدّل»: و لا أن تستبدل. قيل فيه: هو من البدل الذي كان في الجاهليّة؛ كان يقول الرجل للرجل: بادلني بامرأتك و أبادلك بامرأتي، فينزل كلّ واحد منهما عن امرأته لصاحبه. و يحكى أنّ عيينةبن حصن دخل على النبيّ و عنده عائشة، قال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق؟ فقال ﷺ: إنّ الله حرّم ذلك. «و لو أعجبك». في موضع الحال من الفاعل و هو الضمير في تبدّل، لا من المفعول الذي هو الأزواج، لأنّه موغّل في التنكير. و تقديره: مفروضاً إعجابك بهنّ. و قيل: هي أسماء بنت عميس الخثعميّة امرأة جعفر بن أبي‌طالب و المراد أنّها ممّن أعجبه حسنهنّ. «إلّا ما ملكت يمينك». استثناء من المحرّم. «رقيباً»: حافظاً مهيمناً. و هو تحذير عن مجاوزة حدوده و تخطّي حلاله إلى حرامه.(٢)

[٥٣] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَ لٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَ لَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيماً».

«يؤذن لكم». في معنى الظرف. تقديره: وقت أن يؤذن لكم. و «غير ناظرين» حال من «لاتدخلوا». وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً. كأنّه قيل: لاتدخلوا بيوت النبيّ إلّا وقت الإذن، و لاتدخلوها إلّا غير ناظرين. و هؤلاء قوم كانوا يتحيّنون طعام رسول الله فيدخلون و يقعدون منتظرين لإدراكه. و معناه: تدخلوا ـ يا هؤلاء المتحيّنون للطعام ـ إلّا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه. و إلّا فلو [ما] كان لهؤلاء خصوصاً، لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبيّ إلّا أن يؤذن له إذناً خاصّاً و هو الإذن إلى الطعام فحسب. و إني

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٧٥ ـ ٥٧٦.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٥٥٣ ـ ٥٥٤.

الطعام: إدراكه. و قيل: إناه وقته. أي: غير ناظرين وقت الطعام و ساعة أكله.[١]

نهاهم سبحانه عن دخول دار النبيّ بغير إذن؛ و هو قوله: «إلّا أن يؤذن لكم» أي في الدخول. يعني: إلّا أن يدعوكم إلى طعام فادخلوا «غير ناظرين إناه»؛ أي: غير منتظرين إدراك الطعام فيطول مقامكم في منزله. «فانتشروا»؛ أي: إذا أكلتم فتفرّقوا. «و لا مستأنسين لحديث»؛ أي: فلاتدخلوا و تقعدوا بعد الأكل متحدّثين يحدّث بعضكم بعضاً ليؤنسه. «فيستحيي منكم»؛ أي: طول مقامكم في منزل النبيّ يؤذيه لضيق منزله فيمنعه الحياء أن يأمركم بالخروج من المنزل. و الله لايترك إبانة الحقّ فيأمركم بتعظيم رسوله و ترك دخول بيته من غير إذن والامتناع عمّا يؤدّي إلى أذاه. قالت عائشه: حسبُ الثقلاء أنّ الله لم يحتملهم فقال: «فإذا طعمتم فانتشروا». و قال بعض العلماء: و هذا أدب ادّب الله به الثقلاء. و روي أنّ رسول الله أولم على زينب بتمر و سويق و شاة و أمر أنساً أن يدعو بالناس، فترادفوا أفواجاً يأكل فوج فيخرج ثمّ يدخل فوج، إلى أن قال: يا رسول الله، دعوت حتّى ما أجد أحداً أدعوه. فقال: ارفعوا طعامكم. و تفرّق الناس و بقي ثلاثة نفر يتحدّثون. فأطالوا. فقام رسول الله ليخرجوا، فانطلق فطاف بالحجرات ليخرجوا، و رجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدّثون. و كان رسول الله شديد الحياء فتولّى. فلمّا رأوه متولّياً، خرجوا فرجع. فنزلت. «إذا سألتموهنّ»؛ أي: أزواج النبيّ شيئاً تحتاجون إليه. «من وراء حجاب»؛ أي: ستر. قال مقاتل: أمر الله المؤمنين أن لايكلّموا نساء النبيّ إلّا من وراء حجاب. و عن عائشة قالت: كنت آكل مع رسول الله حيساً في قعب. فمرّ بنا عمر، فدعاه فأكل فأصابت إصبعه إصبعي فقال: لو أطاع فيكنّ ما رأتكنّ عين. فنزل الحجاب. «ذلكم»؛ أي: السؤال من وراء حجاب. «أطهر لقلوبكم و قلوبهنّ»؛ أي: أطهر من الريبة و من خواطر الشيطان التي تدعو إلى ميل الرجال للنساء و بالعكس. روي أنّه لمّا نزلت آية الحجاب قال الآباء و الأبناء و الأقارب: يا رسول الله، أو نحن [أيضاً] نكلّمهنّ من وراء حجاب؟ فنزلت.[٢]

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٥٤.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٧٦ و ٥٧٤ و ٥٧٧.

لمّا نزلت قوله: «فاسألوهنّ» ـ الآية قال طلحة: أ ننهى أن نكلّم بنات عمّنا إلّا من وراء حجاب؟ لئن مات محمّد، لأتزوّجن فلانة. يعني عائشة. فأعلم الله أنّ ذلك محرّم. «من بعده»؛ أي: بعد وفاته. أو: من بعد فراقه في حال حياته. «إنّ ذلكم»؛ أي: إيذاء الرسول كان ذنباً عظيم الموقع.(١)

«و ماكان لكم أن تؤذوا رسول الله». سبب نزولها أنّه لمّا حرّم الله نساء النبيّ على المسلمين، غضب طلحة فقال: يحرّم محمّد علينا نساءه و هو يتزوّج بنسائنا! لئن أمات الله محمّداً، لنركض بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا! فأنزل الله: «و ماكان لكم» ـ الآية.(٢)

[٥٤] «إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً».

«إن تبدوا شيئاً»؛ أي: تظهروا [شيئاً] أو تضمروه ممّا نهيتم عنه من تزويجهنّ. و سئل عليه السلام عن المرأة يكون لها زوجان فتموت فتدخل الجنّة، فلأيّهما تكون. قال: لأحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا.(٣)

[٥٥] «لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَ لَا أَبْنَائِهِنَّ وَ لَا إِخْوَانِهِنَّ وَ لَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَ لَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَ لَا نِسَائِهِنَّ وَ لَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَ اتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً».

«لا جناح عليهنّ»؛ أي: لا إثم عليهنّ في أن لا يحتجبن من هؤلاء. و لم يذكر العمّ و الخال لأنّهما إنّما يجريان مجرى الوالدين. و قد جاءت تسمية العمّ أباً. قال الله تعالى: «و إله آبائك إبراهيم و إسماعيل و إسحاق»(٤) و إسماعيل عمّ يعقوب. و قيل: كره ترك الاحتجاب عنهما

١ـ انظر: مجمع البيان ٨ / ٥٧٤ و ٥٧٧، و الكشّاف ٣ / ٥٥٦.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٩٥.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٧٧.

٤ـ البقرة (٢) / ١٣٣.

لأنّهما يصفان لأبنائهما و أبناؤهما غير محارم.[١]

«و لا نسائهنّ». عن ابن‌عبّاس: يريد نساء المؤمنين لا نساء اليهود و النصارى فيصفن نساء النبيّ لأزواجهنّ إن رأينهنّ. و قيل: يريد جميع النساء. «و لا ما ملكت أيمانهنّ». يعني العبيد و الإماء، أو الإماء خاصّة كما تقدّم في سورة النور. «و اتّقين الله» يا أزواج النبيّ من دخول الأجانب عليكنّ. «شهيداً»؛ أي: حفيظاً لايغيب عنه شيء.[٢]

[٥٦] «إِنَّ اللهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً».

إنّ الله يصلّي على النبيّ و يثني عليه بالثناء الجميل و يبجّله بأعظم التبجيل. و ملائكته يثنون عليه بأحسن الثناء. و عن ابن مسعود: إذا صلّيتم على النبيّ، فأحسنوا الصلاة عليه. فإنّكم لاتدرون لعلّ ذلك يعرض عليه. و عن أبي عبدالله عليه السلام: صلاة الله عليه تزكيته له في السموات العلى. و أمّا التسليم، فهو الانقياد له في الأمور. و قيل: معنى و سلّموا عليه: قولوا: السلام عليك يا رسول الله.[٣]

أقول: قوله: «لعلّ ذلك يعرض عليه» إشارة إلى ما ورد في الأخبار من قولهم: بلّغوه السلام، فإنّه يبلغه. و ذلك إمّا بتبليغ الملائكة له و هم ملائكة مخصوصون يسيحون في الأرض ليبلّغوه صلاة المصلّين و تسليم المسلّمين عليه[٤]، و إمّا أنّ ريحاً من الرياح هي الصبا أو غيرها تبلّغه السلام فيجيب صلى الله عليه و آله بالدعاء له.[٥] و الكلّ وارد في الأخبار. و يدخل فيه تحميل السلام مع الزائرين و إرساله بكتابة مقصورة على التسليم أو يرفع معه حوائجه إليه. و قد فصّلنا الكلام في هذا البحث في شرحنا على تهذيب الحديث و على كتاب التوحيد.

«صلّوا عليه و سلّموا تسليماً»؛ أي: قولوا الصلاة على الرسول و السلام. و معناه الدعاء

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٥٧.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٧٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥١.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٧٨ ـ ٥٧٩.

٤ـ انظر: بحارالأنوار ٩٧ / ١٨١.

٥ـ لم‌نعثر عليه فيما حضرنا من المصادر.

بأن يترحّم عليه الله و يسلّم. و قد اختلف في وجوب الصلاة عليه. فمنهم من أوجبها كلّما جرى ذكره. و في الحديث: من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فدخل النار، فأبعده الله. و عنه ﷺ: انّ الله وكّل بي ملكين. فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلّي إلّا قال ذلك الملكان: غفر الله لك. و قال الله و ملائكته جواباً لذينك الملكين: آمين. و إذا لم يصلّ عليّ، قال ذانك الملكان: لا غفر الله لك. و قال الله و ملائكته لذينك الملكين. آمين. و منهم من قال: يجب في كلّ مجلس مرّة و إن تكرّر ذكره، كما قيل في آية السجدة. و كذلك في كلّ دعاء في أوّله و آخره. و منهم من أوجبها في العمر مرّة. و كذا قال في إظهار الشهادتين. و الذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كلّ ذكر لما ورد من الأخبار. و أمّا كونها شرطاً في جواز الصلاة، فقال به الشافعيّ. و أبوحنيفة لايراها شرطاً. و أمّا الصلاة على غيره، فالقياس يقتضي جوازها على كلّ مؤمن؛ لقوله: «هو الذي يصلّي عليكم».(١)

و قوله: «و صلّ عليهم».(٢) ولكنّ للعلماء تفصيلاً في ذلك؛ و هو: انّها إن كانت على سبيل التبع ـ كقولك: اللّهمّ صلّ على النبيّ و آله ـ فلا كلام فيها. و أمّا إذا أفرد غيره من أهل بيته بالصلاة كما يفرد هو، فمكروه. لأنّ ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله و لأنّه يؤدّي إلى الاتّهام بالرفض. و قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر، فلايقفنّ مواقف التهم.(٣)

أقول: ما ذكره من الخلاف في كيفيّة وجوب الصلاة، هو موجود أيضاً بين علمائنا. و الذي دلّت عليه أكثر الأخبار، هو الوجوب مطلقاً كلّما ذكر و إن كان بالاسم أو الكنية أو الضمير. و في الكلّ خلاف. و أمّا قوله: «فإنّه يؤدّي إلى الاتّهام بالرفض» فلايخفى ما فيه من شدّة العناد و العصبيّة. و كان عليه أن لايقرّ بكلمة الشهادة و لايأتي بعبادة يفعلها الروافض. و سيعلم الذين ظلموا، بل كفروا، أيّ منقلب ينقلبون.

١ـ الأحزاب (٣٣) / ٤٣. ٢ـ التوبة (٩) / ١٠٣.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٥٥٧ ـ ٥٥٨.

[٥٧] «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً».

قيل: هم المنافقون و الكافرون و الذين وصفوا الله بما لا يليق به. فيكون إيذاء الله مخالفة أمره. و قيل: معناه: يؤذون رسول الله. فقدّم ذكر الله على وجه التعظيم تشريفاً و تكريماً. «لعنهم الله»؛ أي: أبعدهم عن رحمته بحرمان زيادات الهدى في الدنيا و الخلود في النار في الآخرة. «و أعدّ لهم». أي في الآخرة. و عن أرطاة بن حبيب قال: حدّثني الواسطيّ و هو آخذ بشعره قال: حدّثني زيد بن عليّ و هو آخذ بشعره قال: حدّثني عليّ بن الحسين و هو آخذ... عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: حدّثني رسول الله و هو آخذ بشعره فقال: من آذى شعرة منك، فقد آذاني. و من آذاني، فقد آذى الله. و من آذى الله، فعليه لعنة الله.(١)

«إنّ الذين يؤذون». نزلت فيمن غصب أميرالمؤمنين حقّه و أخذ حقّ فاطمة.(٢)

[٥٨] «وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَ إِثْماً مُبِيناً».

«بغير ما اكتسبوا»؛ أي: من غير أن يعملوا ما يوجب أذاهم. «فقد احتملوا بهتاناً»: فعلوا ما هو أعظم الإثم مع البهتان و هو الكذب على الغير يواجهه به. جعل إيذاء المؤمنين مثل البهتان. و قيل: يعني بذلك أذيّة اللّسان ليحقّق فيها البهتان. «إثماً مبيناً»؛ أي: معصية ظاهرة. و قيل: نزلت في قوم من الزناة كانوا يمشون ليلاً فإذا أرادوا امرأة غمزوها.(٣)

[٥٩] «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَ بَنَاتِكَ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَ كَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً».

«جلابيبهنّ». الجلباب: ثوب واسع أوسع من الخمار و دون الرداء تلويه المرأة على

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٧٩ ـ ٥٨٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٩٦.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٨٠.

رأسها و تبقي منه ما ترسله على صدرها. و عن ابن‌عبّاس: الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل. و قيل: كلّ ما يتستّر به من كساء أو غيره. و معنى «يدنين» أي: يرخينها عليهنّ و يغطّين بها وجوههنّ و أعطافهنّ. و ذلك أنّ النساء في أول الإسلام كنّ متبذّلات تبرز المرأة في درع و خمار لا فصل بين الحرّة والأمة. و كان الفتيان و أهل الشطارة يتعرّضون إذا خرجن باللّيل إلى مقاضي حوائجهنّ في النخيل و الغيطان للإماء و ربما تعرّضوا للحرّة بعلّة الأمة. فأمرن أن يخالفن بزيّهنّ عن زيّ الإماء بلبس الأردية والملاحف و ستر الوجوه و الرؤوس ليعرفن فلايطمع فيهنّ طامع. ومن للتبعيض. أي: أن يتجلببن ببعض ما لهنّ من الجلابيب. لأنّه لايكون جلبابان فصاعداً.[١] أو معناه: أن ترخي المرأة بعض جلبابها على وجهها تتقنّع حتّى تتميّز من الأمة.[٢]

[٦٠] «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً».

«في قلوبهم مرض». هم الزناة و أهل الفجور. من قوله: «فيطمع الذي في قلبه مرض». «و المرجفون»: قوم كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله فيقولون... .[٣]

«لنغرينّك»؛ أي: نأمرك بقتلهم حتّى تخلو منهم المدينة. و قد حصل الإغراء بهم بقوله: «جاهد الكفّار و المنافقين».[٤] و قيل: لم يحصل الإغراء بهم لأنّهم انتهوا. عن الجبّائيّ. [قال :] و لو حصل الإغراء لقتلوا و شرّدوا و أخرجوا من المدينة. «إلّا قليلا»؛ أي: زماناً قليلاً. و هو ما بين الأمر بالقتل و بين قتلهم.[٥]

[٦١] «مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً».

١ـ كذا. و في المصدر بدل العبارة الأخيرة: و المراد أن لاتكون الحرّة متبذّلة في درع و خمار ـ كالأمة و الماهنة ـ و لها جلبابان فصاعداً في بيتها.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٥٥٩ ـ ٥٦٠.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٥٦٠.

٤ـ التوبة (٩) / ٧٣.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٥٨١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٢.

«ملعونين»؛ أي: مطرودين عن المدينة مبعدين عن رحمة الله. «أينما ثقفوا»؛ أي: [أينما] وجدوا و ظفر بهم، [أخذوا] و قتلوا أبلغ القتل. و ملعونين نصب على الشتم أو على الحال. و الاستثناء شامل له أيضاً. أي: لايجاورونك إلّا ملعونين.[١]

[٦٢] «سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً».

«سنّة الله». مصدر مؤكّد. أي: سنّ الله ذلك في الأمم الماضية؛ و هو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء و سعوا في وهنهم بالإرجاف و نحوه. «تبديلاً». لأنّه لايبدّلها و لايقدر أحد أن يبدّلها.[٢]

«سنّة الله»؛ أي: سنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا. يعني كما قتل أهل بدر و أسروا.[٣]

[٦٣] «يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً».

«عن الساعة»؛ أي: عن وقت قيامها استهزاء أو تعنّتاً أو امتحاناً. «عند الله» لم يطلع عليه ملكاً و لا نبيّاً.[٤]

«يسألك الناس عن الساعة». كان المشركون يسألونه على سبيل الاستهزاء و اليهود يسألونه امتحاناً، لأنّ الله عمّى وقتها في التوراة و في كلّ كتاب. فأمر رسول الله بأن يجيبهم بأنّه قد استأثر الله به، ثمّ بيّن لرسوله أنّه قريب الوقوع تهديداً لمن استعجلها و إسكاتاً للممتحنين. «قريباً»: [شيئاً قريباً]. أو لأنّ الساعة في معنى اليوم.[٥]

«تكون قريباً»؛ أي: قريباً مجيئها. و يجوز أن يكون أمره أن يجيب كلّ من سأله عن

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٨١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٥٦١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٣.

٥ـ الكشّاف ٣ / ٥٦٢.

الساعة بهذا فيقول: لعلّ ما تستبطئه قريب و ما تنكره كائن. و يجوز أن يكون تسلية له صلى الله عليه و آله. أي: فاعلم أنّه قريب فلايضيقنّ صدرك باستهزائهم بإخفائها.[١]

[٦٤] «إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً».

«سعيراً»: أي: ناراً تتسعّر و تلتهب.[٢]

[٦٥] «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَ لَا نَصِيراً».

«وليّاً» يحفظهم. «و لا نصيراً» يدفع العذاب عنهم.[٣]

[٦٦] «يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَا».

«يوم تقلّب». العامل في «يوم تقلّب» قوله: «و أعدّ لهم سعيراً». و معنى تقلّب: تصرّف من جهة إلى جهة ـ كاللّحم يشوى بالنار ـ أو من حال إلى حال فتسودّ و تصفرّ و تصير كالحة بعد أن لم تكن. «يقولون» متمنّين متأسّفين: يا ليتنا أطعنا الله و رسوله فلن نبتلى بهذا العذاب.[٤]

«يوم تقلّب وجوههم». معنى تقليبها تصريفها في الجهات، كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة. و خصّت الوجوه بالذكر لأنّها أكرم موضع من الجسد. و يجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة. «الرسولا» و «السبيلا». زيادة الألف لإطلاق الصوت. جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر و فائدتها الوقف و الدلالة على أنّ الكلام قد انقطع و أنّ ما بعده مستأنف.[٥]

«يوم تقلّب وجوههم في النار». كناية عن الذين غصبوا آل محمّد حقّهم. «أطعنا الرسولا». يعني في أمير المؤمنين عليه السلام.[٦]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٨٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٨٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٣.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٥٨٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٣.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٥٦٢.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٩٧.

[٦٧] «وَ قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا».

«سادتنا و كبراءنا». يعنون قادتهم الذين لقّنوهم الكفر. «فأضلّونا السبيلا» بما زيّنوا لنا. ابن‌عامر و يعقوب: «ساداتنا» على الجمع، للدلالة على الكثرة.(١)

«و كبراءنا». و هما رجلان. و السادة و الكبراء هما أوّل من بدأ بظلمهم و غصبهم. «فأضلّونا السبيلا»؛ أي: طريق الجنّة. و السبيل أميرالمؤمنين.(٢)

[٦٨] «رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً».

«ضعفين»؛ أي: مثلي ما آتيتنا منه. لأنّهم ضلّوا و أضلّوا. «كبيراً»؛ أي شديد اللّعن.(٣)

[٦٩] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسىٰ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَ كَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً».

«يا أيّها الذين آمنوا» لاتؤذوا رسول الله في عليّ و الأئمّة، كما آذوا موسى «فبرّأه الله ممّا قالوا». كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال. فاغتسل يوماً و وضع ثيابه على صخرة [فأمر الله الصخرة] فتباعدت عنه حتّى نظر بنو إسرائيل فعلموا أنّه ليس كما قالوا.(٤)

«كالذين آذوا موسى»؛ أي: لاتؤذوا محمّداً كما آذى بنوإسرائيل موسى. فإنّ حقّ النبيّ أن يعظّم و يبجّل. واختلفوا فيما آذوا به موسى. فقيل: إنّ موسى و هارون صعدا الجبل فمات هارون، فقالت بنوإسرائيل: قتله. فأمر الله الملائكة فحملوه حتّى مرّوا به [على] بني إسرائيل و تكلّمت الملائكة بموته حتّى عرفوا أنّه قد مات و برّأه الله من ذلك. عن عليّ عليه السلام. و قيل: إنّ موسى [كان] حييّاً ستيراً يغتسل وحده. فقالوا: ما تستتر منّا إلّا لعيب بجلده إمّا برص و إمّا أدرة. فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر فمرّ الحجر بثوبه. فطلبه موسى فرآه بنوإسرائيل عرياناً كأحسن الرجال خلقاً. فبرّأه الله ممّا قالوا. و قال قوم: لايجوز

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٣.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٩٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٣.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٩٧.

ذلك. لأنّ فيه إبداء سوأة النبيّ على رؤوس الأشهاد و ذلك ينفّر عنه. و قيل: إنّ قارون حرّض امرأة على قذفه بنفسها، فعصمه الله، كما مرّ في القصص. و قيل: إنّهم آذوه من حيث نسبوه إلى السحر و الجنون و الكذب بعد ما رأوا الآيات.[١]

«وجيهاً»: ذا قربة و وجاهة.[٢]

[٧٠ ـ ٧١] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً».

«يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله»؛ أي: عقابه، باجتناب معاصيه. «سديداً»؛ أي: صواباً بريئاً من الفساد. و قيل: «سديداً» يعني صادقاً و هو كلمة التوحيد. و «يصلح لكم»؛ أي: إن فعلتم ذلك يلطف لكم في أعمالكم حتّى تستقيموا على الطريقة المستقيمة السليمة من الفساد و يزكّ أعمالكم و يتقبّل حسناتكم. «فقد فاز»؛ أي: ظفر برضوان الله.[٣]

[٧٢] «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً».

«الأمانة». قيل: الأمانة الطاعات. و عن ابن‌عبّاس: هي الأحكام و الفرائض. و قيل: هو أمانات الناس و الوفاء بالعهود. و أمّا عرض الأمانة على هذه الأشياء، فقيل: المراد العرض على أهلها. و عرضها عليهم هو تعريفه إيّاهم أنّ في تضييع الأمانة الإثم العظيم. فبيّن سبحانه جرأة الإنسان على المعاصي و إشفاق الملائكة من ذلك. فيكون المعنى: عرضنا الأمانة على أهل السموات و الأرض و الجبال من الملائكة و الإنس و الجنّ، فأبى أهلها أن يحملوا تركها و عقابها و أشفق أهلهنّ من حملها. «و حملها الإنسان إنّه كان ظلوماً» لنفسه بارتكاب المعاصي «جهولاً» بموضع الأمانة في استحقاق العقاب على الخيانة فيها. فيكون

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٨٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٣.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٨٤.

المراد بحمل الأمانة تضييعها. لأنّ نفس الأمانة قد حملتها الملائكة و قامت بها. قال الزجّاج: كلّ من خان الأمانة، فقد حملها. و من لم يحمل الأمانة، فقد أدّاها. و منه قولهم: الكافر و المنافق حملا الأمانة؛ أي: خانا و لم يطيعا. و قيل: معنى عرضنا: عارضنا و قابلنا. فإنّ عرض الشيء [على الشيء] و معارضته به سواء. و الأمانة التكليف. يعني أنّ هذه الأمانة في عظم شأنها لو قيست إلى السموات و الأرض و عورضت بها، لكانت هذه الأمانة أرجع و أثقل وزناً. و معنى قوله: «فأبين أن يحملنها»: ضعفن عن حملها. كذلك «و أشفقن». لأنّ الشفقة ضعف القلب، ثمّ قال: إنّ هذه الأمانة التي صفتها أنّها أعظم من هذه الأشياء تقلّدها الإنسان فلم يحفظها بل حملها و ضيّعها لظلمه على نفسه و لجهله بمبلغ الثواب و العقاب. و قيل: إنّه على وجه التقدير و الفرض. أي: لو كانت السموات و الأرض عاقلة ثمّ عرضت عليها الأمانة، و هي أصول الدين و فروعها، لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها و قوّتها و لامتنعت من حملها خوفاً من القصور عن أداء حقّها. ثمّ حملها الإنسان مع ضعف جسمه و لم يخف الوعيد لظلمه و جهله. و على هذا يحمل ما روي عن ابن عبّاس أنّها عرضت على نفس السموات و الأرض فامتنعت من حملها. و قيل: معنى العرض و الإباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام. بل المراد تعظيم شأن الأمانة لا مخاطبة الجماد. تقول: خاطبت الدار فامتنعت عن الجواب. فالأمانة على هذا ما أودع الله السموات و الأرض و الجبال من الدلائل على وحدانيّته و ربوبيّته فأظهرنها و الإنسان الكافر جحدها لظلمه وجهله. و لم يرد بقوله: «الإنسان» جميع الإنسان بل الكافر منهم.[١]

«الأمانة». يريد بالأمانة الطاعة. فعظّم أمرها و فخّم شأنها. و فيه وجهان. أحدهما: انّ هذه الأجرام العظام من السموات و الأرض و الجبال قد انقادت لأمر الله انقياد مثلها من الجمادات و أطاعت له الطاعة التي يليق بها حيث لم يمتنع على إرادته إيجاداً و تكويناً على هيآت مختلفة و أنواع متنوّعة. كما قال: «قالتا أتينا طائعين».[٢] و أمّا الإنسان، فلم يكن

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٨٤ ـ ٥٨٦.

٢ـ فصّلت (٤١) / ١١.

حاله فيما يصحّ منه من الطاعة و [يليق به من الانقياد لأمر الله][1] مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منه و يليق بها من الانقياد و عدم الامتناع. و المراد بالأمانة الطاعة لأنّها لازمة الوجود. كما أنّ الأمانة لازمة الأداء. و عرضها على الجمادات و إباؤها و إشفاقها مجاز. و أمّا حمل الأمانة، فمن قولك: فلان حامل للأمانة؛ أي: لا يؤدّيها إلى صاحبها حتّى تزول عن ذمّته و يخرج عن عهدتها. فمعنى «فأبين أن يحملنها»: فأبين أن لا يؤدّينها و أبى الإنسان إلّا أن يكون محتملاً لها لا يؤدّيها. ثمّ وصفه بالظلم لكونه تاركاً لأداء الأمانة، و بالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكّنه منه و هو أداؤها. الثاني: إنّ ما كلّفه الإنسان بلغ من عظمه و ثقل محمله أنّه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام أن يحمله فأبى حمله و أشفق منه، و حمله الإنسان على ضعفه. «إنّه كان ظلوماً جهولاً» حيث حملها و لم يف بها. والممثّل به في الآية مفروض و المفروضات تتخيّل في الذهن. و مثّلت حال التكليف في صعوبته و ثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت [على] السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها.[2]

«الأمانة». هي الإمامة و الأمر و النهي. والدليل على أنّ الأمانة هي الإمامة قوله عزّ و جلّ: «إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها»[3] يعني الإمامة. و الإمامة عرضت على السموات و الأرض و الجبال فأبين أن يدّعوها أو يغصبوها.[4]

أقول: قد استفاض في الروايات عن الأئمّة عليهم السلام أنّ المراد بالأمانة هنا خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام و المراد بالإنسان الظلوم الذي يحملها هو الأعرابيّ الأوّل.[5]

[٧٣] «لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ وَ يَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً».

١ـ في النسخة: «أمر الله» بدل ما بين المعقوفتين.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٥٦٤ ـ ٥٦٥.

٣ـ النساء (٤) / ٥٨.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٩٨.

٥ـ العيون ١ / ٣٠٦، ح ٦٦، و الكافي ١ / ٤١٣، ح ٢، و المعاني الأخبار / ١١٠، ح ٢، و بصائر الدرجات / ٩٦، ح ٣.

بيّن سبحانه الحكمة البالغة في عرض هذه الأمانة فقال: «ليعذّب الله المنافقين» ـ الآية. يعني بتضييع الأمانة. قال الحسن: هما اللّذان حملاها ظلماً و جهلاً. «و يتوب الله على المؤمنين» بحفظهم الأمانة و وفائهم بها. و هذا هو الغرض بالتكليف. فالمعنى: إنّا عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافقين و شرك المشركين فيعذّبهم الله و يظهر إيمان المؤمنين فيتوب الله عليهم إن حصل منهم تقصير في الطاعات.[1]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٨٦ ـ ٥٨٧.

٣٤.
سورة السبأ

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ الحمدين جميعاً ـ سبأ و فاطر ـ في ليلته، لم يزل ليلته في حفظ الله و كلائه. فإن قرأهما في نهاره، لم يصبه في نهاره مكروه و أعطي من خير الدنيا و خير الآخرة ما لم يخطر على قلبه و لم يبلغ مناه.(١)

سبأ: عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، لم يبق نبيّ و لا رسول إلّا كان له يوم القيامة رفيقاً و مصافحاً.(٢)

من كتبها في قرطاس و جعلها في خرقة بيضاء و حملها، أمن من الهوامّ و من العقوبة و النبل و الحجارة و الحديد.(٣)

سبأ اسم البلاد. و قيل: اسم الملك، لأنّه كان يسبي كلّ يوم نبيّاً. و قيل: إنّه أوّل من سبا. (تفسير م ح)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ».

«الحمد لله». معناه: قولوا: الحمد لله. و هو تعريف لوجوب الشكر على نعم الله و تعليم لكيفيّة الشكر. «له ما في السموات و ما في الأرض»؛ أي: يملك التصرّف فيهما. «و له الحمد في الآخرة» على أفعاله الحسنى. يستحقّ الحمد في الدارين لكونه منعماً فيهما. و الآخرة، و

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٨٨.
٢ـ المصباح / ٥٨٨.
٣ـ المصباح / ٦٠٩.

إن كانت ليست بدار تكليف، فلايسقط فيها الحمد و الاعتراف بنعم الله تعالى بل العباد ملجؤون إلى ذلك لمعرفتهم الضروريّة بنعم الله عليهم من الثواب و العوض. و قيل: إنّما يحمده أهل الجنّة لا على جهة التعبّد لكن على جهة السرور على نعمه و فضله، و يحمده أهل النار على عدله.[١]

[٢] «يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ».

«في الأرض»؛ أي: ما يدخل فيها من مطر أو كنز. «و ما يخرج منها» من زرع و نبات. «و ما ينزل من السماء» من مطر و رزق. «و ما يعرج»؛ أي: يصعد «فيها» من الملائكة و أعمال العباد. «الرحيم» بعباده فلايعاجلهم بالعقوبة. «الغفور»؛ أي: الساتر عليهم ذنوبهم في الدنيا المتجاوز عنها في العقبى.[٢]

[٣] «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ وَ لَا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَ لَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ».

«الذين كفروا». يعني منكري البعث و النشور. «لاتأتينا الساعة»؛ يعني: القيامة. «قل» لهم يا محمّد: «بلى و ربّي» الذي خلقني «لتأتينّكم» القيامة. «عالم الغيب». و هو ما يغيب عن العباد. «كتاب مبين». يعني اللّوح المحفوظ. أهل المدينة و الشام: «عالم الغيب» بالرفع. و حمزة والكسائيّ: «علّامِ» بالجرّ و اللّام قبل الألف. و الباقون: «عالم الغيب» بالجرّ. قال أبوعليّ: الجرّ على قوله: الحمد لله عالم الغيب. و قال غيره: صفة لقوله: «و ربّي» أو بدل منه. فأمّا على الرفع، فيجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ـ و تقديره: هو عالم الغيب ـ و أن يكون مبتدأ و

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٠.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٠.

خبره «لايعزب».[١]

[٤] «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ».

«ليجزي الذين آمنوا»؛ أي: إنّما أثبت ذلك في الكتاب المبين ليكافيهم بما يستحقّونه من الثواب على صالح أعمالهم. «و رزق كريم» لا تنغيص فيه و لا تكوير. و قيل: هو الجنّة.[٢]

[٥] «وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ».

«معاجزين»؛ أي: عملوا بجهدهم و جدّهم في إبطال حجّتنا و في تزهيد الناس عن قبولها مقدّرين إعجاز ربّهم و ظانّين أنّهم يفوتونه. «من رجز»؛ أي: سيّئ العذاب. «أليم». ابن‌كثير و حفص و يعقوب: «أليمٌ» بالرفع، و الباقون بالجرّ. و وجه اتّصال قوله: «عالم الغيب» بما قبله أنّه سبحانه لمّا حكى عن المشركين ما يضادّ الإقرار له بالربوبيّة و الاعتراف بالنعمة من إنكار القيامة، ذكر بعده أنّ من يعلم أفعال العباد و ما يستحقّونه من الجزاء، لو لم يجعل داراً أخرى يجازي فيها المحسن و المسيء و ينتصف للمظلوم من الظالم، كان ذلك خروجاً عن موجب الحكمة.[٣]

«معاجزين». ابن‌كثير و أبوعمرو: «معجزين»؛ أي: مثبّطين عن الإيمان من أراده. و «معاجزين» بمعنى: مسابقين كي يفوتوا.[٤]

[٦] «وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَ يَهْدِي إِلىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ».

«أوتوا العلم». هو أميرالمؤمنين عليه السلام صدّق رسول الله صلى الله عليه و آله.[٥]

«أوتوا العلم». يحتمل أن يكون «يرى» منصوباً عطفاً على ليجزي. و يحتمل أن يكون

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٠ و ٥٨٩.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٠ ـ ٥٩١ و ٥٨٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٦.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٩٨ ـ ١٩٩.

مرفوعاً على الاستئناف. و «الذي أنزل إليك» في موضع نصب لأنّه مفعول يرى. [و] «هو» فصل. و «الحقّ» مفعول ثان. و المعنى: و يعلم الذين أعطوا المعرفة بوحدانيّة الله و هم أصحاب محمّد ﷺ. و قيل: المؤمنون من أهل الكتاب. و قيل: هم العلماء. «الذي أنزل إليك». يعني القرآن. «هو الحقّ». لأنّهم يتفكّرون فيه فيعلمون بالاستدلال أنّه ليس من قبل البشر. «و يهدي»؛ أي: يعلمون أنّه يهدي.[١]

[٧] «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ».

«و قال الذين كفروا». أي بعضهم لبعض و القادة للأتباع على وجه الاستبعاد و التعجّب. «هل ندلّكم على رجل». يعنون محمّداً ﷺ. «ينبّئكم إذا مزّقتم كلّ ممزّق أنّكم لفي خلق جديد». أي يريد[٢] أنّكم تبعثون بعد أن تكونوا عظاماً و رفاتاً و تراباً. و هو قوله: «إذا مزّقتم كلّ ممزّق»؛ أي: فرّقتم كلّ تفريق و قطّعتم كلّ تقطيع و أكلتكم الأرض و السباع و الطيور. و الجديد: المستأنف. و المعنى أنّكم يجدّد خلقكم بأن تنشروا و تبعثوا.[٣]

[٨] «أَفْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَ الضَّلَالِ الْبَعِيدِ».

«أفترى على الله». معناه: هل كذب على الله متعمّداً حين زعم أنّا نبعث بعد الموت؟ و هو استفهام تعجّب و إنكار. «بل الذين»؛ أي: ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء و الجنون. «و الضلال البعيد» من الحقّ في الدين.[٤]

«جنّة»؛ أي: جنون يوهمه ذلك و يلقيه على لسانه. و استدلّ بجعلهم إيّاه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه، على أنّ بين الصدق و الكذب واسطة و هو كلّ خبر لايكون عن

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٢ ـ ٥٩٣.

٢ـ المصدر: يزعم.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٣.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٣.

بصيرة للمخبر عنه. و ضعفه بيّن لأنّ الافتراء أخصّ من الكذب.[١]

[٩] «أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ».

«أفلم يروا»؛ أي: أفلم ينظر هؤلاء الكفّار «إلى ما بين أيديهم و ما خلفهم من السماء و الأرض» كيف أحاطت بهم؟ و ذلك لأنّ الإنسان حيثما نظر رأى السماء و الأرض [قدّامه] و خلفه و عن يمينه و شماله فلايقدر على الخروج منها. و قيل: معناه: أفلم يتدبّروا و يتفكّروا في السماء و الأرض فيستدلّوا بذلك على قدرة الله؟ ثمّ ذكر قدرته على إهلاكهم فقال: «إن نشأ نخسف بهم الأرض» كما خسفنا بقارون. «كسفاً من السماء» تغطّيهم فتهلكهم. «إنّ في ذلك»؛ أي: فيما ترون من السماء و الأرض لدلالة على قدرة الله تعالى على البعث و على ما يشاء من الخسف. «منيب» تاب إلى الله و رجع إلى طاعته. فلايرتدع هؤلاء عن التكذيب بآيات الله و الإنكار لقدرته على البعث. حمزة والكسائيّ: «أن يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط» بالياء في الجميع، و الباقون بالنون. و أدغم الكسائيّ وحده الفاء [في الباء] في «يخسف بهم».[٢]

[١٠] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ».

«فضلاً»؛ أي: إحساناً بأن فضّلناه على غيره بالنبوّة و المعجزات. ثمّ فصّل سبحانه ما أعطاه فقال: «يا جبال أوّبي معه»؛ أي: [قلنا للجبال: يا جبال] سبّحي معه إذا سبّح. فكانت تسبّح معه. و [تأويله عند أهل اللّغة:][٣] رجّعي معه التسبيح، من آب يؤوب. و يجوز أن يكون سبحانه فعل في الجبال ما يأتي به منها التسبيح معجزاً له. و أمّا الطير، فيجوز أن يسبّح و يحصل له من التمييز ما يأتي منه ذلك. و قيل: معناه: سيري معه أينما سار. و كان ذلك

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٦.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٣ ـ ٥٩٤ و ٥٩١.
٣ـ في النسخة: «و لغته» بدل ما بين معقوفتين.

معجزة له. و التأويب السير بالنهار. و قيل: معناه: ارجعي إلى مراد داوود فيما يريده من حفر و استنباط عين و استخراج معدن. «و ألنّا له الحديد» فصار في يده كالشمع يعمل به ما شاء من غير أن يدخله النار و لا أن يضربه بالمطرقة. يعقوب: «و الطير» بالرفع، و الباقون بالنصب. أمّا الرفع، فعلى أنّه عطف على الياء في أوّبي. أي: [يا] جبال، رجّعي التسبيح معه أنت و الطير. أو يكون معطوفاً على لفظ جبال. أي : [يا جبال و الطير. و أمّا النصب، فعلى أن يكون عطفاً على فضلاً، أو على محلّ جبال. كأنّه قال:] ادعوا الجبال و الطير. أو منصوباً على معنى مع.[١]

و معنى تسبيح الجبال أنّ الله يخلق تسبيحاً فيها كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبّح معجزة لداوود. و قيل: كان ينوح على ذنبه بترجيع و تحزين و كانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها.[٢]

[١١] «أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ اعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«أن» هاهنا في تأويل التفسير و القول و هي تدعى المفسّرة. كأنّه قيل: و ألنّا له الحديد [أي اعمل سابغات. والتقدير: قلنا له: اعمل. و يكون في معنى:] لأن يعمل من الحديد دروعاً تامّات. و ألان له الحديد لأنّه أحبّ أن يأكل من كسب يده فألان له الحديد و علّمه صنعة الدروع. و كان أوّل من اتّخذها. و عن الصادقعليه‌السلام أوحى الله إلى داوود: نعم العبد أنت إلّا أنّك تأكل من بيت المال. فبكى داوود أربعين صباحاً، فألان له الحديد. كان يعمل كلّ يوم درعاً يبيعها بألف درهم. فعمل ثلاثمائة و ستّين درعاً فاستغنى من بيت المال. «و قدّر في السرد»؛ أي: عدّل في نسج الدروع. أي: لاتجعل المسامير دقاقاً و لا غلاظاً. و قيل: السرد المسامير التي في حلق الدروع. «اعملوا صالحاً»؛ أي: قلنا اعمل أنت و أهلك الصالحات ـ و هي الطاعات ـ شكراً لله سبحانه على عظيم نعمه.[٣]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٧ و ٥٩٥. ٢ـ الكشّاف ٣ / ٥٧١.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٦ ـ ٥٩٨.

[١٢] «وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ وَ أَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ».

«و لسليمان الريح»؛ أي: سخّرناها و كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين. كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر من أرض همدان، و يروح من اصطخر فيبيت بكابل تحمله الريح مع جنوده. «عين القطر»؛ أي: أذبنا له عين النحاس و أظهرناها له. قالوا: أجريت له عين الصفر ثلاثة أيّام بلياليهنّ جعلها الله كالماء. و إنّما يعمل الناس بما أعطي سليمان. «و من الجنّ»؛ أي: سخّرنا له من الجنّ من يعمل بحضرته و أمام عينه ما يأمرهم به من الأعمال. و كان يكلّفهم الأعمال الشاقّة. «و من يزغ منهم»؛ أي: من يعدل من هؤلاء الجنّ المسخّرين عن طاعته، نذقه العذاب في الآخرة. و قيل: في الدنيا. لأنّ الله سبحانه وكّل بهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان، ضربه ضربة أحرقته.(١)

[١٣] «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ».

«من محاريب»، هي القصور و المساجد يتعبّد فيها. و كان ممّا عملوه بيت المقدس. لأنّ داوود رفعه بالبناء و بعد موته أتمّه سليمان و فصّص(٢) سقوفه بأنواع الجواهر و كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر. فلم يزل كذلك حتّى خرّبه بخت نصّر و أخذ ما فيه من الجواهر إلى أرض العراق دار مملكته. و «تماثيل»: صور من نحاس و زجاج و رخام تعملها الجنّ صوراً للحيوانات. و قيل: صور السباع و البهائم على كرسيّه. فإذا أراد أن يصعد الكرسيّ، بسط الأسدان ذراعيهما، و إذا [علا] على الكرسيّ، نشر النسران أجنحتهما فظلّلاه من الشمس. و كان ذلك ممّا لا يعرفه أحد من الناس. و لمّا حاول بخت نصّر صعود الكرسيّ بعد سليمان، لم يعرف كيف يصعد. فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدّها. فما جسر أحد بعده

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٨.

٢ـ المصدر: فضّض.

أن يصعد ذلك الكرسيّ. و لم تكن التصاوير يومئذ محرّمة. و عن ابن عبّاس: كانوا يعملون صور الأنبياء و العلماء في المساجد ليقتدى بهم. و عن الصادقعليه السلام أنّه قال: و الله ما هي تماثيل النساء و الرجال، ولكنّه الشجر و ما أشبهه. «و جفان كالجواب»؛ أي: صحاف كالحياض التي يجبى فيه الماء؛ أي: يجمع. و كان يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان لكثرتهم. و كان يجمع على كلّ جفنة ألف رجل يأكلون بين يديه. «راسيات»؛ أي: ثابتات لايزلن عن أمكنتهنّ لعظمهنّ و كانت باليمن. و قيل: كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع أنفسهم. ثمّ نادى سبحانه آل داوود و أمرهم بالشكر على ما أنعم به عليهم من هذه النعم العجيبة لأنّ نعمته على سليمان نعمة عليهم [فقال:] «اعملوا آل داوود»؛ أي: قلنا لهم: يا آل داوود، اعملوا شكراً على النعم. «و قليل من عبادي الشكور». عن ابنعبّاس: أراد به الموحّد. و فيه دلالة على أنّ المؤمن الشاكر يقلّ في كلّ عصر.(١)

«و تماثيل». عملوا له أسدين أسفل كرسيّه و نسرين فوقه.(٢)

[١٤] «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ».

«قضينا»؛ أي: حكمنا و أوجبنا [«عليه الموت»] ما دلّ الجنّ على موته إلّا الأرضة و لم يعلموا موته حتّى أكلت عصاه فسقط بعد سنة. و قيل: [إنّ] في إماتته قائماً و بقائه كذلك أغراضاً منها إتمام بناء مسجد بيت المقدس. فإنّه لمّا مات بقي من عمل الجنّ فيه مقدار عمل سنة. و منها أن يعلم الإنس أنّ الجنّ لاتعلم الغيب و أنّهم في ادّعاء ذلك كاذبون. و روي أنّه أطلعه الله على حضور وفاته، فاغتسل و تحنّط و تكفّن وا لجنّ في عملهم. و عن أبي جعفرعليه السلام قال: إنّ سليمان أمر الشيطان فبنوا له قبّة من قوارير. فبينا هو قائم متّكئ على عصاه في القبّة ينظر إلى الجنّ كيف يعملون و هم ينظرون إليه لايصلون إليه، إذا رجل معه

١ـ مجمع البيان ٨ / ٥٩٨ ـ ٦٠٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٨.

في القبّة. فقال: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أقبل الرشاء و لا أهاب الملوك. فقبضه و هو قائم متّكئ على عصاه في القبّة. فمكثوا سنة يعملون له حتّى بعث الله الأرضة فأكلت منسأته. و كان آصف يدبّر أمره حتّى دبّت الأرضة. أبوعمرو و يعقوب: «منساته» بغير همز، و ابن‌عامر بهمزة ساكنة، و الباقون بهمزة مفتوحة. «فلمّا خرّ»؛ أي: سقط ميّتاً، «تبيّنت الجنّ»؛ أي: ظهرت الجنّ، فانكشف للناس «أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»؛ أي: في الأعمال الشاقّة. و قيل: المعنى: تبيّنت عامّة الجنّ و ضعفتهم أنّ رؤساءهم لا يعلمون الغيب. لأنّهم كانوا يوهمونهم أنّهم يعلمون الغيب. و قيل: معناه: تبيّنت الإنس أنّ الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب. فإنّهم كانوا يوهمون الإنس أنّا نعلم الغيب. و في التاريخ أنّ عمر سليمان كان ثلاثاً و خمسين سنة، مدّة ملكه منها أربعون سنة. و ملك و هو ابن ثلاث عشرة سنة. و قرأ يعقوب: «تبيّنت الجنّ» بضمّ التاء و الباء و كسر الياء. و في قراءة عليّ بن الحسين و أبي عبدالله عليهما السلام: «تبيّنت الإنس».[1]

«تبيّنت»؛ يعني: تبيّنت حالة الجنّ على الناس «أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين». فظهر كذبهم بادّعائهم علم الغيب. (محمّد عليّ)

«تبيّنت الجنّ»؛ أي: حالة الجنّ. فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه و أعرب بإعرابه.

[١٥] «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ».

«لسبأ»: أبو عرب اليمن كلّها. و قد تسمّى به القبيلة كما هو المراد هنا. «في مسكنهم»؛ أي: بلدهم. «آية»؛ أي: حجّة على توحيد الله و قدرته. ثمّ فسّر الآية فقال: «جنّتان»؛ أي: بستانان عن يمين البلد و شماله. و قيل: لم يرد العدد بل المراد أنّ ديارهم كانت على وتيرة

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٠٠ ـ ٦٠١ و ٥٩٤ ـ ٥٩٥.

واحدة إذ كانت البساتين عن يمينهم و شمالهم متّصلة بعضها ببعض و كانت المرأة تمشي و المكتل على رأسها فيمتلئ من الفواكه. و قيل: الآية المذكورة هو أنّه لم يكن في قريتهم بعوضة و لا برغوث و لا عقرب و لا حيّة. و كانت ثلاث عشرة قرية في كلّ قرية نبيّ يدعوهم إلى الله. «كلوا من رزق ربّكم». أي يقول لهم الأنبياء. «بلدة طيّبة»؛ أي: هذه بلدة مخصبة نزهة عذب الماء و الهواء فأعرضوا عن دعوة الأنبياء. «في مسكنهم». على التوحيد بفتح الكاف حمزة و حفص، و بكسر الكاف الكسائيّ. و الباقون: «مساكنهم» على الجمع.[١]

«في مسكنهم» ـ الآية. قال: فإنّ بحراً كان من اليمن و كان سليمان أمر جنوده أن يجروا لهم خليجاً من البحر العذب إلى بلاد الهند ففعلوا ذلك و عقدوا له عقدة عظيمة من الصخر و الفلس[٢] حتّى يفيض على بلادهم و جعلوا للخليج مجاري و كانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه. و كانت لهم جنّتان عن يمين و شمال عن مسيرة عشرة أيّام، فمن يمرّ لايقع عليه الشمس من التفافهما. فلمّا عملوا بالمعاصي و عتوا عن أمر ربّهم و نهاهم الصالحون فلم ينتهوا، فبعث الله على ذلك السدّ الجرذ ـ و هي الفأرة الكبيرة ـ تقلع الصخرة التي لايستقيلها الرجال و ترمي به. فلمّا رأى ذلك القوم منهم، هربوا و تركوا البلاد فلم يشعروا حتّى غشيهم السيل و خرّب بلادهم و قطع أشجارهم.[٣]

[١٦] «فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ».

و قوله: «سيل العرم»؛ أي: العظيم الشديد. «خمط». و هو أمّ غيلان. «و أثل». هو نوع من الطرفا.[٤]

«فأرسلنا عليهم سيل العرم». و العرم: المسناة التي تحبس الماء. و قيل: اسم واد يجتمع فيه سيول من أودية شتّى. و قيل: العرم اسم الجرذ الذي نقب السكر عليهم. و ذلك أنّ الماء

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٠٤ ـ ٦٠٥ و ٦٠٢.
٢ـ المصدر: الكلس.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٠ ـ ٢٠١.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠١.

كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن، و كان هناك جبلان يجتمع السيول بينهما، فسدّوا ما بين الجبلين، فإذا احتاجوا إلى الماء، نقبوا من السدّ بقدر الحاجة يسقون زروعهم. فلمّا كـذّبوا رسلهم، بعث الله جرذاً نقب ذلك الردم و فاض الماء عليهم فأغرقهم. «و بدّلناهم بجنّتيهم» اللّتين فيهما أنواع الفواكه. «جنّتين» أخراوين. سمّاهما جـنّتين لازدواج الكـلام. «ذواتي أكل». الأكل: اسم لثمرة كلّ شيء. و ثمر الخمط البرير. و الخمط: الأراك، أو الغضا، أو كلّ شجر له شوك. و الأثل: الطرفاء. «و شيء من سدر قليل». يعني أنّ الأثل و الخمط كان أكثر من السدر و هو النبق. «أكل خمط». مضافاً غير منوّن أهل البصرة.[١]

[١٧] «ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ».

«ذلك»؛ أي: ما فعلنا بهم جزيناهم بكفرهم. «إلّا الكفور» بنعم الله تعالى. و قرأ أهـل الكوفة ـ غير أبي‌بكر و يعقوب ـ : «هل نجازي» بالنون، و «الكفور» بـالنصب. و أدغـم الكسائيّ اللّام في «هل» في النون. و غيره لم يدغم. و الباقون: «يجازىٰ» بالياء و فتح الزاء، و «الكفور» بالرفع.[٢]

[١٨] «وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَ قَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ».

«و جعلنا بينهم»؛ أي: قد كان من قصّتهم أنّا جعلنا بينهم و بين قرى الشام التي باركنا فيها بالماء و الشجر قرًى متواصلة. و كان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام يبيتون بقرية و يقيلون بأخرى حتّى يرجعوا و كانوا لا يحتاجون إلى زاد من وادي سبأ إلى الشام. و معنى الظاهرة أنّ الثانية كانت ترى من الأولى لقربها منها. «و قدّرنا فيها السـير»؛ أي: جـعلنا السير من القرية إلى القرية نصف يوم و قلنا لهم: «سيروا فيها»؛ أي: في تلك القرى «ليالي و أيّاماً» ؛ أي: ليلاً شئتم المسير أو نهاراً. «آمنين» من الجوع و العطش و المخاوف. يعني أنّ نعمه

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٠٥ و ٦٠٤ و ٦٠٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٠٥ و ٦٠٢.

متكاملة عليهم في السفر كالحضر.[١]

[١٩] «فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَ مَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ».

عن أبي الصالح قال: ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له ابن ماء السماء و كانت قد رأت في كهانتها أنّ سدّ مأرب سيخرب و أنّه سيأتي سيل العرم فيخرّب الجنّتين. فباع عمرو [بن] عامر أمواله و سار هو و قومه حتّى انتهوا إلى مكّة فأقاموا بها و ما حولها، فأصابتهم الحمّى و كانوا لايدرون ما الحمّى. فدعوا طريفة فشكوا إليها. فقالت لهم: قد أصابني مثلكم. قالوا: فماذا تأمرين؟ قالت: من كان منكم ذا همّ بعيد و جمل شديد و مزاد جديد، فليلحق بقصر عمان. وكانت أزد عمان. و من كان منكم ذا جلد و صبر على أزمات الدهر، فعليه بالأراك من بطن مرّ. و كانت خزاعة. و من أراد النخل، فليلحق بيثرب. و كانت الأوس و الخزرج. و من كان ملابس التاج و الحرير، فليلحق بالشام. و كانت جفنة بن غسّان. و من كان يريد الثياب الرقاق و الخيل العتاق، فليلحق بالعراق. و كانت آل جذيمة. أخبر سبحانه أنّهم بطروا بقوله: «فقالوا ربّنا باعد بين أسفارنا»؛ أي: اجعل بيننا و بين الشام فلوات و مفاوز لنركب إليها الرواحل و نقطع المنازل، كما قالت بنوإسرائيل لمّا ملّوا النعمة: أخرج لنا ممّا تنبت الأرض من بقلها بدلاً من المنّ و السلوى. «و ظلموا أنفسهم» بارتكاب الكفر و المعاصي «فجعلناهم أحاديث» لمن بعدهم يتحدّثون بأمرهم و شأنهم و يضربون بهم المثل فيقولون: «تفرّقوا أيادي سبأ» إذا تفرّقوا أعظم التفريق. «و مزّقناهم»؛ أي: فرّقناهم في كلّ وجه من البلاد كلّ تفريق. «صبّار» على الشدائد. «شكور» على النعماء.[٢]

«باعد». قرأ أبوعمرو و ابن‌كثير: «بعّد» بالتشديد على لفظ الأمر، و يعقوب: «باعَدَ»

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٠٥ ـ ٦٠٦.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٠٦.

بلفظ الخبر، على أنّه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطاً في الترفّه و عدم الاعتداء بما أنـعم عليهم فيه.[١]

[٢٠] «وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

عن أبي جعفرعليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قال بغدير خمّ: من كنت مولاه فعليّ مولاه، كان إبليس حاضراً بعفاريته فقالت له: ما هكذا قلت لنا. لقد أخبرتنا أنّ هذا إذا مضى، افترق أصحابه. و هذا أمر مستقرّ كلّما أراد أن يذهب واحد، بدر آخر. قال: افترقوا. فإنّ أصحابه قد وعدوني ألّا يقرّوا له بشيء ممّا قال. و هو قوله عزّ و جلّ: «و لقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين». و هم شيعته. و ذلك الظنّ عند قولهم انّه ينطق عن الهوى و قول أحد المنافقين لصاحبه: أماترى عينيه تدوران في أمّ رأسه كأنّه مجـنون. يعنون رسول الله. و قالعليه السلام: لمّا قبض رسول الله و أقام الناس غير عليّ، لبس إبليس تاج الملك و نصب منبراً و قعد في الثويّة و جمع خيله و رجله ثمّ قال: اطربوا. لايطاع الله حتّى تقوم الساعة. ثمّ تلاعليه السلام: «و لقد صدّق» ـ الآية.[٢]

«صدّق». قرأ يعقوب: «صدّق» بالتشديد «إبليس» بالنصب «ظنّه» بالرفع. «عليهم» الضمير في عليهم يعود إلى أهل سبأ. و قيل: إلى الناس كلّهم إلّا من أطاع الله. و المعنى: انّ إبليس كان قد قال: لأغوينّهم و لأضلّـنّهم، و ما قال ذلك إلّا ظنّاً. فلمّا تابعه أهل الزيغ و الشرك، حقّق ظنّه. «فاتّبعوه» فيما دعاهم إليه. «من المؤمنين». من للبيان. أي: هم المؤمنون. و ماكان لإبليس على من أغواه سلطان يتمكّن به من إجبارهم. و إنّما يمكنه الوسوسة فقط؛ كما قال: «و ماكان لي عليكم»[٣] ـ الآية.[٤]

[٢١] «وَ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥٩.
٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٧٣ ـ ٤٧٥.
٣ـ إبراهيم (١٤) / ٢٢.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٠٧ ـ ٦٠٨.

فِي شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ».

«إلّا لنعلم»؛ أي: لم نمكّنه من وسوستهم و إغوائهم إلّا لنميّز بين من يقبل منه و من يمتنع فنعذّب و نثيب. فعبّر عن هذا التمييز بالعلم، و إلّا فهو سبحانه عالم بأحوالهم فيما لم يزل. أو: لنعلم طاعاتهم موجودة أو معاصيهم ـ إن عصوا ـ فنجازيهم بحسبها. لأنّه لايجازي أحداً على ما يعلم من حاله إلّا بعد أن يقع ذلك منه.[۱]

[۲۲] «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ وَ مَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَ مَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ».

«قل ادعوا»؛ أي: قل يا محمّد لهؤلاء المشركين: ادعوا الذين زعمتم أنّهم آلهة و أنّهم شفعاؤكم. و هذا نوع توبيخ لا أمر، ليعلموا أنّ أوثانهم لاتنفعهم و لاتضرّهم. ثمّ أجاب عنهم إشعاراً بتعيّن الجواب و أنّه لايقبل المكابرة فقال: «لايملكون» بأنفسهم و اختيارهم «مثقال ذرّة»: زنة ذرّة من خير أو شرّ «في السموات و لا في الأرض»: في أمرهما. و ذكرهما للعموم العرفيّ، أو لأنّ آلهتهم بعضها سماويّة كالملائكة و الكواكب و بعضها أرضيّة كالأصنام، أو لأنّ الأسباب القريبة للخير و الشرّ سماويّة و أرضيّة. «و ما لهم فيهما»؛ أي: ليس لهم في خلق السموات و الأرض من شركة و نصيب. «و ما له منهم»؛ أي: ليس له سبحانه منهم معاون على خلق السموات و الأرض.[۲]

مذاهب أهل الشرك أربعة: أحدها قولهم: إنّا نعبد الملائكة و الكواكب و هم آلهتنا و الله إلههم. فأبطل الله قولهم بأنّهم لايملكون في السموات شيئاً كما اعترفتم و لا في الأرض على خلاف ما زعمتم أنّ الأرض و الأرضيّات في حكمهم. و ثانيها قول بعضهم: إنّ السموات من الله على سبيل الاستقلال. و إنّ الأرضيّات منهنّ ولكن بواسطة الكواكب و اتّصالاتها و تصرّفاتها. فأبطل معتقدهم بقوله: «و ما لهم فيهما من شرك». أي الأرض كالسماء لله ليس

۱ـ مجمع البيان ۸ / ٦۰۸.

۲ـ مجمع البيان ۸ / ٦۰۹، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۲٦۰.

لغيره فيها نصيب. و ثالثها قول من قال: التركيبات و الحوادث كلّها من الله، لكن فوّض ذلك إلى الكواكب. و أشار إلى بطلان هذا بقوله: «و ما له منهم من ظهير». و رابعها مذهب من زعم أنّا نعبد الأصنام والملائكة ليشفعوا لنا، فبيّن بطلان مذهبهم بقوله: «و لاتنفع الشفاعة» ـ الآية.(١)

[٢٣] «وَ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

و قال عليه السلام في قوله: «و لاتنفع الشفاعة»: لايقبل الله الشفاعة يوم القيامة لأحد من الأنبياء حتّى يؤذن له في الشفاعة إلّا رسول الله و الأئمّة عليهم السلام. فقد أذن لهم في الشفاعة قبل يوم القيامة.(٢)

«و لاتنفع الشفاعة» عند الله إلّا لمن رضيه الله و أذن له في الشفاعة مثل الملائكة و الأنبياء و الأولياء. أو المعنى: إلّا لمن أذن له في أن يشفع له فيكون مثل لايشفعون إلّا لمن ارتضى. و إنّما قال سبحانه ذلك [لأنّ] الكفّار كانوا يقولون: نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى و هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فحكم تعالى ببطلان اعتقاداتهم. «حتّى إذا فزّع»؛ أي: كشف الفزع أو كشفه الله. و الضمير في «قلوبهم» يعود إلى المشركين. أي: حتّى إذا خرج عن قلوبهم الفزع ليسمعوا كلام الملائكة. «قالوا»؛ أي: قالت الملائكة لهم: «ما ذا قال ربّكم قالوا» أي المشركون مجيبين لهم: «الحقّ»؛ أي: قال الحقّ. فيعترفون أنّ ماجاءته الرسل كان حقّاً. «العليّ»؛ أي: القادر المطاع. «الكبير» في قدرته. أهل الكوفة غير عاصم: «أذن» بضمّ الهمزة. و ابن عامر و يعقوب: «فزع» بفتح الفاء و الزاء.(٣)

«حتّى إذا فزّع عن قلوبهم». و ذلك أنّ أهل السموات لم يسمعوا وحياً بعد عيسى، فلمّا بعث الله جبرئيل إلى محمّد صلى الله عليه وآله سمع أهل السموات صوت وحي القرآن، فصعق أهل

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢٢ / ٥٨.
٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٧٦، عن الباقر عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٠٩ و ٦٠٧.

السموات. فلمّا فرغ من الوحي، انحدر جبرئيل و كشف عن قلوب الملائكة الرعب، فقال بعضهم لبعض: «ماذا قال ربّكم قالوا الحقّ». يعني الوحي.[١]

«حتّى إذا فزّع». غاية لمفهوم الكلام من أنّ ثمّ توقّفاً و انتظاراً للإذن. أي: يتربّصون فزعين حتّى إذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين و المشفوع لهم بالإذن «قالوا»؛ أي: قال بعضهم [لبعض]: «ماذا قال ربّكم» في الشفاعة؟ «قالوا الحقّ»: قالوا: قال القول الحقّ، و هو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى و هم المؤمنون. «العليّ الكبير»: ذوالعلوّ و الكبرياء، ليس لنبيّ و لا ملك أن يتكلّم اليوم إلّا بإذنه.[٢]

[٢٤] «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللهُ وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلىٰ هُدىً أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«قل من يرزقكم من السموات و الأرض». فإنّهم لايمكنهم أن يقولوا ترزقنا آلهتنا التي نعبدها. ثمّ عند ذلك قل: الله يرزقكم. «و إنّا أو إيّاكم». إنّما قال ذلك على وجه الإنصاف في الحجاج دون الشكّ. كما يقول القائل لغيره: أحدنا كاذب، و إن كان هو عالماً بالكاذب. و قيل: إنّه جمع بين الخبرين و فوّض التمييز إلى العقول. فكأنّه قال: نحن على هدًى و أنتم على ضلال. و قيل: إنّما قال على وجه الاستعطاف و المداراة ليسمع الكلام. و هذا [من] أحسن ما ينسب به الحقّ نفسه إلى الهدى و خصمه إلى الضلال. لأنّه كلام من لايكاشف خصمه بالتضليل بل ينسبه إليه على أحسن وجه و يحثّه على النظر و لايجب النظر إلّا بعد تردّد.[٣]

«قل من يرزقكم». أمرهم بأن يقرّرهم بقوله: «من يرزقكم» ثمّ أمرهم بأن يتولّى الإجابة و الإقرار عنهم بقوله: يرزقكم الله. و ذلك للإشعار بأنّهم مقرّون به بقلوبهم إلّا أنّهم ربما أبوا أن يتكلّموا به. لأنّ الذي تمكّن في صدورهم من العناد و حبّ الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحقّ مع علمهم بصحّته، و لأنّهم إن يقولوا بأنّ الله رازقهم لزم أن يقال

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦٠ ـ ٢٦١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٠٩ ـ ٦١٠.

لهم: فما لكم لاتعبدون من يرزقكم و تؤثرون عليه من لايقدر على الرزق؟ (١)

[٢٥] «قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَ لَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ».

«قل لاتسألون»: قل ـ يا محمّد ـ إذا لم ينقادوا للحجّة: لاتسألون ـ أيّها الكفّار ـ عمّا اقترفنا من المعاصي. و هو أبلغ في الإخبات و أدخل في الإنصاف حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم و العمل إلى المخاطبين. (٢)

[٢٦] «قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ».

ثمّ أمره أن يحاكمهم إلى الله لإعراضهم عن الحجّة فقال: «قل» يا محمّد «يجمع بيننا ربّنا» يوم القيامة «ثمّ يفتح»؛ أي: يحكم بيننا بالحقّ. (٣)

[٢٧] «قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«أروني الذين ألحقتم به شركاء». ذكر سبحانه هذا على وجه التعجّب. أي: أروني الذين زعمتم أنّهم شركاء لله تعبدونهم معه. و هذا كالتوبيخ فيما اعتقدوه من الإشراك. فإنّهم سيفتضحون بذلك إذا أشاروا إلى الأصنام. «كلّا»؛ أي: ليس كما تزعمون. أو: ارتدعوا عن هذا المقال. «بل هو الله العزيز»: الذي لايغالب «الحكيم» في جميع أفعاله. فكيف [يكون] له شريك؟ (٤)

[٢٨] «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

«كافّة للناس» العرب و العجم و سائر الأمم. و قيل: «كافّة للناس»؛ أي: مانعاً لهم عمّا هم عليه من الكفر و المعاصي بالإنذار. و التاء للمبالغة. «لايعلمون» رسالتك لإعراضهم عن النظر في المعجزة. أو: لايعلمون ما لهم في الآخرة من الثواب على اتّباعك و من العذاب

١ـ الكشّاف ٣ / ٥٨١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٠، و الكشّاف ٣ / ٥٨٢.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦١١.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦١١.

على مخالفتك.(١)

عن عبدالله بن بكير قال: قال لي الصادق عليه السلام: أخبرني عن الرسول كان عامّ الرسالة كما في محكم كتابه: «و ما أرسلناك إلّا كافّة للناس» لأهل الشرق و الغرب و أهل السماء و الأرض من الجنّ و الإنس، هل بلّغ رسالته إليهم كلّهم؟ قلت: لا أدري. قال: يابن بكير، إنّ رسول الله لم يخرج من المدينة. فكيف أبلغ رسالته أهل الشرق والغرب ؟ قلت: لا أدري. قال: إنّ الله تبارك و تعالى أمر جبرئيل فاقتلع الأرض بريشة من جناحه و نصبها لمحمّد صلى الله عليه وآله فكانت بين يديه مثل راحته في كفّه ينظر إلى أهل الشرق و الغرب و يخاطب كلّ قوم بألسنتهم و يدعوهم إلى الله و إلى نبوّة نفسه. فما بقيت قرية و لا مدينة إلّا دعاهم النبيّ بنفسه.(٢)

[٢٩] «وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«هذا الوعد»؛ أي: المبشّر به و المنذر عنه. أو: الموعود بقوله: «يجمع بيننا ربّنا».(٣)

[٣٠] «قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَ لَا تَسْتَقْدِمُونَ».

«ميعاد يوم»؛ أي: ميقات يوم [ينزل بكم ما وعدتم به و هو يوم القيامة. و قيل: يوم وفاتهم و قبض] أرواحهم، لا تتأخّرون عن ذلك اليوم و لاتتقدّمون عليه بأن يزاد في آجالكم أو ينقص منها.(٤)

[٣١] «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهٰذَا الْقُرْآنِ وَ لَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَوْ تَرىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦١١.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٢ ـ ٢٠٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦٢.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٢.

«الذين كفروا». هم اليهود. و قيل: مشركو العرب. و هو الأصحّ. [«لن نـؤمن بهـذا القرآن»؛ أي:] لن نصدّق بأنّ هذا القرآن من الله. «و لا بالّذي بين يديه» من أمور الآخرة. و قيل: يعنون به التوراة و الإنجيل. و ذلك [أنّه] لمّا قال مؤمنو أهل الكتاب: إنّ صفة محمّد في كتابنا و هو نبيّ مبعوث، كفر المشركون بكتابهم. «موقوفون عند ربّهـم»؛ أي: محـبوسون للحساب يوم القيامة يردّ بعضهم على بعض القول في الجدال. «يقول الذين استضعفوا» و هم الأتباع، للأشراف و القادة. «لولا أنتم»؛ أي: لولا دعاؤكم إيّانا إلى الكفر، لآمنّا بالله في الدنيا.(١)

[٣٢] «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَ نَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ».

«قال الذين استكبروا للّذين استضعفوا»؛ أي: للأتباع، على طريقة الإنكار. «أ نحـن صددناكم»؛ أي: لم نصدّكم عن قبول الهدى، بل أنتم كفرتم و لم نحملكم على الكفر قهراً. فكلّ واحد من الفريقين ترك الذنب على صاحبه و لم يضف واحد منهم الذنب إلى الله.(٢)

[٣٣] «وَ قَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَ أَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

و قال الأتباع للمتبوعين: «بل مكر اللّيل و النهار» صدّنا عن قبول الهدى حين أمرتمونا أن نجحد وحدانيّة الله و دعوتمونا إلى أن نجعل له شركاء في العبادة. «و أسرّوا الندامة»؛ أي: أظهروها. أو: أخفوها. فعلى الأوّل معناه: أظهر المتبوعون الندامة على الإضـلال و أظـهر الأتباع على الضلال. و قيل: معناه: أقبل بعضهم على بعض يلومه و يظهر ندمه. و من قال بالثاني، معناه: أخفوا الندامة في أنفسهم خوف الفضيحة، أو أنّ الرؤساء أخفوا الندامة عن

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٣.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٣.

الأتباع. «لمّا رأوا العذاب»؛ أي: نزول العذاب. «و جعلنا الأغلال». قال ابن عبّاس: غلّوا بها في النيران. «هل يجزون»؛ أي: لايجازون إلّا بأعمالهم التي عملوها. «من نذير»؛ أي: مخوّف بالله تعالى.[۱]

قال: يسرّون الندامة في النار إذا رأوا أولياء الله. فقيل: يا [بن] رسول الله، و ما يغنيهم إسرار الندامة و هم في العذاب؟ قال: يكرهون شماتة الأعداء.[۲]

[۳٤] «وَ مَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ».

«مترفوها»؛ أي: جبابرتها و أغنياؤها المتنعّمون فيها. و [في] هذا بيان أنّ أهل قرية النبيّ جروا على منهاج الأوّلين، و إشارة إلى أنّه كان أتباع الأنبياء فيما مضى الفقراء و أوساط الناس دون الأغنياء.[۳]

[۳۵] «وَ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَ أَوْلَاداً وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ».

«أكثر أموالاً»؛ أي: افتخروا بأموالهم ظنّاً بأنّ الله إنّما خوّلهم المال و الولد كرامة لهم عنده و قالوا: إذا رزقنا و حرمتم، فنحن أكرم منكم و أفضل عند الله. فلايعذّبنا على كفرنا بكم. و ذلك قوله: «و ما نحن بمعذّبين». و لم يعلموا بأنّ الأموال و الأولاد عطاء من الله يستحقّ به الشكر عليهم و ليس ذلك للإكرام و التفضّل.[٤]

[۳٦] «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

«قل»؛ أي: قل: ـ يا محمّد ـ في الردّ عليهم: «إنّ ربّي يبسط الرزق لمن يشاء» على ما يوافق المصلحة لمن شاء كيف شاء و يضيق أيضاً على حسب المصلحة. «ولكنّ أكثر الناس لايعلمون» ذلك لجهلهم بالله و بحكمته فيظنّون أنّ كثرة مال الإنسان تدلّ على كرامته عند

۱ـ مجمع البيان ۸ / ٦۱۳ ـ ٦۱٤.
۲ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۲۰۳.
۳ـ مجمع البيان ۸ / ٦۱٤.
٤ـ مجمع البيان ۸ / ٦۱٤.

الله تعالى.[١]

[٣٧] «وَ مَا أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً فَأُولٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ رجلاً ذكر الأغنياء و وقع فيهم فقال عليه السلام: اسكت. فإنّ الغنيّ إذا كان وصولاً لرحمه بارّاً بإخوانه، أضعف الله له الأجر ضعفين. لأنّ الله يقول: «و ما أموالكم» إلى قوله: «جزاء الضعف».[٢]

«زلفى». في موضع نصب على المصدر. تقديره: يقرّبكم قربة أو تقريباً. و قوله: «إلّا من آمن» الموصول و الصلة في موضع نصب على البدل من الكاف و الميم في «يقرّبكم» و يجوز أن يكون نصباً على الاستثناء.[٣]

«و ما أموالكم»؛ أي: ليس أموالكم و أولادكم تقرّبكم عندنا قربة. فزلفى اسم المصدر بمعنى تقريباً. «و عمل صالحاً». أطاع الله فيما أمره و نهاه. «جزاء الضعف»؛ أي: يضاعف الله حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشراً إلى ما زاد. و الضعف اسم جنس يدلّ على القليل و الكثير. و يجوز أن يكون الأموال و الأولاد تقرّب إلى الله زلفى بأن يكسب المؤمن المال مستعيناً [به] على القيام بحقّ التكليف و يستولد كذلك فيقرّبانه عند الله زلفى. فعلى هذا يكون الاستثناء متّصلاً. و قيل: إنّ جزاء الضعف أن يعطيهم في الآخرة مثل ما كان لهم في الدنيا من النعيم. و الضعف: المثل. «في الغرفات»؛ أي: في غرف الجنّة. و هي البيوت فوق الأبنية. «آمنون» فيها لايخافون شيئاً ممّا يخاف مثله في دار الدنيا من الموت و الأحزان. «الغرفات». حمزة وحده: «في الغرفة». و قرأ يعقوب: «جزاء» بالنصب و «الضعف» بالرفع.[٤]

«جزاء الضعف». عن يعقوب رفعها على إبدال الضعف، ونصب الجزاء على التميز أو

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٥.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٥ ـ ٦١٦.

المصدر لفعله الذي دلّ عليه لهم.[١]

«إلّا من آمن». استثناء من كم في تقرّبكم. و المعنى أنّ الأموال لاتقرّب أحداً إلّا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، و الأولاد لاتقرّب إلّا من علّمهم الخير و فقّهم في الدين. «جزاء الضعف». من إضافة المصدر إلى المفعول. أصله: فأولئك لهم أن يجازوا الضعف.[٢]

[٣٨] «وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ».

«يسعون في آياتنا»؛ أي: يجتهدون في آياتنا و تكذيبها «معاجزين» لأنبيائنا. و «معجزين»[٣]؛ أي: مثبّتين غيرهم عن أفعال البرّ.[٤]

[٣٩] «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

«قل إنّ ربّي يبسط الرزق». إنّما كرّره لاختلاف الفائدة. فالأوّل توبيخ للكافرين و هم المخاطبون. و الثاني وعظ للمؤمنين. فكأنّه قال: ليس إعطاء الكفّار دالاً على كرامتهم و سعادتهم، بل يزيدهم ذلك عقوبة. و إغناء المؤمنين [يجوز] أن يكون زيادة في سعادتهم بأن ينفقوها في سبيل الله. يدلّ على ذلك قوله: «و ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه»؛ أي: ما أخرجتم من أموالكم في وجوه البرّ، فإنّه سبحانه يعطيكم عوضه في الدنيا بزيادة النعمة و في الآخرة بثواب الجنّة. «خير الرازقين». لأنّه يعطي المنافع عباده لا لدفع ضرر أو جرّ نفع. و عنه ﷺ قال: ينادي مناد كلّ ليلة: لدوا للموت. و ينادي مناد: ابنوا للخراب. و ينادي مناد: اللّهمّ هب للمنفق خلفاً. و ينادي مناد: اللّهمّ هب للممسك تلفاً. و ينادي مناد: ليت الناس لم يخلقوا. و ينادي مناد: [ليتهم] إذا خلقوا فكّروا فيما له خلقوا.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦٣.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٥٨٦.
٣ـ على قراءة.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٦.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٦.

[٤٠] «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ[١] لِلْمَلَائِكَةِ أَهٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ».

«و يوم». يعني يوم القيامة. «نحشرهم جميعاً»: نحشر العابدين لغير الله و المعبودين من الملائكة للحساب. «ثمّ نقول للملائكة أهؤلاء» الكفّار كانوا يقصدونكم للعبادة؟ و هذا على وجه التقرير و الاستشهاد للملائكة على اعتقادات الكفّار حتّى تتبرّأ الملائكة منهم و من عبادتهم. كما قال سبحانه: «أأنت قلت للناس اتّخذوني و أمّي إلهين من دون الله»[٢].[٣]

خطاب للملائكة و تقريع للكفّار، وارد على المثل السائر: «إيّاك أعني و اسمعي يا جارة». و نحوه قوله تعالى: «أأنت قلت للناس اتّخذوني و أمّي إلهين» و قد علم سبحانه كون الملائكة و عيسى منزّهين ممّا وجّه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير. و الغرض أن يقول و يقولوا و يسأل و يجيبوا فيكون تقريعهم أشدّ و خجلهم أعظم و يكون اقتصاص ذلك لطفاً لمن سمعه و زاجراً لمن اقتصّ عليه.[٤]

[٤١] «قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ».

«كانوا يعبدون الجنّ». يريدون الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله. و قيل: صوّرت لهم الشياطين صور قوم من الجنّ و قالوا: هذه صور الملائكة فاعبدوها. و قيل: كانوا يدخلون في أجواف الأصنام فيعبدونها بعبادتها.[٥]

«قالوا»؛ أي: قالت الملائكة: تنزيهاً لك عن أن نعبد سواك. «أنت وليّنا»؛ أي: ناصرنا و أولى بنا من دون هؤلاء الكفّار و دون كلّ أحد و ما كنّا نرضى لعبادتهم إيّانا مع علمنا بأنّك ربّنا و ربّهم. «بل كانوا يعبدون الجنّ» بطاعتهم إيّاهم فيما دعوهم إليه من عبادة الملائكة. و

١- و قرئ أيضاً: «و يوم نحشرهم جميعاً ثمّ نقول». و هي هكذا في متن المجمع كما سترى.

٢- المائدة (٥) / ١١٦.

٣- مجمع البيان ٨ / ٦١٦.

٤- الكشّاف ٣ / ٥٨٧ ـ ٥٨٨.

٥- الكشّاف ٣ / ٥٨٨.

قيل: المراد بالجنّ إبليس و ذرّيّته. «أكثرهم بهم مؤمنون»: مصدّقون بالشياطين.[۱]

[٤٢] «فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لَا ضَرّاً وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ».

«فاليوم». يعني في الآخرة. «لايملك بعضكم لبعض». يعني العابدين و المعبودين. «نفعاً و لا ضرّاً»؛ أي: نفعاً بالشفاعة و لا ضرّاً بالتعذيب. «ظلموا»؛ أي: عبدوا غير الله.[۲]

[٤٣] «وَ إِذَا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىً وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ».

«و إذا تتلى عليهم آياتنا». عاد سبحانه إلى الحكاية عن حال الكفّار في الدنيا. أي: إذا تقرأ عليهم آياتنا من القرآن قالوا عند ذلك: ما هذا إلّا رجل يريد أن يمنعكم عمّا كان يعبد آباؤكم. فزعوا إلى تقليد الآباء لمّا أعوزتهم الحجّة. «و قالوا ما هذا» القرآن إلّا كذب مفترًى قد تخرّصه و افتراه. «للحقّ»؛ أي: للقرآن. [«إن هذا»:] ليس هذا «إلّا سحر مبين».[۳]

[٤٤] «وَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَ مَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ».

ثمّ أخبر سبحانه أنّهم لم‌يقولوا ذلك عن بيّنة فقال: «و ما آتيناهم»؛ أي: ما أعطينا مشركي قريش كتاباً قطّ يدرسونه فيعلمون بدرسه ما جئت به حقّ أو باطل. و إنّما يكذّبونك بهواهم من غير حجّة. «من نذير»؛ أي: رسول أمرهم بتكذيبك و أخبرهم ببطلان قولك. يعني أنّهم لايرجعون في تكذيبك إلّا إلى الجهل و العناد و اتّباع الهوى.[٤]

[٤٥] «وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ مَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ

۱ـ مجمع البيان ۸ / ٦۱۷ ـ ٦۱۸.
۲ـ مجمع البيان ۸ / ٦۱۷ ـ ٦۱۸.
۳ـ مجمع البيان ۸ / ٦۱۸.
٤ـ مجمع البيان ۸ / ٦۱۸.

كَانَ نَكِيرِ».

«و كذّب الذين من قبلهم» بمن بعث إليهم من الرسل و [ما] آتاهم الله من الكتب. «ما آتيناهم»؛ أي: ما أعطينا من قبلهم من القوّة و كثرة المال و طول العمر فأهلكهم الله. «نكير»؛ أي: عقوبتي و تغييري حالهم. و قيل: معناه: انظر في آثارهم كيف كان إنكاري عليهم بالهلاك. و المراد أنّا أهلكنا أولئك حين كذّبوا رسلنا، فليحذر هؤلاء ما نزل بهم من الهلاك و الاستئصال.[١]

يقول: كذّب الذين من قبلهم رسلهم و ما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمّداً و آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.[٢]

[٤٦] «قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ مَثْنىٰ وَ فُرَادىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ».

«أن تقوموا». في موضع جرّ على البدل من «واحدة». و يجوز نصبه بحذف الجارّ. أي: لأن تقوموا. «مثنى و فرادى». في موضع نصب على الحال. المعنى: «قل» يا محمّد «إنّما أعظكم»؛ أي: آمركم بخصلة واحدة. و قيل: بكلمة واحدة، و هي كلمة التوحيد. و قيل: بطاعة الله. و من قال بالأوّل قال: إنّه فسّر الواحدة بقوله: «أن تقوموا لله مثنى و فرادى»؛ أي: اثنين اثنين و واحداً واحداً. «ثمّ تتفكّروا ما بصاحبكم من جنّة». معناه: أن يقوم الرجل منكم وحده أو مع غيره ثمّ تتساءلون: هل جرّبنا على محمّد كذباً؟ و هل رأينا منه جنّة؟ ففي ذلك دلالة على بطلان ما ذكرتم فيه. و ليس معنى القيام [هنا القيام] على الأرجل، و إنّما المراد به القصد للإصلاح و الإقبال عليه مناظراً مع غيره و مفكّراً في نفسه. لأنّ الحقّ إنّما يظهر بهما. و قد تمّ الكلام عند قوله: «تتفكّروا» و ما للنفي. أي: [ليس] بمحمّد جنون. و إن جعلت تمام الكلام آخر الآية، فالمعنى: ثمّ تتفكّروا أيّ شيء بصاحبكم من الجنون. أي: هل

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٨.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٤.

رأيتم منه ما ينافي النبوّة من كذب أو اختلاف في القول و الفعل فيدلّ على الجنون؟ «إن هو إلّا نذير»؛ أي: مخوّف لكم من معاصي الله بين يدي عذاب القيامة.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «أن تقوموا لله مثنى و فرادى» قال: بالولاية. و ذلك أنّه لمّا نصب النبيّ أميرالمؤمنين عليه السلام للناس فقال: من كنت مولاه، اغتابه رجل [و] قال: إنّ محمّداً ليدعو كلّ يوم إلى أمر جديد. و قد بدأ بأهل بيته يملّكهم رقابنا. فأنزل الله: «قل إنّما أعظكم بواحدة». فقد أدّيت إليكم ما افترض ربّكم عليكم. فأمّا قوله: «مثنى» يعني طاعة رسول الله و أميرالمؤمنين عليهما السلام. و أمّا «فرادى» فيعني طاعة الإمام من ذرّيّتهما من بعدهما. و لا و الله، ما عنى غير ذلك. و عن أبي جعفر عليه السلام «إنّما أعظكم بواحدة» قال: هي ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.(٢)

و الذي أوجب تفرّقهم مثنى و فرادى أنّ الاجتماع ممّا يشوّش الخواطر و يعمي البصائر و يمنع من الرؤية و يخلط القول، و مع ذلك يقلّ الإنصاف و يكثر الاعتساف و يثور عجاج التعصّب و لا يسمع إلّا نصرة المذهب.(٣)

[٤٧] «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «ما سألتكم من أجر». و ذلك أنّ رسول الله سأل قومه أن يودّوا أقاربه و لا يؤذونهم. و قوله: «فهو لكم» يقول: ثوابه لكم.(٤)

«ما سألتكم». ما شرطيّة و هي في محلّ النصب بأنّها مفعول ثان لسألت. «من أجر فهو لكم». يعني: لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عرض الدنيا فتتّهموني. فما طلبته منكم من أجر على أداء الرسالة و بيان الشريعة، فهو لكم. كما يقول الرجل لمن لا يقبل نصيحته: ما أعطيتني من أجر فخذه. و عن أبي جعفر عليه السلام: معناه: أجر [ما] دعوتكم إليه من إجابتي و

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٩.
٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٧٧.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٥٩٠.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٤.

ذخره هو لكم دوني. «أجري»؛ أي: ثواب عملي. «شهيد»؛ أي: عليم به فيعلم ما يلحقني من أذاكم.[١]

يجوز أن يريد بالأجر ما أراد في قوله: «قل ما أسألكم عليه من أجر إلّا من شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً»[٢] و في قوله: «لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى».[٣] لأنّ اتّخاذ السبيل إلى الله و كذلك المودّة في القربى يعود بالنفع عليهم.[٤]

[٤٨] «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ».

«يقذف بالحقّ»؛ أي: يلقيه إلى أنبيائه.[٥]

[٤٩] «قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَ مَا يُعِيدُ».

«جاء الحقّ». و هو أمر الله بالإسلام و التوحيد. و قيل: هو الجهاد بالسيف. «و ما يبدئ الباطل»؛ أي: ذهب الباطل ذهاباً لم يبق منه إبداء و لا إعادة و لا إقبال و لا إدبار. لأنّ الحقّ إذا جاءكم لم يبق للباطل بقيّة. و قيل: إنّ الباطل إبليس لا يبدئ الخلق و لا يعيدهم. و قيل: معناه: ما يبدئ الباطل لأهله [خيراً في الدنيا و لا يعيد] خيراً في الآخرة. و قال الزجّاج: يجوز أن يكون ما استفهاماً في موضع نصب على معنى: و أيّ شيء يبدئ الباطل و أيّ شيء يعيده؟ قال ابن مسعود: دخل رسول الله مكّة و حول البيت ثلاثمائة و ستّون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده و يقول: «جاء الحقّ و ما يبدئ الباطل و ما يعيد».[٦]

«و ما يبدئ الباطل و ما يعيد». الحيّ إمّا أن يبدئ فعلاً أو يعيده. فإذا هلك، لم يبق له إبداء و لا إعادة. فجعلوا قولهم: لا يبدئ و لا يعيد، مثلاً في الهلاك. و المعنى: جاء الحقّ و هلك الباطل.[٧]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦١٩ ـ ٦٢٠.
٢ـ الفرقان (٢٥) / ٥٧.
٣ـ الشورى (٤٢) / ٢٣.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٥٩٠.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٠.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٠.
٧ـ الكشّاف ٣ / ٥٩١.

[٥٠] «قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَ إِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ».

«إن ضللت» عن الحقّ كما تدّعون، فإنّما يرجع وبال ضلالي عليّ. لأنّي مأخوذ به دون غيري. «و إن اهتديت» إلى الحقّ، فبفضل ربّي حيث أوحى إليّ. فله المنّة بذلك.[١]

[٥١] «وَ لَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ».

عن أبي جعفر عليه السلام: يخرج جيشان للسفيانيّ [بعد أن يخرج القائم عليه السلام و][٢] ينتهي إلى البيداء فتأخذ الأرض بأقدامهم. و هو قوله عزّ و جلّ: «و لو ترى» ـ الآية.[٣]

«إذ فزعوا». أي عند البعث. «فلا فوت»؛ أي: فلايفوتني منهم أحد و لاينجو منّي ظالم. «من مكان قريب». يعني القبور. و حيث كانوا فهم من الله قريب لايفوتونه. و الجواب محذوف. أي: لرأيت أمراً عظيماً. و قيل: إذا فزعوا في الدنيا حين رأوا بأس الله عند معاينة الملائكة قبض أرواحهم. و قيل: هو فزعهم يوم بدر حتّى ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فراراً من العذاب و لا رجوعاً إلى التوبة. و عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم. و هو جيش السفيانيّ[٤] الذي يرسله للمدينة فينهبونها ثلاثة أيّام بلياليها ثمّ يخرجون متوجّهين إلى مكّة حتّى إذا كانوا بالبيداء [بعث الله جبرائيل فيقول: يا جبرائيل] اذهب فأبدهم. فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها. و لا يفلت منهم إلّا رجلان من جهينة. فلذلك جاء القول: «و عند جهينة الخبر اليقين». فذلك قوله: «و لو ترى إذ فزعوا» ـ الآية.[٥]

[٥٢] «وَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٠.
٢ـ في النسخة: «حتّى» بدل ما بين المعقوفتين.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٧٨.
٤ـ من هنا إلى آخر الفقرة مأخوذ من رواية أخرى نقله في المصدر عن تفسير الثعلبيّ عن النبيّ صلى الله عليه و آله ثمّ قال: و روى أصحابنا... عن أبي عبدالله و أبي جعفر عليهما السلام مثله.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢١ ـ ٦٢٢.

«آمنّا به»؛ أي: بقيام القائم.[١]

«و قالوا آمنّا به»؛ يعني: بالقائم من آل محمّد. «و أنّى لهم التناوش». قال: إنّهم طلبوا الهدى[٢] من حيث لاينال و قد كان لهم مبذولاً حيث ينال.[٣]

«و قالوا»؛ أي: يقولون ذلك الوقت و هو يوم القيامة أو رؤية البأس، و عند الخسف في حديث السفيانيّ. «آمنّا به و أنّى لهم التناوش»؛ أي: الانتفاع بهذا الإيمان الذي ألجئوا إليه. يعني لاينالون به نفعاً كما لاينال أحد التناوش من مكان بعيد. و قيل: معناه: انّهم طلبوا المردّ إلى الدنيا، فقدْ طلبوا الأمر من حيث لاينال. و لم يرد بعد المكان و إنّما أراد بعد الانتفاع و البعد عن الصواب. أهل الكوفة غير عاصم: «التناؤش» بالمدّ والهمز و الباقون بغير مدّ و لا همز.[٤]

[٥٣] «وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ».

«و قد كفروا»؛ أي: كيف تقبل توبتهم ـ أو يردّون [إلى] الدنيا ـ و قد كفروا بالله من قبل ذلك؟ «و يقذفون بالغيب»؛ أي: يرجمون بالظنّ فيقولون: لا جنّة و لا نار. و هذا أبعد ما يكون من الظنّ. أو معناه: يرمون محمّداً بالظنون من غير يقين. و ذلك قولهم هو ساحر و شاعر و مجنون. و قيل: معناه: يبعّدون أمر الآخرة [و يقولون] لأتباعهم: «هيهات هيهات لما توعدون»[٥].[٦]

«و قد كفروا به من قبل»؛ يعني: بقيام القائم عليه السلام.[٧]

[٥٤] «وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ».

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٧٨.
٢ـ في النسخة: المهديّ.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٢.
٥ـ المؤمنون (٢٣) / ٣٦.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٢.
٧ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٧٨.

«و حيل بينهم »؛ أي: فرّق بينهم و بين مشتهياتهم بالموت الذي حلّ بهـم كـما حـلّ بأمثالهم. و قيل: مشتهاهم هو التوبة أو الايمان أو الردّ إلى الدنيا أو نعيم الجنّة و قد منعوه. «بأشياعهم»؛ أي: بأمثالهم من الكفّار قبلهم أو أهل دينهم من الأمم الماضية، حتّى لم تقبل منهم التوبة عند رؤية العذاب. و قيل: أراد بذلك أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة. «في شكّ» من البعث و النشور. أو: في شكّ من وقوع العذاب بهم. «مريب»؛ أي: مشكّك. كما قالوا عجب عجيب.[١]

«و حيل بينهم و بين ما يشتهون». يعني [أن] لا يعذّبوا.[٢]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٢ ـ ٦٢٣.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٥.

۳۵.
سورة الفاطر

عنه ﷺ: من قرأها يريد بها ما عند الله، دعته ثمانية أبواب الجنّة يدخل من أيّها شاء.[١]

و حديث قراءة الحمدين مرّ آنفاً.[٢]

من كتب منها «إنّ الذين يتلون كتاب الله» ـ الآيتين ـ[٣] في أربع خرق قطن جديدة طاهرة و جعلها في تجارته، نمت و ربحت.[٤]

عنه ﷺ: من قرأ سورة الملائكة، دعته يوم القيامة [ثلاثة من][٥] أبواب الجنّة: ادخل حيث شئت.[٦]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنىٰ وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«فاطر السموات و الأرض»: مبدعهما. من الفطر بمعنى الشقّ. كأنّه شقّ العدم بإخراجهما منه. «رسلاً». أي بين الله و بين أنبيائه و الصالحين من عباده يبلّغون إليهم رسالاته بالوحي

١ـ المصباح / ٥٨٨.

٢ـ هذه عبارة الكفعميّ في المصباح. و قد ذكره المصنّف ﷺ عن المجمع في أوّل سورة سبأ.

٣ـ فاطر (٣٥) / ٢٩ ـ ٣٠.

٤ـ المصباح / ٦٠٩.

٥ـ في النسخة: «أي» بدل ما بين المعقوفتين.

٦ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٤.

و الإلهام و الرؤيا الصادقة. أو بينه و بين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه.[١]

«فاطر السموات و الأرض»: خالقها على غير مثال سبق. حمد نفسه ليعلّمنا كيف نحمده و ليبيّن أنّ الحمد كلّه له. «رسلاً» إلى الأنبياء بالرسالات و الوحي. «أولي أجنحة» ليتمكّنوا من العروج إلى السماء و من النزول إلى الأرض. فمنهم من له جناحان ـ إلى قوله[٢]: ـ و يزيد فيها ما يشاء. و هو قوله: «يزيد في الخلق ما يشاء». قال ابن‌عبّاس: رأى رسول الله ليلة المعراج جبرئيل و له ستّمائة جناح. و قيل: يزيد في الخلق حسن الصوت و ملاحة العينين.[٣]

فإن قلت: قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كلّ شقّ نصفه. فما صورة الثلاثة؟ قلت: لعلّ الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوّة. أو لعلّه لغير الطيران. فقد روي أنّ صنفاً من الملائكة لهم ستّة أجنحة، فجناحان يلفّون بهما أجسادهم، و جناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله، و جناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله.[٤]

و قد رأى رسول الله جبرئيل و له ستّمائة جناح على ساقة الدرّ مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء و الأرض. و قال: إذا أمر الله ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا، صارت رجله اليمنى في السماء السابعة و الأخرى في الأرضين السابعة. و إنّ لله ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عينه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير. و قال: إنّ الملائكة يعيشون بنسيم العرش.[٥]

[٢] «مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَ مَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

و في قوله: «ما يفتح الله للناس من رحمة» قال: المتعة من ذلك.[٦]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «ما يفتح الله للناس من رحمة» قال: هي ما أجرى الله

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦٧.
٢ـ أي قول قتادة.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٥ ـ ٦٢٦.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٥٩٥.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٦.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٧.

على لسان النبيّ.[١] لأنّه رحمة من الله فتح بها على الناس، لأنّه لاينطق عن الهوى و كذا أهل بيته عليهم السلام.

«من رحمة». أي كمطر أو عافية أو أيّ نعمة شاء. و قيل: معناه: ما يرسل الله إلى عباده من رسول في وقت دون وقت، فلا مانع له. لأنّ إرسال الرسل رحمة. كما قال: «و ما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين».[٢] و ما يمسكه في زمان الفترة، أو عمّن يقترحه من الكفّار، فلا مرسل له.[٣]

«فلا ممسك لها». أنّث الضمير الراجع إلى «ما» ثمّ ذكّره، حملاً على المعنى و اللّفظ. فأنّث على معنى النعمة و ذكّر على أنّ اللّفظ لا تأنيث فيه.[٤]

[٣] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ».

«اذكروا» نعمة الله عليكم الظاهرة و الباطنة. «هل من خالق». استفهام تقرير لهم و معناه النفي من السماء بالمطر و من الأرض بالنبات. و في جواز إطلاق لفظ الخالق على غير [الله] تعالى خلاف، فقيل بالجواز و عدمه. و على الثاني معناه: لا خالق يرزق و يخلق. «لا إله إلّا هو»؛ أي: لا معبود يستحقّ العبادة إلّا هو. «فأنّى تؤفكون»؛ أي: كيف تصرفون عن [طريق] الحقّ إلى الضلال؟ أو: أنّى يعدل بكم عن هذه الأدلّة التي أقمتها لكم على التوحيد مع وضوحها؟ أهل الكوفة غير عاصم: «غير الله» بالجرّ، و الباقون بالرفع إمّا على أنّه خبر المبتدأ، أو على أنّه صفة على الموضع و الخبر مضمر، تقديره: هل خالق في الوجود غير الله أو في العالم؟[٥]

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٧٨ ـ ٤٧٩. و فيه: «لسان الإمام». و ما يأتي بعده في المتن مأخوذ من شرح الحديث في المصدر.

٢ـ الأنبياء (٢١) / ١٠٧.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٦.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٥٩٦ ـ ٥٩٧.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٦ و ٦٢٥.

[٤] «وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ».

«ترجع الأمور» فيجازي من كذّب رسله.(١)

فإن قلت: ما وجه صحّة جزاء الشرط؟ و من حقّ الجزاء أن يتعقّب الشرط و هذا سابق له. قلت: معناه: و إن يكذّبوك، فتأسّ بتكذيب الرسل من قبلك. فوضع السبب موضع المسبّب.(٢)

[٥] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ».

«وعد الله» من المعاد و الجنّة و النار. «فلاتغرّنّكم الحياة الدنيا» بملاذّها. «الغرور». و هو الذي عادته أن يغرّ غيره. و الدنيا بزينتها بهذه الصفة. لأنّ الخلق يغترّون بها. و قيل: الغرور الشيطان.(٣)

[٦] «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ».

«فاتّخذوه عدوّاً»؛ أي: فلاتتّبعوه بأن تعملوا على وفق مراده و تذعنون لانقياده. «السعير»؛ أي: النار المستعرة.(٤)

[٧] «الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ».

[٨] «أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٦.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٥٩٨.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٦.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٨ ـ ٦٢٩.

«أفمن زيّن». قال: نزلت في زريق و حبتر.(١)

«زيّن له سوء عمله» بأن غلب وهمه و هواه على عقله حتّى انتكس رأيه فرأى الباطل حقّاً و القبيح حسناً كمن لم يزيّن له؟ فحذف الجواب لدلالة قوله: «فإنّ الله يضلّ من يشاء». و قيل: تقديره: ذهبت نفسك عليهم حسرة؟ فحذف الجواب لدلالة: «فلاتذهب نفسك عليهم حسرات». و جمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم أو كثرة مساوئ أفعالهم.(٢)

«سوء عمله». يعني الكفّار زيّنت لهم نفوسهم أعمالهم السيّئة فتصوّروها حسنة أو زيّنها الشيطان لهم. و خبر قوله: «أفمن زيّن» محذوف. أي: كمن علم الحسن و القبيح و عمل بما علم و لم يزيّن [له] سوء عمله؟ و قيل: تقديره: كمن هداه الله؟ و قيل: كمن زيّن له صالح عمله؟ «فلاتذهب نفسك»؛ أي: لاتهلك ـ يا محمّد ـ نفسك [عليهم] حسرة و لايغمّك حالهم إذ كفروا و استحقّوا العقاب. و الحسرة: شدّة الحزن [على ما فات من الأمر]. أبوجعفر: «فلاتذهب» بضمّ التاء «نفسك» بالنصب.(٣)

[٩] «وَ اللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذٰلِكَ النُّشُورُ».

ثمّ احتجّ الله على الزنادقة و الدهريّة فقال: «الله الذي يرسل السحاب» ـ الآية.(٤)

«فتثير سحاباً»؛ أي: تهيجه من حيث هو. «فسقناه»: السحاب. «إلى بلد ميّت» قحط و جدب لم يمطر، فأحيينا بذلك المطر و الماء الأرض. «كذلك النشور»؛ أي: كما فعل بهذه الأرض الجدبة من إحيائها بالزرع و النبات، ينشر الخلائق بعد موتهم و يحشرهم للجزاء.(٥)

١ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٢٠٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦٨.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٨ و ٦٢٧.
٤ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٢٠٧.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٨.

ابن كثير و حمزة و الكسائيّ: «أرسل الريح». «كذلك النشور». أي في صحّة المقدوريّة. و قيل: في كيفيّة الإحياء. فإنّه تعالى يرسل ماء من تحت العرش ينبت منه أجساد الخلق.[١]

[١٠] «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ».

«من كان يريد العزّة». [قيل: المعنى: من كان يريد علم العزّة] ـ و هي القدرة على القهر و الغلبة ـ لمن هي، فإنّها لله جميعاً. أو: من أراد العزّة، فليتعزّز بطاعة الله. [فإنّ الله تعالى] يعزّه. يعني أنّ قوله: «فللّه العزّة» معناه الدعاء إلى طاعة من له العزّة. كما يقال: من أراد المال، فالمال لفلان؛ أي: فليطلبه من عنده. كما روي عنه ﷺ قال: إنّ ربّكم يقول كلّ يوم: أنا العزيز. فمن أراد عزّ الدارين، فليطع العزيز. «إليه يصعد الكلم الطيّب». المراد من الصعود هنا القبول من صاحبه و الإثابة عليه. و كلّ ما يتقبّل الله من الطاعات، يوصف بالرفع و الصعود. لأنّ الملائكة يكتبون أعمال بني آدم و يرفعونها إلى حيث شاء الله. و هذا كقوله: «إنّ كتاب الأبرار لفي علّيّين».[٢] و قيل: معنى «إليه يصعد»: إلى سمائه و إلى حيث لايملك الحكم سواه. و الكلم الطيّب الكلمات الحسنة، و أحسنها: لا إله إلّا الله. «و العمل الصالح يرفعه»؛ أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيّب إلى الله. فالهاء من يرفعه يعود إلى الكلم. أو يكون على القلب من المعنى الأوّل. أي: العمل الصالح يرفعه الكلم الطيّب. فيكون ابتداء إخبار لايتعلّق بما قبله. «يمكرون السيّئات»؛ أي: يعملون السيّئات. و قيل: «يمكرون»؛ أي: يشركون بالله. و قيل: الذين مكروا برسول الله في دار الندوة. «يبور»؛ أي: يفسد و يهلك.[٣]

«إليه يصعد الكلم الطيّب». قال: كلمة الإخلاص و الإقرار بما جاء من عند الله من الفرائض و الولاية يرفع العمل الصالح إلى الله. و عنه ﷺ: انّ لكلّ قول مصداقاً من عمل يصدّقه و يكذّبه. فإذا قال ابن آدم و صدّق قوله بعمله، رفع قوله بعمله. و إذا قال و خالف

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

٢ـ المطفّفين (٨٣) / ١٨.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٢٨ ـ ٦٢٩.

عمله قوله، ردّ قوله على عمله الخبيث.[١]

«من كان يريد العزّة». كان الكافرون يتعزّزون بالأصنام. كما قال عزّ و جلّ: «و اتّخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّاً».[٢] والذين آمنوا بألسنتهم [من] غير مواطاة قلوبهم، كانوا يتعزّزون بالمشركين؛ كما قال: «الذين يتّخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة فإنّ العزّة لله جميعاً».[٣] فبيّن أن لا عزّة إلّا لله و لأوليائه و قال: «و لله العزّة و لرسوله و للمؤمنين».[٤] و المعنى: فليطلبها من عند الله. و معنى «جميعاً» أنّ عزّة الدنيا و الآخِرة لله تعالى.[٥]

«إليه يصعد الكلم». بيان لما يطلب به العزّة و هو التوحيد و العمل الصالح. و المستكنّ في «يرفعه» للكلم. [و قيل: الكلم] الطيّب يتناول الذكر و الدعاء و قراءة القرآن. «يمكرون السيّئات»: المكرات السيّئات. يعني مكرات قريش للنبيّ في دار الندوة و تداورهم الرأي في إحدى ثلاث حبسه و قتله و إجلائه.[٦]

«و مكر أولئك هو يبور». مكر قريش برسول الله ﷺ ثلاث مكرات. كما قال سبحانه: «و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك».[٧] وقد أوقع الله مكرهم بهم حين أخرجهم من مكّة و قتلهم ببدر و أثبتهم في القليب.[٨] فمكر الله بهم لم يبر و إنّما أبار الله مكرهم.

[١١] «وَ اللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثىٰ وَ لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَ مَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٨.
٢ـ مريم (١٩) / ٨١.
٣ـ النساء (٤) / ١٣٩.
٤ـ المنافقون (٦٣) / ٨.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٦٠٢.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦٩.
٧ـ الأنفال (٨) / ٣٠.
٨ـ الكشّاف ٣ / ٦٠٣.

«خلقكم من تراب». دليل آخر على التوحيد. أي: خلق آباءكم منه. و قيل: أراد به آدم نفسه. «أزواجاً»؛ أي: ذكوراً و إناثاً. و قيل: ضروباً و أصنافاً. «إلّا بعلمه»؛ أي: هو عالم به. «و مايعمّر من معمّر»؛ أي: لايطول عمر أحد، و لاينقص من عمر ذلك المعمّر بانقضاء الأوقات عليه؛ يعني: و لايذهب بعض عمره بانقضاء اللّيل و النهار. و قيل: معناه: و لاينقص من عمر غير ذلك المعمّر. و قيل: هو ما يعلمه الله أنّ فلاناً لو أطاع لبقي إلى وقت كذا و إذا عصى نقص عمره فلايبقى. فالنقصان على ثلاثة أوجه؛ إمّا أن يكون من عمر المعمّر، أو من عمر معمّر آخر، أو يكون بشرط. عن يعقوب: «و لاينقص» بفتح الياء. «إلّا في كتاب»؛ أي: يثبت في كتاب؛ و هو اللّوح المحفوظ أثبته الله قبل كونه. قال ابن‌جبير: مكتوب في أمّ الكتاب عمر فلان كذا سنة، ثمّ يكتب أسفل ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، ذهب ثلاثة أيّام؛ حتّى يأتي على آخر عمره. «إنّ ذلك»؛ أي: تعمير من يعمّره و نقصان من ينقصه و إثبات ذلك سهل على الله.[١]

«و لاينقص من عمره»؛ أي: من عمر المعمّر لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره.[٢]

«إلّا في كتاب». يعني يكتب في كتاب. و هو ردّ على من ينكر البداء.[٣]

[١٢] «وَ مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَ هٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«و مايستوي البحران». ضرب مثل للمؤمن و الكافر. «و من كلّ تأكلون لحماً». استطراد في صفة البحرين و ما فيهما من النعم، أو تمام التمثيل، و هو أن يشبّه الجنسين بالبحرين ثمّ يفضّل البحر الأجاج على الكافر بأنّه قد شارك العذب في منافع من السمك و

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٠ ـ ٦٣١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦٩.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٨.

اللّؤلؤ و جري الفلك فيه و الكافر خلو من المنافع. فهو في طريقة قوله تعالى: «ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة» ـ الآية.[١] «لحماً طريّاً». هو السمك. «حلية»: اللّؤلؤ و المرجان. «و ترى الفلك فيه»؛ أي: في كلّ. «مواخر»: شواقّ للماء بجريها. يقال: مخرت السفينة الماء. و السفن ـ و هو القشر ـ الذي اشتقّت منه السفينة، قريب من المخر لأنّها تسفن الماء كأنّها تقشره كما تمخره.[٢]

«البحران». يعني العذب و المالح. «فرات»؛ أي: بارد. «سائغ» في الحلق «شرابه». «أجاج»: شديد الملوحة.[٣]

[١٣] «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ».

«يولج اللّيل في النهار»؛ أي: يدخل أحدهما في الآخر بالزيادة و النقصان. «و سخّر الشمس و القمر»؛ أي: يجريهما كما يريد. «لأجل مسمًّى»؛ أي: لوقت معلوم. «ذلكم الله»؛ أي: مدبّر هذه الأمور هو الله. «و الذين تدعون من دونه»؛ أي: تدعونهم آلهة من الأصنام و الأوثان و تعبدونهم. «قطمير»؛ أي: قشر نواة. يعني: لا يقدرون على كثير و لا قليل.[٤]

«قطمير». و ذلك أنّ المشركين كانوا معترفين بأنّ الأصنام ليسوا خالقين و إنّما كانوا يقولون إنّه تعالى فوّض أمور الأرضيّات إلى الكواكب. فأخبر الله أنّهم لا يملكون من قطمير.[٥]

١ـ البقرة (٢) / ٧٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠، و الكشّاف ٣ / ٦٠٥.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣١.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣١.

٥ـ تفسير النيسابوريّ ٢٢ / ٨١.

[١٤] «إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ».

«إن تدعوهم» لكشف ضرّ «لايسمعوا دعاءكم». لأنّها جماد لاتضرّ و لاتنفع. «و لو سمعوا» بأن يخلق الله لهم سمعاً. «و يوم القيامة يكفرون بشرككم»؛ أي: يتبرّؤون عن عبادتكم. ينطقهم الله يوم القيامة لتوبيخ عابديها فيقولون: لم عبدتمونا و مادعوناكم إلى ذلك؟ و يجوز أن يكون المراد به الملائكة و عيسى و يكون معنى قوله: «لايسمعوا دعاءكم» أنّهم مشتغلون عنهم لايلتفتون إليهم. «و لاينبّئك»؛ أي: لايخبرك بما فيه الصلاح و الفساد مثل الله سبحانه العليم بالأشياء كلّها.(١)

«لو سمعوا». أي على سبيل الفرض و التقدير. «لما استجابوا لكم». لأنّهم لايدّعون ما تدّعون لهم من الإلهيّة و يتبرّؤون منها. و قيل: ما نفعوكم.(٢)

«بشرككم»؛ أي: بإشراككم لهم و عبادتكم إيّاهم يقولون: ماكنتم إيّانا تعبدون.(٣)

[١٥] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ».

إنّما عرّف «الفقراء» ليريهم أنّهم لشدّة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء و إن كانت الخلائق من الناس و غيرهم مفتقرين إليه. لأنّ الفقر ممّا يتبع الضعف و كلّما كان الفقير أضعف يكون أفقر. و قد شهد سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله: «و خلق الإنسان ضعيفاً».(٤) و لو نكّر لكان المعنى: أنتم بعض الفقراء. فإن قلت: قوبل الفقراء بالغنيّ. فما معنى الحميد؟ قلت: لمّا أثبت غناه عنهم، و ليس كلّ غنيّ نافعاً بغناه إلّا إذا كان الغنيّ جواداً منعماً و إذا جاد و أنعم استحقّ [الحمد]، ذكر الحميد ليدلّ على أنّه الغنيّ النافع بغناه المنعم المستحقّ للحمد.(٥)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣١.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٦٠٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٠.
٤ـ النساء (٤) / ٢٨.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٦٠٦.

«هو الغنيّ». أي [عن] عبادتكم.[١]

[١٦ ـ ١٧] «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَ مَا ذٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ».

ثمّ أخبر عن كمال قدرته فقال: «إن يشأ يذهبكم» إلى قوله: «بعزيز»؛ أي: ممتنع.[٢]

«إن يشأ يذهبكم». غضب عليهم لاتّخاذهم الأنداد. كما قال: «و إن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم».[٣] يعني [يخلق بعدكم] من لايشرك به شيئاً.[٤]

[١٨] «وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبىٰ إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ مَنْ تَزَكّٰى فَإِنَّمَا يَتَزَكّٰى لِنَفْسِهِ وَ إِلَى اللهِ الْمَصِيرُ».

«و لاتزر وازرة». و أمّا التوفيق بينها و بين قوله سبحانه: «و ليحملنّ أثقالهم و أثقالاً مع أثقالهم»[٥] فتلك الآية في الضالّين المضلّين و أنّهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم و ذلك كلّه أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم. ألاترى كيف كذّبهم الله في قولهم: «اتّبعوا سبيلنا و لنحمل خطاياكم و ما هم بحاملين من خطاياهم من شيء».[٦] فإن قلت: ما الفرق بين قوله: «و لاتزر وازرة» و معنى «و إن تدع مثقلة»؟ قلت: الأوّل في الدلالة على عدل الله في حكمه و أنّه لايؤاخذ نفساً بغير ذنبها، و الثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث و إن استغاث بأقاربه من أب و أخ. «و لو كان». الضمير فيه راجع إلى المدعوّ المفهوم من قوله: «وإن تدع مثقلة». و ترك ذكر المدعوّ ليعمّ و يشمل كلّ مدعوّ. «بالغيب». حال من الفاعل أو المفعول. أي: يخشون ربّهم غائبين من عذابه. أو: يخشون عذابه غائباً عنهم. و هذه صفة أصحاب الرسول. «و من تزكّى»؛ أي: تطهّر بفعل الطاعات و ترك

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣١ ـ ٦٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٢.
٣ـ محمّد صلى الله عليه و آله (٤٧) / ٣٨.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٦٠٦.
٥ـ العنكبوت (٢٩) / ١٣.
٦ـ العنكبوت (٢٩) / ١٢.

المعاصي. فإن قلت: كيف اتّصل قوله: «إنّما تنذر» بما قبله؟ قلت: لمّا غضب عليهم في قوله: «إن يشأ يذهبكم» أتبعه الإنذار بيوم القيامة و ذكر أهوالها.(١)

ثمّ أخبر عن عدله فقال: «و لاتزر وازرة»؛ أي: لاتحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى بأن يؤاخذ أحد بذنب غيره. «و إن تدع مثقلة»؛ أي: إن تدع مثقلة بالآثام غيرها إلى أن تحمل عنها شيئاً من إثمها، لاتحمل منه شيء. و لو كان المدعوّ إلى التحمّل ذا قرابة، ما حمل عنها شيئاً. «كلّ نفس بما كسبت رهينة».(٢) قال ابن‌عبّاس: يقول الأب و الأمّ: يا بنيّ احمل عنّي. فيقول: حسبي ما عليّ. «بالغيب»؛ أي: [و] هم غائبون عن الآخرة. و هذا كقوله: «إنّما أنت منذر من يخشاها».(٣) و المعنى: انّ إنذارك لاينفع إلّا الذين يخشون ربّهم. فكأنّك تنذرهم دون غيرهم ممّن لاينفعهم الإنذار. و قيل: الذين يخشون ربّهم في خلواتهم عن الخلق. «و أقاموا الصلوة»؛ أي: أداموها و قاموا بشرائطها. و إنّما عطف الماضي بالمستقبل إشعاراً باختلاف المعنى. لأنّ الخشية لازمة في كلّ [وقت] و الصلاة لها أوقات مخصوصة. «و من تزكّى»؛ أي: قام بما يجب عليه من الزكاة و غيرها من الواجبات ـ و قيل: ـ تطهّر من الآثام ـ فلايصل جزاؤه إلّا إليه.(٤)

«مثقلة»؛ أي: نفس أثقلها الأوزار. «إلى حملها»: تحمّل بعض أوزارها. «لايحمل»؛ أي: لم يجب لحمل شيء منه. نفى أن يحمل عنها ذنبها كما نفى أن يحمل [ذنب] غيرها.(٥)

[١٩] «وَ مَا يَسْتَوِي الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ».

«و مايستوي الأعمى و البصير». عن ابن‌عبّاس قال: الأعمى أبوجهل. و البصير أميرالمؤمنين.(٦)

«الأعمى». أي عن طريق الحقّ. «و البصير»: الذي اهتدى إليه. و قيل: المشرك و

١ـ الكشّاف ٣ / ٦٠٦ ـ ٦٠٧.
٢ـ المدّثّر (٧٤) / ٣٨.
٣ـ النازعات (٧٩) / ٤٥.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧١.
٦ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٨٠.

المؤمن.[١]

[٢٠] «وَ لَا الظُّـلُمَاتُ وَ لَا النُّورُ».

«و لا الظلمات و لا النور»؛ أي: ظلمات الشرك و نور الإيمان. و في قوله: «و لا النور» و ما بعده من زيادة «لا» قولان: أحدهما زيادة مؤكّدة للنفي، و الثاني أنّها نافية لاستواء كلّ واحد منها لصاحبه على التفصيل.[٢]

«و لا الظلمات و لا النور». فالظلمات أبوجهل. و النور أميرالمؤمنين.[٣]

[٢١] «وَ لَا الظِّلُّ وَ لَا الْحَرُورُ».

«و لا الظلّ و لا الحرور». [الظلّ] ظلّ أميرالمؤمنين في الجنّة. «و لا الحرور». يعني جهنّم لأبي جهل.[٤]

«و لا الظلّ و لا الحرور». يعني الجنّة و النار. أو: ظلّ اللّيل و السموم بالنهار.[٥]

[٢٢] «وَ مَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَ لَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَ مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ».

[ثمّ] جمعهم جميعاً فقال: «و ما يستوي الأحياء و لا الأموات». فالأحياء عليّ و حمزة و جعفر و فاطمة و الحسن و الحسين و خديجة، و الأموات [كفّار] مكّة.[٦]

«و ما يستوي الأحياء و لا الأموات». يعني المؤمنين و الكافرين، أو العلماء و الجهّال. و قيل: أراد نفس الأعمى و البصير و الظلّ و الحرور و الظلمات و النور على طريق المثل. أي كما لايستوي هذه الأشياء و لاتتشابه، فكذلك عبادة الله لاتشبه عبادة غيره و لايستوي المؤمن و الكافر و الحقّ و الباطل و العالم و الجاهل. «يسمع من يشاء»؛ أي: ينفع بالإسماع

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٣.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٣.

٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٨٠، عن ابن عبّاس.

٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٨٠، عن ابن عبّاس.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٣.

٦ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٨٠، عن ابن عبّاس.

من يشاء أن يلطف له و يوفّقه. «و ما أنت بمسمع». لم يرد به نفي حقيقة الإسماع، لأنّهم كانوا يسمعون آيات الله. «من في القبور»؛ أي: إنّك لاتقدر أن تنفع الكفّار بإسماعك إيّاهم إذ لم يقبلوا كما لاتسمع من في القبور من الأموات.(١)

«يسمع من يشاء». يعني أنّه قد علم من يدخل في الإسلام ممّن لايدخل فيه فيهدي الذي قد علم أنّ الهداية تنفع فيه و يخذل من علم أنّها لاتنفع فيه. و أمّا أنت، فخفيّ عليك أمرهم، فلذلك تحرص على إسلام قوم من المخذولين. مثلك في ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين و ذلك ما لا سبيل إليه. و يحتمل أن يكون معناه انّ الله يسمع من يشاء و انّه قادر على أن يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر و الإلجاء و غيرهم على وجه الهداية و التوفيق. و أمّا أنت، فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى.(٢)

[٢٣] «إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ».

[٢٤] «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ».

«أرسلناك بالحقّ»؛ أي: بالدين الصحيح، مبشّراً للمؤمنين مخوّفاً للكافرين. «و إن من أمّة»؛ أي: ليس من أمّة من الأمم الماضية إلّا مضى فيها «نذير»؛ أي: مخوّف. فأنت مثلهم.(٣)

«و إن من أمّة إلّا خلا فيها نذير». قال: لكلّ زمان إمام.(٤)

[٢٥] «وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ».

قال سبحانه تسلية لنبيّه ﷺ: «و إن يكذّبوك فقد كذّب الذين من قبلهم» من الكفّار أنبياء أرسلهم الله إليهم. «بالبيّنات»؛ أي: بالمعجزات الظاهرات. «و بالزبر»؛ أي: بالكتب «و بالكتاب المنير»: الواضح البيّن. و إنّما كرّر ذكر الكتاب و عطفه على الزبر لاختلاف الصفتين.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٣.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٦٠٨.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٣ ـ ٦٣٤.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠٩.

فإنّ الزبور أثبت في الكتابة من الكتاب. لأنّه يكون منقّراً منقّشاً فيه كالنقش في الحجر.[١]
«و بالزبر»: الصحف. «و بالكتاب المنير» نحو التوراة و الإنجيل و الزبور.[٢]

[٢٦] «ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ».

«نكير»؛ أي: إنكاري عليهم و إنزالي العقاب بهم.[٣]

[٢٧] «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَ مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبُ سُودٌ».

«ألم تر أنّ الله أنزل». عاد إلى ذكر دلائل التوحيد. «ماء»؛ أي: غيثاً و مطراً. «مختلفاً ألوانها» و طعومها و روائحها. اقتصر على ذكر الألوان لأنّها أظهر. «و من الجبال جدد»؛ أي: و ممّا خلقنا من الجبال طرق بيض و طرق حمر. و من الجبال «غرابيب سود» على لون واحد لا خطط فيها. و هذا على التقديم و التأخير. تقديره: سود غرابيب. لأنّه يقال: أسود غربيب، و أسود حالك. و ينبغي أن يكون سود عطف بيان يبيّن غرابيب به. و الأجود أن يكون تأكيداً؛ إذ الغرابيب لايكون [إلّا] سوداً، و هذا أولى من أن يحمل على التقديم و التأخير. الغربيب: الشديد السواد الذي يشبه لون الغراب.[٤]

«مختلفاً ألوانها»: أجناسها من الرمّان و التفّاح و التين و العنب و غيرهما ممّا لايحصر. أو: هيآتها من الحمرة و الصفرة و الخضرة و نحوها. والجدد: الخطط والطرائق.[٥]

[٢٨] «وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ».

«مختلف ألوانه»؛ أي: خلق مختلف ألوانه. «كذلك»؛ أي: كاختلاف هذه الثمرات و الجبال.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٤.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٦٠٩.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٤.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٥.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٦٠٩.

«العلماء» الذين يعرفونه حقّ معرفته. و عن الصادق عليه السلام يعني بالعلماء من صدّق قوله فعله. و من لم يصدّق فعله قوله، فليس بعالم. و عن ابن عبّاس قال: يريد: إنّما يخافني من خلقي من علم جبروتي و عزّتي و سلطاني. و في الحديث: أعلمكم بالله أخوفكم لله. و إنّما خصّ سبحانه العلماء بالخشية، لأنّ العالم أحذر لعقاب الله من الجاهل حيث يختصّ بمعرفة التوحيد و العدل و يصدّق بالجنّة و النار. و متى قيل: فقد نرى من العلماء من لايخاف الله و يرتكب المعاصي، فالجواب أنّه لابدّ أن يخافه مع العلم به و إن كان يؤثر المعصية عند غلبة الشهوة لعاجل اللذّة. «عزيز» في انتقامه من أعدائه. «غفور» لزلّات أوليائه.[١]

«إنّما يخشى الله من عباده العلماء». المراد به العلماء الذين علموا بصفاته و عدله و توحيده و ما يجوز عليه و ما لايجوز فعظّموه و قدروه حقّ قدره. فإن قلت: ما وجه اتّصال هذا الكلام بما قبله. قلت: لمّا قال: «ألم تعلم أنّ الله أنزل من السماء ماء» و عدّد آيات الله و أعلام قدرته و آثار صنعه و ما خلق من الأجناس و ما يستدلّ به عليه و على صفاته، أتبع ذلك بقوله: «إنّما يخشى الله». كأنّه قال: إنّما يخشاه مثلك و من على صفتك ممّن عرفه حقّ معرفته.[٢]

عن ابن عبّاس في قوله: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء» قال: يعني به عليّاً عليه السلام. كان عالماً بالله و يخشى الله و يعمل بفرائضه و يجاهد في سبيله و يتّبع مرضاته و مرضاة رسوله صلى الله عليه وآله.[٣]

[٢٩] «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَ عَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ».

ثمّ وصف سبحانه العلماء فقال: « إنّ الذين يتلون كتاب الله». أثنى عليهم بقراءة القرآن. «سرّاً و علانية». منصوبان على الحال. أي: أنفقوا مسرّين و معلنين. «يرجون»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٥ ـ ٦٣٦.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٦١٠ ـ ٦١١.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٨٠.

راجين بذلك تجارة لن تكسد و لن تفسد.(١)

«تجارة». التجارة: طلب الثواب بالطاعة.(٢)

[٣٠] «لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ».

و «ليوفّيهم» متعلّق بلن تبور. أي: تجارة ينتفي عنها الكساد و تنفق عند الله ليوفّيهم بنفاقها عنده «أجورهم» و هي ما استحقّوه من الثواب «و يزيدهم» من التفضّل [على] المستحقّ.(٣)

«ليوفّيهم أجورهم»: أي: قصدوا بأعمالهم الصالحة و فعلوها لأن يوفّيهم الله أجورهم «و يزيدهم» على قدر استحقاقهم «من فضله إنّه غفور» لذنوبهم «شكور» لحسناتهم. و عن النبيّ ﷺ: «و يزيدهم من فضله» هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممّن صنع إليه معروفاً في الدنيا. [و] عن الضحّاك قال: يفسح لهم في قبورهم. [و] قيل: معنى شكور أنّه يقبل اليسير و يثيب عليه الكثير. تقول العرب: أشكر من بروقة، و تزعم أنّها شجرة عالية في الورق تغيم السماء فوقها فتخضرّ و تورق من غير مطر.(٤)

[٣١] «وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ».

«بين يديه» من الكتب. لأنّه جاء موافقاً لما بشّرت به تلك الكتب من حاله و حال من أتى به.(٥)

[٣٢] «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٦.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٦١١.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٦١١ ـ ٦١٢.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٦.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٧.

أي: أوحينا إليك القرآن ثمّ أورثناه من بعدك؛ أي: حكمنا بتوريثه. أو قال: «أورثناه» و هو يريد نورثه، لما عليه أخبار الله. «الذين اصطفينا». و هم أمّته من الصحابة و التابعين إلى يوم القيامة. لأنّ الله اصطفاهم على سائر الأمم و جعلهم أمّة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس و اختصّهم بحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله. ثمّ قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم و هو المرجأ لأمر الله و مقتصد و هو الذي خلط عملاً صالحاً و آخر سيّئاً و سابق من السابقين.[١]

«أورثنا الكتاب». يعني القرآن، أو التوراة، أو جنس الكتاب. و الصحيح الأوّل. لأنّ ظاهر لفظ الكتاب لايطلق إلّا على القرآن. و معنى الإرث انتهاء الحكم و مصيره لهم. كما قال: «و تلك الجنّة أورثتموها».[٢] و قيل: معناه: أورثناهم الايمان بالكتب السالفة؛ إذ الميراث انتقال الشيء من قوم إلى قوم. و الأوّل أصحّ. و الذين اصطفى الله، قيل: هم الأنبياء اختارهم الله برسالته و كتبه. و قيل: هم المصطفون الداخلون في قوله: «إنّ الله اصطفى آدم و نوحاً» إلى قوله: «و آل عمران»[٣] يريد بني إسرائيل. لأنّ الأنبياء لايرثون الكتب بل يورث علمهم. و قيل: هم أمّة محمّد أورثهم الله كلّ كتاب. و المرويّ عن الباقر و الصادق عليهما السلام أنّهما قالا: [هي] لنا خاصّة. و إيّانا عنى. و هذا أقرب الأقوال. لأنّهم أحقّ الناس بوصف الاصطفاء و إيراث علم الأنبياء، إذ هم المتعبّدون بحفظ القرآن و بيان حقائقه. «فمنهم». الضمير في منهم يعود إلى العباد. لأنّه لمّا خصّ اصطفاء الكتاب ببعض العباد، بيّن أنّ العباد على أقوام ثلاثة. و قيل: الضمير يعود إلى المصطفين من العباد. عن أكثر المفسّرين. و أمّا أحوال الفرق الثلاث، فقيل: جميعهم ناج؛ لقوله صلى الله عليه و آله: أمّا السابق، فيدخل الجنّة بغير حساب. و أمّا المقتصد، فيحاسب حساباً يسيراً. و أمّا الظالم لنفسه، فيحبس في المقام ثمّ يدخل الجنّة. فهم الذين قالوا: «الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن». و عن عائشة:

١ـ الكشّاف ٣ / ٦١٢.
٢ـ الزخرف (٤٣) / ٧٢.
٣ـ آل عمران (٣) / ٣٣.

السابق الذي أسلم قبل الهجرة. و المقتصد الذي أسلم بعدها. و الظالم نحن. و عن الصادق عليه السلام: الظالم لنفسه منّا من لايعرف حقّ الإمام. والمقتصد من يعرف حقّ الإمام. و السابق بالخيرات هو الإمام. و هؤلاء كلّهم مغفور لهم. و عن أبي جعفر عليه السلام: الظالم لنفسه منّا من عمل صالحاً و آخر سيّئاً. و المقتصد المتعبّد المجتهد. و السابق عليّ و الحسن و الحسين و من قتل من آل محمّد شهيداً. و قيل: الفرقة الظالمة لنفسها غير ناجية و هم أصحاب المشأمة. و المقتصد أصحاب الميمنة. و السابقون المقرّبون من الناس. كما قال سبحانه: «و كنتم أزواجاً ثلاثة».[1] «بإذن الله»: بتوفيقه و لطفه. «ذلك هو الفضل». يعني إيراث الكتاب و اصطفاء الله إيّاهم، هو الفضل العظيم من الله عليهم.[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «ثمّ أورثنا الكتاب» قال: فهم آل محمّد صلى الله عليه وآله صفوة الله. فمنهم ظالم لنفسه؛ و هو الهالك. و منهم مقتصد؛ و هم الصالحون. و منهم سابق بالخيرات؛ فهو عليّ بن أبي طالب. «ذلك هو الفضل الكبير». يعني القرآن.[3]

[٣٣] «جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ».

«جنّات عدن يدخلونها». أبوعمرو: «يدخلونها» بضمّ الياء. تفسير للفضل. أي: هي جنّات عدن. و يجوز أن يكون بدلاً من الفضل. «أساور»: جمع أسورة جمع سوار. «حرير». و هو الإبريسم المحض.[4]

«و لؤلؤ». [عطف على «ذهب».] أي: من ذهب مرصّع باللّؤلؤ. و نصبه نافع و عاصم عطفاً على محلّ «من أساور».[5]

١ـ الواقعة (٥٦) / ٧.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٧ ـ ٦٣٩.

٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٧ و ٦٣٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٣.

[٣٤] «وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ».

عن أبي‌ذرّ قال: رأيت سلمان و بلال يقبلان [إلى] النبيّ، إذ انكبّ سلمان على قدمه يقبّلها. فزجره عن ذلك ثمّ قال: يا سلمان، لاتصنع بي ما تصنع الأعاجم بملكوها. أنا عبد من عبيد الله آكل كما يأكل العبيد و أقعد كما يعقد العبيد. فقال له سلمان: يا مولاي، أخبرني بفضل فاطمة يوم القيامة. فوصف ﷺ مجيئها إلى عرصات القيامة و ما أكرمها الله به و قال: فإذا دخلت الجنّة، قرأت: «الحمد لله» ـ الآية. ثمّ تقول: يا ربّ أسألك ألّاتعذّب محبّي و محبّ عترتي. فيقول: نعم.[١]

«الحمد لله». أخبر سبحانه عن حالهم [أنّهم] إذا دخلوا الجنّة يقولون: «الحمد لله» اعترافاً منهم بنعمته لا على وجه التكليف. «الحزن»: الغمّ [الذي كانوا عليه في دار] الدنيا، أو الذي أصابهم قبل دخول الجنّة. لأنّهم كانوا يخافون دخول النار لاستحقاقهم له، فإذا تفضّل الله عليهم و أسقط عنهم عقابهم و أدخلهم الجنّة، حمدوه على ذلك و شكروه. «شكور»: يقبل اليسير من محاسن أعمالهم. و قيل: إنّ شكره سبحانه هو مكافاتهم على الشكر له.[٢]

[٣٥] «الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ».

«دار المقامة»؛ أي: دار الخلود. «نصب»؛ أي: مشقّة. «لغوب»: إعياء و متعبة في طلب المعاش.[٣]

[٣٦] «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ».

«لايقضى عليهم» بالموت «فيموتوا» فيستريحوا. «كذلك»؛ أي: مثل هذا العذاب.

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٨٤ ـ ٤٨٥.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٣٩.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤٠.

«كفور»: كثير الكفران مكذّب لأنبياء الله.[١]

«نجزي». أبوعمرو: «يجزىٰ» على بناء المفعول و إسناده إلى كلّ.[٢]

[٣٧] «وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ».

«يصطرخون»: يتصايحون بالاستغاثة يقولون: «ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً»: نؤمن بدل الكفر. يعني إلى الدنيا لنعمل بالطاعات. «أ و لم نعمّركم»؛ أي: ألم نعطكم من العمر مقدار ما يمكن أن يتفكّر و يعتبر و ينظر في عواقب حاله من يريد أن ينظر و يتفكّر؟ و هذا العمر هو ستّون سنة؛ كما هو المرويّ عن أميرالمؤمنين عليه السلام. و عن ابن‌عبّاس: أربعون سنة. و عن الباقر عليه السلام: هو توبيخ لابن‌ثماني عشرة سنة. «و جاءكم النذير». و هو محمّد صلى الله عليه وآله. و قيل: القرآن. و قيل: الشيب. و قيل: النذير الحمّى، أو موت الأهل و الأقارب، أو كمال العقل. «من نصير» يدفع العذاب عنهم.[٣]

«جاءكم النذير». معطوف على معنى «أ و لم نعمّركم» فإنّه للتقرير. كأنّه قيل: و عمّرناكم و جاءكم النذير.[٤]

[٣٨] «إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

«عليم بذات الصدور». فلاتضمروا في أنفسكم ما يكرهه سبحانه.[٥]

«عليم بذات الصدور». تعليل لما قبله. لأنّه إذا علم مضمرات الصدور ـ و هي أخفى ما يكون ـ كان أعلم بغيره.[٦]

[٣٩] «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ لَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٤.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤١ ـ ٦٤٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٤.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤٢.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٤.

كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَ لَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً».

أي: جعلكم ـ معاشر الكفّار ـ أمّة بعد أمّة و قرناً بعد قرن أو خلفاء القرون الماضية بأن أوجدكم بعدهم و أورثكم ما كان لهم. «إلّا مقتاً»؛ أي: أشدّ البغض. «إلّا خساراً»؛ أي: خسراناً و هلاكاً.(١)

«و لايزيد الكافرين». التكرير للدلالة على أنّ اقتضاء الكفر لكلّ واحد من الأمرين مستقلّ باقتضاء قبحه و وجوب التجنّب عنه.(٢)

[٤٠] «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً».

«شركاءكم». أضافها إليهم لأنّهم جعلوهم شركاء لله أو لأنفسهم فيما يملكونه. «أروني ماذا خلقوا». بدل من «أرأيتم» بدل اشتمال لأنّه بمعنى أخبروني. «يعد الظالمون بعضهم». و هو تغرير الأسلاف الأخلاف أو الرؤساء الأتباع بأنّهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرّب إليه.(٣)

«أروني ماذا خلقوا من الأرض»؛ أي: أخبروني ـ أيّها المشركون ـ عن الأوثان الذين أشركتموهم مع الله في العبادة: بأيّ شيء أوجبتم لهم أن يكونوا شركاء في العبادة؟ أبشيء خلقوا من الأرض؟ «أم لهم شرك في السموات»؛ أي: شركة في خلقها. «أم آتيناهم كتاباً»؛ أي: أنزلنا عليهم كتاباً يصدّق دعواهم الشرك فهم على دلالات واضحات من ذلك الكتاب. و قيل: أم آتيناهم كتاباً بأنّ الله لايعذّبهم على كفرهم فهم واثقون به؟ «بل إن يعد الظالمون». معناه: ليس شيء من ذلك [لكن ليس] يعد بعض الظالمين بعضاً إلّا غروراً لا حقيقة له يغرّونهم فيه. ابن‌كثير و حفص و حمزة: «على بيّنة» بالتوحيد. و الباقون: «بيّنات»

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

بالجمع.(١)

[٤١] «إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَ لَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً».

ثمّ أخبر سبحانه عن عظم قدرته و سعة ملكه فقال: «إنّ الله يمسك السموات و الأرض» من غير علاقة فوقها و لا عماد تحتها «أن تزولا»؛ أي: لئلّاتزولا. «و لئن زالتا»؛ أي: و إن قدّر أن تزولا عن مراكزهما، لايقدر على إمساكهما «أحد من بعده»؛ أي: من بعد الله، أو من بعد زوالهما.(٢)

[٤٢] «وَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً».

«و أقسموا بالله»؛ أي: كفّار مكّة حلفوا بالله قبل أن يأتيهم محمّدﷺ بأيمان غليظة غاية وسعهم و جهدهم لئن جاءهم رسول مخوّف من جهة الله تعالى، «ليكوننّ أهدى» إلى قبول قوله «من إحدى الأمم» الماضية. يعني اليهود و النصارى و الصابئين. فلمّا جاءهم محمّد «ما زادهم» مجيئه «إلّا نفوراً»؛ أي: تباعداً عن الحقّ.(٣)

«و أقسموا». بلغ قريشاً قبل مبعث رسول الله أنّ أهل الكتاب كذّبوا رسلهم، فقالوا: لعن الله اليهود و النصارى. أتتهم الرسل فكذّبوهم. فوالله لئن أتانا رسول «لنكوننّ أهدى من إحدى الأمم». فلمّا بعث رسول الله، كذّبوه. و في «إحدى الأمم» وجهان. أحدهما: من بعض الأمم و من واحدة من الأمم من اليهود و النصارى و غيرهم. و الثاني: من الأمّة التي يقال فيها هي إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى و الاستقامة.(٤)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤٢ و ٦٤٠.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤٤.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤٤ ـ ٦٤٥.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٦١٨.

«إحدى الأمم». يعني الذين هلكوا.[١]

[٤٣] «اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً».

«استكباراً». مفعول له. أو مصدر. أي: استكبروا في الأرض استكباراً. و [يجوز] أن يكون حالاً؛ أي: مستكبرين في الأرض، أو يكون بدلاً من «نفوراً». أي: ما زادهم مجيء النذير إلّا استكباراً في الأرض؛ أي: تجبّراً و عتوّاً و أنفة من أن يكونوا تبعاً لغيرهم في الأرض. «و مكر السيّئ»؛ أي: مكروا المكر السيّئ. و هو المكر برسول الله و بأهل دينه. «و لايحيق»؛ أي: لاينزل جزاء المكر السيّئ إلّا بمن فعله. فهل ينتظرون إلّا عادة الله في الأمم الماضية أن يهلكهم الله إذا كذّبوا الرسل و ينزل عليهم العذاب؟ «فلن تجد» يا محمّد «لسنّة الله تبديلاً»؛ أي: لايغيّر الله عادته من عقوبة من كفر نعمته. و التبديل [تصيير الشيء مكان غيره. و التحويل:] تصيير الشيء في غير المكان الذي كان فيه.[٢]

«و لايحيق المكر السيّئ إلّا بأهله». قال أميرالمؤمنين في كتابه الذي كتبه إلى شيعته و يذكر فيه خروج عائشة إلى البصرة و عظم خطأ طلحة و الزبير فقال: و أيّ خطيئة أعظم ممّا أتيا؟ أخرجا زوجة رسول الله من بيتها و كشفا عنها حجاباً ستره الله عليها و صانا حلائلهما في بيوتهما! ما أنصفا الله و رسوله من أنفسهما. ثلاث خصال مرجعها إلى الناس في كتاب الله: البغي و المكر و النكث. قال الله: «إنّما بغيكم على أنفسكم».[٣] و قال: «و من نكث فإنّما ينكث على نفسه».[٤] و قال: «و لايحيق المكر السيّئ إلّا بأهله». و قد بغيا عليّ و نكثا بيعتي و مكرا بي.[٥]

[و قرئ:] «و لايحيق المكر»؛ أي: لايحيق الله المكر. و لقد حاق بهم يوم بدر. و قرأ

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢١٠.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤٤ ـ ٦٤٥.
٣ـ يونس (١٠) / ٢٣.
٤ـ الفتح (٤٨) / ١٠.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢١٠.

حمزة: «و مكر السيّئ» بإسكان الهمزة. و ذلك لاستثقاله الحركات مع الياء و الهمزة. و لعلّه اختلس فظنّ سكوناً، أو وقف وقفة خفيفة ثمّ ابتدأ: «و لايحيق».(١)

في قوله: «إلّا بأهله» دون أن يقول: إلّا بالماكر، إشارة إلى أنّ الرضا بالمكر و الإعانة عليه كهو، فيندرج مصاحبه في زمرة أهل المكر.(٢)

«تبديلاً». إذ لايبدّلها بجعل غير التعذيب [تعذيباً] و لايحوّلها بأن ينقلها من المكذّبين إلى غيرهم.(٣)

[٤٤] «أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ مَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً».

«أ و لم يسيروا» أي هؤلاء الذين أنكروا إهلاك الله الأمم الماضية [«في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة] الذين من قبلهم» مثل قوم لوط و عاد و ثمود، فيعتبروا بهم. «و كانوا»؛ أي: كان أولئك «أشدّ منهم»؛ أي: من هؤلاء «قوّة». «ليعجزه»؛ أي: يفوته.(٤)

«أ و لم يسيروا في الأرض»؛ أي: ألم ينظروا في القرآن و في أخبار الأمم الهالكة.(٥)

«أ و لم يسيروا في الأرض». استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم و متاجرهم في رحلهم إلى الشام و العراق و اليمن من آثار الماضين.(٦)

[٤٥] «وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَ لٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً».

«من دابّة»؛ أي: من نسمة. يريد بني آدم. و قيل: منهم ومن غيرهم من الدوابّ

١ـ الكشّاف ٣ / ٦١٨ ـ ٦١٩.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢٢ / ١٠٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٥.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤٥.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢١٠.
٦ـ الكشّاف ٣ / ٦١٩.

بشؤم ذنوبهم. و عنه ﷺ: انّ الضبّ ليموت هزلاً في جحره بذنب ابن آدم. و قيل: يحبس المطر فيهلك كلّ شيء. «إلى أجل»؛ أي: يوم القيامة.[١]

١ـ الكشّاف ٣ / ٦١٩.

٣٦.
سورة يس

يس: عنه ﷺ: من قرأها يريد بها الله، غفر الله له و أعطي من الأجر كأنّما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرّة ـ الخبر.(١)

و عن الصادق عليه السلام: إنّ لكلّ شيء قلباً. و قلب القرآن يس. فمن قرأها في نهاره، كان من المحفوظين و المرزوقين حتّى يمسي ـ الخبر.(٢)

و عن النبيّ ﷺ: من دخل المقابر فقرأها، خفّف الله عنهم يومئذ، و كان له بعدد من فيها حسنات.(٣)

و عنه عليه السلام أنّها تدعى في التوراة المعمّة؛ أي: يعمّ صاحبها خير الدارين و يدفع عنه البلوى و عذاب الآخرة.(٤)

من سقاها لامرأة، كثرت لبنها. ومن حملها، أمن من الأوجاع و من العين و الجنّ و يكون كثير المنامات الصالحة.(٥)

روي عنه ﷺ أنّها تشفع لقارئها و تستغفر لمستمعها.(٦)

عن أبي عبدالله عليه السلام: لكلّ شيء قلب. و قلب القرآن يس. فمن قرأها في نهاره، كان من المحفوظين حتّى يمسي. ومن قرأها في ليله قبل أن ينام، وكّل الله به ألف ملك يحفظونه من كلّ شيطان رجيم ومن كلّ آفة، و إن مات في يومه، أدخله الله الجنّة و حضر غسله ثلاثون ألف

١ـ المصباح / ٥٨٨.
٢ـ المصباح / ٥٨٩.
٣ـ المصباح / ٥٨٩.
٤ـ المصباح / ٥٨٩.
٥ـ المصباح / ٦٠٩.
٦ـ تفسير الثعلبيّ ٨ / ١٨.

ملك كلّهم يستغفرون له و يشيّعونه بالاستغفار، فإذا أدخل في لحده، كانوا في جوف قبره يعبدون الله و ثواب عبادتهم له. و فسح له في قبره مدّ بصره و أمن من ضغطة القبر و لم يزل له في قبره نور ساطع إلى عنان السماء إلى أن يخرجه الله من قبره، فإذا أخرجه فلم تزل ملائكة الله يشيّعونه و يحدّثونه و يضحكون في وجهه و يبشّرونه بكلّ خير حتّى يجوزوا به الصراط و الميزان و يشفّع فيمن أراد ـ الحديث.[١]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يس».

أهل الكوفة غير عاصم: «يس» بالإمالة، و ابن عامر بإخفاء النون عند ملاقاة هذه الواو. و معنى «يس»: يا إنسان، عند أكثر المفسّرين. و عن ابن الحنفيّة: معناه: يا محمّد. و قيل: معناه: يا سيّد الأوّلين والآخرين. و عن أميرالمؤمنين و أبي‌جعفر الباقر عليهما السلام: هو اسم النبيّ.[٢]

«يس» قرئ بالكسر كحين و بالفتح على البناء، كأين،[٣] و الإعراب، على: اتل يس، أو بإضمار حرف القسم و الفتحة لمنع الصرف. [وبالضمّ بناء، كحيث، أو إعراباً، على: هذه يس.][٤]

[٢] «وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ».

«و القرآن الحكيم». أقسم سبحانه بالقرآن المحكم من الباطل. أو [سمّاه حكيماً] لكونه مشتملاً على الحكمة فكأنّه المظهر للحكمة الناطق بها.[٥]

[٣ ـ ٤] «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

«صراط مستقيم». هو التوحيد.[٦]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤٦ ـ ٦٤٧.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤٨ و ٦٥٠.
٣ـ في النسخة زيادة: «و بالضمّ بناء حيث».
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٧.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٠.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٧.

«على صراط مستقيم» يؤدّي سالكه إلى الحقّ أو الجنّة. و قيل: هو الشريعة الواضحة و الحجّة اللّائحة.(١)

[٥] «تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ».

و أهل الحجاز و البصرة: «تنزيل» بالرفع، و الباقون بالنصب.(٢)

«تنزيلُ». خبر مبتدأ محذوف والمصدر بمعنى المفعول. و [قرئ] بالنصب بإضمار أعني.(٣)

[٦] «لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ».

«لتنذر» متعلّق بتنزيل أو بمعنى «لمن المرسلين». «فهم غافلون»؛ أي: لم ينذروا فبقوا غافلين.(٤)

«ما أنذر آباؤهم». لأنّهم كانوا في زمن الفترة. و قيل: لم يأتهم نذير من أنفسهم و قومهم و إن جاءهم من غيرهم. و قيل: لم يأتهم من أنذرهم بالكتاب كما أتيت. و هذا على قول من قال: كان في العرب خالد بن سنان و قسّ بن ساعدة و غيرهما قبل المبعث. وقيل: معناه: كما أنذر آباؤهم. «فهم غافلون» عمّا أنذر الله به من نزول العذاب.(٥)

عنه عليه السلام: «لتنذر»؛ أي: لتنذر القوم الذي أنت فيهم كما أنذر آباؤهم. «فهم غافلون» [عن الله و عن رسوله و عن وعيده].(٦)

[٧] «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: «لقد حقّ القول على أكثرهم» ممّن لا يؤمن بولاية عليّ و الأئمّة من بعده عليهم السلام «فهم لا يؤمنون» بإمامتهم. فلمّا لم يقرّوا بها، كانت عقوبتهم «إنّا جعلنا» ـ الآية.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٠.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٧ ـ ٢٨٨.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٠.

٦ـ الكافي ١ / ٤٣١، ح ٩٠.

«فهم مقمحون» في نار جهنّم عقوبة لهم.[١]

«لقد حقّ القول». أقسم سبحانه مرّة أخرى. أي: لقد وجب الوعيد و استحقاق العقاب على أكثرهم لعدم الايمان. أو: لقد سبق القول عليهم بعدم الايمان، لأنّه سبحانه أخبر ملائكته بأنّ أكثرهم لايؤمنون فحقّ قوله عليهم.[٢]

«لقد حقّ القول». يعني قوله: «لأملأنّ جهنّم»[٣].[٤]

[٨] «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ».

«إنّا جعلنا». قيل: نزل في أبي‌جهل. كان حلف لئن رأى محمّداً يصلّي ليرضخنّ رأسه. فأتاه وهو يصلّي ومعه حجر ليدمغه. فلمّا رفعه انثنت يده إلى عنقه و لزق الحجر بيده. فلمّا عاد إلى أصحابه و أخبرهم بما رأى، سقط الحجر من يده. فقال آخر: أنا أقتله بهذا الحجر. فأتاه و هو يصلّي ليرميه بالحجر. فأغشى الله بصره فجعل يسمع صوته ولايراه. فرجع إلى أصحابه فلم‌يرهم حتّى نادوه فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: مارأيته ولكن سمعت صوته. و حال بيني و بينه كهيئة الفحل لو دنوت منه لأكلني. و عن ابن‌عبّاس: انّ قريشاً اجتمعت فقالت: إن دخل محمّد لنقومنّ إليه قيام رجل واحد. فدخل النبيّ فجعل الله من بين أيديهم سدّاً و من خلفهم سدّاً فلم‌يبصروه. فصلّى و أتاهم فجعل ينثر على رؤوسهم التراب و هم لايرونه. فلمّا خلّى عنهم، رأوا التراب فقالوا: سحركم ابن أبي‌كبشة. «في أعناقهم». يعني أيديهم. [كنى عنها و إن لم‌يذكرها] لأنّ الأغلال و الأعناق يدلّان عليها. لأنّ الغلّ إنّما يجمع اليد إلى الذقن و العنق. و اختلف في معنى الآية. فقيل: إنّ الآية مثل . أي: مثل هؤلاء الكفّار في إعراضهم عمّا تدعوهم إليه، كمثل رجل غلّت يداه إلى عنقه لايمكنه أن يبسطها إلى خير و رجل طامح برأسه لايبصر موطأ قدميه. أو: كأنّ هذا القرآن أغلال في أعناقهم يمنعهم من الخضوع لاستماعه و تدبّره لثقله عليهم. لأنّهم استكبروا عنه و شأن المستكبر أن يرفع

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٨٦ ـ ٤٨٧.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٠ ـ ٦٥١.

٣ـ هود (١١) / ١١٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٨.

رأسه و لاينظر إلى الأرض مثل من غلّ عنقه إلى يديه. أو: كان المراد به ناس من قريش كما تقدّم. أو: يكون المراد وصف حالهم يوم القيامة. فهو مثل «إذ الأغلال في أعناقهم».[١]

«مقمحون»؛ أي: مرفوعو الرأس لرفع الأغلال إيّاها.[٢]

«مقمحون»: رافعون رؤوسهم لايعطفون أعناقهم نحو الحقّ و لايطأطئون رؤوسهم له.[٣]

[٩] «وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ».

«من بين أيديهم سدّاً». تشبيه لهم بمن هذه صفته في إعراضهم عن الإيمان. و ذلك عبارة عن خذلان الله إيّاهم لمّا كفروا، فهم في خذلان كمن بين أيديهم سدّاً. و إذا قلنا إنّه وصف حالهم في الآخرة، فالكلام على حقيقته و يكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لايجدون متقدّماً و لا متأخرّاً لمكان السدّ. و إن حملناه على صفة القوم الذين همّوا بقتل النبيّ، فالمعنى: جعلنا من بين أيديهم منعاً و من خلفهم منعاً حتّى لايبصروا النبيّ. لأنّ أباجهل كان إذا خرج باللّيل لقتله لايراه. «فأغشيناهم»؛ أي: فأعميناهم عن الهدى. أو: فأغشيناهم في العذاب فهم لايبصرون في النار.[٤]

«سدّاً». بالفتح و الضمّ بمعنًى. و قيل: ما يفعل الله بالضمّ و مايفعله الناس بالفتح. حمزة و الكسائيّ بالفتح في الموضعين، و الباقون بالضم.[٥]

[١٠] «وَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ».

[١١] «إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ».

«من اتّبع الذكر»؛ أي: إنّما ينتفع بإنذارك من اتّبع القرآن. «بالغيب»؛ أي: في حال غيبته

١ـ غافر (٤٠) / ٧١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٤٩ـ٦٥١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٨.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥١ـ٦٥٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٨.

عن الناس بخلاف المنافق. أو معناه: خشي الرحمن فيما غاب من أمر الآخرة.[١]

«خشى الرحمن بالغيب»؛ أي: خاف عقابه قبل حلوله و معاينة أهواله.[٢]

[١٢] «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ».

«نحيي الموتى» في القيامة للجزاء. «و نكتب ما قدّموا» من طاعاتهم و معاصيهم في دار الدنيا. و قيل: نكتب ما قدّموه من عمل ليس له أثر. «و آثارهم»؛ أي: ما يكون له أثر. و قيل: يعني بآثارهم أعمالهم التي صارت سنّة لمن بعدهم يقتدي بهم فيها، حسنة كانت أم قبيحة. و قيل: معناه: نكتب خطاهم إلى المساجد؛ لما روي أنّ بني سلمة كانوا في ناحية من المدينة فشكوا إلى رسول‌الله بعد منازلهم من المساجد و الصلاة معه، فنزلت الآية. و عنه صلى الله عليه وآله: أعظم الناس أجراً في الصلاة، أبعدهم إليها ممشًى. «و كلّ شيء أحصيناه»؛ أي: كلّ من الحوادث أثبتناه في اللّوح المحفوظ. و الوجه في إحصاء ذلك فيه اعتبار الملائكة به إذا قابلوا به ما يحدث من الأمور. و يكون فيه دلالة على معلومات الله على التفصيل. أو المراد به صحائف الأعمال و سمّاه مبيناً لأنّه لايدرس أثره.[٣]

«في إمام مبين». عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا نزل: «و كلّ شيء» ـ الآية ـ قال رسول‌الله: هو عليّ بن أبي طالب.[٤]

[١٣] «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ».

«و اضرب» يا محمّد «لهم مثلاً»؛ أي: اذكر لهم أصحاب قرية أنطاكية.[٥]

«و اضرب لهم مثلا»؛ أي: مثّل لهم. و هو يتعدّى إلى مفعولين لتضمّنة معنى الجعل و هما:

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٨.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٤.
٤ـ معاني الأخبار / ٩٥، ح ١.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٤.

«مثلاً أصحاب القرية» على حذف المضاف. أي: اجعل لهم مثل أصحاب القرية مثلاً. «إذ جاءها». بدل من أصحاب القرية.[١]

[١٤] «إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ».

«اثنين»؛ أي: رسولين من رسلنا. «فكذّبوهما» و ضربوهما، فقوّيناهما برسول ثالث. كان اسم الرسولين شمعون و يوحنّا و الثالث يونس[٢]. و قيل: إنّهم رسل عيسى و هم الحواريّون.[٣]

أبوبكر: «فعززنا» بالتخفيف، بمعنى قهرنا.[٤]

[١٥] «قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ».

«قالوا» هم أهل القرية: «ما أنتم إلّا بشر مثلنا» فلاتصلحون للرسالة مثلنا. «إلّا تكذبون» فيما تزعمون.[٥]

[١٦] «قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ».

«ربّنا يعلم». قالوا ذلك بعد ما قامت الحجّة بظهور المعجزة فلم يقبلوها. و وجه الاحتجاج بهذا القول أنّهم ألزموهم بذلك النظر في معجزاتهم ليعلموا أنّهم صادقون على الله. ففي ذلك تحذير شديد.[٦]

[١٧] «وَ مَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ».

«و ما علينا إلّا البلاغ» لا جبركم على الإيمان.[٧]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٨.
٢ـ المصدر: بولس.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٩.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٤.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٤.
٧ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٤.

[۱۸] «قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«قالوا» حين عجزوا عن إيراد شبهة و عدلوا عن النظر في المعجزة. «تطيّرنا»؛ أي: تشأّمنا بكم. «لئن لم تنتهوا» عمّا تدّعونه من الرسالة «لنرجمنّكم» بالحجارة.[۱]

«تطيّرنا بكم»؛ أي: تشأّمنا. و ذلك لاستغرابهم ما ادّعوه و استقباحهم له و تنفّرهم عنه.[۲]

[۱۹] «قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ».

«قالوا». أي الرسل. «طائركم معكم»؛ أي: الشؤم كلّه بإقامتكم على الكفر. فأمّا الدعاء إلى التوحيد، ففيه غاية البركة و اليمن و لا شؤم فيه. و قيل: معنى طائركم: حظّكم و نصيبكم من الشرّ و الخير. «أئن ذكّرتم»؛ أي: إن ذكّرتم قلتم هذا القول و هدّدتمونا. أو معناه: إن تدبّرتم عرفتم صحّة ما قلناه لكم. «قوم مسرفون»؛ أي: ليس فينا ما يوجب التشؤّم بنا، و لكن أنتم متجاوزون الحدّ في التكذيب بالرسل. و [الإسراف:] مجاوزة الحدّ.[۳]

«أئن ذكّرتم»: وعظتم به. جواب الشرط محذوف مثل: تطيّرتم، أو توعّدتم بالرجم.[٤]

[۲۰] «وَ جَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ».

«رجل يسعى». كان اسمه حبيب النجّار و قد كان آمن بالرسل عند نزولهم القرية. و كان منزله عند أقصى باب المدينة. فلمّا بلغه أنّ قومه كذّبوا الرسل و همّوا بقتلهم، جاء يعدو. قال: يا قوم اتّبعوا هؤلاء الرسل. و إنّما علم بنبوّتهم لأنّهم لمّا دعوه قال: أتأخذون على ذلك أجراً؟ قالوا: لا. و قيل: إنّه كان [به] زمانة أو جذام فأبرؤوه فآمن بهم. حاصل القصّة: انّ عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريّين إلى مدينة أنطاكية. فلمّا قربا من المدينة، رأيا حبيب النجّار شيخاً يرعى غنيمات له فقالوا له: جئنا ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن.

۱ـ مجمع البيان ۸ / ٦٥٤.

۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۷۹.

۳ـ مجمع البيان ۸ / ٦٥٤ـ٦٥٥.

٤ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۷۹.

و آيتنا نبرئ الأكمه و الأبرص. و كان ابنه مريضاً سنين، فمسحا ابنه فقام صحيحاً. و أشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى. فانتهى الخبر الى الملك فطلبهما. فدعواه إلى عبادة الله فقال: و لنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم. من أوجدك و آلهتك. فأخذهما الناس و ضربوهما و حبسهما الملك. فبعث عيسى شمعون الصفا لينصرهما. فدخل المدينة متنكّراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتّى رفعوا خبره إليه فأنس به و أكرمه. فقال له ذات يوم: أيّها الملك، بلغني أنّك حبست رجلين في السجن حين دعواك إلى غير دينك. فهل سمعت كلامهما؟ فقال: حال الغضب بيني و بين ذلك. فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كلّ شيء. قال: و ما آيتكما؟ قالا: ما يريد الملك. فأمر الملك لغلام مطموس العينين و موضع عينيه كالجبهة فدعوا الله فشقّ له موضع البصر. و أخذا بندقتين من الطين فجعلاهما مقلتين له. فتعجّب الملك و قال لشمعون: لايقدر إلهي على مثل هذا. و إنّما هو لايضرّ و لاينفع. ثمّ قال الملك: إن قدر ربّكما على إحياء الأموات آمنّا به. و كان هناك ميّت قد مات منذ سبعة أيّام و كان أبوه غائباً فلم يدفن حتّى [يرجع أبوه. فجاؤوا بالميّت و قد تغيّر و] أروح. فجعلا يدعوان علانية و شمعون يدعو سرّاً حتّى قام صحيحاً. فقال لهم: إنّي أدخلت في سبعة أودية من النار. و أنا أحذّركم ما أنتم فيه. فتعجّب الملك. فدعاه شمعون إلى الله، فآمن و آمن [من] أهل مملكته قوم و بقي آخرون. و عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ ذلك الميّت كان ابن الملك و قال لأبيه: إنّي رأيت رجلين ساجدين يدعوان الله تعالى. فعرفهما.[١]

«رجل يسعى». هو حبيب النجّار. و كان ينحت أصنامهم. و هو ممّن آمن بمحمّد و بينهما ستّمائة سنة.[٢]

[٢١] «اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَ هُمْ مُهْتَدُونَ».

«اتّبعوا» أي معاشر الكفّار «من لايسألكم أجراً»؛ أي: لايسألونكم أموالكم على ما

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٥ـ٦٥٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧٩.

جاؤوكم به من الهدى. «و هم» مع ذلك «مهتدون» إلى طريق [الحقّ]. فأخذوه و رفعوه إلى الملك فقال له: أفأنت تتّبعهم؟ فقال: «و ما لي» ـ الآية.(١)

[٢٢] «وَ مَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

تلطّف في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه و إمحاض النصح حيث أراد لهم ما أراد لها. و المراد تقريعهم على عبادة غير خالقهم.(٢)

[٢٣] «أَ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَ لَا يُنْقِذُونِ».

«أأتّخذ من دونه آلهة» بأن أعبدهم. «بضرّ»؛ أي: بإهلاك. «لا تغن عنّي شفاعتهم»؛ أي: لا شفاعة لهم فتغني. «و لا ينفذون»؛ أي: لا يخلّصوني من ذلك الهلاك.(٣)

[٢٤] «إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«إنّي إذاً لفي ضلال مبين»؛ أي: [إنّي] إن فعلت ذلك، في عدول عن الحقّ.(٤)

[٢٥] «إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ».

«آمنت بربّكم» الذي خلقكم، فاسمعوا قولي و اقبلوه. وقيل: إنّه خاطب بذلك الرسل؛ أي: فاسمعوا ذلك منّي حتّى تشهدوا لي عند الله. و قيل: إنّ قومه لمّا سمعوا ذلك منه وطؤوه بأرجلهم حتّى مات، فأدخله الله الجنّة و هو حيّ فيها يرزق. و هو قوله: «ادخل الجنّة».(٥)

[٢٦] «قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ».

«قيل ادخل الجنّة». القائل له الله سبحانه، أو الملائكة بأمره قالوا له ذلك لمّا قتلوه

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٨.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٨.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٨.

بشرى بأنّه من أهل الجنّة أو إكراماً و إذناً في دخولها كسائر الشهداء.[١]

و قيل: إنّهم لمّا قتلوه، أحياه الله فأدخله الجنّة. فلمّا دخلها قال: «يا ليت قومي» ـ الآية. تمنّى أن يعلم قومه ما أعطاه الله من الثواب ليؤمنوا و ينالوا ذلك. عنه ﷺ: الصدّيقون ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: عليّ بن أبي طالب، و صاحب يس، و مؤمن آل فرعون. و عليّ أفضلهم.[٢]

[٢٧] «بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ».

«بما غفر لي». [ما خبريّة، أو مصدريّة، أو] استفهاميّة جاءت على الأصل والباء صلة غفر، أي: بأيّ شيء غفر لي. يريد به المهاجرة عن دينهم.[٣]

«من المكرمين» بدخول الجنّة. «بما غفر لي». ما مصدريّة أو موصولة أو للاستفهام.[٤]

[٢٨] «وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا كُنَّا مُنْزِلِينَ».

«من بعده»؛ أي: من بعد قتله. «من السماء». يعني الملائكة لعذابهم. «و ما كنّا» نتزلهم على الأمم إذا أهلكناهم. و قيل: معناه: و ما أنزلنا على قومه بعده رسالة. قطع الله عنهم الرسالة حين قتلوا رسله. و المراد أنّ الجند هم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الأنبياء عليهم السلام.[٥]

«من بعده»؛ أي: من بعد إهلاكه أو رفعه. «من جند» لإهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر و الخندق، بل كفينا أمرهم بصيحة ملك. و فيه استحقار بإهلاكهم و إيماء بتعظيم الرسول. «و ماكنّا منزلين»: و ما صحّ في حكمتنا أن ننزل جنداً لإهلاك قومه إذ قدّرنا لكلّ شيء سبباً و جعلنا ذلك سبباً لانتصارك من قومك. و قيل: ما موصولة معطوفة على جند. أي: ماكنّا

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨٠. و لا يوجد في المصدر كلام في القائل.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٩.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨٠.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٩.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٩.

منزلين على من قبلهم من حجارة و ريح و أمطار شديدة.[١]

[٢٩] «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ».

ثمّ بيّن سبحانه بأيّ شيء كان هلاكهم فقال: «إن كانت إلّا صيحة واحدة». قيل: إنّهم لمّا قتلوا حبيب النجّار، غضب الله عليهم فبعث جبرئيل حتّى أخذ بعضادتي باب المدينة ثمّ صاح عليهم صيحة فماتوا عن آخرهم كالنار إذا طفئت. أبوجعفر: «إلّا صيحةٌ واحدةٌ» بالرفع، و الباقون بالنصب.[٢]

من قرأ: «إلّا صيحة» بالنصب، أراد: ماكانت الأخذة أو العقوبة إلّا بسبب صيحة. و من قرأ بالرفع، على معنى كان التامّة، فمعناه: ما وقعت إلّا صيحة. قال جار الله: القياس و الاستعمال على تذكير الفعل، لأنّ المعنى: ما وقع شيء، ولكنّه نظر إلى ظاهر اللّفظ و أنّ الصيحة في حكم فاعل الفعل. قلت: يجوز أن يقدّر: ما حدثت عقوبة. و قيل: إنّ التأنيث لتهويل الواقعة و لهذا جاءت أسماء الحشر كلّها مؤنّثة.[٣]

[٣٠] «يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ».

«يا حسرة»؛ أي: يا ندامة. «على العباد». أي في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الدنيا. ثمّ بيّن سبب الحسرة. و المعنى أنّهم [حلّوا] محلّ من يتحسّر. و قيل: إنّ المعنى: يا ويلاً على العباد. و يحتمل أن يكون من كلام ذلك الرجل. و قيل: إنّهم لمّا عاينوا العذاب قالوا: يا حسرة على العباد ـ يعني الرسل ـ حيث لم نؤمن. فتمنّوا الإيمان و ندموا حين لم تنفعهم الندامة. و المعنى: يا حسرتي احضري، فهذا أوانك. قرأ عليّ بن الحسين و ابن عبّاس: «يا حسرة العباد» مضافاً.[٤]

«يا حسرة». نداء للحسرة عليهم. كأنّه قيل لها: تعالي يا حسرة، فهذه من أحوالك التي

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨٠.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٩ و ٦٥٧.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ٢٣ / ١٤.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٥٩ و ٦٥٧.

حقّك أن تحضري فيها. و هي حال استهزائهم بالرسل. و المعنى أنّهم أحقّاء بأن يتحسّر عليهم المتحسّرون أو هم متحسّر عليهم من جهة الملائكة و المؤمنين من الثقلين. و يجوز أن يكون من الله سبحانه على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم.(١)

[٣١] «أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ».

«ألم يروا»؛ أي: ألم يعلموا كفّار مكّة كم قرناً أهلكناهم مثل عاد و ثمود و قوم لوط أهلكوا فلايعودون إلى الدنيا؟ أفلايعتبرون بهم؟(٢)

[٣٢] «وَ إِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ».

«لمّا جميع». معناه أنّ الأمم يوم القيامة يحضرون فيقفون على ما عملوا في الدنيا. أي: و كلّ الماضين و الباقين مبعوثون للحساب و الجزاء. عاصم و حمزة و ابن‌عامر: «لمّا جميع» بتشديد الميم، و الباقون بالتخفيف. من خفّف الميم من لما فإنْ مخفّفة من المثقّلة و ما من لما مزيدة. والتقدير: و إنّه كلّ لجميع لدينا محضرون. و من شدّد الميم قال: لمّا هاهنا بمعنى إلّا ـ يقال: لمّا فعلت كذا، و إلّا فعلت ـ و إنْ نافية. فيكون التقدير: ما كلّ إلّا محضرون.(٣)

[٣٣] «وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ».

«و آية لهم»؛ أي: حجّة قاطعة على قدرتنا على البعث الأرض القحطة الجدبة التي لاتنبت أحييناها بالنبات. «و أخرجنا منها حبّاً» يتقوّتونه.(٤)

«الميتة». نافع بالتشديد.(٥)

[٣٤] «وَ جَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ وَ فَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ».

١ـ الكشّاف ٤ / ١٣.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٠ ـ ٦٦١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦١ و ٦٦٠.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨١.

«جنّات»؛ أي: بساتين. و إنّما خصّ النوعين لكثرة أنواعها و منافعها. «و فجّرنا فيها»؛ أي: في تلك الأرض الميتة ـ أو في تلك الجنان ـ عيوناً من الماء ليسقوا بها النخيل و الكرم.(۱)

[۳۵] «لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ مَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَ فَلَا يَشْكُرُونَ».

«من ثمره». حمزة و الكسائيّ بضمّتين. و هو لغة فيه.(۲)

أهل الكوفة غير حفص: «و ما عملت أيديهم» بغير هاء. «و ما عملته أيديهم»؛ أي: لم تعمل تلك الثمار أيديهم. هذا إذا كان ما بمعنى النفي. يعني أنّه من صنع الخالق و لم يدخل في مقدورات الخلائق. و قيل: ما موصولة و هو عطف على الثمر. و المراد ما يتّخذ منه كالعصير و الدبس و نحوها. «أفلا يشكرون»؛ أي: ألا يشكرون الله على مثل هذه النعم؟(۳)

[۳۶] «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ».

«خلق الأزواج». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ النطفة تقع من السماء إلى الأرض على النبات و الثمر و الشجر فيأكل الناس منه و البهائم فيجري فيهم.(٤)

«الأزواج كلّها»: الأنواع و الأصناف. «ممّا تنبت الأرض» من النبات و الشجر. «من أنفسهم»: الذكر و الأنثى. «و ممّا لايعلمون»: و أزواجاً ممّا لم يطلعهم الله عليه و لم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته.(٥)

[۳۷] «وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ».

«و آية لهم»؛ أي: دلالة أخرى «اللّيل نسلخ منه النار»: نزيله و نكشفه عن مكانه. مستعار من سلخ الجلد. و قيل: إنّما قال: «نسلخ منه النهار» لأنّه جعل اللّيل كالجسم لظلمته

۱ـ مجمع البيان ۸ / ٦٦۱.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۸۱.
۳ـ مجمع البيان ۸ / ٦٦۱.
٤ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۲۱۵.
٥ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۸۱ـ۲۸۲.

و جعل النهار كالقشر، و لأنّ النهار عارض فهو كالكسوة و اللّيل أصل فهو كالجسم. «مظلمون»؛ أي: داخلون في ظلام اللّيل.(١)

عن أبي جعفرعليه السلام قال: ضرب الله مثل محمّد الشمس و مثل الوصيّ القمر. و هو قوله: «الشمس ضياء و القمر نوراً»(٢) و قوله «و آية لهم اللّيل نسلخ منه النهار فإذاهم مظلمون» و قوله: «ذهب الله بنورهم و تركهم في ظلمات لايبصرون».(٣) يعني قبض محمّدصلى الله عليه وآله فظهرت الظلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته.(٤)

[٣٨] «وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ».

عن أبي ذرّ عن النبيّصلى الله عليه وآله قال: إنّ الشمس تغيب في السماء ثمّ ترفع إلى السماء العليا حتّى تكون تحت العرش فتخرّ ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكّلون بها، ثمّ تقول: يا ربّ من أين تأمرني أن أطلع؟ أمن مغربي أم مطلعي؟ فذلك قوله: «[و الشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز] العليم». فيأتيها جبرئيل بحلّة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار فتلبس تلك الحلّة كالثوب ثم تنطلق فتطلع من مطلعها. و كأنّي بها قد حبست ثلاث ليال ثمّ تطلع من مغربها.(٥)

«لمستقرّ لها»؛ أي: إنّها تجري لانتهاء أمرها و هو انقضاء الدنيا. و حاصله أنّه لا انقضاء لحركتها إلى انقضاء الدنيا. أو: إنّها تجري لوقت واحد لاتعدوه و لايختلف. أو: إنّها تجري إلى أقصى منازلها في الشتاء و الصيف لاتتجاوزها و لاتقصر عنها فهو مستقرّها. أو لكبد السماء؛ فإنّ حركتها فيه توجد إبطاء بحيث إنّ لها هناك وقفة. أو لمنتهًى مقدّر كلّ يوم من المشارق و المغارب؛ فإنّ لها في دورها ثلاثمائة و ستّين مشرقاً و مغرباً تطلع كلّ يوم من مطلع و تغرب كلّ يوم في مغرب ثمّ لاتعود إليها إلى العام القابل. «ذلك»؛ أي: الجري على

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨٢.

٢ـ يونس (١٠) / ٥.

٣ـ البقرة (٢) / ١٧.

٤ـ الكافي ٨ / ٣٨٠، ح ٥٧٤.

٥ـ التوحيد / ٢٨٠، ح ٧.

هذا التقدير المتضمّن [للحكم]. «العزيز»؛ أي: الغالب بقدرته على كلّ مقدور.[١]

[٣٩] «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ».

«و القمر قدّرناه»؛ أي: قدّرنا مسيره. «منازل». هي ثمانية و عشرون منزلاً ينزل كلّ يوم و ليلة منزلاً منها لايختلف حاله في ذلك إلى أن يقطع الفلك. «حتّى عاد»؛ أي: عاد في آخر الشهر دقيقاً كالعذق اليابس العتيق، ثمّ يخفى يومين آخر الشهر. و إنّما شبّهه بـالعذق لأنّه إذا مضت عليه الأيّام جفّ و تقوّس فيكون أشبه الأشياء بالهلال. و قيل: إنّ العذق يصير كذلك في ستّة أشهر. و في حديث المكاريّ عن الرضاعليه السلام أنّه سأله عن رجل قال عند موته: كلّ مملوك قديم فهو حرّ لوجه الله، فقالعليه السلام: ما ملك لستّة أشهر فهو قديم و هو حرّ. لأنّه تعالى قال: «حتّى عاد كالعرجون القديم» و يعود كذلك لستّة أشهر.[٢]

[٤٠] «لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ».

«أن تدرك القمر» لسرعة سيره. لأنّ الشمس أبطأ سيراً من القمر. فإنّها تقطع منازلها في سنة و القمر يقطعها في شهر. وهو سبحانه باين [بين] فلكيهما فلايمكن أن يدرك أحدهما الآخر. «و لا اللّيل سابق النهار»؛ أي: لايجتمع ليلتان ليس بينهما يوم بل يتعاقبان. و عن الأشعث بن حاتم قال: كنت مع الرضاعليه السلام والمأمون و الفضل بمرو و قد سأل الرضاعليه السلام رجل عن النهار خلق قبل أم اللّيل، فقالعليه السلام للفضل: أمّا من جهة الحساب، فطالع الدنيا السرطان و الكواكب في موضع شرفها، فزحل في الميزان و المشترى في السرطان و الشمس في الحمل و القمر في الثور. فذلك يدلّ على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط الدنيا. فالنهار خلق قبل اللّيل. و في قوله: «و لا اللّيل سابق النهار»؛ أي: قد سبقه النهار. «و

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨٢.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٣ ـ ٦٦٤.

كلّ» من الشمس و القمر [و النجوم] «في فلك يسبحون»: يسيرون فيه بانبساط. و كلّ ما انبسط في شيء فقد سبح فيه. و قال ابن‌عبّاس: «يسبحون»؛ أي: يجري كلّ واحد منهما في فلكه كما يدور المغزل في الفلكة.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الله خلق النهار قبل اللّيل، و الشمس و القمر و الأرض قبل السماء.(٢)

[٤١] «وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ».

«و آية لهم»؛ أي: و حجّة لهم على اقتدارنا أنّا حملنا آباءهم و أجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم في سفينة نوح المملوءة من الناس و ما يحتاج إليه الناس فيها، فسلموا من الغرق فانتشر منهم خلق كثير. و سمّي الآباء ذرّية من ذرأ الله الخلق لأنّ الأولاد خلقوا منهم. و سمّي الأولاد ذرّية لأنّهم خلقوا من الآباء. و قيل: الذرّيّة النساء و الصبيان. و الفلك السفن الجارية في البحار. و خصّ الذرّيّة بالحمل في الفلك لضعفهم و لأنّه لا قوّة لهم على السفر كالرجال فسخّر الله لهم السفن.(٣)

[٤٢] «وَ خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ».

«و خلقنا لهم» من مثل سفينة نوح سفناً يركبون فيها كما ركب نوح. و قيل: المراد به الإبل، و هي سفن البرّ.(٤)

[٤٣ـ٤٤] «وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَ لَا هُمْ يُنْقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَ مَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ».

«نغرقهم» بالرياح و الأمواج فلا مغيث لهم يخلّصهم منه. «إلّا رحمة منّا» بأن نخلّصهم

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٤.

٢ـ الاحتجاج / ٣٥٢. و فيه: و الشمس قبل القمر و ....

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٦.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٦ـ٦٦٧.

من أهوال البحر و تمتّعهم بالحياة إلى وقت آجالهم.[١]

[٤٥] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ مَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ».

«و إذا قيل لهم»؛ أي: للمشركين. «ما بين أيديكم» من أمر الآخرة. «و ما خلفكم» من أمر الدنيا. فاحذروها لتكونوا على رجاء الرحمة. عن ابن‌عبّاس. و قيل: اتّقوا ما مضى من الذنوب و ما يأتي منها. أو: العذاب المنزل على الأمم الماضية و ما خلفكم من عذاب الآخرة. و عن أبي عبدالله‌ عليه السلام: ما بين أيديكم من الذنوب، و ما خلفكم من العقوبة. و جواب إذا محذوف. أي: أعرضوا، لدلالة «إلّا كانوا عنها معرضين» عليه.[٢]

[٤٦] «وَ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ».

«من آية». زيدت [من] للاستغراق. و من الثانية للتبعيض. أي: [ليس تأتيهم آية] أيّة آية كانت إلّا أعرضوا عن النظر فيها.[٣]

[٤٧] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«أنفقوا»؛ أي: أخرجوا ما أوجب الله عليكم في أموالكم. «أنطعم من لو يشاءالله»؛ أي: إذا لم يطعمه الله، دلّ على أنّه لم يشأ إطعامه. و ذهب عليهم أنّ الله تعبّدهم بذلك لما فيه من المصلحة فأمر الغنيّ بالإنفاق على الفقير ليكسب الأجر. و الذين قالوا ذلك هم اليهود حين أمروا بإطعام الفقراء. و قيل: مشركو قريش. قال لهم أصحاب رسول‌الله: أطعمونا من أموالكم ما زعمتم أنّه لله. و ذلك قوله: «هذا لله بزعمهم».[٤] و قيل: هم الزنادقة الذين أنكروا الصانع تعلّقوا بقوله: «رزقكم الله» و قالوا: إنّه إذا رزقنا و حرمكم، فلم تأمرون

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٧.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٧.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٧.
٤ـ الأنعام (٦) / ١٣٦.

بإعطاء من حرمه الله؟ «إن أنتم إلّا في ضلال». هذا من قول الكفّار لمن أمرهم بالإطعام. و قيل: من قول الله حين ردّوا هذا بالجواب.(١)

«أ نطعم». كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلّقون أفعال الله بمشيّته فيقولون: لو شاء الله لأغنى فلاناً و نحو ذلك، فأخرجوا هذا الجواب مجرى الاستهزاء بالمؤمنين و بما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيّة الله. و معناه: أ نطعم المقول فيه هذا القول بينكم؟ و ذلك أنّهم كانوا دافعين أن يكون الغنى و الفقر من الله لأنّهم معطّلة لايؤمنون بالصانع.(٢)

[٤٨ ـ ٤٩] «وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ».

«متى هذا الوعد» الذي تعدنا به من نزول العذاب؟ و هذا استهزاء منهم بخبر النبيّ ﷺ و أصحابه. فقال الله: «ما ينظرون إلّا صيحة واحدة». يعني النفخة الأولى. يعني أنّ القيامة تأخذهم بغتة. «يخصّمون»؛ أي: يختصمون في أمورهم و يتبايعون في الأسواق. و في الحديث: تقوم الساعة و الرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتّى تقوم و الرجل يرفع آكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتّى تقوم. ابن كثير: «يَخَصّمون» بفتح الياء و الخاء و تشديد الصاد. و أبوعمرو بفتح الخاء أيضاً إلّا أنّه يشمّه الفتح و لايشبعه. و أهل المدينة ساكنة الخاء مشدّدة الصاد. و حمزة ساكنة الخاء خفيفة الصاد. والباقون بفتح الياء و كسر الخاء و تشديد الصاد.(٣)

«يخصّمون». أصله: يختصمون. قلبت التاء صاداً و أدغمت، ثمّ كسرت الخاء لالتقاء الساكنين. و روى أبوبكر بكسر الياء للإتباع، و ابن كثير بفتح الخاء على إلقاء حركة التاء إليه. و عن نافع الفتح فيه و الإسكان. و كأنّه جوّز الجمع بين الساكنين إذا كان الثاني

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٧. ٢ـ الكشّاف ٣ / ١٩.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٦٧ ـ ٦٦٨ و ٦٦٥.

مدغماً.[۱]

[٥٠] «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لَا إِلىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ».

«توصية». يعني أنّ الساعة إذا أخذتهم بغتة، لم يقدروا على الإيصاء بشيء و لا يرجعون إلى أهلهم من الأسواق. و هذا إخبار عمّا يلقونه في النفخة الأولى.[۲]

[٥١ ـ ٥٢] «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ».

هذه هي النفخة الثانية يبعثون فيها بعد الموت. «من الأجداث»؛ أي: القبور. «ينسلون»؛ أي: يخرجون سراعاً. فلمّا رأوا أهوال القيامة قالوا: يا ويلنا من بعثنا من منامنا الذي كنّا فيه؟ «هذا ما وعد الرحمن». مبتدأ و خبر. و يكون «من بعثنا من مرقدنا» كلام يوقف عليه. و يجوز الوقف على «هذا» و يكون «ما وعد الرحمن» خبر مبتدأ محذوف. أي: هذا ما وعد الرحمن. «و صدق المرسلون» في إخبارهم لنا بهذا المقام و هذا البعث. و قيل: أولّ الآية للكافرين و أخيرها للمسلمين. قال الكافرون: «يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا»؟ و قال المسلمون: «هذا ما و عد الرحمن و صدق المرسلون». و وصفوا القبر بالمرقد لأنّهم لمّا عاينوا أحوالهم في القيامة عدّوا أحوالهم في قبورهم بالإضافة إلى تلك الأهوال رقاداً. و قيل: هي النومة بين النفختين، لا يفتر عذاب القبر إلّا فيما بينهما فيرقدون.[۳]

عن أبي عبدالله عليه السلام: قالت الملائكة: «هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون».[٤]

و روي عن عليّ عليه السلام أنّه قرأ: «مِن بَعْثنا» على من الجارّة و المصدر.[٥]

عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا أمات الله أهل الأرض، لبث [كمثل] ما خلق و مثل ما أماتهم و

۱ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۸۳ـ۲۸٤.
۲ـ مجمع البيان ۸ / ٦٦٨.
۳ـ مجمع البيان ۸ / ٦٧٠.
٤ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۲۱٦.
٥ـ جوامع الجامع / ۳۹٤.

أضعاف ذلك. ثمّ أمات أهل السماء الدنيا ـ و ساق الكلام في موت أهل السموات سماء سماء ـ ثمّ أمات جبرئيل عليه السلام. ثمّ لبث بعده. ثمّ أمات إسرافيل. ثمّ أمات ملك الموت. ثمّ لبث ما شاء الله. ثمّ يقول: لمن الملك اليوم؟ فيردّ على نفسه: لله الواحد القهّار. أين الجبّارون؟ أين المتكبّرون؟ و أين الذين ادّعوا معي إلهاً آخر؟ ثمّ يبعث الخلق.[١]

[٥٣ ـ ٥٤] «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ لَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«محضرون»؛ أي: الأوّلون والآخرون مجموعون في عرصات القيامة. ثمّ يقول سبحانه للخلائق: «فاليوم لاتظلم نفس شيئاً»؛ أي: لاينقص أحد من حقّه بل الأمور جارية على مقتضى العدل.[٢]

[٥٥] «إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ».

«في شغل». شغلهم النعيم عمّا فيه أهل النار من العذاب فلايذكرونهم و إن كانوا أقاربهم. و عن الصادق عليه السلام أنّهم مشغولون بافتضاض العذارى. و قيل: باستماع الألحان. «فاكهون»؛ أي: فرحون. و قال أبوزيد: الفكه: الطيّب النفس الضحوك. و قيل: فاكهون ذووا فاكهة. نافع و ابن‌كثير: «شغل» بسكون الغين. و أبوجعفر: «فكهون» بغير ألف حيث وقع.[٣]

[٥٦] «هُمْ وَ أَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ».

«هم و أزواجهم في ظلال»؛ أي: هم و حلائلهم في الدنيا فى أستار من وهج الشمس و سمومها، فهم في تلك الحالة الطيّبة من الظلال التي لا حرّ فيها ولا برد. و قيل: أزواجهم من الحور العين في ظلال أشجار الجنّة أو في ظلال تسترهم من نظر العيون. «على الأرائك».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧١ و ٦٦٨.

و هي السرر عليها الحجال. و قيل: هي الوسائد. «متّكئون»؛ أي: جالسون جلوس الملك إذ لايعملون شيئاً. قرأ أهل الكوفة غير عاصم: «ظلل» بضمّ الضاد.(١)

عنهﷺ: إذا جلس المؤمن على سريره، اهتزّ سريره فرحاً. فـإذا اسـتقرّت لوليّ الله منازله في الجنّة، استأذن عليه الملك الموكّل بجنانه ليهنّيه بكرامة الله، فيقول له خدّام المؤمن و وصفاؤه: مكانك. فإنّ وليّ الله قد اتّكأ على أرائكه فزوجته الحور العين قد تهـيّأت له. فاصبر لوليّ الله حتّى يفرغ من شغله. فتخرج إليه زوجته الحوراء و حولها وصفاؤها عليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت و اللّؤلو. فإذا أدنت من وليّ الله، قام إليها فـيعنقان قـدر خمسمائة عام من أعوام الدنيا. ثمّ يبعث الله ألف ملك يهنّونه بالجنّة و يزوّجونه بالحوراء.(٢)

عن أبي جعفرؑ في حديث يحكي به حال أهل الجنّة: و المؤمن ساعة مع الحوراء، و ساعة مع الآدميّة، و ساعة يخلو بنفسه على الأرائك ينظر بعض المؤمنين إلى بعض.(٣)

[٥٧] «لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ لَهُمْ مَا يَدَّعُونَ».

«لهم فيها»؛ أي: في الجنّة. «يدّعون»؛ أي: يشتهون. و قيل: معناه أنّ كلّ من يدّعي شيئاً فهو له بحكم الله. لأنّ الله سبحانه قد هذّب طباعهم فلايدّعون إلّا ما يحسن منهم. وقـال الزجّاج: هو مأخوذ من الدعاء. أي: كلّ ما يدعونه يأتيهم.(٤)

[٥٨] «سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ».

ثمّ بيّن سبحانه ما يشتهون فقال: «سلام»؛ أي: لهم سلام و منىٰ أهل الجنّة أن يسلّم الله عليهم. «قولاً»؛ أي: يقوله الله قولاً يسمعونه من الله فيؤذنهم بدوام الأمن و السلام. و قيل: إنّ الملائكة تدخل عليهم من كلّ باب يقولون سلام عليكم من ربّكم الرحيم.(٥)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧١ و ٦٦٩.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٤٧.
٣ـ الكافي ٨ / ٩٩، ح ٦٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧١.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧١.

«سلام». بدل ممّا يدّعون. و «قولاً» مفعول مطلق لفعل محذوف. (ح)

[٥٩] «وَ امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ».

«و امتازوا اليوم»؛ أي: يقال لهم: انفصلوا ـ معاشر العصاة ـ عن المؤمنين و كونوا على حدة. و قيل: معناه أنّ لكلّ كافر بيتاً في النار يدخله فيردم بابه لايَرى و لايُرى.[١]

قال: إذا رجع الله الخلق يوم القيامة، يقوموا قياماً[٢] على أقدامهم حتّى يلجمهم العرق. فينادوا: يا ربّ حاسبنا و لو إلى النار. فيبعث الله رياحاً فتضرب بينهم و ينادي مناد: «و امتازوا اليوم أيّها المجرمون» فيميز بينهم فصار المجرمون في النار و من كان في قلبه من الايمان صار إلى الجنّة.[٣]

[٦٠] «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ».

«ألم أعهد إليكم». توبيخ لهم. أي: ألم آمركم على ألسنة الرسل ألّا تطيعوا الشيطان؟[٤]

و قال عليه السلام: من أصغى إلى ناطق فقد عبده. فإن كان الناطق عن الله، فقد عبد الله. و إن كان الناطق عن إبليس، فقد عبد إبليس.[٥]

[٦١] «وَ أَنِ اعْبُدُونِي هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ».

«هذا صراط»؛ أي: عبادتي؛ من حيث إنّها طريق إلى الجنّة.[٦]

[٦٢] «وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَ فَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ».

«و لقد أضلّ» ـ أي الشيطان ـ خلقاً كثيراً عن الدين. «أ فلم تكونوا تعقلون» أنّه

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧١ ـ ٦٧٢. ٢ـ المصدر: إذا جمع الله الخلق يوم القيامة بقوا قياماً....

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢١٦. و العبارة الأخيرة فيه: من كان في قلبه إيمان صار....

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٢. ٥ـ اعتقادات الصدوق / ١٠٥.

٦ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٢.

يغويكم؟ صورته صورة الاستفهام و معناه الإنكار عليهم و التبكيت لهم. و فيه بطلان مذهب أهل الجبر. لأنّه سبحانه لو أراد ضلالهم، لكان ذلك أضرّ عليهم من إرادة الشيطان. قرأ أبوعمرو و ابن‌عامر: «جُبْلاً» بضمّ الجيم و سكون الباء، و أهل المدينة و عاصم بكسر الجيم و الباء و تشديد اللّام، و الباقون بضمّها و تخفيف اللّام. و معناهنّ جميعاً: الخلق الكثير الذين جبلوا على خليقة؛ أي: طبعوا. و أصل الجبل: الطبع. و منه الجبل لأنّه مطبوع على الثبات.[۱]

[٦٣ ـ ٦٤] «هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ».

«كنتم توعدون». أي في دار الدنيا. «اصلوها»؛ أي: الزموا العذاب بها. و أصل الصلاء: اللّزوم.[۲]

[٦٥] «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«نختم على أفواههم» حقيقة حتّى لايقدروا على الكلام. «و تكلّمنا أيديهم». أي تستنطق الأعضاء التي كانت لاتنطق في الدنيا فتشهد عليهم، إمّا بأن يخلقها الله خلقة يمكن أن تتكلّم و تعترف بذنوبها، و إمّا أن يجعل فيها كلاماً لايظهر إلّا من جهتها فلذا نسب إليها، و إمّا أنّه يجعل فيها من الآيات ما يدلّ على أنّ أصحابها عصوا الله فسمّى ذلك شهادة منها.[۳]

«اليوم نختم». قال: إذا جمع الله الخلق يوم القيامة، دفع إلى كلّ إنسان كتابه فينظر فيه فينكرون أنّهم عملوا من ذلك من شيئاً. فتشهد عليهم الملائكة، فيقولون: يا ربّ ملائكتك يشهدون لك. ثمّ يحلفون أنّهم لم‌يفعلوا من ذلك شيئاً. و هو قول الله عزّ وجلّ: «يوم يبعثهم

۱ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٢ ـ ٦٧٣.
۲ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٣.
۳ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٣.

الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم».[١] و إذا فعلوا ذلك، ختم الله على ألسنتهم و تنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون.[٢]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث طويل في قوله تعالى: «اليوم نختم على أفواههم و تكلّمنا أيديهم» قال: ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة. يكون أهل المعاصي يلعن بعضهم بعضاً. ثمّ يجتمعون في مواطن أخر فيستنطقون فيه فيقولون فيه: «و الله ربّنا ماكنّا مشركين».[٣] و هؤلاء خاصّة هم المقرّون في دار الدنيا بالتوحيد فلم ينفعهم إيمانهم مع مخالفتهم رسله و نقضهم عهوده في أوصيائه و استبدالهم الذي [هو أدنى] بالذي هو خير. فكذّبهم الله فيما انتحلوا من الإيمان بقوله: «انظر كيف كذبوا على أنفسهم».[٤] فيختم الله على أفواههم و يستنطق الأيدي والأرجل و الجلود فتشهد بكلّ معصية كانت منهم. ثمّ يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولوا لجلودهم: «لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء».[٥][٦]

عن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ الله فرض الإيمان على جوارح ابن آدم و قسّمه عليها. و قال فيما شهدت الأيدي و الأرجل على أنفسها و أربابها من تضييعها لما أمر الله عزّ و جلّ: [«اليوم نختم على...»].[٧]

[٦٦] «وَ لَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ».

أخبر سبحانه عن قدرته على إهلاك هؤلاء الكفّار فقال: «و لو نشاء لطمسنا على أعينهم»؛ أي: لأعميناهم عن الهدى. أو: لتركناهم عمياً يتردّدون. «فاستبقوا الصراط»؛ أي: طلبوا طريق الحقّ و قد عموا عنه. فكيف يبصرون و قد أعميناهم؟ و قيل: معناه:

١ـ المجادلة (٥٨) / ١٨.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢١٦.
٣ـ الأنعام (٦) / ٢٣.
٤ـ الأنعام (٦) / ٢٤.
٥ـ فصّلت (٤١) / ٢١.
٦ـ الاحتجاج / ٢٤٢.
٧ـ الكافي ٢ / ٣٤ و ٣٦.

فطلبوا النجاة و السبق إليها و لا بصر لهم. فكيف يبصرونه و قد أعميناهم؟ و قيل: طلبوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا إليها.(١)

[٦٧] «وَ لَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَ لَا يَرْجِعُونَ».

«مكانتهم». أبوبكر: «مكاناتهم» على الجمع. «على مكانتهم»؛ أي: على مكانهم الذي فيه قعودهم. أي: و لو نشاء لعذّبناهم بعذاب آخر و أقعدناهم في منازلهم ممسوخين قردة و خنازير. و المكانة و المكان واحد. و قيل: معناه: لمسخناهم حجارة في منازلهم ليس فيهم أرواحهم. «فما استطاعوا مضيّاً»؛ أي: لا يقدروا على ذهاب و لا مجيء لو فعلنا ذلك بهم. أو: فما استطاعوا مضيّاً من العذاب و لا رجوعاً إلى الخلقة الأصليّة بعد المسخ. و هذا كأنّه تهديد هدّدهم الله به.(٢)

[٦٨] «وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَ فَلَا يَعْقِلُونَ».

«و من نعمّره»؛ أي: نطوّل عمره. «ننكّسه في الخلق»؛ أي: نصيّره بعد القوّة إلى الضعف و بعد زيادة الجسم إلى النقصان. فكأنّه نكّس خلقه. و قيل: نردّه إلى حالة الهرم التي تشبه حال الصبا في ضعف القوّة و عزوب العلم. «أفلا يعقلون» في أنّه تعالى يقدر على الإعادة كما قدر على ذلك؟ و عاصم و حمزة: «ننكّسه» بضمّ النون الأولى و فتح الثانية و كسر الكاف و تشديدها. و الباقون بضمّ الكاف و تخفيفها.(٣)

«أفلايعقلون». نافع و ابن‌عامر و يعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله.(٤)

[٦٩] «وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَ مَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ».

«و ما علّمناه الشعر». يعني قول الشاعر أو صناعة الشعر من عند نفسه. و قيل: معناه:

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٤.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٣ ـ ٦٧٤.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٤ و ٦٧٣.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨٦.

ما يتسهّل له الشعر. و ما كان يتزيّن له بيت شعر؛ حتّى أنّه إذا تمثّل ببيت شعر جرى على لسانه منكسراً. كما روي أنّه تمثّل بهذا البيت: «كفى الإسلام و الشيب للمرء ناهياً» فقال أبوبكر: [يارسول الله، إنّما قال الشاعر: «كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهياً».] أشهد أنّك رسول الله و ما علّمك الشعر. و إن وقع منه على الوزن، فهو اتّفاق منه و ليس بقصد إلى قول الشاعر. و قيل: معنى الآية: و ما علّمناه الشعر بتعليم القرآن و ما ينبغي للقرآن أن يكون شعراً. و قد صحّ أنّه عليه السلام كان يسمعه و يحثّ عليه. «إن هو»؛ أي: ما الذي أنزلناه عليه «إلّا ذكر و قرآن مبين»؛ أي: ليس بشعر و لا رجز بل هو ذكر. [و المراد بالذكر أنّه] يتضمّن الحلال و الحرام و أخبار الأمم و غيرها، و بالقرآن أنّه مجموع بعضه إلى بعض.(١)

قال: كانت قريش تقول: إنّ هذا الذي يقوله محمّد شعر. فردّ الله عزّ و جلّ عليهم: «و ما علّمناه الشعر». و لم يقل رسول الله صلّى الله عليه و آله شعراً قطّ.(٢)

[٧٠] «لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ».

«لينذر من كان حيّاً»؛ أي: مؤمناً. لأنّ الكافر كالميّت. أو المراد بالحيّ العاقل؛ كما روي عن عليّ عليه السلام. «و يحقّ القول»؛ أي: يجب الوعيد و العذاب «على الكافرين» بكفرهم. و أهل المدينة: «لتنذر من كان» بالتاء، و الباقون بالياء.(٣)

«من كان حيّاً». عن أبي عبدالله عليه السلام: هو المؤمن.(٤)

[٧١ ـ ٧٢] «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَ ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَ مِنْهَا يَأْكُلُونَ».

ثمّ عاد إلى ذكر الأدلّة على التوحيد. أي: ألم يعلموا أنّا خلقنا لمنافعهم «ممّا عملت

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٤ ـ ٦٧٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢١٧.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٥ و ٦٧٣.
٤ـ انظر: الكافي ٢ / ٥، ح ٧.

أيدينا» ؛ أي: ممّا ولينا خلقه بإنشائنا لم نخلقه بإعانة معين.(١) «أنعاماً»: الإبل و البقر [و الغنم]. «فهم لها مالكون»: يملكون الانتفاع بها. و قيل: فهم لها قاهرون، لم يخلقها وحشيّة نافرة لايقدرون على ضبطها. و هو قوله: «و ذلّلناها لهم» حتّى صارت منقادة. «فمنها ركوبهم»؛ أي: منها ما يركب و منها ما ينتفع بلحمها.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام بينا هو في سفر إذ نظر إلى رجل عليه كآبة و حزن فقال له: ما لك؟ قال: دابّتي حرون. قال: ويحك؛ اقرأ هذه الآية في أذنه: «أو لم يروا» ـ إلى: «يأكلون».(٣)

[٧٣] «وَ لَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ مَشَارِبُ أَ فَلَا يَشْكُرُونَ».

«و لهم فيها منافع»: أصوافها و أشعارها. «و مشارب» من ألبانها. «أ فلايشكرون» الله على هذه النعم؟(٤)

[٧٤] «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ».

«لعلّهم ينصرون»؛ أي: لكي يدفعوا عنهم عذاب الله.(٥)

[٧٥] «لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ».

«لايستطيعون نصرهم»؛ يعني: هذه الآلهة معهم في النار يحضرون. لأنّ كلّ حزب مع ما عبده من الأوثان في النار. فلا الجند يدفعون عنها الإحراق ولا هي تدفع عنهم العذاب. كما قال: «إنّكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنّم».(٦) و قيل: معناه أنّ الكفّار جند للأصنام يغضبون لهم و ينصرونهم في الدنيا و هي لاتسوق إليهم خيراً و لاتدفع عنهم شرّاً.

١ـ يوجد هاهنا في النسخة هذه العبارة : «و اليد هنا بمعنى القدرة. و إنّما ثنّاه لتحقيق المبالغة في الإضافة. و يقولون: هذا ما جنت يداك.» و في المصدر: «و اليد في اللّغة على أقسام... و منها القدرة و منها تحقيق الإضافة... و بمعنى تحقيق الإضافة قول الشاعر:... و إنّما ثنّاه لتحقيق المبالغة في الإضافة إلى مسور. و يقولون: هذا ما جنت يداك. و هو المعنيّ في الآية.» فلايخفى ما في عبارة النسخة من الخطأ في المعنى و التلخيص.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٦.

٣ـ طبّ الأئمّة / ٣٦.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٧.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٧.

٦ـ الأنبياء (٢١) / ٩٨.

قال الزجّاج: ينصرون الأصنام و هي لاتستطيع نصرهم.[١]

عن أبي جعفرعليه السلام في قوله: «لايستطيعون نصرهم» يقول: لايستطيع الآلهة لهم نصراً و هم للآلهة جند محضرون.[٢]

[٧٦] «فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ».

«فلايحزنك قولهم». أي في تكذيبك.[٣]

[٧٧] «أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ».

قيل: إنّ أبيّ بن خلف جاء بعظم بال و قال: يا محمّد، أ تزعم أنّ الله يبعث هذا؟ فقال: نعم. فنزلت هذه الآية. أي: ألم يعلم الإنسان [أنّا خلقناه] من نطفة، ثمّ نقلناه من النطفة إلى العلقة، و هكذا في جميع المراتب إلى أن كمل عقله و صار متكلّماً خصيماً. و ذلك قوله: «فإذا هو خصيم مبين»؛ أي: مخاصم ذوبيان. فمن قدر على جميع ذلك، فكيف لايقدر على الإعادة و هي أسهل من الإنشاء؟[٤]

«فإذا هو خصيم مبين»؛ أي: يخاصم و يجادل بالباطل. كما روي أنّ أبيّ بن خلف أتى رسول الله بعظم بال يفتّه بيده و قال: أ ترى الله يحيي هذا بعد ما رمّ؟ فقال صلى الله عليه وآله: نعم و يبعثك و يدخلك النار. فنزلت. و قيل: معنى «فإذا هو خصيم مبين»: فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً مميّز منطيق قادر على الخصام معرب عمّا في نفسه.[٥]

[٧٨] «وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ».

ثمّ أكّد سبحانه الإنكار عليه فقال: «و ضرب لنا مثلاً»؛ أي: ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي و فتّه بيده و يتعجّب ممّن يقول إنّ الله يحييه. «و نسي خلقه»؛ أي: ترك النظر في

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٧.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢١٧.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٧.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨٧.

خلق نفسه، ثمّ بيّن ذلك المثل بقوله: «من يحيي العظام و هي رميم»؛ أي: بالية. و القائل ذلك هو أبيّ بن خلف. و قيل: العاص بن وائل.(١)

«لنا مثلاً»؛ أي: أمراً عجيباً و هو نفي القدرة على إحياء الموتى و تشبيهه بخلقه بالعجز عمّا عجزوا عنه.(٢)

[٧٩] «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ».

«قل»؛ أي: قل يا محمّد ﷺ «يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة و هو بكلّ خلق عليم» من الابتداء و الإعادة فيعلم به قبل أن يخلقه أنّه إذا خلقه كيف يكون.(٣)

[٨٠] «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ».

ثمّ زاد في البيان فقال: الذي جعل لكم من الشجر الرطب المطفئ للنار ناراً محرقة. يعني بذلك المرخ والعفار؛ وهما شجرتا نار يتّخذ العرب زنودهما منهما. فبيّن سبحانه أنّ من يقدر على أن يجعل في الشجر الذي هو غاية الرطوبة ناراً حامية مع مضادّة النار للرطوبة، حتّى إذا احتاج الإنسان حكّ بعضه ببعض فيخرج منه النار، قدر أيضاً على الإعادة. و قيل: كلّ شجرة يقدح منها النار إلّا العنّاب.(٤)

«الشجر الأخضر» كالمرخ و العفار بأن يسحق المرخ على العفار و هما خضراوان يقطر منهما الماء فينقدح النار. «توقدون»؛ أي: لاتشكّون في أنّها نار خرجت منه.(٥)

عن أبي عبدالله ﷺ قال: يا إسحاق، أيّ شيء يقول أصحابك [في] قول إبليس: «خلقتني من نار و خلقته من طين»(٦)؟ قلت: جعلت فداك؛ قد قال ذلك و ذكره الله في كتابه. قال: كذب إبليس يا إسحاق. ما خلقته إلّا من طين. ثمّ [قال:] قال الله: «الذي جعل

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨٧.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٨.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٨ ـ ٦٧٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨٨.
٦ـ الأعراف (٧) / ١٢.

لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون». خلقه الله من ذلك النار مـن تـلك الشجرة و الشجرة أصلها من طين.(١)

[٨١] «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ».

ثمّ ذكر ما هو أعظم من خـلق الإنسـان فـقال: «أو ليس الذي خـلق السـموات و الأرض»؟ وهذا استفهام معناه التقرير. يعني: من قدر على خلق السموات و الأرض مع عظمتها، يقدر على إعادة خلق البشر.(٢)

«على أن يخلق مثلهم». يحتمل معنيين: مثلهم في الصغر والقماءة بالإضافة إلى السموات و الأرض، أو أن يعيدهم، لأنّ المعاد مثل للمبتدأ و ليس به.(٣)

[٨٢] «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

«كن فيكون»؛ أي: يكوّنه فيكون. فعبّر عن هذا المعنى بكن.(٤)

[٨٣] «فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

«سبحان الذي بيده» تنزيهاً له من نفي القدرة على الإعادة و غير ذلك ممّا لا يـليق بصفاته. «بيده»؛ أي: بقدرته ملك كلّ شيء. ومن قدر على كلّ شيء، قدر على إحياء العظام الرميم و على خلق كلّ شيء و إفنائه. «و إليه ترجعون» يوم القيامة.(٥)

«ترجعون». يعقوب بفتح التاء.(٦)

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الروح تبقى بعد البدن إلى وقت ينفخ في الصور. فعند ذلك تبطل الأشياء. و ما بين النفختين أربعمائة سنة. و انّ تراب الروحانيّين بمنزلة الذهب في التراب.

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٣١.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٧٩.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٠.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨٨.

فإذا كان حين البعث، مطرت الأرض مطر النشور فشربته الأرض، ثمّ يمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء و الزبد من اللّبن إذا مخض. فيجتمع تراب كلّ قالب إلى قالبه فينتقل بإذن الله إلى حيث الروح فتعود الصورة بإذن المصوّر كهيئتها و تلج الروح فيها.[١]

١ـ الاحتجاج ٢ / ٣٥٠.

٣٧.
سورة الصافّات

عن أبي الحسن عليه السلام أنّه قال لابنه القاسم: يا بنيّ لم تقرأ سورة الصافّات عند مكروب من موت إلّا عجّل الله راحته.(١)

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطي من [الأجر] عشر حسنات بعدد كلّ جنّيّ و شيطان و تباعدت عنه مردة الشياطين و برئ من الشرك و شهد له حافظاه في القيامة [أنّه] كان مؤمناً بالمرسلين.(٢)

و عن الصادق عليه السلام: من قرأها في كلّ يوم جمعة، لم يزل محفوظاً من كلّ آفة ـ الخبر.(٣)

و من اغتسل بمائها زالت أوجاعه.(٤)

من قرأها في كلّ يوم جمعة، لم يزل محفوظاً من كلّ آفة مدفوعة عنه كلّ بليّة في الحياة الدنيا في أوسع مايكون من الرزق، و لم يصبه في ماله و ولده و بدنه سوء من شيطان رجيم و لا جبّار عنيد. و إن مات في يومه أو ليلته، بعثه الله شهيداً و أدخله الجنّة مع الشهداء.(٥)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ الصَّافَّاتِ صَفّاً».

أدغم أبوعمرو و حمزة التاء في الصاد و في الزاي و في الذال من «الصافّات صفّاً * فالزاجرات زجراً * فالتاليات ذكراً». «و الصافّات صفّاً». هي الملائكة تصفّ أنفسها

١ـ الكافي ٣ / ١٢٦، ح ٥.
٢ـ المصباح / ٥٨٩.
٣ـ المصباح / ٥٨٩.
٤ـ المصباح / ٦٠٩.
٥ـ ثواب الأعمال / ١٣٩، ح ١.

صفوفاً في السماء كصفوف المؤمنين للصلاة. أو: الملائكة تصفّ أجنحتها في الهوى إذا أرادت النزول إلى الأرض واقفة تنظر ما يأمرها الله. أو: جماعة المؤمنين يقومون مصطفّين في الصلاة و في الجهاد.[۱]

[۲] «فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً».

«فالزاجرات زجراً»؛ أي: الملائكة تزجر الخلائق عن المعاصي. أو المراد الملائكة تزجر السحاب و تسوقها. أو إنّها زواجر القرآن و آياته الناهية عن القبائح. أو إنّهم المؤمنون يرفعون أصواتهم عند قراءة القرآن. لأنّ الزجرة الصيحة.[۲]

[۳] «فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً».

[٤] «إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ».

«إنّ إلهكم لواحد» ليس له شريك. قيل: [هذه] أقسام بالله على تقدير: و ربّ الصافّات. و قيل: أقسم سبحانه بهذه الأشياء لتعظيمها.[۳]

[٥] «رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ».

«و ربّ المشارق». هي مطالع الشمس بعدد أيّام السنة ثلاثمائة و ستّون مشرقاً. و المغارب مثل ذلك.[٤]

[٦] «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ».

«السماء الدنيا». و هي التي أقرب إلينا. «بزينة الكواكب»؛ أي: حسنها و ضوئها. عاصم و حمزة: «بزينةٍ الكواكبِ» بالجرّ. و أبوبكر: «بزينةٍ» منوّنة أيضاً «الكواكبَ» بالنصب. و قرأ

۱ـ مجمع البيان ۸ / ٦۸۲ ـ ٦۸۳.

۲ـ مجمع البيان ۸ / ٦۸۳ - ٦۸٤.

۳ـ مجمع البيان ۸ / ٦۸٤.

٤ـ مجمع البيان ۸ / ٦۸٤.

الباقون: «بزينةِ الكواكبِ» مضافة. من قرأ: «بزينةٍ الكواكبِ» جعل الكواكب بدلاً من الزينة. ومن قرأ: «الكواكبَ» بالنصب، أعمل الزينة في الكواكب. أي: زيّنّا الكواكب فيها. و من قرأ بالإضافة، أضاف المصدر إلى المفعول.(١)

«بزينة الكواكب». و ركوز الثوابت في الكرة الثامنة و ما عدا القمر من السيّارات في الستّ المتوسّطة بينها و بين السماء الدنيا ـ إن تحقّق ـ لم يقدح في ذلك. فإنّ أهل الأرض يرونها بأسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الأزرق بأشكال مختلفة.(٢)

[٧] «وَ حِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ».

«و حفظاً»؛ أي: حفظناها حفظاً من كلّ شيطان خبيث؛ أي: حفظناها من دنوّه للاستماع. فإنّهم كانوا يستمعون كلام الملائكة و يلقون ذلك إلى ضعفة الجنّ و كانوا يوسوسون بها في قلوب الكهنة و يوهمونهم أنّهم يعلمون الغيب.(٣)

[٨] «لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلىٰ وَ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ».

أهل الكوفة غير أبي‌بكر: «لايسّمّعون» بتشديد السين والميم، والباقون بالتخفيف.(٤)

«لايَسْمعون». كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم. و تعدية السماع بإلى لتضمّنه معنى الإصغاء مبالغة في نفيه و تهويلاً لما يمنعهم عنه. و يدلّ عليه قراءة التشديد من التسمّع و هو طلب السماع. و «الملأ الأعلى»: الملائكة أو أشرافهم.(٥)

[٩] «دُحُوراً وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ».

«دحوراً». علّة. أي: للدحور، وهو الطرد. أو حال بمعنى مدحورين.(٦)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٢ ـ ٦٨٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٤ ـ ٦٨٥.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٠.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٠.

[١٠] «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ».

«إلّا من خطف الخطفة». الخطف: الاختلاس. و المراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة، و لذلك عرّف الخطفة. و الشهاب ما يرى [كأنّ] كوكباً انقضّ. و اختلف في أنّ المرجوم يتأذّى به فيرجع أو يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرّة و قد لايصيب و لذلك لايرتدعون عنه رأساً. و لايقال: إنّ الشيطان من النار فلايحترق. لأنّه ليس من النار الصرف؛ كما أنّ الإنسان ليس من التراب الصرف. مع أنّ النار القويّة إذا استولت على الضعيفة استهلكتها.(١)

عنهﷺ في حديث طويل قال: فصعد جبرئيل و صعدت معه إلى سماء الدنيا و عليها ملك يقال له إسماعيل وهو صاحب الخطفة الذي قال الله عزّ وجلّ: «إلّا من خطف الخطفة» و تحته سبعون ألف ملك ـ الحديث.(٢)

[١١] «فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ».

«فاستفتهم» يا محمّد. سؤال تقرير. «أهم أشدّ خلقاً أم من خلقناه» من الملائكة و السموات و الأرض؟ و اللّازب: الملتصق من الطين الحرّ.(٣)

«فاستفتهم»؛ أي: استخبرهم. و الضمير لمشركي مكّة أو لبني آدم. «أم من خلقنا» من الملائكة و السموات. «من طين لازب». فإنّه الفارق بينهم و بينها، لا بينهم و بين من قبلهم كعاد و ثمود. و لأنّ المراد إثبات المعاد و [ردّ] استحالته و الأمر فيه بالإضافة إليهم و إلى من قبلهم سواء.(٤)

[١٢] «بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٠ ـ ٢٩١. ٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤ ـ ٥.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٦.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩١. قوله: «فإنّه الفارق» ـ الخ ـ ردّ على من فسّر «أم من خلقنا» بالأمم الماضية.

«بل عجبت» من قدرة الله و إنكارهم البعث. «و يسخرون» من تعجّبك و تـقريرك للبعث. و قرأ حمزة بالضمّ. أي: بلغ كمال قدرتي و كثرة خلائقي أن تعجّبت منها و هـؤلاء لجهلهم يسخرون منها. أو: عجبتُ من [أن] ينكر البعث ممّن هذه أفعاله و هم يسخرون ممّن يجوّزه.(١)

«بل عجبت» من تكذيبهم إيّاك و هم يسخرون من تعجّبك. و من ضمّ التاء، فالمراد أنّه سبحانه أمر نبيّه أن يخبر عن نفسه بأنّه عجب من هذا القرآن حين أعطيه و سخر منه أهل الضلالة. وَ قيل: «يسخرون»؛ أي: يهزؤون بدعائك إيّاهم إلى التوحيد.(٢)

[١٣] «وَ إذا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ».

«و إذا ذكّروا»؛ أي: إذا وعظوا بالقرآن، لاينتفعون بالقرآن.(٣)

[١٤ ـ ١٥] «وَ إِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ * وَ قَالُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ».

«آية» من آيات الله ومعجزة مثل انشقاق القمر و غيرها، يستهزؤون. و قيل: مـعناه يستدعي بعضهم بعضاً إلى إظهار السخريّة. «و قالوا» لتلك الآية: ما هذا إلّا سحر ظاهر.(٤)

[١٦] «أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَاباً وَ عِظَاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ».

«أ إنّا لمبعوثون»؛ أي كيف نبعث بعد ما صرنا تراباً؟(٥)

«أ إنّا لمبعوثون». ابن عامر بطرح الهمزة الأولى، و الكسائيّ بطرح الثانية.(٦)

[١٧] «أَ وَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩١.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٦.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٧.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٧.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٧.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩١.

«أو آباؤنا»؛ أي: يبعث آباؤنا؟[١]

«أو آباؤنا». نافع بسكون الواو.[٢]

[١٨] «قُلْ نَعَمْ وَ أَنْتُمْ دَاخِرُونَ».

«قل نعم»؛ أي: تعادون و أنتم صاغرون أشدّ الصغار.[٣]

[١٩ ـ ٢٠] «فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ * وَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا هٰذَا يَوْمُ الدِّينِ».

«فإنّما هي»؛ أي: قصّة البعث «زجرة واحدة»؛ أي: صيحة واحدة من إسرافيل. و هي نفخة البعث. «فإذا هم ينظرون» إلى البعث، أو إلى العذاب و يقولون معترفين بالعصيان: «يا ويلنا» من العذاب. و هي كلمة يقولها القائل عند الوقوع في التهلكة، مثل: يا حسرتنا. «يوم الدين»؛ أي: الجزاء و الحساب.[٤]

[٢١] «هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ».

«هذا يوم الفصل»؛ أي: تمييز الحقّ من الباطل. يعرفوه كلّهم بدخول المطيع الجنّة و العاصي النار. «الذي كنتم به تكذّبون». هذا كلام بعضهم لبعض. و قيل: بل هو كلام الملائكة.[٥]

[٢٢ ـ ٢٣] «احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوَاجَهُمْ وَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ».

«احشروا الذين ظلموا». كلامه سبحانه و أمر للملائكة بأن يحشروا الظالمين لأنفسهم

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٧.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩١.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٧.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٧.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٨.

ـ بالمعاصي ـ أو الناس. «و أزواجهم»؛ أي: أشباههم، كأن يحشر الزاني مع الزاني و الشارب مع الشارب. و قيل: و أشياعهم من الكفّار. و قيل: أزواجهم المشركات. «فاهدوهم». على سبيل التهكّم، من حيث كان بدلاً عن الهداية إلى الجنّة.(١)

«احشروا الذين ظلموا» قال: الذين ظلموا آل محمّد. «و أزواجهم». قال: أشباههم. «فاهدوهم». يقول: ادعوهم إلى طريق الجحيم.(٢)

[٢٤] «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ».

«و قفوهم»؛ أي: احبسوهم عن دخول الجنّة حتّى يسألوا عمّا دعوا إليه من البدع أو عن أعمالهم و خطاياهم. و قيل: عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام.(٣)

«إنّهم مسؤولون». قال: عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام.(٤)

عنه صلى الله عليه و آله: إذا كان يوم القيامة و ينصب الصراط على جهنّم، لم يجز عليه إلّا من معه جواز فيه [ولاية] عليّ بن أبي طالب. و ذلك قوله تعالى: «و قفوهم إنّهم مسؤولون». يعني عن ولاية عليّ بن أبي طالب.(٥)

عنه صلى الله عليه و آله: إذا كان يوم القيامة، أمر الله مالكاً أن يسعّر النيران السبع و يأمر رضوان يزخرف الجنان الثمان و يقول: يا ميكائيل، مدّ الصراط على متن جهنّم. و يقول: يا جبرئيل، انصب ميزان العدل تحت العرش. و يقول: يا محمّد، قرّب أمّتك للحساب. ثمّ يأمر الله أن يعقد على الصراط سبع قناطر طول كلّ قنطرة سبعةعشر ألف فرسخ و على كلّ قنطرة سبعون ألف ملك يسألون هذه الأمّة على القنطرة الأولى عن [ولاية] أميرالمؤمنين و أهل بيته عليهم السلام. فمن أتى بها، جاز القنطرة الأولى كالبرق الخاطف. و من لايحبّ أهل بيته، سقط على أمّ رأسه في قعر جهنّم و لو كان معه من أعمال البرّ عمل سبعين صدّيقاً.(٦)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٨.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٢٢.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٨.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٢٢.
٥ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٢٩٦.
٦ـ تأويل الآيات ٢ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

[۲٥] «مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ».

«لاتناصرون»؛ أي: لاينصر بعضكم بعضاً في دفع العذاب.[۱]

[۲٦] «بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ».

«مستسلمون»؛ أي: منقادون خاضعون.[۲]

[۲۷] «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ».

«يتساءلون»؛ أي: يقبل كلّ واحد على صاحبه الذي أغواه فيقول على وجه التعنيف: لِمَ غـررتني؟ و يـقول ذلك: لم قـبلت مـنّي؟ و قـيل: إنّ المـتبوع و الأتـباع يـتلاومون و يتخاصمون.[۳]

[۲۸] «قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ».

«قالوا» ـ أي الكفّار لإخوانهم ـ : إنّكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة و اليمن و البركة. فلذلك أقررنا لكم. و قيل: اليمين هنا بعنى الدين. أي: ترونا أنّ الحقّ و الدين ما تضلّوننا به. وقيل: معناه: كنتم تأتوننا من قبل القوّة و القدرة فتخدعوننا من أقوى الوجوه.[٤]

«تأتوننا عن اليمين». يعني فلاناً و فلاناً.[٥]

«عن اليمين»؛ أي: عن القوّة و القهر فتقسروننا على الضلال. أو: عن الحلف. فإنّهم كانوا يحلفون لهم أنّهم على الحقّ.[٦]

[۲۹] «قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ».

۱ـ مجمع البيان ۸ / ٦۸۸.

۲ـ مجمع البيان ۸ / ٦۸۸.

۳ـ مجمع البيان ۸ / ٦۸۹.

٤ـ مجمع البيان ۸ / ٦۸۹.

٥ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۲۲۲.

٦ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۹۲.

«قالوا» في جواب ذلك: ليس الأمركما قلتم، بل لم تكونوا مصدّقين بالله.[١]

[٣٠] «وَ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ».

«من سلطان»؛ أي: قوّة و قدرة نجبركم على الكفر. «طاغين»؛ أي: متجاوزين الحدّ إلى أفحش الظلم.[٢]

[٣١ ـ ٣٢] «فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ».

«فحقّ علينا». حكاية عن الكفّار الذين قالوا: «و ماكان لنا عليكم من سلطان» ثمّ قالوا: «فحقّ علينا قول ربّنا» بأنّا لانؤمن و نموت على الكفر، أو وجب علينا العذاب الذي نستحقّه على الكفر و الإغواء. «لذائقون» العذاب كالمطعوم. ثمّ يعترفون بأنّهم أغووهم بأن قالوا: «فأغويناكم»؛ أي: دعوناكم إلى الغيّ. «كنّا غاوين»؛ أي: داخلين في الضلالة.[٣]

[٣٣] «فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ».

«مشتركون». أي الأتباع و المتبوعون. لم ينفعهم ذلك التخاصم.[٤]

[٣٤ ـ ٣٦] «إِنَّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ».

«كذلك نفعل بالمجرمين» الذين جعلوا لله شركاء. أو: مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين. و إنّما فعل ذلك بهم من أجل «إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا الله يستكبرون» عن قبول ذلك. [«و يقولون...»؛ أي: يأنفون عن هذه المقالة... و يقولون: لاندع عبادة الأصنام] «لشاعر مجنون»؛ أي: لقوله و لأنّه يدعو إلى خلافها. يعنون النبيّ صلى الله عليه وآله.[٥]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٩.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٩.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٨٩ ـ ٦٩٠.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٠.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٠.

[٣٧] «بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ».

«بل جاء بالحقّ». كذّبهم الله بأنّه ليس بشاعر و لا مجنون ولكنّه أتى بالدين الحقّ و حقّق ما أتى به المرسلون من بشاراتهم أو أتى بمثل ما أتوا به من الدعاء إلى التوحيد.(١)

[٣٨] «إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ».

ثمّ خاطب الكفّار فقال: «إنّكم» أيّها المشركون «لذائقو العذاب» على كفركم و نسبتكم إيّاه إلى الشعر و الجنون.(٢)

[٣٩ ـ ٤٠] «وَ مَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ».

«إلّا عباد الله». استثناء منقطع إلّا أن يكون الضمير في «تجزون» لجميع المكلّفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة، فإنّ ثوابهم مضاعف والمنقطع أيضاً بهذا الاعتبار.(٣)

«إلّا عباد الله». فإنّهم لايذوقون العذاب.(٤)

[٤١ ـ ٤٤] «أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ».

«رزق معلوم»؛ أي: كلّ وقت شيء معلوم مقدّر. و فسّر ذلك [الرزق بأن قال:] «فواكه» يتفكّهون بها و يتنعّمون بالتصرّف فيها، و هم مع ذلك معظّمون مبجّلون على سرر يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض و لايرى بعضهم إلى قفا بعض.(٥)

«رزق معلوم» خصائصه من الدوام و تمحّض اللذّة. و لذلك فسّره بقوله: «فواكه». فإنّ الفاكهة إنّما تقصد للتلذّذ دون التغذّي و القوت بالعكس. «و هم مكرمون» في نيله يصل إليهم من غير تعب و لا سؤال كما عليه رزق الدنيا. «في جنّات النعيم»؛ أي: ليس فيها إلّا

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٠.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٣.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٠.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩١ ـ ٦٩٢.

النعيم. و هو ظرف.[١]

«فواكه». فسّر الرزق المعلوم بالفواكه و هي كلّ ما يتلذّذ به لايتقوّت لحفظ الصحّة. يعني أنّ رزقهم كلّه فواكه، لأنّهم مستغنون من حفظ الصحّة بالأقوات، بأنّهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد، فكلّ ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذّذ. و قيل: معلوم الوقت؛ كقوله: «و لهم رزقهم فيها بكرة و عشيّاً».[٢] [٣]

عنه عليه السلام حاكياً [حال] أهل الجنّة: و أمّا قوله: «أولئك لهم رزق معلوم» قال: يعلمه الخدّام فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم إيّاه. و أمّا قوله: «فواكه و هم مكرمون» قال: لايشتهون شيئاً في الجنّة إلّا أكرموا به.[٤]

[٤٥] «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ».

«بكأس»؛ أي: إناء فيه خمر. «معين»؛ أي: شراب معين أو نهر معين؛ أي: ظاهر للعيون أو خارج من العيون. وهو صفة الماء وصف به خمر الجنّة لأنّها تجري كالماء.[٥]

«من معين»؛ أي: شراب معين. أو: من نهر معين، و هو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون. وصف بما يوصف به الماء لأنّه يجري في الجنّة في أنهار كما يجري الماء. قال الله تعالى: «و أنهار من خمر».[٦] [٧]

«بكأس». و هو الإناء بما فيه من الشراب. «من معين»؛ أي: من خمر جارية فيها أنهار ظاهرة العيون. و قيل: شديدة الجري.[٨]

[٤٦] «بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ».

«بيضاء». يعني خمر الجنّة من جهة الصفا و اللّطافة و النوريّة. و خمر الجنّة أشدّ بياضاً

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٣.
٢ـ مريم (١٩) / ٦٢.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٢.
٤ـ الكافي ٨ / ١٠٠، ح ٦٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤.
٦ـ محمّد صلى الله عليه وآله (٤٧) / ١٥.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٢.
٨ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٢.

من اللّبن. و في قراءة أبيّ[۱]: «صفراء». فيحتمل أن يكون بيضاء الكأس صفراء اللّون.
«لذّة»؛ أي: ليس فيها مرارة ولا كراهة بل لذيذة.[۲]

«بيضاء لذّة للشاربين» صفتان للكأس. ووصفها بلذّة إمّا للمبالغة، أو لأنّها تأنيث لذّ بمعنى لذيذ كطبّ.[۳]

[٤٧] «لَا فِيهَا غَوْلٌ وَ لَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ».

أهل الكوفة غير عاصم: «ينزِفون» بكسر الزاء. يجوز أن يريد به: لا يسكرون عن شربها. و يجوز أن يريد: لا ينفد ذلك عندهم كما ينفد شراب أهل الدنيا.[٤]

«لا فيها غول»؛ أي : لا تغتال عقولهم فتذهب بها و لا تصيبهم منها وجع في البطن و لا في الرأس. «ينزفون»؛ أي: يسكرون.[٥]

«ينزفون». على البناء للمفعول. نزف الشارب، إذا ذهب عقله. و يقال للسكران نزيف و منزوف.[٦]

[٤٨] «وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ».

«و قاصرات الطرف»: قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ فلا يرون غيرهنّ لحبّهنّ إيّاهم. و قيل: معناه: لا يفتحن أعينهنّ دلالاً و غنجاً. «عين»؛ أي: واسعات العيون. أو: الشديدة بياض العين الشديدة سوادها.[۷]

[٤٩] «كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ».

«بيض مكنون». شبّهنّ ببيض النعام مكنون بالريش من الغبار و الريح. و قيل: شبّهنّ

۱ـ المصدر: ابن مسعود.
۲ـ مجمع البيان ۸ / ٦۹۲.
۳ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۹٤.
٤ـ مجمع البيان ۸ / ٦۹۱.
٥ـ مجمع البيان ۸ / ٦۹۲.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤۳.
۷ـ مجمع البيان ۸ / ٦۹۲.

بطن البيض قبل أن يقشر و قبل أن تمسّه الأيدي. و المكنون: المصون.[١]

[٥٠] «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ».

«فأقبل بعضهم». معطوف على «يطاف عليهم». أي: يشربون فيتحادثون على الشراب. قال:

و ما بقيت من اللّذّات إلّا   أحاديث الكرام على المدام[٢]

«يتساءلون». يعني أهل الجنّة يسأل بعضهم بعضاً عن أحوالهم من حين بعثوا إلى أن دخلوا الجنّة فيخبر كلّ صاحبه بإنعام الله عليه.[٣]

[٥١ ـ ٥٢] «قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ».

«قال قائل منهم». نزلت في رجل تصدّق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض إخوانه. فقال: و أين مالك؟ قال: تصدّقت به ليعوضني الله في الآخرة خيراً منه. فقال: أ إنّك لمن المصدّقين بيوم الدين؟ أو: من المصدّقين لطلب الثواب؟ و الله لا أعطيك شيئاً![٤]

«قال قائل منهم»؛ أي: من أهل الجنّة. «لي قرين» في دار الدنيا. أي: صاحب يختصّ بي. فإمّا من الإنس على قول ابن‌عبّاس، أو من الشياطين على قول مجاهد. «يقول» لي على وجه الإنكار عليّ: «أ إنّك لمن المصدّقين» بيوم الدين؟[٥]

[٥٣] «أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَاباً وَ عِظَاماً أَ إِنَّا لَمَدِينُونَ».

«أ إذا متنا». الاستفهام هنا على وجه الإنكار. «لمدينون»؛ أي: مجزيّون محاسبون. من قولهم: كما تدين تدان. و المعنى: انّ ذلك القرين كان يقول لي في الدنيا على طريق الاستبعاد: أنبعث بعد أن صرنا تراباً و نجازى على أعمالنا؟ يعني أنّ هذا لا يكون.[٦]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٢.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٤.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٤.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٣.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٣.

[٥٤ ـ ٥٥] «قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ».

«قال». أي هذا المؤمن لإخوانه في الجنّة. «هل أنتم مطّلعون» على موضع من الجنّة نرى منه هذا القرين؟ أي: هل تؤثرون أن تروا مكان هذا القرين في النار؟ و في الكلام حذف. أي: فيقولون له: نعم؛ اطّلع أنت. فأنت أعرف بصاحبك. لأنّ الله جعل لأهل الجنّة كوّة ينظرون منها إلى النار. «فاطّلع» هذا المؤمن فرأى قرينه في وسط النار.(١)

[٥٦] «قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ».

«قال» له المؤمن: «تالله إن كدت لتردين». إن هذه المخفّفة من المثقّلة. أقسم بالله على وجه التعجّب: انّك كدت لتهلكني بما دعوتني إليه كهلاك المتردّي من شاهق. و منه قوله: «و ما يغني عنه ماله إذا تردّى»(٢) [أي: تردّى] في النار.(٣)

[٥٧] «وَ لَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ».

«و لولا نعمة ربّي» عليّ بالعصمة والهداية حتّى آمنت «لكنت من المحضرين» معك في النار. و لا يستعمل أحضر مطلقاً إلّا في الشرّ. و لولا أن عرّفه الله إيّاه لم يعرفه لأنّه قد تغيّر بشره و لونه.(٤)

[٥٨ ـ ٦٠] «أَ فَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

«أفما نحن بميّتين». معناه أنّ هذا المؤمن يقول لهذا القرين على وجه التوبيخ: أليس كنت تقول إنّا لانموت إلّا الموتة التي تكون في الدنيا و لانعذّب؟ فقد ظهر الأمر بخلاف ذلك. و قيل: إنّ هذا من قول أهل الجنّة بعضهم لبعض على وجه [إظهار] السرور بدوام نعيم الجنّة.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٣ ـ ٦٩٤.
٢ـ اللّيل (٩٢) / ١١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٤.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٤.

و لهذا عقّبه بقوله: «إنّ هذا لهو الفوز العظيم». معناه: أفما نحن بميّتين في هذه الجنّة إلّا موتتنا التي كانت في الدنيا وما نحن بمعذّبين كما وعدنا الله؟ و يريدون به التحقيق لا الشكّ. و إنّما قالوا هذا لأنّ لهم في ذلك سروراً مجدّداً و فرحاً مضاعفاً و إن كانوا قد عرفوا أنّهم سيخلدون في الجنّة. و هذا كما أنّ الرجل يعطى المال الكثير فيقول مستعجباً: كلّ هذا المال لي؟ و هو يعلم أنّ ذلك له.(١)

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة و أهل النار النار، جيء بالموت فيذبح كالكبش بين الجنّة والنار. ثمّ يقال: خلود فلا موت أبداً. فيقول أهل الجنّة: «أفما نحن بميّتين إلّا موتتنا الأولى».(٢)

احتجّ نفاة عذاب القبر بقوله: «إلّا موتتنا الأولى» فإنّه يدلّ على أنّها موتة واحدة، ولو حصلت الحياة في القبر، لكان الموت حاصلاً مرّتين. و أجيب بأنّ المراد بالموتة الأولى كلّ ما يقع في الدنيا.(٣)

[٦١] «لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ».

ثمّ قال سبحانه في تمام الحكاية عن قول أهل الجنّة: «لمثل هذا»؛ أي: لمثل هذا الثواب «فليعمل العاملون».(٤)

[٦٢ ـ ٦٣] «أَ ذٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ».

«أذلك خير نزلاً»؛ أي: ذلك الذي ذكرناه من قرى أهل الجنّة و ما أعدّ لهم خير في باب الأنزال، و هو الطعام و الغذاء التي تقيم الأبدان و تبقى عليه الأرواح. «شجرة الزقّوم». زعم قطرب أنّ الزقّوم شجرة مرّة تكون بتهامة. و ظاهر التلاوة يدلّ على أنّ العرب كانت لاتعرفها فلذلك فسّر بعد ذلك. و قيل: الزقّوم شجرة في النار يقتاتها أهل النار ثمرتها مرّة

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٢٣.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٢٣ / ٥٥.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٤.

خشنة اللّمس منتنة الريح. روي: انّ قريشاً لمّا سمعت هذه الآية قالت: ما نعرف هذه الشجرة، فقيل: الزقّوم بكلام البربر التمر و الزبد. فقال أبوجهل لجاريته: يا جارية، زقّمينا. فأتته الجارية بتمر و زبد فقال لأصحابه: تزقّموا بهذا الذي يخوّفكم به محمّد فزعم أنّ النار تنبت الشجر و النار تحرق الشجر. فأنزل الله: «إنّا جعلناها فتنة للظالمين» افتتنوا بها فكذّبوا بكونها. وقيل: أراد بالفتنة العذاب. أي: جعلناها عذاباً للظّالمين؛ أي: شدّة عذاب لهم.[1]

«الزقّوم»: شجرة ثمرها نزل أهل النار. و انتصاب «نزلاً» على التميز. و في ذكره دلالة على أنّ ما ذكر من النعيم بمنزلة مايقام للنازل و لهم وراء ذلك ما يقصر [عنه] الأفهام. و كذلك الزقّوم لأهل النار. «فتنة للظالمين»: ابتلاء في الدنيا. فإنّهم لمّا رأوا أنّها في النار قالوا: كيف ذلك و النار تحرق الشجر؟ و لم يعلموا بقدرة الله.[2]

[٦٤] «إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ».

«إنّها»؛ أي: إنّ الزقّوم شجرة تنبت في قعر جهنّم و أغصانها ترفع إلى دركاتها.[3]

[٦٥] «طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ».

«طلعها»؛ أي: حملها. مستعار من طلع التمر لمشاركتها في الشكل أو الطلوع من الشجر. «رؤوس الشياطين» في تناهي القبح و الهول. و هو تشبيه بالمتخيّل كتشبيه الفائق بالحسن بالملك. و قيل: الشياطين حيّات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف.[4]

«رؤوس الشياطين». في التشبيه ثلاثة أوجه: انّ رؤوس الشياطين ثمرة يقال لها الأستن. و ثانيها: انّ الشيطان جنس من الحيّات. فشبّه سبحانه طلع تلك الشجرة برؤوس تلك الحيّات. و ثالثها: انّ قبح صور الشياطين متصوّر في النفوس. و لذلك يقولون لما يستقبحونه جدّاً: كأنّه شيطان. فشبّه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرّت بشاعته في

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٥ ـ ٦٩٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٥.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٥.

قلوب الناس.[١]

[٦٦] «فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ».

روي: انّ الله تعالى يجوّعهم حتّى [ينسوا] عذاب النار من شدّة الجوع فيصرخون إلى مالك فيحملهم إلى تلك الشجرة ـ و فيهم أبوجهل ـ فيأكلون منها فتغلي بطونهم كغلي الحميم. فيستسقون [فيسقون] شربة من الماء الحارّ. فإذا قرّبوها من وجوههم، شوّهت وجوههم. فذلك قوله: «يشوي الوجوه»[٢].[٣]

«فمالئون منها البطون» لغلبة الجوع أو الجبر.[٤]

[٦٧] «ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ».

«ثمّ إنّ لهم عليها لشوباً»؛ أي: بعد ما شبعوا منها و غلبهم العطش وطال استسقاؤهم. و يجوز أن يكون «ثمّ» لما في شرابهم من مزيد الكراهة و البشاعة. «لشوباً»؛ أي: لشراباً من غسّاق أو من صديد مشوباً بماء حميم يقطع أمعاءهم يمزج ذلك الطعام بهذا الشراب.[٥]

[٦٨] «ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ».

أي: مصيرهم إلى دركاتها أو إلى نفسها. فإنّ الزقّوم و الحميم نزل يقدّم إليهم قبل وصولها. و قيل: الحميم خارج عنها يوردون إليه كما تورد الإبل إلى الماء ثمّ يردون إلى الجحيم.[٦]

[٦٩ ـ ٧٠] «إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٦ ـ ٦٩٧.

٢ـ الكهف (١٨) / ٢٩.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٥.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٥.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٦.

«إنّهم ألفوا آباءهم». تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال.[١]

«فهم على آثارهم» في الضلال «يهرعون»؛ أي يسرعون. و قيل: يعملون بمثل أعمالهم.[٢]

[٧١ ـ ٧٤] «وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ * وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ * إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ».

«و لقد ضلّ قبلهم»؛ أي: قبل هؤلاء الكفّار الذين في عصر النبيّ «أكثر الأوّلين» من الأمم الماضية. و فيه دلالة على أنّ أهل الحقّ في كلّ زمان كانوا أقلّ من أهل الباطل.[٣]

«منذرين» من الأنبياء و الرسل. «عاقبة المنذرين» من المعاندين للحقّ. «المخلصين»: الذين أخلصوا عبادتهم.[٤]

[٧٥ ـ ٧٦] «وَ لَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ».

«و لقد نادانا نوح» بعد ما يئس من إيمان قومه، لننصره عليهم. و ذلك قوله: «إنّي مغلوب فانتصر».[٥] «فلنعم المجيبون» نحن لنوح في دعائه حيث أهلكنا قومه. و قيل: نعم المجيبون لمن دعانا. «من الكرب العظيم»؛ أي المكروه من قومه.[٦]

[٧٧] «وَ جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ».

«هم الباقين» بعد الغرق. فالناس كلّهم بعد نوح من ولد نوح. فالعرب و العجم من أولاد سام، و الترك و يأجوج و مأجوج من أولاد يافث، و السودان من أولاد حام. قيل: لمّا خرج نوح من السفينة، مات من كان معه من الرجال و النساء إلّا ولده و نساؤه.[٧]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٦.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٨.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٨ ـ ٦٩٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٩.
٥ـ القمر (٥٤) / ١٠.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٩.
٧ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٩.

[٧٨ ـ ٧٩] «وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ».

«و تركنا»؛ أي: تركنا عليه ذكراً جميلاً في أمّة محمّد أو إلى يوم القيامة. و ذلك الذكر هو قوله: «سلام على نوح في العالمين». أي: تركنا عليه هذا التسليم إلى يوم القيامة.(١)

«سلام». ممّا علّم أميرالمؤمنين أصحابه من الأربعمائة: من خاف منكم العقرب، فليقرأ هذه الآيات: «سلام على نوح» إلى: «المؤمنين».(٢)

[٨٠] «إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ».

«نجزي المحسنين». أي لاحسانه. أو كلّ محسن، كما فعلنا بنوح.(٣)

[٨١] «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ».

«إنّه»؛ أي: نوح.(٤)

[٨٢] «ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ».

«الآخرين»؛ أي: من لم‌يؤمن به. و الوجه في اتّصال قصّة نوح و الأنبياء عليهم‌السلام بما قبلها تسلية النبيّ في كفر قومه بأنّ حالهم معه شبيهة بحال من تقدّم من الأمم مع أنبيائهم و تحذير القوم عن سلوك مثل طريقتهم.(٥)

[٨٣] «وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ».

«و إنّ من شيعته»؛ أي: شيعة نوح لابراهيم. لأنّه كان على منهاجه و سنّته في التوحيد. و قيل: معناه: و إنّ من شيعة محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله لابراهيم.(٦)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٩.
٢ـ الخصال ٢ / ٦١٩.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٩.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٦٩٩.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠١.

عن أبي عبدالله عليه السلام: «و إنّ من شيعته»؛ أي: من شيعة عليّ عليه السلام «لابراهيم».[۱]

«و إنّ من شيعته لإبراهيم». لايبعد اتّفاق شرعهما في الفروع أو غالباً. و كان بين نوح و إبراهيم ألفان و ستّمائة و أربعون سنة. و كان بينهما نبيّان هود و صالح.[۲]

عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: ليهنئكم الاسم. قلت: و ما هو؟ قال: الشيعة. قلت: إنّ الناس يعيّروننا بذلك! قال: أما تسمع قول الله سبحانه: «و إنّ من شيعته لإبراهيم» و قوله: «فاستغاثه الذي من شيعته»[۳]؟[٤]

[٨٤] «إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ».

«إذ جاء ربّه»؛ أي: حين صدّق الله و آمن به بقلب خالص من الشرك بريء من المعاصي. و عن أبي عبدالله عليه السلام: بقلب سليم عن كلّ ما سوى الله لم يتعلّق بشيء غيره.[٥]

«إذ جاء». متعلّق بما في الشيعة من معنى المشايعة، أو بمحذوف أي اذكر. «سليم» من آفات القلوب. و قيل: حزين. من السليم بمعنى اللّديغ. و معنى المجيء به ربّه إخلاصه له كأنّه جاءه به متحفاً إيّاه.[٦]

و في تفسير الثقة عليّ بن إبراهيم في قوله: «بقلب سليم» قال: السليم من الشكّ.[٧]

[٨٥] «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا ذَا تَعْبُدُونَ».

«إذ قال لأبيه». بدل من الأولى. أو ظرف لجاء أو سليم.[٨]

[٨٦] «أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ».

«أإفكاً»؛ أي: أتريدون آلهة دون الله إفكاً؟ فقدّم المفعول للعناية ثمّ المفعول له لأنّ الأهمّ

۱ـ تأويل الآيات ۲ / ٤٩٥.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۹۷.
۳ـ القصص (۲۸) / ۱٥.
٤ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۲۲۳.
٥ـ مجمع البيان ۸ / ۷۰۱.
٦ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۹۷.
۷ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۲۲۳ـ۲۲٤.
۸ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۹۷.

أن يقررّ أنّهم على الباطل في شركهم و مبنى أمرهم على الإفك.[١]

الإفك: أشنع الكذب. و إنّما قال: «آلهة» بناء على اعتقادهم الفاسد في إلهيّة الأصنام. «تريدون»؛ يعني: تريدون عبادة آلهة دون عبادة الله تعالى.[٢]

[٨٧] «فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ».

«فما ظنّكم»؛ أي: ما تظنّون بربّكم انّه على أيّ صفة و من أيّ جنس حتّى شبّهتم به هذه الأصنام؟[٣]

«فما ظنّكم» بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربّاً للعالمين حتّى تركتم عبادته و أشركتم به غيره أو أمنتم من عذابه؟ و المعنى إنكار ما يوجب ظنّاً فضلاً عن قطع يصدّ عن عبادته أو يجوّز الإشراك به أو يقتضي الأمن من عقابه على طريقة الالتزام. و هو كالحجّة على ما قبله.[٤]

[٨٨ ـ ٨٩] «فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ».

«فنظر نظرة». فيه أقوال. أحدها: انّه نظر في النجوم فاستدلّ بها على وقت حمّى تعتاده و زمان نوبتها. فكأنّه قال: سأسقم لا محالة. و لم يكن نظره في النجوم على حسب ما ينظره المنجّمون طلباً للأحكام. و ثانيها: انّه نظر في النجوم كنظرهم لأنّهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم أنّه يقول بمثل مقالتهم. فتركوه ظنّاً منهم أنّ نجمه يدلّ على سقمه. و يجوز أن يكون أعلمه الله أنّه سيسقمه في وقت مستقبل و جعل العلامة على ذلك طلوع نجم مخصوص، فلمّا رأى تلك الأمارة قال: «إنّي سقيم» تصديقاً بما أخبره الله. و ثالثها: انّه سقيم القلب و الرأي حيراناً من إصرار القوم على عبادة الأصنام. و معنى نظره في النجوم فكرته في أنّها محدثة مخلوقة و تعجّبه كيف ذهب على العقلاء ذلك حتّى عبدوها. و ما روي عن

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٧.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٧.

أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام: «و الله ما كان سقيماً و ما كذب» يمكن حمله على أحد هذه الوجوه التي ذكرناها، و يمكن أن يكون المراد أنّ كلّ من كتب عليه الموت فهو سقيم و إن لم يكن به الآن سقم.(١)

«فنظر نظرة»؛ أي: رأى مواقعها و اتّصالاتها، أو في علمها أو كتابها، و لا منع عنه. مع أنّ قصده إيهامهم ذلك حين سألوه أن يعيّد معهم. «إنّي سقيم». أراهم بأنّه استدلّ بها على أنّه مشارف للسقم لئلّا يخرجوه إلى معبدهم. فإنّه كان أغلب أسقامهم الطاعون و كانوا يخافون العدو. أو أراد: إنّي سقيم القلب لكفركم، أو خارج المزاج عن الاعتدال خروجاً قلّ من يخلو منه، أو بصدد الموت. و منه: كفى بالسلامة [داء، و قول لبيد:

فدعوت ربّي بالسلامة] جاهداً ليصحّني فإذا السلامة داء(٢)

و في معاني الأخبار عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «إنّي سقيم» قال: يعني سقيماً في دينه مرتاداً.(٣)

و قد روي أنّه عنى أنّي سأسقم. و كلّ ميّت سقيم.(٤)

و في الكافي عنه عليه السلام في قوله: «فنظر نظرة في النجوم» قال: حسب فرأى ما يحلّ بالحسين عليه السلام فقال: إنّي سقيم لما يحلّ به.(٥)

أقول: الأخبار الواردة في النهي عن النظر في علم النجوم مستفيضة. و ربما حملها بعضهم ـ كابن طاووس ـ على من يعتقد في الكواكب كونها مؤثّرة لا أنّها علامات كالنبض على الحمّى. و فيه بعد لمكان عموم الأخبار و إطلاقها. و ربما كان الوجه فيه ـ كما قال العالم الربّانيّ ميثم البحرانيّ ـ إمّا اشتغال متعلّمها بها و اعتماد كثير من الخلق في أمورهم على الكواكب و ترك الفزع إليه سبحانه، أو لئلّا يظنّ بهم عوامّ الناس الاطّلاع على الغيب لمكان إخباراتهم.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠٢ـ٧٠٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٧.
٣ـ معاني الأخبار / ٢٠٩ـ٢١٠.
٤ـ بحارالأنوار ١١ / ٧٦.
٥ـ الكافي ١ / ٤٦٥، ح ٥.

[٩٠ ـ ٩٣] «فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَ لَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَاتَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ».

«فتولّوا عنه»؛ أي: خرجوا إلى عيدهم. «فراغ»؛ أي: مال «إلى آلهتهم فقال أ لا تأكلون». خاطبها على وجه التهجين لعابديها. و كانوا صنعوا للأصنام طعاماً تقرّباً إليها و تبرّكاً بها. «فراغ عليهم»؛ أي: مال عليها يكسرها باليد اليمنى، لأنّها أقوى على العمل. أو المراد باليمين القوّة. و قيل: بالقسم الذي سبق منه وهو قوله: «تالله لأكيدنّ أصنامكم»[١].[٢]

[٩٤ ـ ٩٥] «فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَ تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ».

«فأقبلوا إليه» بعد الفراغ من عيدهم «يزفّون»؛ أي: يسرعون. أو: يزفّون زفيف النعام و هو حالة بين المشي و العدو. و حملوه إلى بيت أصنامهم و قالوا له: «أأنت فعلت هذا بآلهتنا»؟[٣] فأجابهم على وجه الحجاج: «أ تعبدون ما تنحتون»؟ استفهام معناه الإنكار و التوبيخ.[٤]

«يزفّون». حمزة على بناء المفعول من أزفّ. أي: يحملون على الزفيف.[٥]

[٩٦] «وَ اللهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ».

«و ما تعملون»؛ أي: الذي تعملونه من الأصنام. فكيف تعبدون معمولكم؟ فإنّ جوهرها بخلقه، و شكلها، و إن كان بفعلهم و لذلك جعل من أعمالهم، فبإقداره إيّاهم عليه و خلقه ما يتوقّف عليه فعلهم من الدواعي و العدد. و لو كان معناه: و خلق عبادتكم، لكانت الآية إلى أن تكون عذراً لهم أقرب من أن يكون لوماً و تهجيناً و لكان لهم أن يقولوا: و لم توبّخنا على عبادتها والله تعالى هو الفاعل لذلك؟ فتكون الحجّة لهم لا عليهم. و لأنّه قد

١ـ الأنبياء (٢١) / ٥٧.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠٣.
٣ـ الأنبياء (٢١) / ٦٢.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٨.

أضاف العمل إليهم بقوله: «تعملون»، فكيف يكون مضافاً إلى الله تعالى؟ و هذا تناقض و لما لزمتهم الحجّة.[١]

[٩٧] «قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ».

«قالوا ابنوا له بنياناً». عن ابن‌عبّاس: بنوا حائطاً من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً و عرضه عشرون ذراعاً و ملؤوه ناراً و طرحوه فيها. و ذلك قوله: «فألقوه في الجحيم». قال الزجّاج: كلّ نار بعضها فوق بعض فهي جحيم. و قيل: الجحيم النار العظيمة.[٢]

[٩٨] «فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ».

«كيداً»؛ أي: حيلة و تدبيراً في إهلاكه و إحراقه بالنار. «فجعلناهم الأسفلين» بأن أهلكناهم و نجّينا إبراهيم و سلّمناه و جعلنا كيدهم برهاناً نيّراً على علوّ شأنه حيث جعلنا النار عليه برداً و سلاماً.[٣]

[٩٩ ـ ١٠٠] «وَ قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ».

«ذاهب إلى ربّي»؛ أي: أهجر ديار الكفّار و أذهب إلى حيث أمرني الله و هي أرض الشام. و قيل: ذاهب إلى مرضاة ربّي بعملي و نيّتي. «سيهدين» إلى المكان الذي أمرني بالمصير إليه، أو إلى الجنّة بطاعتي إيّاه. و قد هاجر و معه لوط و سارة إلى الشام. فلمّا قدم الأرض المقدّسة، سأل ربّه الولد فقال: «ربّ هب لي من الصالحين»؛ أي: ولداً صالحاً.[٤]

[١٠١] «فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠٣ ـ ٧٠٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٨.

٢ـ مجمع البيان ٢ / ٧٠٤.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩٨.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠٤.

«بغلام»؛ أي: بابن حليم لايعجل بالعقوبة.[1]

[١٠٢] «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَا ذَا تَرىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ».

«فلمّا بلغ معه السعي»؛ أي: شبّ و بلغ إلى أن يتصرّف و يعينه على أموره. وكان ابن ثلاث‌عشرة سنة. أو المراد بالسعي العمل لله و العبادة. «أرى في المنام»؛ أي: أبصرت في المنام رؤيا تأويلها الأمر بذبحك. «ماذا ترى»: أيّ شيء ترى من الرأي؟ أهل الكوفة غير عاصم بضمّ التاء و كسر الراء. معناه: ماذا تشير به و تدعو إلى العمل بحسبه؟ «افعل ما تؤمر». لأنّ منامات الأنبياء لاتكون إلّا صحيحة. «من الصابرين» على الشدائد في جنب الله.[2]

[١٠٣] «فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ».

«أسلما»؛ أي: استسلما لأمر الله و رضائه. «و تلّه للجبين»؛ أي: أضجعه على جبينه. أو: وضع جبينه على الأرض؛ لما روي أنّه قال: اذبحني و أنا ساجد لاتنظر إلى وجهي فأخشى أن ترحمني فلاتذبحني.[3]

[١٠٤ ـ ١٠٥] «وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ».

«و ناديناه أن يا إبراهيم». أي بهذا الضرب من القول. «قد صدّقت»؛ أي: فعلت ما أمرت به في الرؤيا. «نجزي المحسنين»: كما جزيناه بالعفو عن ذبح ابنه، نجزي من لزم طريقتها من الإحسان بالانقياد لأمر الله. اختلف العلماء في الذبيح. فقيل: إسحاق. و قيل: إسماعيل. و

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠٦.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠٥ ـ ٧٠٧.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠٧.

إلى كلّ من القولين ذهب طائفة. و كلا القولين قد رواه أصحابنا عن أئمّتناعليهم السلام إلّا أنّ الأظهر في الروايات أنّه إسماعيل. و يؤيّده قوله بعد قصّة الذبح: «و بشّرناه بـإسحاق نـبيّاً» مـع قولهﷺ: «أنا ابن الذبيحين» و لا خلاف أنّه من ولد إسماعيل. و حجّة من قال إنّه إسحاق أنّ أهل الكتاب أجمعوا على ذلك. و فيه أنّ قولهم غير مقبول. على أنّهم إنّما قالوا ذلك حسداً للعرب ـ كما اعترف به من أسلم منهم ـ لأنّ إسحاق أبوهم. على أنّ الذبح إنّما كان بمكّة و الذي كان بها هو إسماعيل. و استدلّ بهذه الآية من جوّز نسخ الشيء. و أجيب عنه بأنّه سبحانه لم يأمره بالذبح الذي هو فري الأوداج بل مقدّماته و قد فعلها، و لهذا قال: «قـد صدّقت الرؤيا». و أمّا الفداء، فلما كان يتوقّعه من الأمر بالذبح. أو إنّه أمر بصورة الذبح وقد فعله؛ لأنّه فرى أوداج ابنه ولكنّه [كلّما] فرى جزءاً منه التحم. أو إنّه أمره بالذبح لكنّه جعل في عنقه صفحة من نحاس لم يقطعها السكّين.(١)

اختلف الروايات في الذبيح. فمنها ما ورد بأنّه إسماعيل. و منها ما ورد بأنّه إسحاق. ولا سبيل إلى ردّ الأخبار متى صحّ طرقها. و كان الذبيح إسماعيل، لكنّ إسحاق لمّا ولد بعد، تمنّى أن يكون هو الذي أمر أبوه بذبحه و كان يصبر لأمر الله و يسلّم له كصبر أخيه و تسليمه فينال بذلك درجته في الثواب، فعلم الله ذلك من قلبه فسمّاه بين ملائكته ذبيحاً لتمنّيه لذلك. و قد ذكرت إسناد ذلك في كتاب النبوّة متّصلاً بالصادقعليه السلام. و سئل الصادقعليه السلام: [أين أراد إبراهيم أن يذبح ابنه؟ فقال: على الجمرة. و] لمّا أراد إبراهيم أن يذبح ابنه، قلب جبرئيل المدية و اجترّ الكبش من قبل ثبير و اجترّ الغلام من تحته و نودي من ميسرة مسجد الخيف أن يا إبراهيم، قد صدّقت الرؤيا.(٢)

عن الصادق: ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل إذ أمر أباه بذبحه ثمّ فداه بذبح عظيم.(٣)

ثمّ قال: إنّ لله إرادتين و مشيّتين؛ إرادة حتم و إرادة عزم. ينهى و هم يشاء، و يأمر و هو

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠٧ـ ٧٠٨.
٢ـ الفقيه ٢ / ١٤٨.
٣ـ التوحيد / ٣٣٦، ح ١١.

لايشاء. أو ما رأيت أنّه نهى آدم و زوجته عن أن يأكل من الشجرة و هو يشاء ذلك؟ و لو لم يشأ لم يأكل. و أمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل و شاء أن لايذبحه ـ الحديث.(۱)

[۱۰٦] «إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ».

«البلاء المبين»؛ أي: المحنة الشديدة. أو: النعمة العظيمة.(۲)

[۱۰۷] «وَ فَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ».

«و فدیناه بذبح»: جعلنا الذبح عوضه. قيل: كان كبشاً من الغنم. و عن ابن عبّاس: هو الكبش الذي تقبّل من هابيل حين قرّبه. و قيل: فدي بوعل أهبط عليه [من] ثبير. «عظيم». لأنّه كان مقبولاً. أو لأنّه رعى في الجنّة أربعين خريفاً. أو لأنّه عظيم الجثّة سمين. أو لأنّه عظيم القدر، لأنّ الله فدى به نبيّاً أخرج من نسله سيّد المرسلين.(۳)

عن الرضا عليه السلام قال: لمّا أمر الله إبراهيم أن يذبح مكان ابنه الكبش الذي أنزل عليه، تمنّى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده و أنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده بيده فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب. فأوحى الله إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟ قال: حبيبك محمّد. و هو أحبّ إليّ من نفسي. و ولده أحبّ إليّ من ولدي. قال: فذبح ولده ظلماً على يدي أعدائه أوجع أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ بل ذبحه على يدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، إنّ طائفة تزعم أنّها من أمّة محمّد، ستقتل ولده الحسين من بعده ظلماً كما يذبح الكبش و تستوجبون بذلك سخطي. فجزع إبراهيم لذلك و توجّع قلبه و أقبل يبكي. فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم، فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحت بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام و قتله و أوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب. و

۱ـ التوحيد / ٦٤.
۲ـ مجمع البيان ۸ / ۷۰۷.
۳ـ مجمع البيان ۸ / ۷۰۸، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۳۰۰.

ذلك قول الله: «وفديناه بذبح عظيم». كذا في كتاب عيون الأخبار.[١] و حاصله أنّ الفداء هنا المراد منه على هذا معناه اللّغويّ أعني التعويض لا الفداء حقيقة. لأنّ الحسين عليه السلام أفضل من إسماعيل. على أنّه لو كان كذلك، لكان الجواب أنّ الحسين إنّما وقع فداء لإسماعيل و ذرّيّته و هو و جدّه و أبوه و أخوه و أمّه و الأئمّة من ولده صلوات الله عليهم أشرف و أفضل منه وحده.

[١٠٨ ـ ١١١] «وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ».

[١١٢] «وَ بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ».

«نبيّاً من الصالحين»: مقضيّاً نبوّته مقدّراً كونه من الصالحين. و بهذا الاعتبار وقعا حالين. و من قال: إنّ الذبيح إسحاق، قال: يعني بشّرناه بنبوّة إسحاق و آتينا إسحاق النبوّة بصبره.[٢]

[١١٣] «وَ بَارَكْنَا عَلَيْهِ وَ عَلَىٰ إِسْحَاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ».

«و باركنا عليه و على إسحاق»؛ أي: جعلنا ما أعطيناهما من الخير ثابتاً دائماً. أو أراد كثرة ولدهما و بقاءهم قرناً بعد قرن إلى يوم القيامة. «و من ذرّيّتهما»؛ أي: من أولاد إبراهيم و إسحاق. «مبين»؛ أي: بيّن الظلم.[٣]

و من قال إنّ الذبيح إسماعيل، ذكروا أنّ إبراهيم كان إذا زار إسماعيل و هاجر، حمل على البراق فيغدو من الشام و يقيل بمكّة و يروح من مكّة فيبيت في الشام. حتّى إذا بلغ معه السعي، رأى [في المنام] أن يذبحه. فقال له: يا بنيّ خذ المدية و الحبل و انطلق بنا إلى الشعب لنحطب. فلمّا خلّى بابنه أخبره بالرؤيا. فقال: يا أبت اشدد رباطي حتّى لا أضطرب. و اكفف

١ـ عيون الأخبار ١ / ١٦٦، ح ١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٠، و مجمع البيان ٨ / ٧٠٩.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٠٩.

عنّي ثيابك حتّى لاينتضح من دمي شيء فتراه أمّي. و اشحذ شفرتك و أسرع مرّ السكّين على حلقي ليكون أهون عليّ. فإنّ الموت شديد. فقال إبراهيم: نعم العون أنت يا بنيّ على أمر الله.(١)

[١١٤ ـ ١١٦] «وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلىٰ مُوسىٰ وَ هَارُونَ * وَ نَجَّيْنَاهُمَا وَ قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَ نَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ».

«مننّا على موسى و هارون»؛ أي: أنعمنا عليهما بالنبوّة و النجاة من آل فرعون و غير ذلك. «من الكرب العظيم». و هو استعمال فرعون بني إسرائيل في الأعمال الشاقّة. أو: من الغرق. «فكانوا هم الغالبين» بعد أن كانوا مغلوبين.(٢)

[١١٧ ـ ١١٨] «وَ آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ».

«المستبين»: البليغ في بيانه. و هو التوراة. «الصراط المستقيم»: الموصل إلى الحقّ.(٣)

[١١٩ ـ ١٢٠] «وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلىٰ مُوسىٰ وَ هَارُونَ».

«و تركنا عليهما» الثناء الجميل «في الآخرين» بأن قلنا: «سلام على موسى و هارون».(٤)

[١٢١ ـ ١٢٢] «إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ».

[١٢٣] «وَ إِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ».

قيل: هو إدريس. وقيل: هو نبيّ من أنبياء بني إسرائيل من ولد هارون. قالوا: إنّه بعث بعد حزقيل لمّا عظمت الأحداث في بني إسرائيل، فأجابه الملك، ثمّ إنّ امرأته حملته على أن

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٠. أورده الطبرسيّ تحت عنوان «القصّة» و ذكره المصنّف ﵀ هنا لحسن الختام.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧١١. ٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٠.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٢.

ارتدّ و خالف إلياس فطلبه ليقتله. فهرب إلى الجبال و البراري. و قيل: إنّه استخلف اليسع على بني إسرائيل و رفعه الله من بين أظهرهم و قطع عنه لذّة الطعام و الشراب و كساه الريش فصار إنسيّاً ملكيّاً أرضيّاً سماويّاً. و سلّط الله على الملك و قومه عدوّاً لهم فقتل الملك و امرأته. و بعث الله اليسع رسولاً فآمنت به بنوإسرائيل. و قيل: إنّ إلياس صاحب البراري، و الخضر صاحب الجبال. و يجتمعان في كلّ يوم عرفة بعرفات. و قيل: إنّه ذو الكفل.(١)

[١٢٤ ـ ١٢٥] «إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَ تَدْعُونَ بَعْلاً وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ».

«ألاتتّقون» عذاب الله؟ «بعلاً». يعني صنماً لهم من ذهب كانوا يعبدونه. و البعل بلغة أهل اليمن هو الربّ. «و تذرون أحسن الخالقين»؛ أي: تذرون عبادته.(٢)

«بعلاً». و هو علم لصنم كان لهم. و قيل: كان من ذهب. و كان طوله عشرين ذراعاً و له أربعة أوجه. فتنوا به و عظّموه حتّى أخدموه أربعمائة سادن و جعلوهم أنبياءه. فكان الشيطان يدخل في جوف بعل و يتكلّم بشريعة الضلالة و السدنة يحفظونها و يعلّمونها الناس. و هم أهل بعلبك من بلاد الشام. و به سمّيت مدينتهم بعلبك.(٣)

[١٢٦] «اللهَ رَبَّكُمْ وَ رَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ».

أهل العراق غير أبي‌بكر و أبي‌عمرو: «الله ربّكم و ربّ» بالنصب، و الباقون برفع الجميع. و من قرأ: «الله ربّكم» بالرفع، فهو على الاستئناف. و من نصب، فعلى البدل من «أحسن الخالقين».(٤)

[١٢٧ ـ ١٢٨] «فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٣.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٣.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٠.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٢.

«لمحضرون» للحساب أو في العذاب.[۱]

[۱۲۹] «وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ».

«و تركنا عليه» الثناء الجميل. (م)

[۱۳۰] «سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْيَاسِينَ».

و ابن‌عامر و نافع: «آل ياسين» بفتح الألف [و كسر اللّام المقطوعة من «ياسين». و الباقون: «إلياسين» بكسر الألف] و سكون اللّام موصولة بياسين. «آل ياسين». يعني آل محمّد، و ياسين من أسمائه. و من قرأ: «إل ياسين» أراد إلياس و من اتّبعه. و قيل: ياسين اسم السورة. فكأنّه قال: سلام على من آمن بكتاب الله تعالى و القرآن الذي هو ياسين. و قال أبوعليّ: من قرأ: «آل ياسين» فحجّته أنّها في المصحف مفصولة من ياسين و في فصلها دلالة على أنّ آل هو الذي تصغيره أهيل. و قال الزجّاج: من قرأ «إل ياسين» فإنّه جمع إلياس جمع هو و أمّته المؤمنون. و كذلك جميع ما ينسب إلى الشيء بلفظ الشيء. تقول: رأيت المسامعة.[۲]

قال الرضا عليه السلام أخبروني عن قوله تعالى: «يس و القرآن الحكيم». فمن عنى بقوله: «يس»؟ قالت العلماء: محمّد صلى الله عليه و آله. لم يشكّ فيه أحد. قال عليه السلام: إنّ الله لم يسلّم على أحد إلّا على الأنبياء. و قال: «سلام على آل ياسين». يعني آل محمّد. صلوات الله عليه و آله.[۳]

[۱۳۱ ـ ۱۳۲] «إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ».

[۱۳۳ ـ ۱۳۶] «وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ».

۱ـ مجمع البيان ۸ / ۷۱۳.
۲ـ مجمع البيان ۸ / ۷۱۲ و ۷۱٤.
۳ـ عيون الأخبار ۱ / ۱۸۵، ح ۱.

«إذ نجّيناه»؛ أي: اذكر إذ نجّيناه؛ أي: خلّصناه و من آمن به من عذاب الاستئصال. «في الغابرين»؛ أي: الباقين الذين أهلكوا. و هي امرأته. «دمّرنا الآخرين»؛ أي: أهلكناهم.(۱)

[۱۳۷ ـ ۱۳۸] «وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ».

خطاب لمشركي العرب. أي: تمرّون في ذهابكم و مجيئكم إلى الشام على منازلهم و قراهم باللّيل و النهار. «أفلاتعقلون»؛ أي: تتفكّرون لتجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر و الضلال. و الوجه في ذكر قصص الأنبياء و تكريرها التشويق إلى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق و صرف الخلق عمّا كان عليه الكفّار من قبيح الأعمال.(۲)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «و إنّكم لتمرّون عليهم مصبحين» قال: تمرّون عليهم في القرآن. إذا قرأتم القرآن [تقرؤون فيه] ما قصّ الله عليكم من خبرهم.(۳)

[۱۳۹ ـ ۱٤۰] «وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ».

«إذ أبق إلى الفلك»؛ أي: فرّ من قومه إلى السفينة المملوّة من الناس و الأحمال خوفاً من أن ينزل العذاب بهم و هو مقيم فيهم.(٤)

[۱٤۱ ـ ۱٤۲] «فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ».

«فساهم» يونس القوم بأن ألقوا السهام على سبيل القرعة. أي: قارعهم، فكان من المقروعين. قيل: إنّ السفينة احتبست أو أشرفت على الغرق، فقال الملّاحون: فإنّ هنا عبداً [آبقاً. فإنّ من عادة السفينة إذا كان فيها] آبق لاتجري. فلذلك اقترعوا. فوقعت القرعة على يونس ثلاث مرّات، فعلموا أنّه المطلوب. فألقى نفسه في البحر فابتلعه الحوت. فأوحى الله إليها: لم أجعل عبدي لك رزقاً، ولكنّي جعلت بطنك مسجداً له. فلاتكسرنّ له عظماً و

۱ـ مجمع البيان ۸ / ۷۱۵.
۲ـ مجمع البيان ۸ / ۷۱۵.
۳ـ الكافي ۸ / ۲٤۸، ح ۳٤۹.
٤ـ مجمع البيان ۸ / ۷۱۵.

لاتخدشنّ له جلداً. «و هو مليم»؛ أي: مستحقّ للّوم ـ لوم العتاب لا لوم العقاب ـ على خروجه من بين قومه من غير أمر ربّه. و عندنا أنّ ذلك وقع منه تركاً للأولى و قد يلام الإنسان على ترك المندوب. و قد لبث في بطن الحوت ثلاثة أيّام. و قيل: سبعة. و قيل: عشرين. و قيل: أربعين.(١)

عن أبي حمزة الثماليّ أنّه دخل عبدالله بن عمر على زين العابدين عليه السلام فقال له: يابن الحسين، أنت الذي تقول إنّ يونس بن متّى إنّما لقي من الحوت ما لقي لأنّه عرضت عليه ولاية جدّي فتوقّف عليها؟ قال: بلى ثكلتك أمّك! قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين. فأمر بشدّ عينيه بعصابة و عينيّ بعصابة. ثمّ أمر بعد ساعة بفتح أعيننا، فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه. فقال ابن عمر: دمي في رقبتك! الله الله في نفسي! ثمّ قال: أيّها الحوت. فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم و هو يقول: لبّيك لبّيك يا وليّ الله. قال: من أنت؟ قال: حوت يونس يا سيّدي. قال: ايتنا بالخبر. قال: يا سيّدي، إنّه تعالى لم يبعث نبيّاً من آدم إلى أن صار جدّك محمّد إلّا و عرض عليه ولاية أهل البيت. فمن قبلها من الأنبياء، سلم و تخلّص. و من توقّف، لقي ما لقي آدم من المصيبة و ما لقي نوح من الغرق و إبراهيم من النار و يوسف من الجبّ و أيّوب من البلاء و داوود من الخطيئة، إلى أن بعث الله يونس فأوحى الله إليه: تولّ أميرالمؤمنين عليّاً و الأئمّة الراشدين من صلبه. قال: فكيف أتولّى من لم أره و لم أعرفه؟ و ذهب مغاضباً. فأوحى الله تعالى إليّ أن التقمي يونس. فمكث في بطني أربعين صباحاً ينادي أن لا إله إلّا أنت ـ الآية. قد قبلت ولاية عليّ بن أبي طالب و الأئمّة الراشدين من ولده. فلمّا أن آمن بولايتكم، أمرني ربّي فقذفته على ساحل البحر. فقال عليه السلام: ارجع أيّها الحوت إلى وكرك. فرجع و استوى الماء.(٢)

[١٤٣ ـ ١٤٤] «فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٥ ـ ٧١٦.

٢ـ مناقب آل أبي طالب ٤ / ١٣٨ ـ ١٣٩.

«من المسبّحين»؛ أي: المصلّين في حال الرخاء، فنجّاه الله عند البلاء. و قيل: كان تسبيحه أنّه يقول: لا إله إلّا أنت. سبحانك إنّي كنت من الظالمين. و قيل: من المنزّهين لله عمّا لايليق [به]. «للبث في بطنه»؛ أي: لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة.[١]

[١٤٥ ـ ١٤٦] «فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ * وَ أَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ».

«العراء»: المكان الخالي لا شجر فيه و لا شيء يغطّيه. «و هو سقيم». اعتلّ بما حلّ به. و روي أنّ بدنه صار كبدن الصبيّ حين يولد.[٢]

اليقطين؛ قيل: هو الدباء، لئلّايجتمع عنده الذباب. و كان يستظلّ بالشجرة. و كانت وعلة تختلف إليه يشرب من لبنها. و روي أنّه مرّ زمان على الشجر فيبست، فبكى جزعاً. فأوحي إليه: بكيت على شجرة و لاتبكي على مائة ألف في يد الكافر؟[٣]

عن الرضا عليه السلام: انّ يونس لمّا أمره الله فأعلم قومه فأظلّهم العذاب، ففرّقوا بينهم و بين أولادهم و بين البهائم و أولادها، ثمّ عجّوا إلى الله و ضجّوا، فكفّ الله عنهم العذاب. فذهب يونس مغضباً فالتقمه الحوت فطاف به سبعة في البحر. و بقي في بطن الحوت ثلاثة أيّام، ثمّ لفظه الحوت و قد ذهب شعره و جلده. فأنبت الله عليه شجرة من يقطين. فلمّا قوي، أخذت في اليبس. فقال: يا ربّ شجرة أظلّتني يبست. فأوحى الله إليه: يا يونس، تجزع على شجرة أظلّتك و لاتجزع على مائة ألف أو يزيدون من العذاب؟[٤]

[١٤٧ ـ ١٤٨] «وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ».

«و أرسلناه إلى مائة ألف». المراد ما سبق من إرساله إلى قومه و هم أهل نينوى. و قيل: هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى الأوّلين أو إلى غيرهم. «أو يزيدون» في مرأى الناظر؛ أي: إذا رآها الرائي قال: هي مائة ألف أو أكثر. و الغرض الوصف بالكثرة. «إلى حين»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٦.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٢.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٣٧، ح ٤٧.

إلى أجل مسمًّى.[١]

قرأ جعفر بن محمّد الصادق: «و يزيدون» بالواو.[٢]

و عنه عليه السلام قال: يزيدون ثلاثين ألفاً.[٣]

[١٤٩] «فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ».

«فاستفتهم». معطوف على مثله في أوّل السورة[٤] و إن تباعدت بينهما المسافة. أمر رسوله باستفتاء قريش على وجه إنكار البعث أوّلاً، ثمّ ساق الكلام موصولاً بعضه ببعض، ثمّ أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى حيث جعلوا لله الإناث و لأنفسهم الذكور في قولهم: الملائكة بنات الله، مع كراهتهم الشديدة لهنّ واستنكافهم عن ذكرهنّ. و لقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر. أحدها: التجسّم. لأنّ الولادة مختصّة بالأجسام. و الثاني: تفضيل أنفسهم على ربّهم حين جعلوا أوضع الجنسين له و أرفعهما لهم. كما قال: «و إذا بشّر أحدهم بما ضرب» -الآية.[٥] و الثالث: انّهم استهانوا بأكرم خلق الله [عليه] و أقربهم إليه حيث أنّثوهم. و لو قيل لأدناهم: فيك أنوثة، للبس لقائله جلد النمر.[٦]

«أ لربّك البنات». كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، على وجه الاصطفاء لا على وجه الولادة.[٧]

[١٥٠] «أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً وَ هُمْ شَاهِدُونَ».

أي: كيف جعلوهم إناثاً و لم يشهدوا خلقهم؟[٨]

[١٥١ـ ١٥٢] «أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٤.
٣ـ الكافي ١ / ١٧٤، ح ١.
٤ـ الآية ١١.
٥ـ الزخرف (٤٣) / ١٧.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٦٣.
٧ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٨.
٨ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٨.

«ليقولون ولد الله» حين زعموا أنّ الملائكة بنات الله. «لكاذبون» في قولهم.[١]

[١٥٣] «أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ».

«أصطفى». دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل. أبوجعفر و نافع: «لكاذبون اصطفى» بالوصل و الابتداء اصطفى بكسر الهمزة و الباقون بفتحها.[٢]

«أصطفى البنات». بفتح الهمزة استفهام على طريق الإنكار و الاستبعاد. و أمّا قراءة أبي‌جعفر بكسر الهمزة على الإثبات، فهو من كلام الكفرة بدلاً من قولهم: «ولد الله».[٣]

[١٥٤ ـ ١٥٧] «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«سلطان»؛ أي: حجّة نزلت عليكم من السماء و خبر بأنّ الملائكة بنات الله. «فأتوا بكتابكم» الذي أنزل عليكم في ذلك.[٤]

[١٥٨] «وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ».

«و جعلوا بينه و بين الجنّة»؛ أي: الملائكة «نسباً» و هو زعمهم أنّهم بناته. و سمّي الملائكة جنّة لما قالوا: الجنس واحد؛ ولكن من خبث و مرد من الجنّ و كان شرّاً كلّه، فهو شيطان؛ و من طهر منهم و نسك و كان خيراً كلّه، فهو ملك. فذكرهم في [هذا] الموضع باسم جنسهم. و إنّما ذكرهم بهذا الاسم وضعاً منهم و تقصيراً بهم، و إن كانوا معظمين في أنفسهم، أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم. و فيه إشارة إلى أنّه من صفته الاجتنان و الاستتار، و هو من صفات الأجرام، لايصلح أن يناسب من لايجوز عليه ذلك. و الضمير في «إنّهم لمحضرون» للكفرة و المعنى أنّهم [يقولون] ما يقولون في الملائكة و قد علم الملائكة

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٨.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧١٨ و ٧١٧.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٦٤.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٦٤.

أنّهم لكاذبون في ذلك و أنّهم محضرون النار معذّبون بما يقولون. و المراد المبالغة في التكذيب حيث أضيف إلى علم الذين ادّعوا لهم تلك النسبة. و قيل: قالوا إنّ الله صاهر الجنّ فخرجت الملائكة. و قيل: قالوا إنّ الله و الشيطان أخوان. و قيل: أشركوا الجنّ في طاعة الله. و يجوز إذا فسّر الجنّة بالشياطين أن يكون الضمير في «إنّهم لمحضرون» لهم و المعنى أنّ الشياطين عالمون [بأنّ] الله يحضرهم النار و يعذّبهم و لو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب الطاعة، لما عذّبهم.[١]

[١٥٩ ـ ١٦٠] «سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ».

«إلّا عباد الله». استثناء منقطع من «المحضرين». أي: لكنّ المخلصين ناجون. و «سبحان الله» اعتراض بين الاستثناء [و بين ما وقع منه. و يجوز أن يقع الاستثناء] من الواو في «يصفون». أي يصفه هؤلاء بذلك ولكنّ المخلصين برآء من أن يصفوه بذلك.[٢]

[١٦١ ـ ١٦٣] «فَإِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ».

«عليه». الضمير في عليه لله تعالى. و معناه: فإنّكم و معبوديكم ما أنتم و هم جميعاً بفاتنين على الله إلّا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنّهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها. فإن قلت: كيف يفتنونهم على الله؟ قلت: يفسدونهم عليه بإغوائهم و استغوائهم. من قولك: فتن فلان على فلان امرأته، كما تقول أفسدها عليه. و يجوز أن يكون الواو في «و ما تعبدون» بمعنى مع و حينئذ فالوقف على تعبدون. لأنّ قوله: «و ما تعبدون» سادّ مسدّ الخبر. و المعنى: فإنّكم مع آلهتكم؛ [أي: فإنّكم] قرناؤهم و أصحابهم لاتبرحون تعبدونها. ثمّ قال: ما أنتم على ما تعبدون «بفاتنين»: بباعثين أو حاملين على الفتنة والإضلال إلّا من

١ـ الكشّاف ٤ / ٦٤ ـ ٦٥.   ٢ـ الكشّاف ٤ / ٦٥.

هو ضالّ مثلكم.[۱]

«إلّا من هو صال الجيم»؛ أي: لايضلّون أحداً إلّا من سبق في علم الله أنّه يصلى الجحيم باختياره.[۲]

[۱٦٤ ـ ۱٦٦] «وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ».

«و ما منّا». هذا قول جبرئيل للنبيّ. أو هو قول الملائكة. أي: ما منّا معاشر الملائكة ملك إلّا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه. و قيل: [معناه:] إنّه لايتجاوز أمر ربّه و ما رتّب له كما لايتجاوز مقامه الذي حدّ له. فكيف يجوز أن يعبد من هو في هذه الصفة و هو عبد مربوب؟ «الصافّون» حول العرش لانتظار الأمر و النهي. أو: القائمون صفوفاً في الصلاة كصفوف أهل الدنيا في الأرض. أو: الصافّون بأجنحتهم في الهواء للعبادة و التسبيح. «المسبّحون»؛ أي: المنزّهون الربّ عمّا لايليق به.[۳] لعلّ الأوّل إشارة إلى درجاتهم في الطاعات و هذا في المعارف.[٤]

عن الصادق عليه السلام: كنّا أنواراً صفوفاً حول العرش نسبّح، فسبّح أهل السماء بتسبيحنا، إلى أن هبطنا إلى الأرض، فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا. «و إنّا لنحن» ـ الآيتين. فمن وفى بذمّتنا، فقد وفى بعهد الله. و من خفر ذمّتنا، فقد خفر ذمّة الله.[٥]

عن ابن‌عبّاس قال: كنّا عند رسول‌الله فأقبل عليّ بن أبي‌طالب. فقال له النبيّ: مرحباً بمن خلقه الله قبل آدم بأربعين ألف عام. خلق نوراً فقسمه نصفين، فخلقني من نصفه و خلق عليّاً من النصف الآخر. ثمّ خلق الأشياء و كانت مظلمة فنوّرها من نوري و نور عليّ. ثمّ جعلنا عن يمين العرش، فسبّحنا فسبّحت الملائكة و هلّلنا فهلّلت الملائكة و كبّرنا فكبّرت

۱ـ الكشّاف ٤ / ٦٥.
۲ـ مجمع البيان ۸ / ۷۲۰.
۳ـ مجمع البيان ۸ / ۷۲۰.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۳۰٤.
٥ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۲۲۸.

الملائكة. و إنّ الله خلق الملائكة بأيديهم أباريق اللّجين مملوّة من ماء الحياة من الفردوس. فإذا أراد أحد الشيعة أن يواقع أهله، جاء ملك من الملائكة الذين بأيديهم أباريق ماء الجنّة فيطرح من ذلك الماء في آنيته التي يشرب منها فيشرب من ذلك الماء فينبت الإيمان في قلبه كما ينبت الزرع. فهم على بيّنة من أئمّتهم عليهم السلام.(١)

[١٦٧ ـ ١٦٩] «وَ إِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ».

«و إن كانوا ليقولون». فهم كفّار قريش. «فكفروا به» حين جاءهم محمّد. فقال جبرئيل: يا محمّد «و إنّا لنحن الصافّون».(٢)

«و إن كانوا». إن هذه مخفّفة. أي: و إنّ مشركي قريش يقولون: لو أنّ عندنا كتاباً من الكتب التي نزلت على المتقدّمين، لأخلصنا العبادة لله و لم نكفر مثلهم. و قيل: «ذكراً»؛ أي: علماً من الذين تقدّمونا و ما فعل الله بهم أهم في الجنّة أم في النار، لأخلصنا له العبادة. فجعلوا العذر في امتناعهم من الإيمان عدم المعرفة بأخبار من تقدّمهم.(٣)

[١٧٠] «فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ».

«فكفروا به». أي لمّا جاءهم الذكر الذي هو أشرف الأذكار و المهيمن عليها. «فسوف يعلمون» عاقبة كفرهم.(٤)

[١٧١ ـ ١٧٣] «وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَ إِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ».

«و لقد سبقت». أقسم سبحانه بأنّه سبق الوعد منّا لعبادنا الذين بعثناهم إلى الخلق

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٠١ ـ ٥٠٢.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٢٧.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٥.

«إنّهم لهم المنصورون» في الدنيا و الآخرة بالغلبة و الحجّة. أو: سبقت كلمتنا لهم بالسعادة، ثمّ ابتدأ فقال: «إنّهم». و قيل: المراد بالكلمة قوله: «كتب الله لأغلبنّ أنا و رسلي».[1] و قيل: المراد نصرتهم في الحرب و إن قتل بعض الأنبياء قبل النصرة إلّا أنّ الله أجرى العادة أن ينصر قومه من بعده فيكون نصرتهم نصرة لهم. و قيل: المراد بالنصرة الحجّة. «و إنّ جندنا» يعني المؤمنين «لهم الغالبون» للكفّار.[2]

[١٧٤] «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ».

«حتّى حين»؛ أي: إلى وقت يأمرك بقتالهم ـ يعني يوم بدر ـ أو إلى الموت أو القيامة، أو إلى انقضاء مدّة الإمهال.[3]

[١٧٥] «وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ».

«و أبصرهم» على ماينالهم حينئذ. و المراد بالأمر الدلالة على أنّ ذلك كائن قريب كأنّه قدّامه. «فسوف يبصرون» ما قضينا لك من التأييد و النصرة و الثواب في الآخرة. و سوف للوعيد لا للتبعيد.[4]

[١٧٦] «أَ فَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ».

روي أنّه لما نزل «فسوف يبصرون» قالوا: متى هذا؟ فنزلت.[5]

[١٧٧] «فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ».

«نزل بساحتهم»؛ أي: إذا نزل العذاب بأفنية دورهم، فبئس الصباح صباح من خوّف و حذّر فلم يحذر. يعني أنّ العذاب لعظمه لايسمه إلّا الساحة ذات الفضاء الواسع. و كانت

١ـ المجادلة (٥٨) / ٢١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٥.

العرب تفاجئ أعداءها بالغارات صباحاً، فخرج الكلام على عادتهم [و] لأنّ الله سبحانه أجرى العادة بتعذيب الأمم وقت الصباح، كما مضى: «إنّ موعدهم الصبح»[1].[2]

[١٧٨] «وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ».

[١٧٩] «وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ».

«و أبصر». تأكيد إلى تأكيد و إطلاق بعد تقييد للإشعار بأنّه يبصر و أنّهم يبصرون ما لايحيط به الذكر من أصناف المسرّة و أنواع المساءة. أو الأوّل لعذاب الدنيا و الثاني لعذاب الآخرة.[3]

[١٨٠] «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ».

«عمّا يصفون»؛ أي: عمّا قال المشركون فيه. و أضاف الربّ إلى العزّة لاختصاصها به؛ إذ لا عزّة إلّا له أو لمن أعزّه و قد أدرج فيه جملة صفاته الثبوتيّة و السلبيّة مع الإشعار بالتوحيد.[4]

«سبحان ربّك». عن أبي جعفر عليه السلام: من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى، فليقل إذا أراد أن يقوم من مجلسه: «سبحان ربّك» ـ الآيات. [و عن أميرالمؤمنين عليه السلام: من أراد... ، فليكن آخر قوله: «سبحان...».] فإنّ له من كلّ مسلم حسنة. و عن عليّ عليه السلام: فليقل دبر كلّ صلاة.[5]

[١٨١ ـ ١٨٢] «وَ سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«و الحمد لله ربّ العالمين» على ما أفاض عليهم و من اتّبعهم من النعم.[6]

١ـ هود (١١) / ٨١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢١ ـ ٧٢٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٥.
٥ـ نور الثقلين ٤ / ٤٤١، عن الكافي (٢ / ٤٩٦، ح ٣) و الفقيه (١ / ٢١٣، ح ٩٥٤) و قرب الإسناد (ص ١٧).
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٥.

٣٨.
سورة ص

عنه ﷺ: من قرأ سورة ص، أعطي من الأجر بوزن كلّ جبل سخّره الله لداوود حسنات، و عصمه الله أن يصرّ على ذنب صغيراً أو كبيراً.(١)

عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ سورة ص في ليلة الجمعة، أعطي من خير الدنيا و الآخرة ما لم يعط أحد من الناس إلّا نبيّ مرسل أو ملك مقرّب، و أدخله الله الجنّة و كلّ من أحبّ من أهل بيته حتّى خادمه الذي يخدمه و إن كان لم يكن في حدّ عياله و لا في حدّ من يشفع فيه.(٢)

قوله: «اركض برجلك» إلى: «شراب»(٣) من أكثر من تلاوة هذه الآية و هو يحفر بئراً، حسن نبعها.(٤)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * صٓ وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ».

عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: و أمّا ص، فعين تنبع من تحت العرش. و هي التي توضّأ منها النبيّ ليلة المعراج. و يدخلها جبرئيل كلّ يوم دخلة فينغمس فيها، ثمّ يخرج منها فينفض أجنحته. فليس من قطرة تقطر من أجنحته إلّا خلق الله منها ملكاً يسبّح الله و يقدّسه و يكبّره و يحمده إلى يوم القيامة.(٥)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢٣.

٢ـ ثواب الأعمال / ١٣٩، ح ١.

٣ـ ص (٣٨) / ٤٢.

٤ـ المصباح / ٦٠٩.

٥ـ معاني الأخبار / ٢٢، ح ١.

النزول: قال المفسّرون: إنّ أشراف قريش ـ و هم خمسة و عشرون منهم الوليد بن مغيرة و أبوجهل ـ أتوا أباطالب و قالوا: أنت شيخنا و كبيرنا. و قد أتيناك لتقضي بيننا و بين ابن أخيك. فإنّه سفّه أحلامنا و شتم آلهتنا. فدعاه أبوطالب و قال: يابن أخ، هؤلاء قومك [يسألونك]. فقال: ماذا [يسألوني]؟ قالوا: دعنا و آلهتنا، ندعك و إلهك. فقال: تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب و العجم؟ فقال أبوجهل: نعطيك ذلك عشر أمثالها. قال: قولوا: لا إله إلّا الله. فقاموا و قالوا: «أ جعل الآلهة إلهاً واحداً»؟ [١] فنزلت هذه الآيات. فقال: يا عمّ، ما أترك هذا القول حتّى أنفذه أو أقتل دونه. فقال أبوطالب: امض لأمرك. فوالله لا أخذلك أبداً. و اختلف في «ص» فقيل: هو اسم للسورة. و قال ابن‌عبّاس: هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به. و روي ذلك عن الصادق عليه السلام. و قيل: معناه: صدق. و قيل: هو اسم من أسماء القرآن. فيجوز أن يكون موضعه نصباً على تقدير حذف حرف القسم. و يجوز أن يكون رفعاً على تقدير: هذه ص، في مذهب من جعله اسماً للسورة. «ذي الذكر»؛ أي: البيان [٢] الذي يؤدّي إلى الحقّ و يهدي إلى الرشد. أو فيه ذكر الله و توحيده. و جواب القسم محذوف. أى: و القرآن ذي الذكر، فقدجاء الحقّ و ظهر الأمر. أو إنّ جوابه «ص»؛ فإنّ معناه صدق. أقسم سبحانه بالقرآن أنّ محمّداً صدق. و قيل: إنّ الجواب ممّا كفى منه قوله: «كم أهلكنا». [٣]

«ص». قسم. و قيل: صدق محمّد فيما جاء به. و قيل: صدق الله في وعده. و قرئ «ص» بكسر الدال من المصاداة بمعنى المعارضة. أي: عارض القرآن بعملك و قابله. و قرئ بالجرّ و التنوين على إعمال حرف الجرّ و هو محذوف. (م ح د)

[٢] «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقَاقٍ».

«إنّ الذين كفروا» من أهل مكّة «في عزّة»؛ أي: في تكبّر عن قبول الحقّ «و شقاق» و

١ـ ص (٣٨) / ٥.

٢ـ في النسخة زيادة: «و الشرف».

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢٥ ـ ٧٢٦ و ٧٢٤ ـ ٧٢٥.

هو الخلاف و العداوة.[١]

[٣] «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ».

«كم أهلكنا من قبلهم من قرن» بتكذيبهم الرسل. «فنادوا» عند وقوع الهلاك بالاستغاثة و ليس الوقت وقت منجًى و لا نداء ينجي.[٢]

«و لات». هي لا المشبّهة بليس زيدت عليه تاء التأنيث كما زيدت على ربّ و ثمّ للتوكيد. و تغيّر بذلك حكمها حيث لم تدخل إلّا على الأحيان و لم يبرز إلّا [أحد مقتضيها] إمّا اسمها أو خبرها و امتنع بروزهما جميعاً. و عند الأخفش أنّها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء و خصّت بنفي الأحيان و «حين مناص» منصوب بها.[٣]

[٤ ـ ٥] «وَ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ».

«هذا ساحر كذّاب» يزعم أنّه رسول الله. «أجعل الآلهة». استفهام إنكار و تعجّب من ذلك.[٤]

[٦] «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ».

«و انطلق الملأ»؛ أي: أشراف قريش من مجلس أبي‌طالب بعد ما بكّتهم رسول‌الله ﷺ قائلين بعضهم لبعض: امشوا و اثبتوا على عبادة آلهتكم فلاينفعكم مكالمته. و «أن» هي المفسّرة. لأنّ الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول. «لشيء يراد»: إنّ هذا الأمر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مردّ له. أو: إنّ هذا الذي يدّعيه من التوحيد ـ أو يقصده من الرئاسة و الترفّع على العرب و العجم ـ لشيء يمني و يريده كلّ أحد. أو: إنّ دينكم

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢٦.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢٦.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٧١.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢٦.

[لشيء] يطلب ليؤخذ منكم.[۱]

«يراد»؛ أي: إنّ هذا الأمر يراد بنا من زوال نعمة أو نزول شدّة. لأنّهم كانوا يعتقدون في الأصنام أنّهم لو تركوا عبادتها، أصابهم القحط و الشدّة.[۲]

[۷] «مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ».

«ما سمعنا بهذا»؛ أي: بأن يكون هذا في آخرالزمان.[۳]

«ما سمعنا بهذا» الذي يقوله «في الملّة الآخرة» التي أدركنا عليها آباءنا، أو في ملّة عيسى التي هي آخر الملل. فإنّ النصارى يثلّثون. «إلّا اختلاق»: كذب اختلقه.[٤]

[۸] «أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ».

«أأنزل عليه الذكر». إنكار لاختصاصه بالوحي و هو مثلهم أو أدون منهم في الشرف و الرئاسة؛ لقوله: «لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم».[٥] و أمثال ذلك دليل على أنّ مبدأ تكذيبهم لم يكن إلّا الحسد و قصور النظر على الحطام الدنيويّ. «من ذكري»؛ أي: القرآن أو التوحيد، لميلهم إلى التقليد و إعراضهم عن الدليل. بل لم يذوقوا عذابي بعد. فإذا ذاقوا، زال شكّهم. و المعنى أنّهم لا يصدّقون حتّى يمسّهم العذاب فيلجئهم إلى تصديقه.[٦]

[۹] «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ».

أي: بل أعندهم خزائن رحمته و في تصرّفهم حتّى يصيبوا بها من شاؤوا و يصرفوا عمّن شاؤوا فيتخيّروا للنبوّة بعض صناديدهم؟ و المعنى أنّ النبوّة عطيّة من الله يتفضّل بها

۱ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۳۰۷.
۲ـ مجمع البيان ۸ / ۷۲۷.
۳ـ مجمع البيان ۸ / ۷۲۷ ـ ۷۲۸.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۳۰۷.
٥ـ الزخرف (٤۳) / ۳۱.
٦ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۳۰۸.

على من يشاء من عباده لا مانع له. فإنّه العزيز؛ أي: الغالب.[١]

[١٠] «أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ».

«أم لهم ملك السموات» فيتهيّأ لهم أن يمنعوا الله من مراده؟[٢]

«أم لهم ملك السموات». كأنّه لمّا أنكر عليهم التصرّف في نبوّته بأن ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها، أردف ذلك بأنّه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسمانيّ الذي هو جزء يسير [من خزائنه] فمن أين لهم أن يتصرّفوا فيها.[٣]

«فليرتقوا». ثمّ قصد بهم غاية التهكّم فقال: فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق و التصرّف في قسمة الرحمن و كانت عندهم الحكمة التي يميّزون بها بين من هو حقيق بالنبوّة و غيره، فليصعدوا في المعارج و الطرق التي يتوصّل بها إلى العرش حتّى يستووا عليه و يدبّروا أمر العالم و ينزلوا الوحي إلى من يختارون. ثمّ خسأهم عن ذلك بقوله: «جندما هنالك».[٤]

[١١] «جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ».

«ما» زائدة. أخبره الله سبحانه ـ و هو بمكّة ـ أنّه سيهزم جند المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر. و «هنالك» إشارة إلى بدر و مصارعهم بها. أي: هؤلاء الذين يقولون هذا القول، جند مغلوبون من جملة الكفّار الذين تحزّبوا على الأنبياء، و أنت منصور عليهم، فلاتكترث بأقوالهم. و قيل: هم أهل الخندق. يعني: [كيف] يرتقون السماء و هم فرق من قبائل شتّى مهزومون؟[٥]

[١٢] «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٨.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٨.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٧٤.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٨.

«ذو الأوتاد». لأنّه كانت له ملاعب من أوتاد و حبال يلعب له عليها أمامه. و قيل: إنّه كان إذا غضب على أحد، وتد يديه و رجليه و رأسه على الأرض. أو لأنّه صاحب الجنود و الجموع الكثيرة فهم يشدّدون ملكه كما يشدّ الوتد الشيء.(١)

[١٣] «وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولٰئِكَ الْأَحْزَابُ».

«و أصحاب الأيكة». هم قوم شعيب. والأيكة: الغيضة. «الأحزاب». يعني المتحزّبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم.(٢)

[١٤] «إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ».

«إن» كلّ واحد من الأحزاب «إلّا كذّب» جميع الرسل. لأنّهم إذا كذّبوا واحداً منهم فقد كذّبوهم جميعاً. «فحقّ عقاب»؛ أي: فوجب عليهم عذابي.(٣)

[١٥] «وَ مَا يَنْظُرُ هٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ».

«و ما ينظر هؤلاء». يعني كفّار مكّة. «إلّا صيحة واحدة». هي النفخة الأولى. «من فواق»؛ أي: من توقّف، لم تستأخر هذا الوقت من الزمان. كقوله: «فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة».(٤) و عن ابن‌عبّاس: ما لها من رجوع و ترداد. من أفاق المريض، إذا رجع إلى الصحّة. و فواق الناقة: ساعة يرجع الدرّ إلى ضرعها. يريد أنّها نفخة واحدة فحسب لاتثنى و لاتردّد.(٥)

[١٦ ـ ١٧] «وَ قَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ * اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٢٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠٨.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٦، و مجمع البيان ٨ / ٧٣٠.
٤ـ الأعراف (٧) / ٣٤.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٣٠، و الكشّاف ٤ / ٧٧.

القطّ: القسط و النصيب. و يقال لصحيفة الجائزة قطّ لأنّها قطعة من القرطاس. يعني: يقول هؤلاء الكفّار على وجه الاستهزاء: عجّل لنا نصيبنا من العذاب قبل يوم الحساب. كما قال: «و يستعجلونك بالعذاب».[١] و [قيل: معناه:] أرنا حظّنا من النعيم في الجنّة في الآخرة حتّى نؤمن. و قيل: لمّا نزل: «و أمّا من أوتي كتابه بشماله»[٢] قالت قريش: زعمت ـ يا محمّد ـ أنّا نؤتى كتابنا بشمالنا فعجّل لنا كتبنا التي نقرؤها في الآخرة، استهزاء منهم بهذا الوعيد. فقال سبحانه: «اصبر» يا محمّد «على مايقولون» من تكذيبك. فإنّ وباله يعود عليهم. «و اذكر عبدنا داوود ذا الأيد»؛ أي: القوّة على الأعداء و التمكين العظيم. لأنّه كان ينام حول محرابه ألوف كثيرة من الرجال. و قيل: أي: القوّة على العبادة. كان يقوم نصف اللّيل و يصوم نصف الدهر. «إنّه أوّاب»؛ أي: توّاب يرجع عن كلّ ما يكرهه الله إلى ما يحبّ. فإن قلت: كيف تطابق قوله: «اصبر على مايقولون» و قوله: «و اذكر عبدنا» حتّى عطف أحدهما على صاحبه؟ قلت: كأنّه قال لنبيّه: اصبر على ما يقولون و عظّم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصّة داوود و هو نبيّ من أنبياء الله أولاه الله النبوّة و الملك ثمّ زلّ زلّة فبعث إليه الملائكة و وبّخه حتّى استغفر وأناب و وجد منه ما يحكى من بكائه الدائم و نقش جنايته في بطن كفّه. فما الظنّ بكم مع كفركم و معاصيكم؟ أو قال: اصبر على ما يقولون و صن نفسك و حافظ عليها أن تزلّ فيما كلّفت من مصابرتهم و تحمّل أذاهم. و اذكر أخاك داوود كيف زلّ تلك الزلّة اليسيرة فلقي ما لقي.[٣]

[١٨] «إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْرَاقِ».

«يسبّحن» إذا سبّح. و يحتمل أن يكون الله سبحانه خلق في الجبال التسبيح، أو بنى فيها بنية يتأتّى فيها التسبيح. «بالعشيّ و الإشراق»؛ أي: بالرواح و الصباح. قال البلخيّ: يجوز أن يكون المراد بتسبيح الجبال معه ما أعطاه الله من حسن الصوت بقراءة الزبور فكان إذا قرأ

١ـ الحجّ (٢٢) / ٤٧. ٢ـ الحاقّة (٦٩) / ٢٥.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٧٧، و مجمع البيان ٨ / ٧٣١.

الزبور و رفع صوته بالتسبيح بين الجبال، ردّ الجبال مثله عليه من الصدى فسمّى الله ذلك تسبيحاً.(١)

[١٩] «وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ».

«و الطير محشورة»: مجموعة عليه تسبّح الله معه. «كلّ»؛ أي: كلّ الطير و الجبال «له أوّاب»: رجّاع إلى ما يريد مطيع له بالتسبيح معه.(٢)

[٢٠] «وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطَابِ».

«و شددنا ملكه»؛ أي: قوّينا ملكه بالحرس و الجنود و [كثرة] العدد و العدّة. «و آتيناه الحكمة». و هي النبوّة. «و فصل الخطاب». يعني الشهود و الأيمان و أنّ البيّنة على المدّعي و اليمين على من أنكر. لأنّ خطاب الخصوم لاينفصل و لاينقطع إلّا بهذا. و قيل: فصل الخطاب هو العلم بالقضاء و الفهم.(٣)

«و شددنا ملكه»؛ أي: نصرناه بالهيبة. و سببه أنّ غلاماً ادّعى على رجل بقرة فأنكر المدّعى عليه و لطم الغلام لطمة، فسأل داوود من الغلام البيّنة فعجز. فرأى داوود في المنام أنّ الله أمره أن يقتل المدّعى عليه و يسلّم البقرة إلى الغلام. فقال داوود: هذا منام. فأتاه الوحي بذلك في اليقظة. فأخبر بني إسرائيل، فجزعوا و قالوا: يقتل رجلاً بلطمة! فقال: هذا أمر الله. فسكتوا. ثمّ أحضر الرجل و أخبره أنّ الله أمره بقتله، فقال الرجل: صدقت يا نبيّ الله. إنّي قتلت أباه غيلة و أخذت البقرة. [فقتله داوود.] و عظمت هيبته و اشتدّ ملكه و قالوا: إنّه يقضي بالوحي من السماء. «فصل الخطاب». هو القدرة على ضبط المعاني و التعبير عنها بأقصى الغايات حتّى يكون كاملاً مكمّلاً مفهّماً.(٤)

«و فصل الخطاب». عن الرضا عليه السلام: هو معرفة اللّغات كلّها. ثمّ قال: و قد أتانا الله فصل

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٣١ ـ ٧٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٣١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٣٢.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ٢٣ / ٨٩ ـ ٩٠.

الخطاب. و في الزيارة الجامعة للجوادعليه السلام: و فصل الخطاب عندكم.[١]

«و فصل الخطاب». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: هو قوله: البيّنة على المدّعي. و اليمين على المدّعى عليه.[٢]

«و آتيناه الحكمة»: الزبور و علم الشرائع. و قيل: كلّ كلام وافق الحقّ فهو حكمة. و الفصل: التميز بين الشيئين. و قيل للكلام البيّن فصل بمعنى المفصول نقيض الملتبس.[٣]

«فصل الخطاب». يروى: انّ الله علّق لأجل داوود سلسلة من السماء ليقضي بها بين الناس؛ فمن كان على الحقّ، أخذ السلسلة، ومن كان على الباطل، لا يقدر على أخذها. ثمّ إنّ رجلاً غصب من آخر لؤلؤة و جعلها في جوف عصاً، ثمّ خاصمه المدّعي إلى داوود. فقال المدّعي: إنّ هذا أخذ منّي لؤلؤة و لم يردّها عليّ. و إنّي لصادق في مقالتي. فأخذ السلسلة. ثمّ قال المدّعى عليه: خذ منّي العصا. فأخذ عصاه. فقال: إنّي رددت عليه اللّؤلؤ و إنّي لصادق في مقالتي. فأخذ السلسلة. فتحيّر داوود في ذلك. فرفعت السلسلة و أمره أن يقضي بالبيّنة و اليمين؛ و هو فصل الخطاب. و قيل: هو قوله: أمّا بعد. و هو أوّل من تكلّم به.[٤]

[٢١ ـ ٢٢] «وَ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ لَا تُشْطِطْ وَ اهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ».

«و هل أتاك» يا محمّد، خبر «الخصم إذ تسوّروا المحراب»؛ أي: صعدوا إليه المحراب و أتوه من أعلى سوره و هو مصلّاه. و إنّما جمعهم لأنّه أراد المدّعي و المدّعى عليه و من معهما. «ففزع منهم» لدخولهم عليه في غير الوقت الذي يحضر فيه الخصوم من غير الباب الذي يدخل منه الخصوم، و لأنّهم دخلوا عليه بغير إذنه. «بغى بعضنا على بعض» فجئناك لتقضي

١ـ نور الثقلين ٤ / ٤٤٤، عن العيون (٢ / ٢٣٠ و ٢٧٩). و لايخفى أنّ الزيارة الجامعة منقولة عن الإمام الهادي عليه السلام و المؤلّف رحمه الله لم يصحّح خطأ صاحب نور الثقلين.

٢ـ جوامع الجامع / ٤٠٤.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٨٠.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ٢٣ / ٩٠.

بيننا. و ذلك قوله: «فاحكم بيننا بالحقّ و لاتشطط»؛ أي: لاتجر علينا في حكمك. «إلى سواء الصراط»؛ أي: وسط الطريق الحقّ.(١)

[٢٣] «إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ».

«إنّ هذا أخي» بالدين أو الصحبة. «و عزّني في الخطاب»؛ أي: غلبني في المخاطبة بأن جاء بحجاج لم أقدر ردّه. أو في مغالبته إيّاي في الخطبة حيث تزوّجها دوني.(٢)

«نعجة». و هي الأنثى من الضأن. و العرب تكنّي [عن] النساء بالنعاج. «أكفلنيها»؛ أي: اجعلني كافلاً لها. أي: أعطنيها. أو معناه: انزل لي عنها حتّى تصير في نصيبي. «و عزّني»؛ أي: غلبني «في الخطاب»: مخاطبة الكلام.(٣)

[٢٤ ـ ٢٥] «قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلىٰ نِعَاجِهِ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ وَ ظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رَاكِعاً وَ أَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذٰلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفىٰ وَ حُسْنَ مَآبٍ».

في باب مجلس الرضاﷺ عند المأمون مع أصحاب الملل و المقالات و ما قال لعليّ بن الجهم في عصمة الأنبياء قال له الرضاﷺ: أمّا داوود، فما يقول من قبلكم فيه؟ فقال ابن الجهم: يقولون: إنّ داوود كان يصلّي في محرابه إذ تصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور. فقطع داوود صلاته و قام يأخذ الطير، فخرج الطير إلى الدار. فخرج في أثره فطار الطير إلى السطح. فصعد في طلبه فسقط في دار أوريا. فاطّلع داوود في أثر الطير، فإذا بامرأة أوريا تغتسل. فلمّا نظر إليها هواها. و كان قد أخرج أوريا في بعض

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٣٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٣٤.

غزاة. فكتب إلى صاحبه أن قدّم أوريا أمام التابوت. فقدّمه فظفر أوريا بالمشركين. فصعب ذلك على داوود، فكتب إليه ثانياً أن قدّمه أمام التابوت. فقدّمه فقتل أوريا و تزوّج داوود امرأته. فضرب الرضا عليه السلام يده على جبهته و قال: «إنّا لله» ـ الآية. لقد نسبتم نبيّاً من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته حتّى خرج في أثر الطير، ثمّ بالفاحشة، ثمّ بالقتل! فقال: يابن رسول الله، فما كان خطيئته؟ فقال: ويحك! إنّ داوود إنّما ظنّ أن ما خلق الله خلقاً هو أعلم منه. فبعث الله إليه ملكين «فتسوّروا المحراب فقالوا خصمان» ـ الآية. فعجل داوود [على المدّعى عليه فقال: «لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه» و لم يسأل المدّعي البيّنة على ذلك و لم يقبل] على المدّعى عليه فيقول له ما تقول. فكان خطيئته رسم حكم لا ما ذهبتم إليه. ألا تسمع قول الله: «يا داوود إنّا جعلناك خليفة في الأرض»؟ فقال: يابن رسول الله، فما قصّة أوريا؟ قال الرضا عليه السلام: إنّ المرأة في أيّام داوود [كانت] إذا مات بعلها أو قتل، لا تتزوّج بعده أبداً. فأوّل من أباح الله له أن يتزوّج بامرأة قتل بعلها داوود. فتزوّج بامرأة أوريا لمّا قتل. فذلك الذي شقّ على [الناس من قبل] أوريا.[١]

كان أهل زمان داوود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته إذا أعجبته ليتزوّجها. و قد كانت الأنصار يواسون المهاجرين بهذه العادة. فاتّفق أنّ عين داوود وقعت على امرأة أوريا فسأله النزول عنها، فاستحيى أن يردّه ففعل، فتزوّجها و هي أمّ سليمان. فقيل له: إنّك مع عظم منزلتك و كثرة نسائك، لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلّا امرأة واحدة النزول عنها، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك. فتكون حكاية النعاج تمثيلاً لهذه القضيّة و كناية عنها. و أمّا القصّة من حكاية الطير و تقديم أوريا أمام التابوت، فليس هو بكلام مسلم. و يروى أنّ هذه القصّة لمّا ذكرها بعضهم بحضور عمر بن عبدالعزيز، قال له رجل من أهل الحقّ: إن كانت القصّة على ما في كتاب الله، فما ينبغي أن نلتمس خلافها. و إن كانت على ما ذكرت و كفّ الله عنها ستراً على نبيّه، فما ينبغي إظهارها عليه. فقال عمر:

١ـ عيون الأخبار ١ / ١٥٤ ـ ١٥٥.

لسماعي هذا الكلام أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس. فإن قلت: لم جاء ذلك على وجه التحاكم إليه؟ قلت: ليحكم بما حكم به من قوله: «لقد ظلمك» ـ الآية ـ حتّى يكون محجوجاً بحكمه و معترفاً على نفسه بظلمه.(١)

«لقد ظلمك»؛ أي: إن كان الأمر على ما تدّعيه، لقد ظلمك بهذا السؤال. «الخلطاء»؛ أي: الشركاء. «إلّا الذين آمنوا». أي من الخلطاء؛ فإنّهم لا يظلم بعضهم بعضاً. «و قليل ما هم» ما زائدة. «و ظنّ داوود»؛ أي: علم أنّا اختبرناه و ابتليناه. «و خرّ راكعاً و أناب»: صلّى و راجع. و قيل: مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه إلّا إلى الصلاة المكتوبة. و اختلف في استغفار داوود عليه السلام من أيّ شيء كان. فقيل: إنّه حصل على سبيل الانقطاع إلى الله و التذلّل بالعبادة و السجود. و أمّا قوله: «فغفرنا له ذلك» فالمعنى: انّا قبلناه منه و أثبناه عليه. و هذا قول من ينزّه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإماميّة و المعتزلة. و من جوّز على الأنبياء الصغائر [قال:] كان لذنب صغير وقع منه؛ و هو أنّ أوريا خطب امرأة فأراد أهلها أن يزوّجوها منه، فبلغ داوود جمالها فخطبها و زوّجوها منه و قدّموه على أوريا، فعوتب داوود على الحرص على الدنيا. و أمّا من جوّز الكبائر على الأنبياء، فقال: السبب فيه القصّة المشهورة مع امرأة أوريا كما ورد في حديث عليّ بن الجهم.(٢)

«إنّما فتنّاه»؛ أي: ابتليناه بالذنب. أو: امتحنّاه بتلك الحكومة هل يتنبّه بها. «لزلفى»: قرباً و كرامة. «و حسن مآب» في الجنّة.(٣)

[٢٦] «يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ».

«إنّا جعلناك خليفة» تدبّر أمر العباد من قبلنا بأمرنا. أو: خلف من مضى من الأنبياء في

١ـ الكشّاف ٤ / ٨٠ ـ ٨٢.
٢ـ انظر: مجمع البيان ٨ / ٧٣٤ ـ ٧٣٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٠.

الدعاء إلى الدين. «و لاتتّبع الهوى»؛ أي: ما يميل طبعك إليه. «يضلّون عن سبيل الله»؛ أي: يعدلون عن العمل بما أمرهم الله. «بما نسوا يوم الحساب» بتركهم طاعات الله.[١]

«يوم الحساب». متعلّق بنسوا. أي: بنسيانهم يوم الحساب. أو بقوله: «لهم». أي: لهم العذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم و هو ضلالهم عن سبيل الله.[٢]

[٢٧] «وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ».

«باطلاً»؛ أي: خلقاً باطلاً لا لغرض صحيح و حكمة بالغة. أو: مبطلين عابثين. كقوله: «و ما خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما لاعبين».[٣] «ذلك». إشارة إلى خلقها باطلاً. و الظنّ بمعنى المظنون. أي: خلقها للعبث لا للحكمة [هو مظنون الذين كفروا. فإن قلت: إذا كانوا مقرّين بأنّ الله خالق السموات و الأرض و ما بينهما بدليل قوله: «و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولنّ الله»[٤] فبم جعلوا ظانّين أنّه خلقهما للبعث لا للحكمة؟] قلت: لمّا كان إنكارهم للبعث و الحساب مؤدّياً إلى أنّ خلقها عبث و باطل، جعلوا كأنّهم ظنّوا ذلك و يقولونه. لأنّ الجزاء هو الذي سيقت[٥] إليه الحكمة في خلق العالم و من جحده فقد جحد الحكمة من أصلها، و من جحد الحكمة في خلق العالم، فقد سفّه الخالق و ظهر بذلك أنّه لا يعرفه.[٦]

[٢٨] «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ».

«أم نجعل الذين». أم منقطعة. و الاستفهام للإنكار. و المراد أنّه لو بطل الجزاء كما يقول

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٣٧.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٨٩.
٣ـ الأنبياء (٢١) / ١٦.
٤ـ لقمان (٣١) / ٢٥.
٥ـ المصدر: سبقت.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٨٩ ـ ٩٠.

الكافرون، لاستوى عند الله المتّقي و الفاجر و المصلح و المفسد، ومن سوّى بينهما كان سفيهاً.[١]

عن الصادق عليه السلام: «الذين آمنوا و عملوا الصالحات» أميرالمؤمنين و أصحابه. «كالمفسدين في الأرض». قال: حبتر و زريق و أصحابهما.[٢]

[٢٩] «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ».

«ليدّبّروا آياته»: يتفكّروا فيها بالتأويلات الصحيحة و المعاني الحسنة. لأنّ من اقتنع بظاهر المتلوّ، لم يكن له كثير طائل و كان مثله كمثل [من له] لقحة درور لا يحتلبها و مهرة نثور لا يستولدها.[٣]

«ليدّبّروا آياته». فآياته أميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام. و كان أميرالمؤمنين عليه السلام يفتخر بهذه الآية.[٤]

[٣٠ ـ ٣٣] «وَ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ».

«أوّاب»: أي: رجّاع إليه بالتوبة. أو: مسبّح مؤوّب للتسبيح مرجّع له. «الصافنات الجياد»: جمع صافن، و هو الذي يقوم على ثلاث. و قيل: الصافن الذي يجمع بين يديه. و الصفن إنّما يكون في العراب الخلّص. و قيل: وصفها بالصفون و الجودة ليجمع لها بين الوصفين: واقفة و جارية. يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنّة و إذا جرت كانت سراعاً خفافاً. روي أنّ سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق فأصاب ألف فرس. و قيل: خرجت من البحر لها أجنحة. فقعد يوماً بعد ما صلّى الأولى على كرسيّه، فلم تزل تعرض عليه حتّى غربت

١ـ الكشّاف ٤ / ٩٠.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٣٤.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٩٠.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٣٤، عن الصادق عليه السلام.

الشمس و غفل عن العصر. فاغتمّ لما فاته فاستردّها و عقرها متقرّباً إلى الله. و بقي مائة. فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها. و قيل: لمّا عقرها، أبدل الله الريح تجري بأمره. فإن قلت: ما معنى «أحببت حبّ الخير عن ذكر ربّي»؟ قلت: أحببت مضمّن معنى فعل يتعدّى بعن. أي: جعلت حبّ الخير مغنياً عن ذكر ربّي. و الخير: المال. كقوله: «إن ترك خيراً».[1] و سمّى الخيل خيراً مبالغة. و التواري في الحجاب مجاز عن غروب الشمس. «فطفق مسحاً»؛ أي: جعل يمسح السيف بسوقها و أعناقها. يعني يقطعها.[2]

عن الصادق عليه السلام: انّ سليمان بن داوود عرض عليه ذات يوم بالعشيّ الخيل، فاشتغل بالنظر إليها حتّى توارت الشمس بالحجاب. فقال للملائكة: ردّوا الشمس حتّى أصلّي صلاتي في وقتها. فردّوها فقام فمسح ساقيه و عنقه و أمر أصحابه الذين فاتتهم الصلاة معه بمثل ذلك. و كان ذلك وضوؤهم للصلاة. فقام فصلّى. فلمّا فرغ، غابت الشمس و طلعت النجوم. و ذلك قول الله: «و وهبنا لداوود سليمان» ـ الآيات.[3]

[٣٤] «وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ».

«و لقد فتنّا سليمان» بعد ما ملك عشرين سنة، و [ملك] بعد الفتنة عشرين سنة. و كان من فتنته أنّه ولد له ابن فقال الشياطين: إن عاش لم ننفكّ من السخرة، فسبيلنا أن نقتله أو نخبّله. فعلم ذلك و كان يغذوه في السحابة. فما راعه إلّا أن ألقي على كرسيّه ميّتاً. فتنبّه على خطائه في أن لم يتوكّل على ربّه فاستغفر ربّه و تاب إليه.[4]

عن أمير المؤمنين عليه السلام: فإنّه خرج سليمان بن داوود من بيت المقدس و معه ثلاثمائة ألف كرسيّ عن يمينه عليها الإنس و ثلاثمائة ألف كرسيّ عن يساره عليها الجنّ و الطير تظلّهم و الريح تحملهم. فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم أو سمعتم ملكاً قطّ أعظم من هذا؟ فناداهم ملك

١ـ البقرة (٢) / ١٨٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٩١ ـ ٩٣.
٣ـ الفقيه ١ / ١٢٩، ح ٦٠٧.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٩٣.

من السماء: [ثواب] تسبيحة واحدة في الله أعظم ممّا رأيتم.[۱]

«فتنّا سليمان». و ذلك أنّه قال يوماً في مجلسه: لأطوفنّ اللّيلة على سبعين امرأة تلد كلّ امرأة منهنّ غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله. و لم يقل: إن شاء الله. فطاف عليهنّ، فلم تحمل منهنّ إلّا امرأة جاءت بشقّ ولد. روي عنه صلى الله عليه و آله.[۲]

[۳۵] «قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ».

عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ الله لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلّا أربعة بعد نوح: ذا القرنين ـ و اسمه عيّاش ـ و داوود و سليمان و يوسف عليهم السلام. فأمّا عيّاش، فملك ما بين المشرق و المغرب. و أمّا داوود، فملك ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر. و كذلك كان ملك سليمان. و أمّا يوسف، فملك مصر و براريها لم يتجاوز إلى غيرها.[۳]

و في خبر آخر: ملك الأرض كلّها أربعة مؤمنان و كافران. فأمّا المؤمنان، فسليمان و ذو القرنين. و أمّا الكافران، فنمرود و بخت النصر.[٤]

عن عليّ بن يقطين قال: قلت للكاظم عليه السلام: أيجوز أن يكون نبيّ الله بخيلاً؟ فقال: لا. فقلت: فقول سليمان: «و هب لي ملكاً لا ينبغي» فما وجهه؟ فقال: الملك ملكان: ملك مأخوذ بالجور و الغلبة، و ملك مأخوذ من قبل الله كملك إبراهيم و ذي القرنين. فقال سليمان: ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أن يقول إنّه مأخوذ بالغلبة و إجبار الناس. فسخّر الله له الريح و الشياطين و علّم منطق الطير، فعلم الناس في وقته و بعده أنّ ملكه لا يشبه ملك الملوك الجبّارين. قلت: فما معنى قول جدّك: «رحم الله أخي سليمان ما كان أبخله»؟ فقال: له وجهان. أحدهما: أبخله بعرضه. و الوجه الآخر: ما كان أبخله إن كان أراد ما يذهب إليه الجهّال. ثمّ

۱ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۲۳۸.

۲ـ مجمع البيان ۸ / ۷٤۱. و يوجد في النسخة في أوّل هذه الفقرة زيادة: «روي عن أبي عبدالله عليه السلام».

۳ـ الخصال / ۲٤۸، ح ۱۱۰.

٤ـ الخصال / ۲۵۵، ح ۱۳۰.

قال عليه السلام: قد أوتينا ـ و الله ـ ما أوتي سليمان و ما لم يؤت سليمان. قال الله في قصّة محمّد: «ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا»[1].[2]

[٣٦] «فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ».

«رخاء»؛ أي: ليّنة سهلة. أو: مطيعة تجري إلى حيث شاء. و أمّا وصفها في قوله: «و لسليمان الريح عاصفة»[3] فيجوز أن يكون جعلها عاصفة تارة و رخاء أخرى. «حيث أصاب»؛ أي: حيث أراد و قصد.[4]

[٣٧ ـ ٣٨] «وَ الشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَ غَوَّاصٍ * وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ».

«و الشياطين»: و سخّرنا الشياطين أيضاً. «كلّ بنّاء و غوّاص». بدل منه. أي: منهم من يبني له الأبنية الرفيعة في البرّ. و منهم من يغوص له في البحر على الجواهر. و سخّرنا له آخرين منهم مشدودين في سلاسل الحديد عند تمرّدهم، أو ليكفّوا عن الشرّ، أو كان يفعل ذلك بكفّارهم فإذا آمنوا أطلقهم.[5]

[٣٩] «هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

«هذا عطاؤنا»؛ أي: الملك الذي لا ينبغي لأحد. فأعط من الناس من شئت و امنع من شئت. «بغير حساب»؛ أي: لا تحاسب يوم القيامة على ما تعطي و تمنع. أو: أعطيناكه تفضّلاً لا مجازاة. أو: أنعم على من شئت من الشياطين بإطلاقه و أمسك من شئت منهم في وثاقه، لا حرج عليك.[6]

«هذا عطاؤنا». عن ابن أشيم قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فسأله رجل عن آية من كتاب الله فأخبره بها. ثمّ دخل عليه داخل فسأل منها بعينها فأخبره بخلاف ذلك. فدخلني

١ـ الحشر (٥٩) / ٧.

٢ـ علل الشرائع ١ / ٧١.

٣ـ الأنبياء (٢١) / ٨١.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٤٣ ـ ٧٤٤.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٤٤.

٦ـ مجمع البيان ٨ / ٧٤٤.

من ذلك أمر عظيم و قلت في نفسي: تركت بالشام أبا قتادة لايخطئ في الواو و شبهه و جئت إلى هذا يخطئ هذا الخطاء كلّه! فبينما أنا كذلك، إذ دخل عليه ثالث فسأله عنها فأخبره بخلاف الأوّلين. فسكنت نفسي و علمت أنّ ذلك تقيّة منه. ثمّ التفت إليّ فقال: يابن أشيم، إنّ الله عزّوجلّ فوّض إلى سليمان فقال: «هذا عطاؤنا» ـ الآية. و فوّض إلى نبيّه فقال: «و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا». و ما فوّض إلى رسوله فقد فوّضه إلينا.[١]

[٤٠ ـ ٤٢] «وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفىٰ وَ حُسْنَ مَآبٍ * وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ عَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَ شَرَابٌ».

«اذكر عبدنا أيّوب»؛ أي: اذكره و اقتد به في الصبر. وكان في زمن يعقوب و تزوّج ليا بنت يعقوب. «إذ نادى ربّه»؛ أي: دعاه رافعاً صوته. «بنصب»؛ أي: تعب. «و عذاب»؛ أي: مكروه و مشقّة. و قيل: إنّه كان يذكّره ما كان فيه من النعم و كيف زال، طمعاً في أن يستزلّه حتّى يجزع، فوجده صابراً. و قيل: اشتدّ مرضه حتّى تجنّبه الناس. فوسوس الشيطان إلى الناس أن يخرجوه من بينهم و لايتركوا امرأته تدخل عليهم. و كان أيّوب يتأذّى بذلك و دام في الألم سبع سنين. قال أهل التحقيق: لايجوز أن يكون بصفة يستقذره الناس عليها. لأنّ في ذلك تنفيراً. و أمّا المرض و الفقر و ذهاب الأهل و المال، فيجوز أن يمتحنه الله بذلك. فأجاب الله دعاءه فقال: «اركض»؛ أي: اضرب الأرض برجلك. «هذا مغتسل»؛ أي: فركض برجله فنبعت بركضته عين ماء. و قيل: عينان اغتسل من أحدهما فبرئ و شرب من الأخرى. و المغتسل: موضع الاغتسال أو ماؤه.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام في سبب بليّة أيّوب قال: لنعمة أنعم الله عليه بها فأدّى شكرها، و كان الشيطان لايحجب من دون العرش فرأى شكر نعمة أيّوب، قال: يا ربّ ما شكرك إلّا لما أعطيته من الدنيا. و لو حرمته دنياه، ما أدّى إليك شكر نعمة أبداً. فسلّطني على دنياه حتّى

١ـ الكافي ١ / ٢٦٥، ح ٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٤٥.

تعلم. فقيل له: قد سلّطتك على ماله و ولده. فانحدر إبليس فلم يبق له مالاً و لا ولداً إلّا أعطبه. فازداد أيّوب شكراً و حمداً. فقال: يا ربّ سلّطني على بدنه ما خلا عقله و عينيه. فنفخ فيه إبليس فصار قرحة واحدة [فبقي في ذلك] دهراً طويلاً يحمد الله و يشكره حتّى وقع في بدنه الدود فكانت تخرج من بدنه فيردّها [و يقول لها: ارجعي إلى موضعك الذي خلقك الله منه]. و نتن حتّى أخرجوه أهل القرية و رموه على المزبلة خارج القرية ـ الحديث.[١]

قرأ أبوجعفر: «بنصب» بضمّتين بإتباع الصاد حركة ما قبله، و يعقوب بفتحتين، و الباقون بضمّ النون و سكون الصاد، و هما لغتان.[٢]

[٤٣] «وَ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ».

«و وهبنا له أهله» بأن جمعناهم له بعد تفرّقهم أو بعد موتهم، كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام. «و مثلهم معهم» حتّى كان له ضعف ما كان. «رحمة»؛ أي: لرحمتنا عليه. «و ذكرى لأولى الألباب»؛ أي: تذكيراً لهم لينتظروا الفرج بالصبر و اللّجأ إلى الله فيما يحيق بهم.[٣]

[٤٤] «وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ».

«و خذ». عطف على اركض. و الضغث: ملء الكفّ من الشماريخ. و عن ابن‌عبّاس: السبب فيه أنّ إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة أيّوب فقال: أداويه على أنّه إذا برئ قال: أنت شفيتني. لاأريد جزاء سواه. قالت: نعم. فأشارت إلى أيّوب بذلك، فحلف على ضربها. «صابراً». أي: على البلاء. «أوّاب»؛ أي: رجّاع إلى الله تعالى منقطع إليه. و عن

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٣٩ ـ ٢٤٠.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٤٤ ـ ٧٤٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٤، و مجمع البيان ٨ / ٧٤٥.

أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ رسول الله أتى برجل استسق بطنه و قد زنى بامرأة مريضة. فأمر رسول الله بعرجون فيه مائة شمراخ فضربه ضربة و خلّى سبيلها. و ذلك قوله: «و خذ بيدك» ـ الآية.(١)

[٤٥] «وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَ الْأَبْصَارِ».

«و اذكر عبادنا» ليقتدوا بهم في حميد أفعالهم فيستحقّوا بذلك حسن الثناء في الدنيا و الثواب في الآخرة كما استحقّ أولئك. و إذا قرئ: «عبدنا» [فيكون التقدير: و اذكر عبدنا إبراهيم] ـ فقد خصّه بشرف الإضافة إلى نفسه ـ و اذكر إسحاق و يعقوب. «أولي الأيدي»: القوّة على العبادة «و الأبصار»: البصيرة في الدين. و قيل: أولي النعم على عباد الله بالدعوة إلى الدين. و الأبصار: العقول.(٢)

[٤٦] «إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ».

«إنّا أخلصنا هم بخالصة»: جعلناهم خالصين لنا بخصلة لا شوب فيها هي «ذكرى الدار»: تذكّرهم للآخرة دائماً. فإنّ خلوصهم في الطاعة بسببها. و ذلك لأنّ مطمح نظرهم فيما يأتون و يذرون جوار الله و الفوز بلقائه في الآخرة. و إطلاق الدار للإشعار بأنّها الدار الحقيقيّة و الدنيا [معبر]. و أضاف نافع و هشام [بخالصة] إلى ذكرى للبيان، أو لأنّه مصدر بمعنى الخلوص فأضيف إلى فاعله.(٣)

[٤٧] «وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ».

«عندنا»: أي: بحسب ما سبق في علمنا «لمن المصطفين» للنبوّة. «الأخيار»: جمع خيّر، كالأموات جمع ميّت، أو جمع خير على تخفيفه.(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٤، و مجمع البيان ٨ / ٧٤٦.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٤٩.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٤.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٠.

[٤٨] «وَ اذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكِفْلِ وَ كُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ».

«و اذكر إسماعيل و اليسع»؛ أي: اذكر لأمّتك هؤلاء أيضاً ليقتدوا بهم و يسلكوا طريقتهم. «و كلّ من الأخيار»: اختارهم الله للنبوّة.[١]

[٤٩] «هٰذَا ذِكْرٌ وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ».

«هذا ذكر»؛ أي: شرف لهم و ذكر جميل يذكرون به في الدنيا أبداً و في الآخرة ينقلبون إلى ثواب الله.[٢]

[٥٠] «جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ».

«جنّات عدن». تفسير لحسن مآب بدل منه. أي: جنّات إقامة و خلود. «مفتّحة لهم الأبواب»؛ أي: يردونها يجدونها مفتّحة لايحتاجون إلى الوقوف عند أبوابها. و قيل: معناه أنّها لاتحتاج إلى مفاتيح بل تنفتح بغير مفتاح و تنغلق بغير مغلاق. و قيل: هو كناية عن كونها معدّة لهم غير ممنوعين منها.[٣]

[٥١] «مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرَابٍ».

«متّكئين»؛ أي: مستندين إلى المساند جالسين جلسة الملوك. «يدعون فيها»؛ أي: يتحكّمون في ثمارها و شرابها. فإذا قالوا لشيء منها: أقبل، حصل عندهم.[٤]

[٥٢] «وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ».

«قاصرات الطرف». أي على أزواجهنّ، ما لهنّ في غيرهم رغبة. و هو نقيض المادّ. «أتراب»؛ أي: أقران على سنّ واحد ليس فيهنّ عجوز و لا هرمة. و قيل: متساويات في الحسن و مقدار الشباب. و قيل: على مقدار [سنّ] الأزواج، كلّ واحدة ترب زوجها

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٠.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٠.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٠.

لاتزيد عليه. لأنّ التحابّ بين الأتراب أثبت. و قال الفرّاء: الترب اللّدة، مأخوذ من اللّعب بالتراب و لايقال إلّا في الإناث.(١)

[٥٣] «هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ».

«توعدون»؛ أي: ما يوعد به المتّقون. أو يخاطبون فيقال لهم هذا القول. «ليوم الحساب»: لأجله. فإنّ الحساب علّة الوصول إلى الجزاء. ابن‌كثير و أبوعمرو: «يوعدون» بالياء ليوافق ما قبله.(٢)

[٥٤] «إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ».

«لرزقنا»؛ أي: عطاؤنا. «نفاد»؛ أي: انقطاع. و قيل: إنّه ليس لشيء في الجنّة نفاد ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله، و كذا الحيوان و الطيور.(٣)

[٥٥] «هٰذَا وَ إِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ».

«هذا»؛ أي: الأمر هذا. أو: هذا كما ذكر. أو: خذ هذا.(٤)

[٥٦] «جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ».

«يصلونها»؛ أي: يدخلونها فيصيرون صلاء لها. «فبئس المهاد»: المهد و المفترش. و المخصوص بالذمّ محذوف أي جهنّم.(٥)

[٥٧] «هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ غَسَّاقٌ».

«هذا فليذوقوه»؛ أي: ليذوقوا هذا فليذوقوه. أو: العذاب هذا فليذوقوه. و يجوز أن

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٠ ـ ٧٥١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٥.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٥.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٥.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٥.

يكون مبتدأ و خبره «حميم و غسّاق». و هو على الأوّلين خبر محذوف أي هو. و الغسّاق: ما يغسق من صديد أهل النار. من غسقت العين، إذا سال دمعها. و قيل: الحميم الماء الحارّ، و الغسّاق البارد و الزمهرير. و قيل: الغسّاق عين في جهنّم يسيل إليها سمّ كلّ ذات حمة من حيّة و عقرب. و قيل: هو ما يسيل من دموعهم يسقونه مع الحميم.[١]

«و غسّاق». عن أبي جعفرعليه السلام: الغسّاق واد في جهنّم فيه ثلاثمائة و ثلاثون قصراً، في كلّ قصر ثلاثمائة بيت، في كلّ بيت أربعون زاوية، في كلّ زاوية شجاع، في كلّ شجاع ثلاثمائة و ثلاثون عقرباً، في كلّ حمة عقرب[٢] ثلاثمائة و ثلاثون قلّة من سمّ لو أنّ عقرباً منها نضحت سمّها على أهل جهنّم لوسعهم سمّها. «هذا و إنّ للطاغين». هم الأوّل و الثاني و بنو أميّة. ثمّ ذكر من كان بعدهم ممّن غصب آل محمّد حقّهم فقال: «و آخر من شكله أزواج * هذا فوج مقتحم معكم». و هم بنو العبّاس. فيقولون بنو أميّة: «لا مرحباً بهم إنّهم صالوا النار». فيقولون بنو فلان: «بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدّمتموه لنا» و بدأتم بظلم آل محمّد. «فبئس القرار». ثمّ يقول بنو أميّة: «ربّنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً». يعنون الأوّل و الثاني. ثمّ يقول أعداء آل محمّد في النار: «ما لنا لانرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار» في الدنيا؟ و هم شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام.[٣]

«و غسّاق». حفص و حمزة بتشديد السين. و الباقون بالتخفيف.[٤]

[٥٨] «وَ آخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ».

«و آخر من شكله أزواج»: و ضرب آخر من شكل هذا العذاب و جنسه ألوان و أنواع متشابهة في الشدّة لا نوع واحد. أهل البصرة: «أُخر» بضمّ الهمزة على الجمع.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٥، و مجمع البيان ٨ / ٧٥٣.

٢ـ المصدر: في جمجمة كلّ عقرب.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٤٢ ٢٤٣.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٥.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٣ و ٧٥١.

«و آخر»؛ أي: عذاب آخر.[١] و هو مبتدأ. «من شكله»؛ أي: من شكل الغسّاق أو ما ذكر، و هو صفة المبتدأ. و «أزواج» ـ أي: أجناس آخر ـ خبر المبتدأ أو صفة له و الخبر محذوف مثل لهم.[٢]

[٥٩] «هٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ».

«هذا فوج مقتحم». [هاهنا حذف.] أي: يقال لهم: هذا فوج ـ و هم قادة الضلالة إذا دخلوا النار ـ ثمّ يدخل الأتباع فيقول الخزنة للقادة: «هذا فوج»؛ أي: قطع من الناس و هم الأتباع «مقتحم معكم» في النار دخلوها كما دخلتموها. «لا مرحباً بهم»؛ أي: يقول القادة للأتباع: لا مرحباً بهؤلاء. إنّهم يدخلون النار مثلنا، فلا فرح لنا في مشاركتهم.[٣]

[٦٠] «قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ».

«قالوا» أي الأتباع للرؤساء: «بل أنتم لا مرحباً بكم»؛ أي: بل أنتم أحقّ بما قلتم، لإضلالكم لنا، كما قالوا: «أنتم قدّمتموه لنا»؛ أي: قدّمتم العذاب أو الصلي لنا بإغوائنا و إغرائنا على ما قدّمنا من العقائد الزائغة و الأعمال القبيحة. فبئس المقرّ جهنّم.[٤]

[٦١] «قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ».

«قالوا». أي الأتباع أيضاً. «من قدّم لنا هذا»؛ أي: من سبّب لنا هذا العذاب و دعانا إلى ما استوجبناه به. «ضعفاً»؛ أي: مثلاً مضاعفاً إلى ما يستحقّه «في النار». أحد الضعفين لكفرهم بالله، و الآخر لدعائهم إيّانا إلى الكفر.[٥]

[٦٢] «وَ قَالُوا مَا لَنَا لَا نَرىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٥.
٢ـ انظر: مجمع البيان ٨ / ٧٥٢.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١٥، و مجمع البيان ٨ / ٧٥٤.

«و قالوا ما لنا». يقولون ذلك حين ينظرون في النار فلايرون من كان يخالفهم فيها معهم و هم المؤمنون. و قيل: نزلت في أبي‌جهل و الوليد بن مغيرة و ذويهما يقولون: ما لنا لانرى عمّاراً و بلالاً و نحوهما من الذين كنّا نعدّهم في الدنيا من الأشرار لايعملون الخير؟ و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ أهل النار يقولون: ما لنا لانرى رجالاً؟ يعنونكم. لايرونكم في النار. لايرون ـ و الله ـ أحداً منكم في النار.(١)

[٦٣] «أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ».

أهل العراق غير عاصم: «اتّخذناهم» موصولة الهمزة، و الباقون بقطع الهمزة. و أهل المدينة و الكوفة غير عاصم: «سخريّاً» بضمّ السين، و الباقون بكسرها. يقولون لمّا [لا] يرونهم في النار: اتّخذناهم هزؤاً في الدنيا فأخطأنا أم زاغت عنهم أبصارنا فلانراهم و هم معنا في النار؟(٢)

«اتّخذناهم سخريّاً». قرئ بلفظ الإخبار على أنّه صفة لرجالاً مثل قوله: «كنّا نعدّهم من الأشرار» و بهمزة الاستفهام على أنّه إنكار على أنفسهم و تأنيب لها في الاستسخار منهم. و قوله: «أم زاغت» متّصل بقوله: «ما لنا». أي: ما لنا لانراهم في النار كأنّهم ليسوا فيها؟ بل أزاغت عنهم أبصارنا فلانراهم و هم فيها؟ قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنّة و بين أن يكونوا من أهل النار إلّا أنّه خفي عليهم مكانهم.(٣)

[٦٤] «إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ».

«إنّ ذلك»؛ أي: ما ذكر قبل هذا «لحقّ»: [كائن] لا محالة، و هو تخاصم الأتباع و القادة أو مجادلة أهل النار بعضهم لبعض على ما أخبر عنهم.(٤)

[٦٥] «قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَ مَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٥.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٤ ـ ٧٥٥.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٠٢ ـ ١٠٣.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٥ ـ ٧٥٦.

أي اعتقدوا أن لا إله إلّا الله.[١]

«الواحد القهّار». فلايقدر أحد على الخلاص من عقوبته.[٢]

[٦٦] «رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ».

[٦٧ ـ ٦٩] «قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ».

«نبأ عظيم»؛ أي: هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولاً منذراً و أنّ الله واحد لا شريك له، نبأ عظيم لايعرض عن مثله إلّا غافل شديد الغفلة. ثمّ احتجّ لصحّة نبوّته بأنّ ما ينبئ به عن الملأ الأعلى و اختصامهم ماكان له به من علم ثمّ علمه و لم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا و هو الأخذ من أهل العلم و قراءة الكتب، فعلم أنّ ذلك لم يحصل إلّا بالوحي من الله.[٣]

«نبأ عظيم»؛ أي: القرآن حديث عظيم ـ لإعجازه ـ أنتم عن تدبّره معرضون. و قيل: خبر القيامة خبر عظيم أنتم عن الاستعداد لها معرضون. أو: ما أخبرتكم به من قصص الأوّلين، أنتم عنه معرضون لاتتفكّرون فيه فتعلمون صدق نبوّتي. و يدلّ على هذا المعنى قوله: «ماكان لي من علم بالملأ الأعلى». يعني الملائكة. «إذ يختصمون». يعني ما ذكر من قوله: «إنّي جاعل في الأرض»[٤] ـ إلى آخر القصّة. وهو قول ابن‌عبّاس. أي: ما علمت ما كانوا فيه إلّا بالوحي من الله. و عن ابن‌عبّاس عن النبيّ ﷺ قال: قال لي ربّي: أ تدري فيما يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا. قال: اختصموا في الكفّارات و الدرجات. فأمّا الكفّارات، فإسباغ الوضوء في السبرات، و نقل الأقدام إلى الجماعات، و انتظار الصلاة بعد الصلاة. و

١ـ الكشّاف ٤ / ١٠٤.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٦.

٣ـ الكشّاف ٤ / ١٠٤.

٤ـ البقرة (٢) / ٣٠.

أمّا الدرجات، فإفشاء السلام، و إطعام الطعام، و الصلاة باللّيل و الناس نيام.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «قل هو نبأ عظيم» قال: الذين أوتوا العلم الأئمّة. و النبأ الإمامة.[٢]

[٧٠] «إِنْ يُوحىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ».

«إن يوحى إليّ»؛ أي: ماكان لي من علم باختصام الملائكة فيما ذكرنا، لولا أنّ الله أخبرني به، لم يمكنني إخباركم، ولكن ما يوحى إليّ إلّا الإنذار البيّن الواضح. و قيل: معناه: ليس يوحى إليّ إلّا أنّي نذير مبين. أبوجعفر: «إنّما» بكسر الألف، و الباقون بفتحها.[٣]

«إن يوحى إليّ إلّا أنّما أنا نذير»؛ أي: لأنّما أنا نذير. و معناه: ما يوحى إليّ إلّا للإنذار. فحذف اللّام و انتصب بإفضاء الفعل إليه. و يجوز أن يرتفع على معنى: ما يوحى إليّ إلّا هذا و هو أن أنذر و أبلغ و لا أفرّط في ذلك. أي: ما أومر إلّا بهذا الأمر وحده و ليس إليّ غير ذلك. و قرئ: «إنّما» بالكسر على الحكاية. أي: إلّا هذا القول و هو أن أقول لكم: إنّما أنا نذير مبين، و لا أدّعي شيئاً آخر.[٤]

[٧١] «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ».

«إذ قال». بدل من يختصمون. و المراد بالملأ الأعلى أصحاب القصّة: الملائكة، و آدم، و إبليس. لأنّهم كانوا في السماء و كان التقاول بينهم.[٥]

«إذ قال ربّك». على أنّ اختصام الملائكة كان في أمر آدم، فيكون إذ يتعلّق بقوله: «يختصمون» و إن اعترض بينهما كلام. «خالق بشراً من طين». يعني آدم.[٦]

[٧٢] «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٦.
٢ـ بصائر الدرجات / ٢٢٧، ح ١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٦ و ٧٥٤.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٠٤.
٥ـ الكشّاف ٤ / ١٠٤.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٧.

«و نفخت فيه من روحي»؛ أي: جعلت فيه الروح. «فقعوا له ساجدين»؛ أي: فاسجدوا له.[١]

[٧٣] «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ».

فإن قلت: كيف ساغ السجود لغير الله؟ قلت: الذي لايسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة. فأمّا على وجه التكرمة و التبجيل، فلايأباه العقل إلّا أن يعرف الله فيه مفسدة فينهى عنه.[٢]

[٧٤] «إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ».

فإن قلت: كيف استثني إبليس من الملائكة و هو من الجنّ؟ قلت: قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله: «فسجد الملائكة» ثمّ استثني كما يستثنى الواحد [منهم] استثناء متّصلاً. «وكان من الكافرين». أريد وجود كفره ذلك الوقت و إن لم يكن قبله كافراً. و يجوز أن يراد من الكافرين في الأزمنة السابقة في علم الله.[٣]

فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد ـ وكان قد عبد الله ستّة آلاف سنة لايدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة ـ عن كبر ساعة واحدة. فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟ كلّا! ماكان ـ سبحان الله ـ ليدخل الجنّة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً. إنّ حكمه في أهل السماء و أهل الأرض لواحد و ما بين الله و بين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمًى حرّمه الله على العالمين.[٤]

[٧٥] «قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٧.

٢ـ الكشّاف ٤ / ١٠٥.

٣ـ الكشّاف ٤ / ١٠٥.

٤ـ نهج البلاغة / ٢٨٧، من الخطبة القاصعة (١٩٢).

«ما منعك». سؤال توبيخ و تعريف للملائكة أنّه لا عذر له في الامتناع. و معنى قوله: «لما خلقت بيديّ»: تولّيت خلقه بنفسي من غير واسطة. و قيل: معناه: خلقته بقدرتي. «أستكبرت»؛ أي: أرفعت نفسك فوق قدرك و تعظّمت عن امتثال أمري أم كنت من الذين يعلو قدرهم فتعاليت عنه.[١]

[٧٦] «قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ».

عن إسحاق بن جرير قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: أيّ شيء يقول أصحابك في قول إبليس: «خلقتني من نار»؟ قلت: جعلت فداك؛ قد قال ذلك و ذكره الله في كتابه. فقال: كذب إبليس. ما خلقه الله إلّا من طين. قال الله: «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً».[٢] خلقه الله من تلك النار و من تلك الشجرة. و الشجرة أصلها من طين.[٣]

[٧٧] «قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ».

«فاخرج منها»؛ أي: من الجنّة. أو: من السموات. أو: من الخلقة التي أنت فيها. لأنّه كان يفتخر بخلقته فغيّر الله خلقه فاسودّ بعد ما كان أبيض و أظلم بعد ما كان نورانيّاً. و الرجيم: المرجوم، و هو المطرود. لأنّ من طرد رمي بالحجارة على أثره، و الرجم الرمي بالحجارة. أو لأنّ الشياطين يرجمون بالشهب.[٤]

[٧٨ ـ ٨١] «وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ».

فإن قلت: قوله: «لعنتي إلى يوم الدين» كأنّ لعنة إبليس غايتها يوم الدين ثمّ تنقطع. قلت: كيف تنقطع و قد قال الله: «فأذّن مؤذّن بينهم أن لعنة الله على الظالمين»[٥]؟ ولكنّ

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٧ ـ ٧٥٨.
٢ـ يس (٣٦) / ٨٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٤٤ ٢٤٥.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٠٧.
٥ـ الأعراف (٧) / ٤٤.

المعنى أنّ عليه اللّعنة في الدنيا فإذا كان يوم الدين اقترن له باللّعنة ما ينسى عنده اللّعنة فكأنّها انقطعت. «يوم الوقت المعلوم». و هو النفخة الأولى و هو معلوم عند الله معيّن لايتقدّم و لايتأخّر.[١]

[٨٢ ـ ٨٣] «قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ».

«فبعزّتك». إقسام بعزّة الله و هي سلطانه و قهره.[٢]

[٨٤ ـ ٨٥] «قَالَ فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ».

أهل الكوفة غير الكسائيّ: «فالحقّ» بالرفع، و الباقون بالنصب.[٣]

«فالحقّ و الحقّ أقول». قرئ: «فالحقّ و الحقّ» منصوبين، على أنّ الأوّل مقسم به كالله في «إنّ عليك الله أن تبايعا» و جوابه: «لأملأنّ» و «الحقّ أقول» اعتراض بين المقسم به و المقسم عليه و معناه: و لاأقول إلّا الحقّ. و المراد بالحقّ إمّا اسمه عزّ و علا الذي في قوله: «إنّ الله هو الحقّ المبين»[٤] أو الحقّ الذي هو نقيض الباطل عظّمه الله بإقسامه به. و مرفوعين، على أنّ الأوّل مبتدأ محذوف الخبر. أي: فالحقّ قسمي لأملأنّ. و الحقّ أقول؛ أي: أقوله. «منهم أجمعين»؛ أي: لأملأنّ جهنّم من المتبوعين و التابعين أجمعين لاأترك منهم أحداً.[٥]

[٨٦] «قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ».

«عليه من أجر». الضمير للقرآن أو الوحي. «من المتكلّفين»: الذين يتصنّعون و يتحلّون بما ليسوا من أهله. و ما عرفتموني مدّعياً بما ليس عندي حتّى أنتحل النبوّة و أتقوّل القرآن.[٦]

١ـ الكشّاف ٤ / ١٠٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ١٠٨.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٥٨.
٤ـ النور (٢٤) / ٢٥.
٥ـ الكشّاف ٤ / ١٠٨.
٦ـ الكشّاف ٤ / ١٠٩.

«من المتكلّفين». عن أبي عبدالله عليه السلام: للمتكلّف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، و يقول ما لايعلم، و يتعاطى ما لاينال.(١)

[٨٧] «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ».

«إن هو إلّا ذكر للعالمين» أوحي إليّ فأنا أبلغه.(٢)

[٨٨] «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ».

«و لتعلمنّ نبأه»؛ أي: ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام و فشوّه من صحّة خبره و أنّه الحقّ.(٣)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام في «و لتعلمنّ نبأه بعد حين» قال: عند خروج القائم عليه السلام.(٤)

١ـ الخصال / ١٢١، ح ١١٣.
٢ـ الكشّاف ٤ / ١٠٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٠٩.
٤ـ الكافي ٨ / ٢٨٧، ح ٤٣٢.

٣٩.
سورة الزمر

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الزمر، أعطاه الله من شرف الدنيا و الآخرة و أعزّه بلا مال و عشيرة حتّى يهابه من يراه، و حرّم جسده على النار و بنى له في الجنّة ألف مدينة في كلّ مدينة ألف قصر، في كلّ قصر مائة حوراء، و له مع هذا عينان تجريان نضّاختان و جنّتان مدهامّتان و حور مقصورات في الخيام و ذواتا أفنان و من كلّ فاكهة زوجان.(١)

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، لم يقطع الله رجاءه و أعطاه الله ثواب الخائفين.(٢)

من جعلها على عضده، كان محبوباً في أعين الناس و أثنوا عليه خيراً.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ».

«تنزيل». مبتدأ و خبره «من الله». و يجوز أن يكون تنزيل خبر مبتدأ محذوف. أي: هذا تنزيل. فعلى هذا يجوز أن يكون «من الله» خبراً بعد خبر و في موضع نصب، لأنّه يتعلّق بتنزيل. عظّم الله سبحانه أمر القرآن و حثّ المكلّفين على القيام بما فيه بأن قال: «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم».(٤)

[٢ ـ ٤] «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلّٰهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللهَ

١ـ ثواب الأعمال / ١٣٩ ـ ١٤٠، ح ١.
٢ـ المصباح / ٥٩٠.
٣ـ المصباح / ٦٠٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٦١.

يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ * لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ».

«إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ». ليس تكراراً من وجهين. أحدهما: انّ التنزيل للتدريج و الانزال دفعيّ كما مرّ. و الثاني: انّ الأوّل كعنوان الكتاب و الثاني لتقرير ما في الكتاب. و قوله: «بالحقّ» معناه أنّ كلّ ما أودعنا فيه من التوحيد و غيره فهو حقّ و صدق مؤيّد بالبرهان. ثمّ اشتغل ببيان بعض ما فيه من الحقّ و هو الإقبال على عبادته بالإخلاص و قصر الالتفات عليه. أمّا الأوّل فقوله: «فاعبد الله مخلصاً»؛ أي: اعبد أنت و أمّتك. و آية الإخلاص أن يكون الداعي إلى العبادة هو مجرّد الأمر لا طلب مرغوب أو هرب عن مكروه. و أمّا الثاني، فقوله: «ألا لله الدين الخالص» أي من الرياء و الشرك الظاهر و الخفيّ. و قيل: الدين الخالص شهادة ألّا إله إلّا الله. «و الذين اتّخذوا»؛ أي: المشركون اتّخذوا شركاء يقولون: «ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله». و المراد بالأولياء هنا الملائكة و عيسى و اللّات و العزّى. قال ابن‌عبّاس: كانوا [يرجون] شفاعتهم لأنّهم اعتقدوا أنّ الأصنام تماثيل الكواكب و الأرواح السماويّة أو الصالحين. و معنى حكم الله بينهم أن يدخل الملائكة و عيسى الجنّة و يدخلهم و الأصنام بالنار. و اختلافهم أنّ الملائكة و عيسى موحّدون و هم مشركون و الأصنام يكفرون يوم القيامة بشركهم و هم يرجون شفاعتهم. و يجوز أن يكون ضمير بينهم راجعاً إلى الفريقين المؤمن و المشرك. «كاذب». كذبهم زعمهم شفاعة الأصنام. «كفّار». و كفرهم إشراكهم في العبادة و قولهم: الملائكة بنات الله فلذلك نعبدها. فاحتجّ على إبطال معتقدهم بقوله: «لو أراد الله» ـ الآية. «ممّا يخلق ما يشاء». يعني البنين لا الأنقص و هو البنات. «سبحانه». إشارة إلى البرهان إلى استحالة اصطفائه شيئاً لأجل اتّخاذ الولد. «هو الله الواحد القهّار». إشارة إلى البرهان إلى استحالة ذلك من ثلاثة أوجه. الأوّل: انّه هوالله و هو اسم للواجب بالذات الجامع نعوت الجمال و الجلال، و اتّخاذ الولد يدلّ على الحاجة حتّى يقوم بعده مقامه أو على سبيل الاستئناس و الالتذاذ بوجوده أو بغير ذلك من

الأغراض، و كلّ ينافي الوجوب الذاتيّ. الثاني: انّه الواحد الحقيقيّ و الولد إنّما يحصل من جزء من أجزاء الوالد. الثالث: انّه القهّار، و من احتاج إلى الولد يموت فيكون مقهوراً لا قاهراً.[١]

[٥] «خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ».

ثمّ دلّ بخلق السموات و الأرض و تكوير كلّ واحد من الملوين على الآخر و تسخير النيّرين و جريهما لأجل مسمًّى و بثّ الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة و خلق الأنعام، على أنّه واحد لايشارك. و التكوير اللّفّ و الليّ. يقال: كار العمامة على رأسه و كوّرها. و فيه أوجه. منها: انّ اللّيل و النهار خلفة يذهب هذا و يغشى مكانه هذا و إذا غشي مكانه فكأنّما ألبسه و لفّ عليه كما يلفّ اللّباس على اللاّبس. و منها: انّ كلّ واحد منهما يغيّب الآخر إذا طرأ عليه. فشبّه في تغييبه إيّاه بشيء ظاهر لفّ عليه ما غيّبه عن مطامح الأبصار. و منها: أنّ هذا يكرّ على هذا كروراً متتابعاً فشبّه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض.[٢]

[٦] «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنّٰى تُصْرَفُونَ».

فإن قلت: ما وجه قوله: «ثمّ جعل منها زوجها» وما يعطيه من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي عدّدها دالاًّ على وحدانيّته و قدرته: تشعيب هذا [الخلق] الفائت للحصر من نفس آدم، وخلق حوّاء من قصيراه ـ وهو الضلع الذي يلي الشاكلة أي الخاصرة في أسفل الأضلاع ـ إلاّ أنّ إحداهما جعلها الله عادة مستمرّة و الأخرى لم تجر بها العادة فكانت أدخل في كونها آية و أجلب لعجب السامع. فعطفها بثمّ على الآية الأولى

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢٣ / ١٢٣ ـ ١٢٥.
٢ـ الكشّاف ٤ / ١١٢ ـ ١١٣.

للدلالة على مباينتها لها فضلاً و مزيّة و تراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية. فهو من التراخي في الحال و المنزلة لا من التراخي في الوجود. و قيل: ثمّ متعلّق بمعنى «واحدة». كأنّه قيل: خلقكم من نفس واحدة ثمّ شفعها بزوج. و قيل: أخرج ذرّيّة آدم من ظهره كالذرّ ثمّ خلق بعد ذلك حوّاء. «و أنزل لكم»: قضى لكم و قسم. لأنّ قضاياه و قسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللّوح كلّ كائن يكون. وقيل: لايعيش [الأنعام] إلّا بالنبات. و النبات لايقوم إلّا بالماء. و قد أنزل الماء. فكأنّه أنزلها. و قيل: خلقها في الجنّة ثمّ أنزلها. «ثمانية أزواج» ذكراً و أنثى من البقر و الإبل والضأن و المعز. و الزوج اسم لواحد معه آخر.(١)

«في ظلمات ثلاث»: ظلمة البطن، و ظلمة الرحم، و ظلمة المشيمة. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. «ذلكم الله». أي الذي خلق هذه الأشياء. «فأنّى تصرفون» عن طريق الحقّ بعد هذا البيان؟ مثل قوله: «فأنّى تؤفكون».(٢) (٣)

[٧] «إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَ لَا يَرْضىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

«إن تكفروا» نعمة الله تعالى فلم تشكروها، «فإنّ الله غنيّ عنكم» و عن شكركم. «و إن تشكروا يرضه لكم»؛ أي: إن تشكروا الله على أنعمه، يرضه لكم [و] يرده منكم و يثبكم. و الهاء في يرضه كناية عن المصدر الذي دلّ عليه «و إن تشكروا» و التقدير: يرضى الشكر لكم. «و لاتزر وازرة»؛ أي: لاتحمل حاملة ثقل أخرى. «فينبّئكم»؛ أي: يجازيكم بما عملتموه. أبوعمرو و حمزة: «يرضه لكم» ساكنة الهاء، و ابن‌كثير و ابن‌عامر مضمومة الهاء مشبعة، و الباقون مضمومة مختلسة غير مشبعة.(٤)

١ـ الكشّاف ٤ / ١١٣ ـ ١١٤.
٢ـ الأنعام (٦) / ٩٥.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٦٦.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٦٦ و ٧٦٤.

[٨] «وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

«ضرّ»؛ أي: شدّة و مرض و قحط و غير ذلك. «منيباً»؛ أي: راجعاً إليه وحده لايرجو سواه. «و إذا خوّله»؛ أي: أعطاه «نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل»؛ أي: نسي الضرّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه من قبل نيل هذه النعمة. أو: نسي الدعاء الذي كان يتضرّع به إلى الله من قبل. أو: نسي الله الذي كان يتضرّع إليه من قبل. «أنداداً»؛ أي: أمثالاً في العبادة من الأصنام و الأوثان. «ليضلّ عن سبيل الله». اللّام للعاقبة. لأنّهم ما فعلوا لذلك الغرض. «تمتّع بكفرك». أمر معناه الخبر. و المعنى أنّ مدّة تمتّعه في الدنيا بكفره قليلة زائلة.[١]

«ليضلّ». ابن‌كثير و أبوعمرو بفتح الياء. و الباقون: «ليضلّ» بالضمّ.[٢]

«و إذا مسّ الإنسان». قال: نزلت في أبي الفصيل. يعني أبابكر. كان يقول إنّ رسول الله ساحر. فكان إذا مسّه الضرّ ـ يعني السقم ـ «دعا ربّه منيباً إليه»؛ يعني: تائباً إليه من قوله في رسول الله ما يقول. «ثمّ إذا خوّله نعمة» يعني العافية «نسي ما كان يدعو إليه». يعني نسي التوبة إلى الله ممّا كان يقول في رسول الله إنّه ساحر. و لذلك قال الله: «قل تمتّع بكفرك قليلاً». يعني بإمرتك على الناس من غير حقّ من الله ومن رسوله ﷺ. ثمّ عطف القول من الله في عليّ يخبر بحاله و فضله عند الله: «أمّن هو قانت» إلى قوله: «هل يستوي الذين يعلمون» أنّ محمّداً رسول الله «و الذين لايعلمون» أنّه رسول الله و أنّه ساحر كذّاب.[٣]

[٩] «أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَ قَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٦٦ ـ ٧٦٧. ٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢١.
٣ـ الكافي ٨ / ٢٠٤، ح ٢٤٦.

«أمّن هو قانت»؛ أي: قائم بوظائف الطاعات. «آناء اللّيل». ساعاته. و أم متّصلة بمحذوف. تقديره: الكافر خير أم من هو قانت؟ أو منقطعة و المعنى: بل [أم من] هو قانت كمن بضدّه؟ و قرأ حمزة بتخفيف الميم بمعنى: أمن هو قانت لله كمن جعل له أنداداً؟ «ساجداً و قائماً». حالان من ضمير قانت. «يحذر الآخرة». حال من ضمير قانت. أو الاستئناف للتعليل. «قل هل يستوي». نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوّة العلميّة [بعد نفيه باعتبار القوّة العمليّة] على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم. و قيل: تقرير للأوّل على سبيل التشبيه. أي: كما لايستوي العالمون و الجاهلون، لايستوي القانتون و العاصون. «إنّما يتذكّر أولو الألباب» بأمثال هذه البيّنات.(١)

«أمّن». ابن‌كثير و نافع و حمزة: «أمن هو» خفيفة الميم.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال لأبي بصير: يا أبا محمّد، لقد ذكرنا الله و شيعتنا و عدوّنا في آية من كتابه فقال: «هل يستوي الذين يعلمون» ـ الآية. نحن الذين يعلمون. و عدوّنا الذين لايعلمون. و شيعتنا أولو الألباب.(٣)

[١٠] «قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

«للّذين أحسنوا في هذه الدنيا»؛ أي: أحسنوا بالطاعات في الدنيا، مثوبة «حسنة» في الآخرة. و قيل: معناه: للّذين أحسنوا حسنة في الدنيا و هي الصحّة و العافية. و «في هذه» بيان لمكان حسنة. «و أرض الله واسعة». فمن تعسّر عليه التوفّر على الإحسان في وطنه، فليهاجر إلى حيث يتمكّن منه. «الصابرون». أي على مشاقّ الطاعة من احتمال البلاء و مهاجرة الأوطان. «أجرهم بغير حساب»: أجراً لايهتدي إليه حساب الحسّاب. و في

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢١.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٦٤.

٣ـ الكافي ٨ / ٣٥، ح ٦.

الحديث: انّه ينصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة و الصدقة و الحجّ فيوفون بها أجورهم. و لاينصب لأهل البلاء بل يصبّ عليهم الأجر صبّاً حتّى يتمنّى أهل العافية في الدنيا أنّ أجسادهم تقرض بالمقاريض [ممّا] يذهب [به] أهل البلاء من الفضل.(١)

«و أرض الله»؛ أي: أرض الجنّة واسعة. فاطلبوها بالأعمال الصالحة.(٢)

[١١] «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ».

«قل» يا محمّد لهؤلاء الكفّار. و قوله: «مخلصاً»؛ أي: لاأعبد معه سواه. و العبادة الخالصة التي لايشوبها شيء من المعاصي.(٣)

[١٢] «وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ».

«و أمرت لأن أكون»؛ أي: أمرت بذلك لأجل أن أكون مقدّمهم في الدنيا و الآخرة. أو لأنّه أوّل من أسلم وجهه لله من قريش و من دان بدينهم. و يجوز أن يجعل اللّام مزيدة فيكون أمراً بالتقدّم في الإخلاص و البدء بنفسه في الدعاء إليه بعد الأمر به.(٤)

[١٣] «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ».

«إن عصيت ربّي» بترك الإخلاص و الميل إلى ما أنتم عليه من الشرك و الرياء.(٥)

«يوم عظيم»؛ أي: يوم القيامة.(٦)

[١٤] «قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي».

فإن قلت: ما معنى التكرير في قوله: «قل إنّي أمرت أن أعبد الله» و قوله: «قل الله أعبد»؟ قلت: ليس بتكرير. لأنّه الأوّل للإخبار بأنّه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٦٧.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٦٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢١ ـ ٣٢٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٢.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٧٦٩.

الإخلاص، و الثاني إخبار بأنّه يختصّ الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه. و لدلالته على ذلك قدّم المعبود على فعل العبادة و أخّره في الأوّل. فالكلام أوّلاً واقع في الفعل نفسه و إيجاده [و] ثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله و لذلك رتّب عليه: «فاعبدوا ما شئتم من دونه».(١)

[١٥] «فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ».

«فاعبدوا» أي معاشر الكفّار «ما شئتم من دونه» من الأصنام. و هذا على وجه التهديد لهم. «الخاسرين»: الكاملين [في] الخسران. «خسروا أنفسهم» بالضلال «و أهليهم» بالإضلال. أو إنّهم لاينتفعون بأنفسهم و لايجدون في النار أهلاً كما كان لهم في الدنيا أهل. فقد فاتتهم المنفعة بأنفسهم و أهليهم. و قيل: خسروا أنفسهم بأن قذفوها في النار، و خسروا أهليهم الذين أعدّوا لهم في جنّة النعيم. قال ابن‌عبّاس: إنّ الله جعل لكلّ إنسان في الجنّة منزلاً و أهلاً. فمن عمل بطاعته، كان له ذلك. و من عصاه فصار إلى النار، دفع منزله و أهله إلى من أطاع الله. فذلك قوله: «هم الوارثون»(٢).(٣)

«خسروا أنفسهم و أهليهم». عن أبي جعفر عليه السلام يقول: غبنوا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة.(٤)

[١٦] «لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذٰلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ».

«لهم من فوقهم». شرح لخسرانهم. أي: لهم من فوقهم سرادقات و أطباق من النار و دخانها. و الظلّة: السترة العالية. «و من تحتهم ظلل»؛ أي: فرش و مهد منها. و قيل: إنّما سمّي

١ـ الكشّاف ٤ / ١١٩.
٢ـ المؤمنون (٢٣) / ١٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٦٩.
٤ـ تفسير القمّي ٢ / ٢٤٨.

ما تحتها من النار ظللاً لأنّها ظلل لمن تحتهم، إذ النار أدراك و هم بين أطباقها. و قيل: أجرى اسم الظلل على قطع النار على حسب المجاز لأنّها في مقابلة ظلل أهل الجنّة. و المراد أنّ النار تحيط بجوانبهم. «ذلك يخوّف الله به عباده»؛ أي: ذلك الذي وصف من العذاب يخوّف الله به عباده رحمة لهم ليتّقوا عذابه. ثمّ أمرهم بالاتّقاء فقال: «يا عباد فاتّقون» فقد أنذرتكم.[١]

[١٧] «وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَ أَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ».

«الطاغوت»؛ أي: الأوثان و الشيطان. و قيل: كلّ داع إلى عبادة غير الله. «و أنابوا إلى الله»؛ أي: تابوا إليه فأقلعوا عمّا كانوا عليه. «لهم البشرى»؛ أي: البشارة. و هي الإعلام بما يظهر به السرور في بشرة وجوههم جزاء على ذلك. و تلك البشارة بالثواب إمّا على ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت. و عن أبي عبدالله عليه السلام: أنتم هم. و من أطاع جبّاراً فقد عبده.[٢]

«و اجتنبوا الطاغوت» ـ الآيتين. نزلت في ثلاثة نفر كانوا يقولون في الجاهليّة «لا إله إلّا الله»: سلمان، و أبوذرّ، و زيد بن عمرو بن نفيل.[٣]

«الطاغوت»: فعلوت من الطغيان ـ كالملكوت و الرحموت ـ إلّا أنّ فيه قلباً بتقديم اللّام على العين. أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدراً.[٤]

عن أبي جعفر عليه السلام: الجبت و الطاغوت فلان و فلان و فلان. و العبادة طاعة الناس لهم. [«لهم البشرى»] في الحياة الدنيا و في الآخرة. و الإمام يبشّرهم بقيام القائم و بظهوره و قتل أعدائه و بالنجاة في الآخرة و الورود على محمّد صلى الله عليه و آله.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٢، و مجمع البيان ٨ / ٧٦٩.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٢.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٠.

٤ـ الكشّاف ٤ / ١٢٠.

٥ـ الكافي ١ / ٤٢٩، ح ٨٣.

[١٨] «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَ أُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ».

عن أبي عبدالله عليه السلام «فيتّبعون أحسنه» قال: هو الرجل يسمع الحديث فيحدّث به كما سمعه لايزيد فيه و لاينقص منه.(١)

«أحسنه»؛ أي: أولاه بالقبول و أرشده إلى الحقّ. و قيل: أحسن ما يؤمرون [به]. و قيل: يستمعون ما في القرآن و السنّة من الطاعات فيتّبعون أفضل الطاعات و يؤثرون الأفضل فالأفضل.(٢)

[١٩] «أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ».

«أ فمن حقّ عليه كلمة العذاب». أصل الكلام: أم من حقّ عليه كلمة العذاب، فأنت تنقذه؟ جملة شرطيّة دخل عليها همزة الإنكار، و الفاء فاء الجزاء، ثمّ دخلت الفاء التي في أوّلها للعطف على محذوف يدلّ عليه الخطاب. تقديره: أأنت مالك أمرهم، فمن حقّ عليه العذاب فأنت تنقذه؟ و الهمزة الثانية هي الأولى كرّرت لتوكيد معنى الإنكار و الاستبعاد. و وضع «من في النار» موضع الضمير. فالآية على هذا جملة واحدة. و وجه آخر؛ و هو أن يكون الآية جملتين: أفمن حقّ عليه كلمة العذاب، فأنت تخلّصه؟ أ فأنت تنقذ من في النار؟ و إنّما جاز حذف «فأنت تخلّصه» لأنّ أفأنت تدلّ عليه. نزل استحقاقهم العذاب و هم في الدنيا منزلة دخولهم النار.(٣)

«كلمة العذاب». و هي قوله: «لأملأنّ جهنّم منك و ممّن تبعك منهم أجمعين».(٤) و إنّما قال ذلك للنبيّ صلى الله عليه و آله لحرصه على إسلام الكفّار.(٥)

١ـ الكافي ١ / ٥١، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٢.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٢١.
٤ـ ص (٣٨) / ٨٥.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٠.

[٢٠] «لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأل عليّ عليه السلام رسول الله عن تفسير قوله: «لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة»: بماذا بنيت هذه الغرف؟ فقال: يا عليّ، تلك غرف بناها الله لأوليائه بالدرّ و الياقوت و الزبرجد. سقوفها الذهب محبوكة بالفضّة. لكلّ غرفة منها ألف باب من ذهب. على كلّ باب منها ملك موكّل به. و فيها فرش مرفوعة من الحرير و الديباج بألوان مختلفة و حشوها المسك و العنبر و الكافور. فإذا دخل المؤمن إلى منازله في الجنّة، وضع على رأسه تاج الملك و الكرامة و ألبس حلل الذهب و الفضّة و الدرّ و الياقوت منظوماً في الإكليل. فإذا جلس المؤمن على سريره، اهتزّ سريره فرحاً ـ الحديث.(١)

«لهم غرف»؛ أي: قصور في الجنّة من فوقها قصور مبنيّة. و هذا في مقابلة قوله: «لهم من فوقهم ظلل من النار و من تحتهم ظلل». و ذلك أنّ النظر من الغرف إلى الخضر و المياه أشهى و ألذ.(٢)

«مبنيّة»؛ أي: إنّها بنيت بناء المنازل التي على الأرض و سوّيت تسويتها. «تجري من تحتها الأنهار» كما تجري تحت المنازل من غير تفاوت بين العلوّ و السفل. «وعد الله». مصدر مؤكّد. لأنّ قوله: «لهم غرف» في معنى وعدهم الله.(٣)

[٢١] «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ».

«فسلكه»؛ أي: أدخله و نظمه «ينابيع في الأرض»: عيوناً و مسالك و مجاري كالعروق في الأجساد. «مختلفاً ألوانه»: هيآته من خضرة و حمرة و صفرة و بياض و غير ذلك. أو:

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٤٦ ـ ٢٤٧.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٢١.

أصنافه من برّ و شعير و سمسم و غيرها. «يهيج»؛ أي: يتمّ جفافه. لأنّه إذا تمّ جفافه حان له أن يثور عن منابته و يذهب. «حطاماً»: فتاتاً. «لذكرى»؛ أي: تذكيراً و تنبيهاً على أنّه لابدّ من صانع حكيم و أنّ ذلك كائن عن تقدير و تدبير لا عن تعطيل و إهمال. و يجوز أن يكون مثلاً للدنيا؛ كقوله: «إنّما مثل الحياة الدنيا».[١] «و اضرب لهم مثل الحياة الدنيا»[٢].[٣]

«حطاماً». الحطام: فتات التبن و الحشيش.[٤]

[۲۲] «أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«أفمن شرح الله»؛ أي: أفمن عرف الله أنّه من أهل اللّطف فلطف به حتّى انشرح صدره للإسلام و قبله، كمن لا لطف عليه فهو حرج الصدر قاسي القلب؟ و نور الله هو لطفه. «أفمن شرح الله» نظير قوله: «أمّن هو قانت» في حذف الخبر. «من ذكر الله»: من أجل ذكره. أي: إذا ذكر الله عندهم، اشمأزّوا و ازدادت قلوبهم قساوة. كقوله: «فزادتهم رجساً إلى رجسهم»[٥].[٦]

«شرح الله صدره». و يكون ذلك بثلاثة أشياء. أحدها: بقوّة الأدلّة المنصوبة. الثاني: بالألطاف المتجدّدة حالاً بعد حال. كما قال: «و الذين اهتدوا زادهم هدًى».[٧] الثالث: بحلّ الشبهة [و إلقاء الخواطر]. «على نور»؛ أي: دلالة و هدًى. شبّه الأدلّة بالنور. و قيل: النور كتاب الله. و التقدير: أفمن شرح الله صدره كمن هو قاسي القلب؟ لدلالة «فويل للقاسية قلوبهم». و هم الذين تصلّبت قلوبهم على الكفر حتّى لاتنفع فيها المواعظ.[٨]

عنه صلى الله عليه وآله: إنّ النور إذا وقع في القلب، انفسح له و انشرح. قالوا: يا رسول الله فهل لذلك

١ـ يونس (١٠) / ٢٤.
٢ـ الكهف (١٨) / ٤٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٢٢.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧١.
٥ـ التوبة (٩) / ١٢٥.
٦ـ الكشّاف ٤ / ١٢٢.
٧ـ محمّد صلى الله عليه وآله (٤٧) / ١٧.
٨ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٢.

علامة يعرف بها؟ قال: التجافي عن دار الغرور، و الإنابة إلى دار الخلود، و الاستعداد للموت قبل حلوله.(١)

[٢٣] «اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلىٰ ذِكْرِ اللهِ ذٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ».

«أحسن الحديث». يعني القرآن. «متشابهاً»؛ أي: يشبه كتب الله المتقدّمة و إن كان أنفع منها. «مثاني». لأنّه تثنّى فيه القصص و الأخبار و الأحكام و المواعظ بتصريفها في ضروب البيان و يثنّى أيضاً في التلاوة فلايملّ. قال قتادة: هو نعت لأولياء الله بأن تقشعرّ جلودهم و تطمئنّ قلوبهم إلى ذكر الله. و لم ينعتهم بذهاب عقولهم و الغشيان عليهم. إنّما ذلك من أهل البدع و هو من الشيطان. عنه ﷺ: إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله، تحاتّت ذنوبه كما تتحاتّ عن الشجرة اليابسة أوراقها.(٢)

«كتاباً». بدل من «أحسن الحديث». و «متشابهاً» مطلق في متشابهة بعضه بعضاً فكان متناولاً لتشابه معانيه في الصحّة و الإحكام و البناء على الحقّ و الصدق و تناسب ألفاظه في الإعجاز و تجاوب النظم. و يجوز أن يكون «مثاني» بياناً لكونه متشابهاً. لأنّ القصص المذكورة المكرّرة لاتكون إلّا متشابهة. و المثاني جمع مثنى بمعنى مردّد و مكرّر لما ثنّي من قصصه و أنبائه، أو لأنّه يثنّى في التلاوة فلايملّ. و يجوز أن يكون جمع مثنّى مفعّل من التثنية بمعنى التكرير و الإعادة. كقوله: «ارجع البصر كرّتين».(٣) و إنّما وصف الواحد بالجمع لأنّ الكتاب جملة ذات تفاصيل [ألاتراك تقول: القرآن] أسباع و أخماس و سور و آيات و أقاصيص و أحكام و مواعظ. و أصله: كتاباً متشابهاً فصولاً مثاني. و يجوز أن يكون مثاني [صفة و يكون] منتصباً على التميز من متشابهاً. أي: متشابهاً مثانيه. و أمّا فائدة التكرير

١ـ روضة الواعظين ٢ / ٤٤٨.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٢ ـ ٧٧٣.
٣ـ الملك (٦٧) / ٤.

و التثنية ـ و هو للتكرار ـ لأنّ النفوس أنفر شيء من الوعظ و النصيحة. و لهذا كان رسول الله يكرّر عليهم المواعظ ثلاثاً و سبعاً ليغرسه في صدورهم. «تقشعرّ». يقال: اقشعرّ الجلد، إذا تقبّض. و يقال: اقشعرّ جلده من الخوف: وقف شعره. و هو مثل في شدّة الخوف. فيجوز أن يريد به سبحانه التمثيل تصويراً لإفراط خشيتهم، و أن يريد به التحقيق، و المعنى: انّهم إذا سمعوا بالقرآن و بآيات وعيده، أصابتهم خشية تقشعرّ منها جلودهم، ثمّ إذا ذكروا الله و رحمته و جوده بالمغفرة، لانت جلودهم و قلوبهم و زال عنها ما كان بها من الخشية و القشعريرة. و تعدية تلين بإلى لتضمينه معنى سكنت و اطمأنّت.(۱)

«ذلك»؛ أي: القرآن «هدى الله يهدي به»؛ أي: بما نصب فيه من الأدلّة «من يشاء» من أمّة محمّد ﷺ. «و من يضلل الله» عن طريق الجنّة، فلايقدر أحد على هدايته. أو: من ضلّ عن الله و رحمته، فلا هادي له.(۲)

[۲٤] «أَ فَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ قِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ».

«أ فمن يتّقي بوجهه سوء العذاب»؛ أي: أ فحال من يدفع عذاب الله بوجهه يوم القيامة كحال من يأتي آمناً لاتمسّه النار؟ و إنّما قال: «بوجهه» لأنّ الوجه أعزّ أعضاء الإنسان. «و قيل للظالمين»؛ أي: يقول خزنة جهنّم للكافرين. «ما كنتم تكسبون»؛ أي: جزاءه.(۳)

«أ فمن يتّقي بوجهه»: يجعله درقة يتّقي به نفسه. لأنّه تكون مغلولة يداه إلى عنقه فلايقدر أن يتّقي إلّا بوجهه. «سوء العذاب يوم القيامة» كمن هو آمن منه. فحذف الخبر كما حذف في نظائره. «و قيل للظالمين»؛ أي: لهم. وضع الظاهر موضعه تسجيلاً عليهم بالظلم و إشعاراً بالموجب [لما يقال لهم].(٤)

۱ـ الكشّاف ٤ / ۱۲۳ ـ ۱۲٤.
۲ـ مجمع البيان ۸ / ۷۷۳.
۳ـ مجمع البيان ۸ / ۷۷۳.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۳۲٤.

[۲۵] «كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ».

«من قبلهم». أي من الكفّار في الأمم الماضية. «من حيث لا يشعرون»؛ أي: و هم آمنون غافلون.(۱)

«من حيث لا يشعرون»: من الجهة التي لا يخطر ببالهم أنّ الشّر يأتيهم منها في الحياة الدنيا كالمسخ و الخسف و القتل و السبي و الإجلاء.(۲)

[٢٦] «فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

«فأذاقهم الله الخزي». إخبار عمّا فعل بالأمم الماضية المكذّبة بأن أذاقهم الله الخزي و الهوان.(۳)

«أكبر» لشدّته و دوامه.(٤)

[۲۷] «وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

«في هذا القرآن من كلّ مثل». سمّى ذكر الأمم الماضية مثلاً. و المعنى: انّا بيّـنّا للناس في هذا القرآن من كلّ ما يحتاجون من مصالح دينهم لكي يتذكّروا فيعتبروا.(٥)

[۲۸] «قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ».

«قرآناً عربيّاً». حال من «هذا»، أو مدح له. «غير ذي عوج»: لا اختلال فيه بوجه ما. و قيل: بالشكّ.(٦)

«غير ذي عوج»؛ أي: غير ذي ميل، لكي يتّقوا معاصي الله.(٧)

[۲۹] «ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٤.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٥.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٤.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٥.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٤.

٧ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٥.

يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«ضرب الله مثلاً». ضربه للكافر و عبادته الأصنام. «متشاكسون»؛ أي: مختلفون منازعون. و إنّما ضرب هذا المثل لسائر المشركين، ولكنّه ذكر رجلاً واحداً وصفه بصفة موجودة في سائر المشركين، فيكون المثل المضروب له مضروباً لهم جميعاً. و قوله: «فيه شركاء»؛ أي: يعبد آلهة مختلفة و أصناماً كثيرة و هم متشاجرون متعاسرون هذا يأمره و هذا ينهاه و يريد كلّ واحد منهم أن يفرده بالخدمة، ثمّ يكل كلّ منهم أمره إلى آخر و يكل الآخر إلى آخر فيبقى هو خالياً عن المنافع. و هذا حال من يخدم جماعة مختلفة الآراء و الأهواء. هذا مثل الكافر. ثمّ ضرب مثل المؤمن الموحّد فقال: «و رجلاً سلماً لرجل»؛ أي: خالصاً يعبد مالكاً واحداً لايشوب بخدمته خدمة غيره. و من كان بهذه الصفة، نال ثمرة خدمته، لا سيّما إذا كان المخدوم حكيماً قادراً كريماً. ابن كثير و أهل البصرة: «سالماً» بالألف. عن عليّ عليه السلام: أنا ذلك الرجل السلم لرسول الله صلى الله عليه وآله. «هل يستويان»؛ أي: هل يستوي هذان الرجلان صفة و شبهاً في حسن العاقبة و حصول المنفعة. أي: لايستويان. فإنّ الخالص لمالك واحد يستحقّ من معونته ما لايستحقّ صاحب الشركاء المختلفين في أمره. ثمّ قال: «الحمد لله»؛ أي: احمدوا الله المستحقّ للشكر على هذا المثل الذي علّمكموه و أوضح الدلالة. أو: احمدوا الله حيث لطف بكم حتّى عبدتموه و أخلصتم له الإيمان، فهي النعمة السابغة.[1]

«ضرب الله مثلاً»؛ أي: هذا مثل ضربه الله لأميرالمؤمنين و شركائه الذين ظلموه و غصبوه حقّه. «متشاكسون»؛ أي: متباغضون. و قوله: «رجلاً سلماً لرجل». أميرالمؤمنين سلم لرسول الله.[2]

«هل يستويان مثلاً»؛ أي: صفة و حالاً. و نصبه على التمييز و لذلك وحّده. «بل أكثرهم لايعلمون» فيشركون به غيره من فرط جهلهم.[3]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٥ ـ ٧٧٦ و ٧٧٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٥.

عن أميرالمؤمنينؑ: ألا و إنّي مخصوص في القرآن بأسماء. و احذروا أن تغلبوا عليها فتضلّوا في دينكم. أنا السلم لرسول الله. يقول الله: «و رجلاً سلماً لرجل».(١)

[٣٠] «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ».

ثمّ بيّن سبحانه المقام الذي يتبيّن فيه الحقّ من المبطل فقال: «إنّك ميّت»؛ أي: عاقبتك الموت و عاقبة هؤلاء كذلك.(٢)

ثمّ عزّى نبيّه فقال: «إنّك ميّت» إلى: «تختصمون». يعني أميرالمؤمنين [و] من غصب حقّه.(٣)

[٣١] «ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ».

«تختصمون» فتحتجّ عليهم بأنّك كنت على الحقّ في التوحيد و كانوا هم على الباطل في التشريك، و اجتهدت في الإرشاد و التبليغ و لجّوا في التكذيب و العناد، و يعتذرون بالأباطيل مثل: أطعنا سادتنا و كبراءنا، و وجدنا آباءنا. و قيل: المراد به الاختصام العامّ يخاصم الناس بعضهم بعضاً فيما دار بينهم في الدنيا.(٤)

«تختصمون». قال ابن‌عمر: كنّا نرى أنّ هذه الآية فينا و في أهل الكتابين و قلنا: كيف نختصم نحن و نبيّنا واحد؟ حتّى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعلمت أنّها فينا نزلت. و قال أبوسعيد الخدريّ في هذه الآية: كنّا نقول: ربّنا واحد. و نبيّنا واحد. فما هذه الخصومة؟ فلمّا كان يوم صفّين و شدّ بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم؛ هذا هو. و قال ابن‌عبّاس: يكون الاختصام بين المهتدين و الضالّين و الصادقين و الكاذبين.(٥)

[٣٢] «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَ كَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً

١ـ معاني الأخبار / ٥٩ ـ ٦٠، ح ٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٦.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٤٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٥.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٦.

لِلْكَافِرِينَ».

ثمّ ذكر أعداء آل محمّد و من كذب على الله و على رسوله و ادّعى ما لم يكن له، فقال جلّ ذكره: «فمن أظلم ممّن كذب على الله و كذّب بالصدق إذ جاءه»؛ يعني: بما جاء به رسول الله من الحقّ و ولاية أميرالمؤمنين.(۱)

«كذّب بالصدق إذ جاءه» من غير توقّف و تفكّر في أمره. «مثوًى للكافرين». و ذلك يكفيهم مجازاة لأعمالهم.(۲)

«ممّن كذب على الله» بأن ادّعى له ولداً و شريكاً. «بالصدق»؛ أي: بالتوحيد و القرآن. ثمّ هدّد الله من هذه صورته فقال: «أليس في جهنّم مثوًى للكافرين»؛ أي: مقام للجاحدين؟ و هو استفهام يراد به التقرير.(۳)

[۳۳] «وَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ».

«جاء بالصدق». و هو القرآن جاء به جبرئيل. «وصدّق به» محمّد؛ تلقّاه بالقبول. وقيل: الذي جاء بالصدق، و هو قول «لا إله إلّا الله» [هو] محمّد رسول الله، و صدّق به هو أيضاً و بلّغه إلى الخلق. و قيل: الذي جاء بالصدق محمّد ﷺ و صدّق به أميرالمؤمنين. و هو المرويّ عن الأئمّة عليهم السلام.(٤)

ثمّ ذكر رسول الله و أميرالمؤمنين عليهما السلام فقال: «و الذي جاء بالصدق و صدّق به». يعني أميرالمؤمنين.(٥)

[۳٤] «لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ».

[۳٥] «لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا

۱ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۲٤۹.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۳۲٥.
۳ـ مجمع البيان ۸ / ۷۷٦ ـ ۷۷۷.
٤ـ مجمع البيان ۸ / ۷۷۷.
٥ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۲٤۹.

يَعْمَلُونَ».

«أسوأ الذي عملوا» و غير الأسوء بالطريق الأولى. و يجوز أن يكون بمعنى السيّئ كأعدلا بني مروان. «بأحسن الذي كانوا يعملون»؛ أي: بعدل[1] محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر و عظمه لفرط إخلاصهم فيها.[2]

«أسوأ الذي عملوا»؛ أي: أسقط عنهم عقاب الشرك و المعاصي التي فعلوها قبل ذلك بإيمانهم و رجوعهم إلى الله. «أجرهم»؛ أي: ثوابهم. «بأحسن الذي كانوا يعملون»؛ أي: بالفرائض و النوافل، و هي أحسن أعمالهم. لأنّ المباح و إن كان حسناً فلايستحقّ به ثواب و لا مدح.[3]

[٣٦ـ ٣٧] «أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ».

أهل الكوفة غير عاصم و أبوجعفر: «بكاف عباده» على الجمع. من قرأ: «عبده» فكان المعنى: أليس الله بكافيك؟ و هم يخوّفونك. و من قرأ: «عباده» فالمعنى: أليس الله بكاف عباده الأنبياء؟ كفى نوحاً الغرق، و إبراهيم النار. فهو سبحانه كافيك كما كفى الأنبياء قبلك. استفهام يراد به التقرير. يعني به محمّداً يكفيه عداوة من يعاديه. «و يخوّفونك» يا محمّد. كانت الكفّار يخوّفونه بالأوثان التي كانت يعبدونها. و قيل: إنّه لمّا قصد خالد لكسر العزّى بأمر النبيّ، قالوا: إيّاك يا خالد. فبأسها شديد. فضرب خالد أنفها بالفأس فهشمها و قال: يا عزّى، كفرانك لا سبحانك. إنّي رأيت الله قد أهانك. «و من يضلل الله»؛ أي: من أضلّه الله عن طريق الجنّة بمعاصيه، فليس له هاد يهديه إليها. أو: من يحرمه الله من زيادات الهدى، فليس له زائد. و من يهديه إلى طريق الجنّة، فلا أحد يضلّه عنها. و قيل: من بلغ استحقاق

١ـ كذا في النسخة. و في المصدر: «فتعدّ لهم» بدل «أي بعدل».

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٥. ٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٧.

زيادات الهدى، فقد ارتفع عن تأثير الوسواس.(١)

[٣٨] «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ».

«ليقولنّ الله». لأنّهم مع عبادتهم الأوثان يقرّون بذلك. ثمّ احتجّ عليهم بأنّ ما يعبدونه من دون الله لايملك كشف الضرّ و السوء عنهم. «بضرّ»؛ أي: بمرض أو فقر أو بلاء أو شدّة، هل يكشفنّ ضرّه؟ «برحمة»؛ أي: بخير و صحّة. و المعنى: انّ من عجز عن النفع و الضرّ و كشف السوء عمّن يتقرّب إليه، كيف يحسن منه عبادته؟ و إنّما تحسن العبادة لمن قدر على جميع ذلك و هو الله تعالى.(٢)

أهل البصرة: «كاشفات» و «ممسكات» بالتنوين و ما بعدهما منصوبان. و الباقون بغير تنوين على إضافة كلّ واحد منهما إلى بعده.(٣)

«أو أرادني». فإن قلت: لم فرض المسألة في نفسه دونهم؟ قلت: لأنّهم خوّفوه من الأوثان، فأمر بأن يقرّرهم أوّلاً بأنّ خالق العالم هو الله وحده ثمّ يقول لهم بعد التقرير: فإذا أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضرّ من مرض أو نحوه، أو برحمة كالصحّة و الغنى، هل هؤلاء اللّاتي خوّفتموني إيّاهنّ كاشفات عنّي ضرّه أو ممسكات رحمته؟ حتّى إذا قطعهم حتّى لايحيروا ببنت شفة قال: «حسبي الله» كافياً لمعرّة أوثانكم. «عليه يتوكّل المتوكّلون». و فيه تهكّم. فإن قلت: لم قيل: «ممسكات» و «كاشفات» على التأنيث بعد قوله: «يخوّفونك بالّذين من دونه»؟ قلت: أنّهنّ ـ و كنّ إناثاً و هنّ اللّات و العزّى و مناة ـ ليعجّزها زيادة تعجيز. لأنّ الأنوثة من باب اللّين و الرخاوة كما أنّ الذكورة من باب الشدّة و الصلابة.(٤)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٨ ـ ٧٧٩.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٩.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٨.

٤ـ الكشّاف ٤ / ١٢٩ ـ ١٣٠.

[٣٩] «قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ».

«على مكانتكم»؛ أي: حالكم التي أنتم عليها و جهتكم من العداوة التي تمكّنتم منها. و المكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى.(١)

«مكانتكم»؛ أي: قدر جهدكم و طاقتكم في إهلاكي و تضعيف أمري. «إنّي عامل» قدر جهدي و طاقتي.(٢)

[٤٠] «مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ».

«يخزيه»؛ أي: مخز له، و هو يوم بدر، و عذاب دائم و هو عذاب النار.(٣)

[٤١] «إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ».

«للناس»: لأجلهم و لأجل حاجتهم إليه.(٤)

«فمن اهتدى» بما في القرآن من الأدلّة «فلنفسه». لأنّ نفعه عائد إليه. «بوكيل»؛ أي: برقيب في إيصال الحقّ إلى قلوبهم. إذ لاتقدر على إكراههم على الإسلام. و قيل: بكفيل يلزمك إيمانهم. فإنّما عليك البلاغ.(٥)

[٤٢] «اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرىٰ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».

«يتوفّى الأنفس»؛ أي: يقبضها إليه وقت انقضاء آجالها. و التي تتوفّى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل و التميز فهي التي تفارق النائم فلاتعقل. و التي تتوفّى عند الموت

١ـ الكشّاف ٤ / ١٣٠.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٧٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٣٠.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٣٠.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨١.

هي نفس الحياة. «فيمسك التي قضى عليها»؛ أي: يمسكها إلى يوم القيامة و لاتعود إلى الدنيا. «و يرسل الأخرى» التي لم‌يقض على موتها. يريد نفس النائم. «إلى أجل» قد سمّي لموته. «لآيات»؛ أي: دلالات واضحات على توحيد الله. «لقوم يتفكّرون» في الأدلّة. إذ لايقدر على قبض النفوس تارة بالنوم و تارة بالموت غير الله. قال ابن‌عبّاس: في ابن آدم نفس و روح بينهما مثل شعاع الشمس. فالنفس التي بها العقل و التميز. و الروح التي بها النفس و التحرّك. فإذا نام، قبض الله نفسه و لم‌يقبض روحه. فإذا مات، قبض الله نفسه و روحه. و يؤيّده ما روي عن أبي‌جعفرعليه السلام: ما من أحد ينام إلّا عرجت نفسه إلى السماء و بقيت روحه في بدنه و صار بينهما سبب كشعاع الشمس. فإذا أذن الله تعالى في قبض الأرواح، أجابت الروح النفس. و إذا أذن الله في ردّ الروح، أجابت النفس الروح. و هو قوله: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها». فمها رأت في ملكوت السموات، فهو ممّا له [تأويل]. و ما رأت فيما بين السماء و الأرض، فهو ممّا يخيّله الشيطان و لا تأويل له.[١]

«و التي لم‌تمت»؛ أي: يتوفّى الأنفس التي لم‌تمت في منامها؛ أي: يتوفّاها حين تنام، تشبيهاً للنائمين بالموتى. و منه قوله تعالى: «و هو الذي يتوفّاكم باللّيل»[٢] حيث لايميّزون و لايتصرّفون كما أنّ الموتى كذلك. «و يرسل الأخرى»؛ أي: النائمة. «في ذلك»؛ أي: في توفّي الأنفس مائتة و نائمة و إمساكها و إرسالها إلى أجل «لآيات» على قدرة الله و علمه.[٣]

[٤٣] «أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَ وَ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَ لَا يَعْقِلُونَ».

«أم اتّخذوا»؛ أي: بل اتّخذوا «من دون الله» آلهة «شفعاء قل» يا محمّد «أو لو كانوا» يعني الآلهة «لايملكون شيئاً» من الشفاعة «و لايعقلون». و جواب هذا الاستفهام محذوف. أي: أو لو كانوا بهذه الصفة يتّخذونهم شفعاء و يعبدونهم راجين شفاعتهم؟[٤]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨١.
٢ـ الأنعام (٦) / ٦٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٣١.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨١.

[٤٤] «قُلْ لِلّٰهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

«لله الشفاعة جميعاً»؛ أي: لايملك أحد الشفاعة إلّا بتمليكه. كما قال: «من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه»[١].[٢]

«قل لله الشفاعة جميعاً»؛ أي: هو مالكها. فلايستطيع أحد شفاعة إلّا بشرطين؛ أن يكون المشفوع له مرتضًى، و أن يكون الشفيع مأذوناً له. و هاهنا الشرطان مفقودان. «له ملك السموات و الأرض». تقرير لقوله: «لله الشفاعة جميعاً». لأنّه إذا كان له الملك كلّه و الشفاعة من الملك، كان مالكاً لها. «ثمّ إليه ترجعون» يوم القيامة فلايكون الملك في ذلك اليوم إلّا له. فله ملك الدنيا و الآخرة.[٣]

[٤٥] «وَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ».

«و إذا ذكر الله وحده اشمأزّت» ـ الآية. فإنّها نزلت في فلان و فلان و فلان.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام «إذا ذكر الله وحده اشمأزّت» قال: إذا ذكر الله وحده بطاعة من أمر الله بطاعته من آل محمّد، اشمأزّت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة. و إذا ذكر الذين لم يأمر الله بطاعتهم، إذا هم يستبشرون.[٥]

«اشمأزّت»؛ أي: نفرت واستكبرت. «من دونه» من الأصنام التي عبدوها من دونه. «يستبشرون»: يفرحون و يسرّون حتّى يظهر السرور في وجوههم.[٦]

«وحده»؛ أي: إذا أفرد الله بالذكر و لم يذكر معه آلهتهم، نفروا و انقبضوا. «يستبشرون» لفرط افتتانهم بها و نسيانهم حقّ الله.[٧]

١ـ البقرة (٢) / ٢٥٥.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨١ ـ ٧٨٢.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٣١ ـ ١٣٢.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٠.
٥ـ الكافي ٨ / ٣٠٤، ح ٤٧١.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٢.
٧ـ الكشّاف ٤ / ١٣٢.

[٤٦] «قُلِ اللّٰهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

«فاطر السموات و الأرض»؛ أي: خالقهما و منشئهما. «عالم الغيب»؛ أي: ما غاب علمه عن جميع الخلق و عالم ما شهدوه و علموه. «يختلفون». أي في دار الدنيا من أمر دينهم و دنياهم. و فيه بشارة للمؤمنين بالظفر و النصر. لأنّه سبحانه إنّما أمره [بـه] للإجـابة لا محالة.(۱)

«قل اللّهمّ»؛ أي: التجئ إلى الله بالدعاء لمّا تحيّرت في أمرهم و عجزت في عنادهم. فإنّه القادر العالم. «أنت تحكم»: فأنت وحدك تقدر أن تحكم بيني و بينهم.(۲)

«قل اللّهمّ». و عن الربيع بن خيثم(۳) ـ و كان قليل الكلام ـ أنّه أخبر بقتل الحسين ـ رضي الله عنه و سخط على قاتله ـ و قالوا: الآن يتكلّم. فما زاد على أن قال: آه! أو قد فعلوا؟ و قرأ هذه الآية: «قل اللّهمّ فاطر» ـ الآية. ثمّ قال: قتل من كان رسول الله ﷺ يجلسه في حجره و يضع فاه على فيه.(٤)

[٤٧ ـ ٤٨] «وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ بَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَ بَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ».

«ما لم يكونوا يحتسبون»؛ أي: ما لم يكونوا ينظرونه واصلاً إليهم و لم يكن في حسابهم. و قيل: إنّهم ظنّوا أعمالهم حسنات فبدت لهم «سيّئات ما كسبوا»؛ أي: جزاء سيّئات أعمالهم. «و حاق بهم»؛ أي: نزل بهم «ما كانوا به يستهزئون» و هو كلّ ما ينذرهم النبيّ ﷺ ممّا كانوا ينكرونه و يكذّبون به.(٥)

۱ـ مجمع البيان ۸ / ۷۸۳.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۳۲۷.
۳ـ المصدر: خثيم.
٤ـ الكشّاف ٤ / ۱۳۲.
٥ـ مجمع البيان ۸ / ۷۸۳.

«سيّئات ما كسبوا»؛ أي: سيّئات كسبهم حين تعرض صحائفهم و كانت خافية عليهم.[١]

«حاق بهم»؛ أي: أحاط بهم جزاؤه.[٢]

[٤٩] «فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«ضرّ»؛ أي: مرض و شدّة. «دعانا» و استغاث بنا مخلصاً في كشفه، علماً بأنّه لايقدر غيرنا عليه. «خوّلناه»؛ أي: أعطيناه. «نعمة» من الصحّة في الجسم و السعة في الرزق و نحو ذلك. «على علم»؛ أي: بعلمي و جلدي و حيلتي. فيكون هذا إشارة إلى جهلهم بمواضع المنافع و المضارّ. أو معناه: على خير علمه الله عندي. «بل هي فتنة»؛ أي: ليس الأمر على ما يقولونه، بل هي فتنة؛ أي: بليّة يبتليه بها فينظر كيف شكره أو صبره في مقابلتها فيجازيه بحسبها. و قيل: معناه: هذه المقالة التي قالوها فتنة لهم، لأنّهم يعاقبون عليها. «لايعلمون» البلوى من النعمى. أو: لايعلمون أنّ النعم كلّها من الله و إن حصل بأسباب من جهة العبد.[٣]

«على علم»؛ أي: علم منّي أنّي سأعطاه لما فيّ من فضل و استحقاق. أو: على علم من الله بي و باستحقاقي. أو: على علم منّي بوجوه الكسب. كما قال قارون: «على علم عندي».[٤] و ضمير أوتيته للنعمة، لأنّ المعنى: شيئاً من النعمة و قسماً. و يحتمل أن يكون ما في «إنّما» موصولة فيرجع إليه الضمير. «فإذا مسّ». فإن قلت: ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء و عطف مثلها في أوّل السورة بالواو؟ قلت: السبب في ذلك أنّ هذه وقعت مسبّبة عن قوله: «و إذا ذكر الله وحده اشمأزّت» على معنى أنّهم يشمئزّون عن ذكر الله و يستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مسّ أحدهم ضرّ دعا من اشمأزّ من ذكره دون من استبشر بذكره. و ما بينهما من

١ـ الكشّاف ٤ / ١٣٣. ٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٨.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٣. ٤ـ القصص (٢٨) / ٧٨.

الآي اعتراض.(١)

[٥٠] «قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«قد قالها»؛ أي: هذه الكلمة و هذه المقالة «الذين من قبلهم» مثل قارون حيث قال: «إنّما أوتيته على علم عندي». «فما أغنى عنهم»؛ أي: فلم ينفعهم ما كانوا يجمعونه من الأموال بل صارت وبالاً عليهم.(٢)

[٥١] «فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ مَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ».

«فأصابهم سيّئات»؛ أي: أصابهم سيّئاتهم. «من هؤلاء»؛ أي: من كفّار قومك يا محمّد ﷺ «سيصيبهم سيّئات ما كسبوا» أيضاً. «و ما هم بمعجزين»؛ أي: لايفوتون الله. أو: لايعجزون الله بالخروج من قدرته.(٣)

[٥٢] «أَ وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

«و يقدر»؛ أي: يضيّق على من يشاء بحسب ما يعلم من المصلحة.(٤)

[٥٣] «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

«أسرفوا»؛ أي: أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي. و إضافة العباد تخصّصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن. «لاتقنطوا»؛ أي: لاتيأسوا من مغفرته أوّلاً و تفضّله ثانياً. «يغفر الذنوب جميعاً» عفواً و لو بعد بعد. و تقييده بالتوبة خلاف الظاهر. و يدلّ على

١ـ الكشّاف ٤ / ١٣٣ ـ ١٣٤.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٣ ـ ٧٨٤.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٤.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٤.

إطلاقه فيما عدا الشرك قوله: «إنّ الله لايغفر أن يشرك به»[١] و التعليل بقوله: «إنّه هو الغفور الرحيم» على المبالغة و إفادة الحصر.[٢]

«أسرفوا على أنفسهم» بارتكاب الذنوب. «لاتقنطوا من رحمة الله»؛ أي: لاتيأسوا من مغفرة الله. و قيل: إنّ هذه الآية نزلت في وحشيّ قاتل حمزة رحمه الله، حيث أراد أن يسلم و خاف أن لاتقبل توبته. فلمّا نزلت الآية أسلم. فقيل: يا رسول الله، هذه له خاصّة أم للمسلمين عامّة؟ فقال: بل للمسلمين عامّة. لأنّ الله سبحانه يغفر جميع الذنوب للتائب لا محالة. فإن مات الموحّد من غير توبة، فهو [في] مشيّة الله؛ إن شاء عذّبه بعدله، و إن شاء غفر له بفضله. كما قال: «و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء»[٣].[٤]

بعث وحشيّ و جماعة إلى النبيّ صلى الله عليه و آله: ما يمنعنا من دينك إلّا أنّنا سمعناك تقرأ أنّ من يدعو مع الله إلهاً آخر و يقتل النفس و يزني، يلق أثاماً و يخلد في العذاب. و نحن قد فعلنا هذا كلّه. فبعث الله إليهم بقوله تعالى: «إلّا من تاب و آمن و عمل [عملاً] صالحاً».[٥] فقالوا: نخاف أن لانعمل صالحاً. فبعث إليهم: «إنّ الله لايغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء». فقالوا: نخاف أن لاندخل في المشيّة. فبعث إليهم: «يا عبادي الذين أسرفوا» ـ الآية. فجاؤوا و أسلموا.[٦]

روي: الحمزة و قاتله في الجنّة. و الزبير و قاتله في النار.

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال لأبي بصير: لقد ذكركم الله في كتابه إذ يقول: «يا عبادي الذين أسرفوا» ـ الآية. و الله ما أراد بهذه غيركم.[٧]

عن أبي جعفر عليه السلام: لايعذر أحد يوم القيامة بأن يقول: يا ربّ لم أعلم أنّ ولد فاطمة الولاة. و في ولد فاطمة نزلت هذه الآية خاصّة: «قل يا عبادي» ـ الآية.[٨]

١ـ النساء (٤) / ٤٨ و ١١٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٨.
٣ـ النساء (٤) / ٤٨ و ١١٦.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٤ ـ ٧٨٥.
٥ـ الفرقان (٢٥) / ٧٠.
٦ـ سعد السعود / ٢١١.
٧ـ الكافي ٨ / ٣٥.
٨ـ معاني الأخبار / ١٠٧.

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، و ذنب غير مغفور، و ذنب نرجو لصاحبه و نخاف عليه. فأمّا الذنب المغفور، فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا. و الله أكرم من أن يعاقب عبده مرّتين. و أمّا الذنب الذي لايغفر، فظالم العباد بعضهم لبعض حتّى النطيحة بين القرناء و الجمّاء. و أمّا الثالث، [فذنب] وفّق الله سبحانه صاحبه للتوبة فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه، فنحن نرجو له الرحمة و نخاف عليه العقاب.(١)

[٥٤] «وَ أَنِيبُوا إِلىٰ رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ».

«و أنيبوا إلى ربّكم»؛ أي: ارجعوا إليه من الشرك. أو: اجعلوا أنفسكم خالصة له. «و أسلموا»؛ أي: انقادوا له بالطاعة. «ثمّ لاتنصرون» عند نزول العذاب بكم.(٢)

[٥٥] «وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ».

«ما أنزل إليكم من ربّكم». أي من الحلال و الحرام و الأمر و النهي. فمن أتى بالمأمور به و ترك المنهيّ عنه، فقد اتّبع الأحسن. و قيل: أراد بالأحسن الواجبات و النوافل دون المباحات. و قيل: أراد بالأحسن الناسخ دون المنسوخ.(٣)

[٥٦] «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتىٰ عَلىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَ إِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين: أنا الهادي. و أنا المهديّ. و أنا عين الله و لسانه الصادق و يده. و أنا جنب الله الذي يقول: «أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله». من عرفني و عرف حقّي، فقد عرف ربّه. لأنّي وصيّ نبيّه.(٤)

١ـ الكافي ٢ / ٤٤٣، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٥.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٥.
٤ـ التوحيد / ١٦٤، ح ٢.

لمّا أمر الله سبحانه باتّباع الطاعات و اجتناب المقبّحات، بيّن الغرض في ذلك [بقوله:] «أن تقول نفس»؛ أي: خوف أن تقول. أو: حذراً من أن تقول. و المعنى: كراهة أن يصيروا إلى حال يقولون فيها: «يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله»؛ أي: يا ندامتي على ما ضيّعت من ثواب الله أو قصّرت في أمر الله. و قيل: في طاعة الله. و قال الفرّاء: الجنب: القرب. أي: في قرب الله و جواره، و هو الجنّة. و عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: نحن جنب الله. «لمن الساخرين»؛ أي: من المستهزئين بالنبيّ و بالقرآن و بالمؤمنين عليهم السلام في دار الدنيا، أو بمن يدعوني إلى الإيمان. أبوجعفر: «يا حسرتاي» بياء مفتوحة بعد الألف. و الباقون بغير ياء.[1]

«نفس». تنكير نفس لأنّ القائل بعض الأنفس، أو للتكثير. «في جنب الله»: في جانبه. أو: في حقّه وهو طاعته. و [محلّ] «إن كنت» نصب على الحال. كأنّه قال: فرّطت و أنا ساخر.[2]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: انّ الله يقول في أصفيائه: «أن تقول نفس» ـ الآية ـ تعريفاً للخليقة قربهم. ألاترى أنّك تقول: فلان إلى جنب فلان، إذا أردت أن تصف قربه منه. إنّما جعل الله هذه الرموز التي لايعلمها غيره و أنبياؤه و حججه لعلمه ما يحدثه في كتابه المبدّلون بإسقاط حججه منه ليعينوا على باطلهم. فأثبت فيه الرموز و أعمى قلوبهم و أبصارهم عنها.[3]

[٥٧] «أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ».

«أو تقول»؛ أي: فعلنا ذلك كراهة أن تقول: لو أراد الله هدايتي، لكنت ممّن يتّقي معاصيه خوفاً من عقابه. و قيل: إنّهم لمّا لم ينظروا في الأدلّة و أعرضوا عن القرآن و اشتغلوا بالدنيا، توهّموا أنّ الله لم يهدهم فقالوا ذلك بالظنّ. و لهذا ردّ الله عليهم بقوله: «بلى قد جاءتك

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٧ و ٧٨٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٩.
٣ـ الاحتجاج / ٢٥٢.

آياتي». و قيل: معناه: لو أنّ الله هداني إلى النجاة بأن يردّني إلى حال التكليف، لكنت ممّن يتّقي المعاصي. لأنّهم يضطرّون يوم القيامة إلى العلم بأنّ الله قد هداهم.(١)

«هداني». أي بالإرشاد إلى الحقّ. «من المتّقين» الشرك و المعاصي.(٢)

[٥٨] «أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ».

«أو تقول حين ترى». و أو للدلالة على أنّه لايخلو من هذه الأقوال تحيّراً أو تعلّلاً بما لا طائل تحته.(٣)

«لو أنّ لي كرّة»؛ أي: رجعة إلى الدنيا فأكون من الموحّدين.(٤)

[٥٩] «بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ».

«بلى قد جاءتك آياتي»؛ أي: ليس كما قلت، بل جاءك حججي «فكذّبت بها».(٥)

[٦٠] «وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ».

«كذبوا على الله»؛ أي: زعموا أنّ له شريكاً و ولداً. «أليس في جهنّم مثوًى» للّذين تكبّروا عن الإيمان بالله؟ و هذا استفهام تقرير. أي فيها مثواهم و مقامهم. و عن أبي عبدالله عليه السلام: من حدّث عنّا بحديث، فنحن سائلوه عنه يوماً. فإن صدق علينا، فإنّما يصدق على الله و على رسوله. و إن كذب علينا، فإنّما كذب على الله و على رسوله. لأنّا إذا حدّثنا لانقول: قال فلان، و قال فلان؛ إنّما نقول: قال الله، و قال رسوله. ثمّ تلا: «و يوم القيامة» ـ الآية. و عن أبي جعفر عليه السلام قال: كلّ إمام انتحل إمامة ليست له من الله. قلت: و إن كان علويّاً؟ و إن كان فاطميّاً؟ قال: نعم.(٦)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٧.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٧.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٧ ـ ٧٨٨.

«وجوههم مسودّة» بما ينالهم من الشدّة، أو بما يتخيّل عليها من ظلمة الجهل.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ في جهنّم لوادياً للمتكبّرين يقال له سقر؛ شكا إلى الله شدّة حرّه و سأله أن يتنفّس، فأذن له، فتنفّس فحرقت جهنّم.[٢]

[٦١] «وَ يُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

«الذين اتّقوا». أي معاصيه. «بمفازتهم»؛ أي: بمنجاتهم من النار. و أصل المفازة: المنجاة. فبذلك سمّيت المفازة على وجه التفؤّل بالنجاة منها. «السوء»؛ أي: المكروه. «و لا هم يحزنون» على ما فاتهم من لذّات الدنيا. قرأ أهل الكوفة غير حفص: «بمفازاتهم».[٣]

«بمفازتهم»؛ أي: بفلاحهم. و الباء للسببيّة.[٤]

[٦٢] «اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ».

«وكيل»؛ أي: حافظ مدبّر.[٥]

[٦٣] «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

«مقاليد السموات و الأرض»؛ أي: مفاتيحها بالرزق و الرحمة. و قيل: خزائن السموات و الأرض، يفتح الرزق على من يشاء و يغلقه عمّن يشاء. «الخاسرون». لأنّهم يخسرون الجنّة و نعيمها.[٦]

«مقاليد السموات و الأرض». لا يملك أمرها و لا يتمكّن من التصرّف فيها غيره. و هو كناية عن قدرته و حفظه لها. و فيها مزيد دلالة على الاختصاص. لأنّ الخزائن لا يدخلها و لا يتصرّف فيها إلّا من بيده مفاتيحها. «و الذين كفروا». متّصل بقوله: «ينجّي الله الذين

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٩ و ٧٨٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٠.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٨٩ ـ ٧٩٠.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩٠.

اتقّوا» و ما بينهما اعتراض للدلالة على أنّه مطّلع على العباد.(١)

[٦٤] «قُلْ أَ فَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ».

«قل» يا محمّد: أتامرونّي ـ أيّها الجاهلون ـ بعبادة من لايسمع و لايبصر و لاينفع و لايضرّ؟ و أهل المدينة: «تأمروني» خفيفة النون مفتوحة الياء.(٢)

«تأمرونّي». أي بعد هذه الدلائل و المواعيد. و تأمرونّي اعتراض [للدلالة] على أنّهم أمروه به عقيب ذلك و قالوا: استسلم بعض آلهتنا و نؤمن بإلهك، لفرط غباوتهم. و قرأ ابن‌عامر: «تأمرونني» بإظهار النونين على الأصل.(٣)

[٦٥] «وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

«أوحي إليك» يا محمّد «و إلى الذين من قبلك» من الأنبياء و المرسلين. في هذا أدب من الله لنبيّه و تهديد لغيره. لأنّ الله تعالى قد عصمه من الشرك و من مداهنة الكفّار. و ليس في هذا ما يدلّ على صحّة القول بالإحباط على ما يذهب إليه أهل الوعيد. لأنّ المعنى فيه أنّ من أشرك في عبادة الله غيره من الأصنام و غيرها، وقعت عبادته على وجه لايستحقّ عليها الثواب، و لذلك وصفها بأنّها محبطة.(٤)

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «لئن أشركت»: معناه: إن أمرت بولاية أحد مع ولاية عليّ من بعدك، ليحبطنّ عملك.(٥)

عن الرضا عليه السلام: قوله تعالى: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك» ممّا نزل بإيّاك أعني و اسمعي يا جارة.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٠.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩٠ و ٧٨٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٠.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩٠.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥١.
٦ـ عيون الأخبار ١ / ١٥٥ ـ ١٦١.

[٦٦] «بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ».

[٦٧] «وَ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

عن أبي جعفرعليه السلام قال: نزلت في الخوارج.(١)

«و ما قدروا الله حقّ قدره»؛ أي: ما عظّموه حقّ عظمته إذ عبدوا معه غيره و أمروا نبيّه بعبادة غيره. وَ قيل: معناه: و ما وصفوا الله حقّ صفته إذ جحدوا البعث فوصفوه بأنّه خلق الخلق عبثاً و أنّه عاجز عن البعث. «جميعاً قبضته». [أخبر] سبحانه عن كمال قدرته فذكر أنّ الأرض كلّها مع عظمتها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفّه. و هذا تفيهم لنا على عادة التخاطب [فيما بيننا]. لأنّا نقول: [هذا] في قبضة فلان، إذ هان عليه التصرّف فيه و إن لم يقبض عليه. و كذا قوله: «و السموات مطويّات بيمينه». أي يطويها بقدرته كما يطوي الواحد منّا الشيء المقدور له في طيّه بيمينه. و ذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار و التحقيق للملك. و قيل: معناه أنّها محفوظات مصونات بقوّته. و اليمين: القوّة. «عمّا يشركون»؛ أي: يضيفون إليه من المثل و الشبه.(٢)

«جميعاً». نصب على الحال. والعامل محذوف. تقديره: و الأرض إذا كانت مجتمعة قبضته. و كان هنا تامّة.(٣)

فيما علّم أميرالمؤمنينعليه السلام أصحابه من الأربعمائة: من خاف منكم الغرق، فليقرأ: «بسم الله مجراها و مرساها إنّ ربّي لغفور رحيم».(٤) بسم الله الملك القويّ. «و ما قدروا الله» ـ الآية.(٥)

عن العسكريّعليه السلام في قوله: «و الأرض جميعاً» ـ الآية ـ فقال: ذلك تعيير الله لمن شبّهه

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥١ ـ ٢٥٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩١ ـ ٧٩٢.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩١.
٤ـ هود (١١) / ٤١.
٥ـ الخصال / ٦١٩.

بخلقه. ألاترى أنّه قال: «و ما قدروا الله حقّ قدره»؟ و معناه [إذ قالوا إنّ الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السموات مطويّات بيمينه. كما قال عزّ و جلّ: «و ما قدروا الله حقّ قدره] إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيءٍ».(١) ثم نزّه نفسه عن القبضة فقال: «سبحانه و تعالى عمّا يشركون».(٢)

و في خبر آخر عن الصادق عليه السلام «و الأرض جميعاً قبضته»: يعني ملكه. و قوله: «مطويّات بيمينه»؛ أي: بقدرته و قوّته.(٣)

[٦٨] «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ».

«في الصور». و هو قرن ينفخ فيه إسرافيل. و وجه الحكمة في ذلك أنّها علامة جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف ثمّ تجديد الخلق. فشبّه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل و النزول و لاتتصوّره النفوس بأحسن من هذه الطريقة. «فصعق»؛ أي: يموت من شدّة تلك الصيحة التي تخرج من الصور إلّا من شاء الله. قيل: هم جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت. و قيل: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله. «ثمّ نفخ فيه أخرى». و ما بين النفختين أربعون سنة.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الأرواح [باقية] بعد فراق الأبدان إلى أن ينفخ في الصور. فعند ذلك تبطل الأشياء كلّها. و بين النفختين أربعمائة سنة.(٥)

«قيام ينظرون»؛ أي: يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب. و قيل: ينظرون ماذا يفعل بهم. و يجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف و الجمود في مكان لتحيّرهم.(٦)

١ـ الأنعام (٦) / ٩١.
٢ـ التوحيد / ١٦٠ ـ ١٦١، ح ١.
٣ـ التوحيد / ١٦١ ـ ١٦٢، ح ٢.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩٢.
٥ـ الاحتجاج / ٣٥٠.
٦ـ الكشّاف ٤ / ١٤٥.

«نفخ في الصور». عن زين‌العابدين‌عليه السلام قال: أمّا النفخة الأولى، فإنّ الله يأمر إسرافيل يهبط إلى الدنيا و معه الصور و له طرفان ما بينهما مثل ما بين السماء إلى الأرض. فإذا رأت الملائكة إسرافيل هبط و معه الصور قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض. فيهبط في بيت‌المقدس و يستقبل الكعبة. فيقول أهل الأرض: أذن الله في موت أهل الأرض. فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض و من الطرف الذي يلي السموات. فلايبقى ذو روح إلّا صعق و مات إلّا إسرافيل. فيقول الله له: مت. فيموت. فيمكث ما شاء الله. فتمور السماء و تسير الجبال و تبدّل الأرض بأرض لم‌يكتسب عليها الذنوب و يعيد عرشه على الماء كما كان. فعند ذلك ينادي الجبّار بصوت من قبله جهوريّ: لمن الملك اليوم؟ فتجيب نفسه: لله الواحد القهّار. إلى أن قال: فينفخ الجبّار نفخة أخري في الصور فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي السموات. فلايبقى أحد إلّا حيي و قام ـ الحديث.[1]

[٦٩] «وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

عن أبي عبدالله‌عليه السلام: إذا قام قائمنا، أشرقت الأرض بنور ربّها و استغنى العباد عن ضوء الشمس و ذهبت الظلمة.[2] و في حديث آخر: و يجتزون بنور الإمام.[3]

«بنور ربّها». قيل: بنور يخلقه الله يضيء به أرض القيامة من غير شمس و لا قمر. «و وضع الكتاب»؛ أي: كتب الأعمال التي كتبها الملائكة على بني‌آدم ليقرؤوها عليهم.[4] «و الشهداء». عن ابن‌عبّاس: هم الأنبياء يشهدون[5] على الأمم بأنّهم قد بلّغوا و أنّ الأمم كذّبوا.[6]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣.
٢ـ الإرشاد / ٣٤٢.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٣.
٤ـ المصدر: «توضع في أيديهم ليقرؤوا منها أعمالهم» بدل: «ليقرؤوها عليهم».
٥ـ المصدر: هم الذين يشهدون للأنبياء... .
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩٢ ـ ٧٩٣.

«و أشرقت الأرض». استعار الله النور للحقّ و القرآن و البرهان في مواضع من التنزيل. و هذا من ذلك. و المعنى: أشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحقّ و العدل و يبسطه من القسط في الحساب و وزن الحسنات و السيّئات. [و ينادي عليه بأنّه مستعار إضافته إلى اسمه... و إضافة اسمه إلى الأرض...] ـ و لاترى أزين للبقاع من العدل، و لا أعمر لها منه ـ ثمّ ما عطف على إشراق الأرض من وضع الكتاب و المجيء بالنبيّين و الشهداء و القضاء بالحقّ و هو النور المذكور. و ترى الناس يقولون للملك العادل: أشرقت الآفاق بعدلك و أضاءت الدنيا بقسطك؛ كما يقولون: أظلمت البلاد بجور فلان. و «الكتاب»: صحائف الأعمال، ولكنّه اكتفى بالجنس. و قيل: اللّوح المحفوظ. و «الشهداء»: الذين يشهدون للأمم و عليهم من الحفظة و الأخيار. و قيل: المستشهدون في سبيل الله.(١)

[٧٠] «وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ».

«و وفّيت»؛ أي: يعطي جزاء أعمالهم كاملاً.(٢)

[٧١] «وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً حَتّٰى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا بَلىٰ وَ لٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ».

«زمراً». الزمر: الأفواج المتفرّقة بعضها في أثر بعض. و قيل في زمر الذين اتّقوا: هي الطبقات المختلفة؛ الشهداء و الزهّاد و العلماء و القرّاء و غيرهم. فإن قلت: لم أضيف إليهم اليوم؟ قلت: أرادوا لقاء وقتكم هذا، و هو دخولهم النار لا يوم القيامة. و قد جاء استعمال اليوم و الأيّام مستفيضاً في أوقات الشدّة. «قالوا بلى» أتونا وتلوا علينا، ولكن وجبت علينا كلمة الله: «لأملأنّ جهنّم»(٣) لسوء أعمالنا. كما قالوا: «غلبت علينا شقوتنا و كنّا قوماً

١ـ الكشّاف ٤ / ١٤٥.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩٣.

٣ـ هود (١١) / ١١٩.

ضالّين»[١] فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب و هو الكفر و الضلال.[٢]

«فتحت» «و فتحت». أهل الكوفة بالتخفيف فيهما، و الباقون بالتشديد. «أبوابها». و هي سبعة أبواب. «رسل منكم»؛ أي: من أمثالكم من البشر. «ولكن حقّت كلمة العذاب»؛ أي: وجب العقاب على من كفر بالله تعالى. لأنّه أخبر بذلك و علم من يكفر و يوافي بكفره فقطع على عقابه، فلم يكن شيء وقع خلاف ما علمه و أخبر به. فصار كوننا في جهنّم موافقاً لما أخبر به تعالى و لما علمه.[٣]

[٧٢] «قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ».

«فبئس». المخصوص بالذمّ محذوف. أي جهنّم.[٤]

[٧٣] «وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ».

«و سيق الذين اتّقوا ربّهم». قيل: أكثر أهل الجنّة البله فيحتاجون إلى السوق لأنّهم لايعرفون ما فيه صلاحهم. و قيل: إنّهم يقولون: لاندخلها حتّى يدخلها أحبّاؤنا. فيتأخّرون لهذا السبب، فحينئذ يحتاجون إلى أن يساقوا إلى الجنّة. و قال أهل العرفان: المتّقون عبدوا الله لا للجنّة، فيصير شدّة استغراقهم في مشاهدة مطالع الجمال و الجلال مانعة لهم من الرغبة في الجنّة، فلا جرم يفتقرون إلى السوق. و قال الحكيم: كلّ خصلة ذميمة أو شريفة في الإنسان، فإنّها تجرّه من غير اختياره إلى ما يضاهيه حاله. فذاك معنى السوق. سؤال: لم قيل في صفة أهل النار: «فتحت» بغير واو و في صفة أهل الجنّة «و فتحت» بالواو؟ فالجواب: انّ أبواب جهنّم مغلقة لاتفتح إلّا عند دخول أهلها فيها. و أمّا أبواب الجنّة فمتقدّم فتحها لقوله:

١ـ المؤمنون (٢٣) / ١٠٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ١٤٦.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩٤ ـ ٧٩٥.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٤٦.

«جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب».[۱] فلذلك جيء بالواو؛ كأنّه قيل: حتّى إذا جاؤوها و قد فتحت أبوابها. و على هذا فجواب «حتّى إذا» محذوف بعد «خالدين» أي: كان ما كان من أصناف الكرامات و السعادات. «طبتم فادخلوها»؛ أي: طبتم من دنس المعاصي و طهرتم من خبث الخطايا. و لهذا عقّبه بقوله: «فادخلوها خالدين» ليعلم أنّ الطهارة من المعاصي هي السبب في دخول الجنّة و الخلود فيها. لأنّها دار طهّرها الله من كلّ دنس فلايدخلها إلّا من هو موصوف بصفتها.[۲]

«زمراً». عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: اعلموا ـ عباد الله ـ أنّ أهل الشرك لاتنصب لهم الموازين و لاتنشر لهم الدواوين و إنّما يحشرون إلى جهنّم زمراً. و إنّما تنصب الدواوين لأهل الإسلام.[۳]

فإن قلت: كيف عبّر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ السوق؟ قلت: المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان و العنف كما يفعل بالأسارى، و بسوق أهل الجنّة سوق مراكبهم ـ لأنّه لايذهب بهم إلّا راكبين ـ و حثّها إسراعاً لهم إلى دار الكرامة و الرضوان كما يفعل بمن يشرّف و يكرّم من الوافدين على بعض الملوك. فشتّان ما بين السوقين. «حتّى إذا جاؤوها». حتّى هي التي يحكى بعدها الجمل. [و الجملة] المحكيّة بعدها هي الشرطيّة إلّا أنّ جزاءها محذوف. و إنّما حذف لأنّه في صفة ثواب أهل الجنّة فدلّ بحذفه على أنّه شيء لايحيط به الوصف. و حقّ موقعه بعد «خالدين».[٤]

«و سيق الذين اتّقوا ربّهم». الذين كانت أعمالهم زاكية و أعينهم باكية، و كان ليلهم في دنياهم نهاراً تخشّعاً و استغفاراً، و كان نهارهم ليلاً توحّشاً و انقطاعاً، فجعل الله لهم الجنّة ثواباً.[٥]

«طبتم فادخلوها». قيل: إنّهم إذا قربوا من الجنّة، يردون على عين من الماء فيغتسلون

۱ـ ص (۳۸) / ٥٠.

۲ـ تفسير النيسابوريّ ٢٤ / ٢٠ ـ ٢١.

۳ـ الكافي ۸ / ۷٥، ح ۲۹.

٤ـ الكشّاف ٤ / ١٤٧.

٥ـ نهج البلاغة / ۲۸۲، الخطبة ١٩٠.

بها و يشربون منها فيطهّر الله أجوافهم، فلايكون بعد ذلك منهم حدث و أذًى و لاتتغيّر ألوانهم. فتقول لهم الملائكة: «طبتم فادخلوها خالدين».(١)

«سلام عليكم طبتم». عن عليّ عليه السلام: فأمّا قوله: «وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربّها ناظرة»(٢) فإنّ ذلك في موضع ينهض فيه أولياء الله بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر سمّي الحيوان فيغتسلون فيه و يشربون منه فتنضر وجوههم إشراقاً فيذهب عنهم كلّ قذًى و وعث ثمّ يؤمرون بدخول الجنّة. فمن هذا المقام ينظرون إلى ربّهم كيف يثيبهم و منه يدخلون. فذلك قوله في تسليم الملائكة عليهم: «سلام عليكم طبتم». فعند ذلك ينظرون إلى ثواب ربّهم.(٣)

[٧٤] «وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ».

«و قالوا الحمد لله»؛ أي: قال المتّقون. «صدقنا وعده» بدخول الجنّة و أورثنا أرض الجنّة. عبّر عن التمليك بالإيراث. «نتبوّأ من الجنّة». لأنّ لكلّ متّق جنّة لايوصف صفتها فيتبوّأ من جنّته كما يريد من غير منازع.(٤)

«و أورثنا الأرض». لأنّهم ورثوها [من أهل النار].(٥)

[٧٥] «وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«و ترى» أيّها الرائي أو النبيّ. «حافّين»؛ أي: محدقين. و هو نصب على الحال. «من حول العرش». من زائدة أو ابتدائيّة. أي: مبدأ حفوفهم من هناك إلى حيث شاء الله. «يسبّحون

١ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩٦.
٢ـ القيامة (٧٥) / ٢٢ ـ ٢٣.
٣ـ التوحيد / ٢٦٢، ح ٥.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ٢٤ / ٢١.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩٦.

بحمد ربّهم» تلذّذاً لا تعبّداً. «و قضي بينهم»؛ أي: بين العباد بإدخال بعضهم النار و بعضهم الجنّة. و قيل: بين الأنبياء و أممهم. و قيل: هو حال و قد مقدّرة. أي: يسبّحون بحمد ربّهم و قد قضي بينهم ـ يعني الملائكة ـ على أنّ ثوابهم ليس على سنن واحد. و يحتمل عندي أن يعود الضمير إلى الملائكة و البشر جميعاً و القضاء بينهم هو إنزال البشر مقامهم من الجنّة و إنزال الملائكة حول العرش. «و قيل الحمد». القائل المقضيّ بينهم و هم جميع العباد. كقوله: «و آخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين»[١].[٢]

«قيل الحمد لله ربّ العالمين». أهل الجنّة يقولون ذلك شكراً لله على نعمه. و قيل: إنّها من كلام الله. قال في ابتداء الخلق: الحمد لله الذي خلق السموات و الأرض. و قال بعد استقرار أهل الجنّة: الحمد لله ربّ العالمين. فوجب الأخذ بأدبه في ابتداء كلّ أمر بالحمد و ختمه بالحمد.[٣]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: ثمّ إنّ الله ـ و له الحمد ـ افتتح الكتاب بالحمد لنفسه و ختم أمر الدنيا و مجيء الآخرة بالحمد لنفسه فقال: «و قضي بينهم بالحقّ و قيل الحمد لله ربّ العالمين».[٤]

١ـ يونس (١٠) / ١٠.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢٤ / ٢٢.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٧٩٦.

٤ـ التوحيد / ٣٢ ـ ٣٣، ح ١.

٤٠.

سورة المؤمن

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، لم يبق روح نبيّ و لا صدّيق و لا مؤمن إلّا صلّوا عليه و استغفروا له.[١]

وِ عن الباقر عليه السلام: من قرأها في كلّ ثلاث، غفر الله ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر و ألزمه كلمة التقوى و جعل الآخرة خيراً له من الدنيا.[٢]

و من كتبها ليلاً و جعلها في دكّان، كثر ربوته، أو بستان، كثر ثمرته. و إن حملها ذو قروح أو دمّل برئ بإذن الله.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ المؤمن في كلّ ليلة، غفر الله ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر و ألزمه كلمة التقوى و جعل الآخرة خيراً له من الأولى.[٤]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: الحواميم رياحين القرآن. فإذا قرأتموها فاحمدوا الله و اشكروه كثيراً لحفظها و تلاوتها. إنّ العبد ليقوم و يقرأ الحواميم فيخرج من فيه أطيب من المسك الأذفر و العنبر الأشهب. و إنّ الله عزّ و جلّ ليرحم تاليها و قارئها و يرحم جيرانه و أصدقاءه و [كلّ حميم و] قريب له، و إنّه في القيامة يستغفر له العرش و الكرسيّ و ملائكة الله المقرّبين.[٥]

١ـ المصباح / ٥٩٠.
٢ـ المصباح / ٥٩٠.
٣ـ المصباح / ٦٠٩ ـ ٦١٠.
٤ـ ثواب الأعمال / ١٤٠، ح ١.
٥ـ ثواب الأعمال / ١٤١ ـ ١٤٢، ح ١.

[۱] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * حم».

أهل الكوفة غير عاصم: «حم» بإمالة الألف، و الباقون بالفتح.[۱]

«حم». و أمّا «حم» فمعناه الحميد المجيد.[۲]

«حم». أقسم الله بحكمه[۳] و ملكه لايعذّب من عاذ به و قال: «لا إله إلّا الله» مخلصاً. و قيل: هو افتتاح أسمائه حليم حميد حيّ حكيم حنّان ملك مجيد مبدئ معيد.[٤]

[۲ ـ ۳] «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَ قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ».

«العزيز» في ملكه. «و قابل التوب»: يقبل توبة من تاب إليه على وجه التفضّل منه. و لذلك كان صفة مدح. و لو كان سقوط العقاب عندها واجباً، لما كان فيه مدح. «ذي الطول»؛ أي: النعم على عباده. «إليه المصير» حيث لايملك أحد النفع و الضرّ و الأمر و النهي غيره تعالى. و هو يوم القيامة.[٥]

[٤] «مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ».

«ما يجادل في آيات الله»؛ أي: لايخاصم في دفع حجج الله و إنكارها «إلّا الذين كفروا» بالله و آياته. «تقلّبهم في البلاد»؛ أي: تصرّفهم في البلاد للتجارات سالمين أصحّاء بعد كفرهم. فإنّ الله لايخفى عليه حالهم.[٦]

[٥] «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ».

«قوم نوح». يعني كذّبوا رسولهم نوحاً. «و الأحزاب». و هم الذين تحزّبوا على أنبيائهم

۱ـ مجمع البيان ۸ / ۷۹۸.
۲ـ معاني الأخبار / ۲۲، ح ۱، عن الصادق عليه السلام.
۳ـ المصدر: بحلمه.
٤ـ مجمع البيان ۸ / ۷۹۹.
٥ـ مجمع البيان ۸ / ۷۹۹ ـ ۸۰۰.
٦ـ مجمع البيان ۸ / ۸۰۰.

بالتكذيب نحو عاد و ثمود. «و همّت»؛ أي: قصدت قتل رسولهم. و إنّما قال: «رسولهم» و لم يقل: برسولها، لأنّ المراد الرجال. «و جادلوا بالباطل»؛ أي: خاصموا رسلهم بأن قالوا: ما أنتم إلّا بشر مثلنا، و هلّا أرسل الله إلينا ملكاً رسولاً، و نحو ذلك. «ليدحضوا به الحقّ»؛ أي: ليبطلوه و يزيلوه. «فأخذتهم»؛ أي: أهلكتهم. فانظر كيف كان عقابي لهم. و هذا استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم.[١]

«عقاب». فإنّكم تمرّون على ديارهم و ترون أثره. و هو تقرير فيه تعجيب.[٢]

[٦] «وَ كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ».

«و كذلك حقّت»؛ أي: مثل ما حقّ العذاب على الأمم المكذّبة، حقّ على الذين كفروا من قومك؛ أي: أصرّوا على كفرهم. «أنّهم»؛ أي: لأنّهم. أو: بأنّهم.[٣]

«كلمة ربّك»: وعيده أو قضاؤه بالعذاب. «أنّهم أصحاب النار». بدل من «كلمة ربّك» بدل الكلّ أو الاشتمال على إرادة اللّفظ أو المعنى.[٤]

[٧] «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ».

«و من حوله». يعني الملائكة المطيفين بالعرش، و هم الكرّوبين و سادة الملائكة. «يسبّحون بحمد ربّهم»؛ أي: ينزّهون ربّهم عمّا يصفه به هؤلاء المجادلون. أو إنّهم يسبّحون بالتسبيح المعهود. «للّذين آمنوا» من أهل الأرض. «و علماً». المراد بالعلم المعلوم. و هو تعليم للثناء عليه قبل السؤال. «للّذين تابوا» من الشرك و المعاصي. «سبيلك». و هو دين الإسلام. «و قهم»؛ أي: ادفع عنهم. و في هذه الآية دلالة على أنّ إسقاط العقاب عند التوبة

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٥.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٥.

تفضّل من الله؛ إذ لو كان واجباً، لكان لايحتاج فيه إلى مسألتهم بل كان يفعله الله لا محالة.[١]

«يحملون العرش و من حوله». الكرّوبيّون أعلى طبقات الملائكة و أوّلهم وجوداً. و حملهم إيّاه و حفيفهم حوله، مجاز عن حفظهم و تدبيرهم له، و كناية عن قربهم من ذي العرش و مكانهم عنده و توسّطهم في نفاذ أمره. «يستغفرون للّذين آمنوا». استغفارهم شفاعتهم و حملهم على التوبة و إلهامهم ما يوجب المغفرة. و فيه تنبيه على أنّ المشاركة في الايمان توجب النصح و الشفقة و إن تخالفت الأجناس، لأنّها أقوى المناسبات. كما قال: «إنّما المؤمنون إخوة»[٢].[٣]

فإن قلت: ما فائدة قوله: «و يؤمنون» و لايخفى على أحد أنّ حملة العرش و من حوله من الملائكة الذين يسبّحون بحمده مؤمنون؟ قلت: فائدته إظهار شرف الايمان و فضله و الترغيب فيه. كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك. و فائدة أخرى و هي التنبيه على أنّ الأمر [لو كان] كما تقول المجسّمة، لكان حملة العرش و من حوله مشاهدين معاينين و لما وصفوا بالايمان لأنّه يوصف بالايمان الغائب. فلمّا وصفوا به على سبيل الثناء عليهم، علم أنّ إيمانهم و إيمان من في السموات و كلّ من غاب عن ذلك المكان سواء في أنّ إيمان الجميع بطريق النظر و الاستدلال و أنّه منزّه عن صفات الأجرام. و قد روعي التناسب في قوله [«و يؤمنون به و يستغفرون للّذين آمنوا». كأنّه قيل:] و يؤمنون و يستغفرون لمن في مثل حالهم و صفتهم. «فاغفر للّذين تابوا». فإن قلت: فما الفائدة في استغفارهم لهم و هم تائبون صالحون موعودون المغفرة و الله لايخلف الميعاد؟ قلت: هذا بمنزلة الشفاعة و فائدته زيادة الكرامة و الثواب.[٤]

قوله في الكشّاف: «علم أنّ إيمانهم و إيمان من في السموات» ـ اهـ ـ استحسن معنى الكلام الإمام فخر [الدين] الرازيّ في تفسيره الكبير حتّى ترحّم عليه و قال: لو لم يكن في

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٢.
٢ـ الحجرات (٤٩) / ١٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٥.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٥٢ ـ ١٥٣.

كتابه إلّا هذه النكتة، لكفى به فخراً و شرفاً. و إنّا نقول: لانسلّم أنّ الايمان لايكون إلّا بالغائب، و إلّا لم يكن الايمان بالنبيّ وقت تحدّيه بالقرآن إيماناً. و إن شئت فتأمّل قوله تعالى: «الذين يؤمنون بالغيب».[١] فلو لم يكن إيمان بالشهادة، لم يكن لقوله: «بالغيب» فائدة. و يمكن أن يكون محمول الشيء محجوباً من ذلك الشيء. فمن أين يلزم تكذيب المجسّمة؟[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: ما من ملك إلّا و يتقرّب كلّ يوم إلى الله تعالى بولايتنا أهل البيت و يستغفر لمحبّينا و يلعن أعداءنا. [... عن أبي جعفر عليه السلام في قوله...] و قوله: «الذين يحملون العرش». يعني رسول الله و الأوصياء من بعده يحملون علم الله. «و من حوله». يعني الملائكة. «و يستغفرون للّذين آمنوا». يعني شيعة آل محمّد. «للّذين تابوا» من ولاية فلان و فلان و بني أميّة. «سبيلك»؛ أي: ولاية وليّ الله.[٣]

عن الرضا عليه السلام: «للّذين آمنوا» بولايتنا.[٤]

عن ابن أبي‌عمير رفعه قال: إنّ الله أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطى خصلة منها جميع أهل السموات و الأرض لنجوا بها. قوله: «الذين يحملون العرش» إلى قوله: «الفوز العظيم».[٥]

[٨] «رَبَّنَا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«و من صلح من آبائهم». يعني من تولّى عليّاً عليه السلام. فذلك صلاحهم.[٦]

«و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرّيّاتهم» ليتمّ لهم سرورهم.[٧]

[٩] «وَ قِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

١ـ البقرة (٢) / ٣.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢٤ / ٢٧ ـ ٢٨.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٥.

٤ـ عيون الأخبار ١ / ٢٦٢.

٥ـ الكافي ٢ / ٤٣٢، ح ٥.

٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٥.

٧ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٢.

الْعَظِيمُ».

«و قهم السيّئات»؛ أي: العقوبات. أو: جزاء السيّئات، على أنّ السيّئات هي الصغائر أو الكبائر المتوب منها، و الوقايه منها التكفير أو قبول التوبة.(١)

«و قهم السيّئات و من تق السيّئات»؛ أي: و من تصرف عنه شرّ معاصيه فتفضّلت عليه بإسقاط عقابها، فقد أنعمت عليه. «و ذلك هو الفوز العظيم»؛ أي: الظفر بالبغية و الفلاح العظيم.(٢)

«الفوز». يعني لمن نجّاه الله من ولاية فلان و فلان.(٣)

[١٠] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ».

«ينادون لمقت الله»؛ أي: ينادون يوم القيامة فيقال لهم: لمقت الله أكبر. و التقدير: لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم. و «إذ تدعون» منصوب بالمقت الأوّل. و المعنى أنّه يقال لهم يوم القيامة: كان الله يمقت أنفسكم الأمّارة بالسوء و الكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون قبوله و تختارون عليه الكفر أشدّ ممّا تمقتونهنّ اليوم و أنتم في النار إذ أوقعتكم فيها باتّباعكم هواهنّ. و عن الحسن: لمّا رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا: «لمقت الله». و قيل: معناه: لمقت الله إيّاكم أكبر من مقت بعضكم لبعض. كقوله: «يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضاً».(٤) و «إذ تدعون» تعليل. و المقت: أشدّ البغض. فوضع في موضع أبلغ الإنكار و أشدّه.(٥)

«إذ تدعون إلى الايمان». يعني إلى ولاية عليّ عليه السلام.(٦)

١ـ الكشّاف ٤ / ١٥٣.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٢.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٥.
٤ـ العنكبوت (٢٩) / ٢٥.
٥ـ الكشّاف ٤ / ١٥٤.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٥.

[١١] «قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ».

«أمتّنا اثنتين و أحييتنا اثنتين». قال الصادق عليه السلام: ذلك في الرجعة.[١]

«أمتّنا اثنتين». أراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أوّلاً و إماتتهم عند انقضاء آجالهم، و بالإحياءتين الإحياءة الأولى و إحياءة البعث. و ناهيك تفسيراً لذلك قوله تعالى: «و كنتم أمواتاً فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم».[٢] فإن قلت: كيف صحّ أن يسمّي خلقهم أمواتاً إماتة؟ قلت: كما صحّ أن تقول: سبحان من صغّر جسم البعوضة و كبّر جسم الفيل، و ليس ثمّ نقل من صغر إلى كبر و لا من كبر إلى صغر. و إنّما أردت الإنشاء على تلك الصفات. و السبب في صحّته أنّ الصغر و الكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجّح لأحدهما. فإذا اختار الصانع أحد الجائزين و هو متمكّن منهما على السواء، فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر. فجعل صرفه عنه كنقله منه. ومن جعل الإماتتين التي بعد حياة الدنيا و التي بعد حياة القبر، لزمه إثبات ثلاث إحياءات و هو خلاف ما في القرآن إلّا أن يتمحّل فيجعل إحداها غير معتدّ بها أو يزعم أنّ الله يحييهم في القبور و تستمرّ بهم تلك الحياة فلايموتون بعدها و يعدّهم في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى: «إلّا من شاء».[٣][٤]

«فاعترفنا بذنوبنا» التي اقترفناها في الدنيا. «فهل إلى خروج». أي من النار إلى الدنيا لنعمل بطاعتك. و لو علم الله أنّهم يفلحون، لردّهم إلى دار التكليف. و في الكلام حذف تقديره: فأجيبوا بأنّه لا سبيل إلى الخروج.[٥]

[١٢] «ذٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٦.
٢ـ البقرة (٢) / ٢٨.
٣ـ الزمر (٣٩) / ٦٨.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٥٤ ـ ١٥٥.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٤.

الْكَبِيرِ».

«ذلكم»؛ أي: العذاب الذي حلّ بكم بأنّه إذا قيل: لا إله إلّا الله، قلتم: أ جعل الآلهة إلهاً واحداً؟ و جحدتم ذلك. «و إن يشرك به» معبود آخر من الأصنام و الأوثان، تصدّقوا. «فالحكم لله» في ذلك و الفصل بين الحقّ و الباطل. «الكبير»؛ أي: العظيم في صفاته.(١)

و قوله: «إذا دعي الله» يقول: إذا ذكر الله و وحّد بولاية من أمر الله بولايته «كفرتم و إن يشرك به» من ليست له ولاية «تؤمنوا».(٢)

[١٣] «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَ مَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ».

«آياته»؛ أي: مصنوعاته التي تدلّ على كمال قدرته. «رزقاً» من الغيث و المطر الذي ينبت ما هو رزق للخلق. «و ما يتذكّر» بالآيات «إلّا من ينيب»؛ أي: يرجع عن الإنكار بالإقبال عليها و التفكّر فيها. فإنّ الجازم بشيء لاينظر بما ينافيه.(٣)

[١٤] «فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

«مخلصين»؛ أي: وجّهوا عبادتكم إليه تعالى [وحده]. «و لو كره الكافرون» إخلاصكم و شقّ عليهم.(٤)

[١٥] «رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ».

«رفيع الدرجات». كقوله: «ذي المعارج»(٥) و هي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٦، عن الصادق عليه السلام.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٤ ـ ٨٠٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٦.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٦.
٥ـ المعارج (٧٠) / ٣.

و قيل: سماء فوق سماء و العرش فوقهنّ. و قيل: هي درجات ثوابه التي ينزلها أولياءه في الجنّة.(١)

و قوله: «يلقي الروح» قال: روح القدس. و هو خاصّ رسول الله و الأئمّة عليهم السلام. و قوله: «يوم التلاق» قال: يلتقي أهل السماء و الأرض.(٢)

«رفيع الدرجات». بمعنى الرافع. أي: هو رافع درجات الأنبياء و الأولياء في الجنّة. و قيل: معناه أنّه عليّ الصفات. «ذو العرش»؛ أي: مالكه و خالقه. و قيل: ذو الملك. و العرش: الملك. «يلقي الروح». قيل: هو القرآن و كلّ كتاب أنزل الله على أنبيائه. و قيل: الروح الوحي هنا. لأنّه يحيى به القلب. أي: يلقي الوحي على قلب من يراه أهلاً لذلك. و قيل: إنّ الروح جبرئيل. «لينذر» النبيّ بما أوحى إليه. «يوم التلاق». لأنّه يلتقي أهل السموات و أهل الأرض فيه، أو الأوّلون و الآخرون و الظالم و المظلوم، أو الخالق و الخلق، يعني أنّه يحكم بينهم. و قيل: يلتقي المرء و عمله. و الكلّ مراد. عن يعقوب: «لتنذر» بالتاء، و الباقون بالياء.(٣)

[١٦ ـ ١٧] «يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

«يوم هم بارزون» من قبورهم أو يبرز بعضهم لبعض فلايخفى على أحد حال غيره و يقول الله في ذلك اليوم: «لمن الملك اليوم»؟ فيقرّ الخلق كلّهم: «لله الواحد القهّار». و قيل: إنّه سبحانه هو القائل لذلك و هو المجيب لنفسه. و في الإخبار بذلك مصلحة للمكلّفين. و قيل: إنّ الله يقول ذلك بين النفختين حين يفني الخلائق كلّها ثمّ يجيب نفسه لأنّه يبقى وحده. و الأوّل أصحّ. لأنّه بيّن أنّه يقول ذلك يوم التلاق.(٤)

١ـ الكشّاف ٤ / ١٥٦.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٦.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٥ و ٨٠٣.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٥.

يعقوب الأحمر قال: دخلنا على أبي عبدالله عليه السلام نعزّيه بإسماعيل، فترحّم عليه ثمّ قال: إنّه يموت أهل الأرض حتّى لايبقى أحد. ثمّ يموت أهل السماء حتّى لايبقى إلّا ملك الموت و حملة العرش و جبرئيل و ميكائيل. فيجيء ملك الموت فيقف. فيقول الجبّار: قـل لجـبرئيل و ميكائيل فليموتا. ثمّ يجيء فيقف فيقول له: قل لحملة العرش فليموتوا. ثمّ يجيء حـزيناً فيقال له: مت يا ملك الموت. ثمّ يأخذ الأرض و السموات بيمينه و يقول: أين الذين كانوا يدعون معي شريكاً؟[١]

عن الرضا عليه السلام في حديث كشف فيه عن معنى حروف الهجاء إلى قوله: فالميم ملك الله يوم لا مالك غيره و يقول الله: «لمن الملك اليوم»؟ ثمّ تنطق أرواح انبيائه و رسله و حججه فيقولون: «لله الواحد القهّار». فيقول الله جلّ جلاله: «اليوم تجزى كلّ نفس» ـ الآية.[٢]

أقول: وردت الأخبار أنّ قوله سبحانه: «لمن الملك اليوم» يكون تارة بين النفختين بعد فناء الخلق و أخرى في فلوات القيامة. و لا منافاة بينهما لوقوع القول في الموضعين؛ لكنّ القائل في المورد الأوّل هو سبحانه و تعالى و في الثاني هو أيضاً و أرواح الأنبياء و الرسل والحجج كما تقدّم.

[١٨] «وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لَا شَفِيعٍ يُطَاعُ».

«يوم الآزفة»؛ أي: الدانية، و هو يوم القيامة. لأنّ كلّ ما هو آت دان قريب. و قيل: يوم دنوّ المجازاة. «لدى الحناجر». و ذلك أنّها تزلّ عن مواضعها من الخوف حـتّى تـصير إلى الحنجرة. «كاظمين»؛ أي: مغمومين مكروبين قد أطبقوا أفواههم على ما في قلوبهم من شدّة الخوف. «ما للظّالمين»: المشركين و المنافقين «من حميم»؛ أي: قريب يـنفعهم «و لاشـفيع يطاع» فيهم فتقبل شفاعته.[٣]

١ـ الكافي ٣ / ٢٥٦، ح ٢٥.
٢ـ التوحيد / ٢٣٤.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٧.

«الآزفة»؛ أي: وقت الخطّة الآزفة و هي مشارفتهم دخول النار. فعند ذلك ترتفع قلوبهم فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا و لاترجع إلى مواضعها فيتنفّسوا و يتروّحوا، ولكنّها معترضة كالشجا. «كاظمين». حال من أصحاب القلوب على المعنى. لأنّ المعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها. و يجوز أن يكون حالاً عن قوله: «و أنذرهم». أي: و أنذرهم مقدّرين أو مشارفين الكظم. «و لا شفيع يطاع». نفي للقيد و المقيّد.(١)

[١٩] «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ».

«خائنة الأعين»؛ أي: خيانتها و هي مسارقة النظر إلى ما لايحلّ [النظر] إليه. و الخائنة مصدر مثل الخيانة. و قيل: تقديره: يعلم الأعين الخائنة. و قيل: هو الرمز بالعين. و قيل: هو قول الإنسان ما رأيت و قد رأى و رأيت و ما رأى. «تخفي الصدور»؛ أي: تضمره. و في الخبر: انّ النظر الأولى لك، و الثانية عليك. فلايكون الأولى محرّمة و الثانية تكون محرّمة. فهي المراد بخائنة الأعين.(٢)

«خائنة الأعين». صفة للنظرة، أو مصدر بمعنى الخيانة. و لايحسن أن يراد الخائنة من الأعين. لأنّ قوله: «و ما تخفي الصدور» لايساعد عليها.(٣)

و قال ﷺ يوم فتح مكّة لأصحابه و قد جاءه عثمان بعبدالله بن أبي سرح يستأمنه منه. و كان ﷺ قبل ذلك أهدر دمه و أمر بقتله. فلمّا رأى عثمان استحيى منه و سكت طويلاً ليقتله بعض المؤمنين. ثمّ آمنه بعد تردّد المسألة من عثمان و قال: أما كان منكم رجل رشيد يقوم إلى هذا فيقتله؟ فقال عبّاد بن بشير: يا رسول الله، إنّ عيني ما زالت في عينك انتظار أن تؤمئ إليّ فأقتله. فقال ﷺ: إنّ الأنبياء لايكون لهم خائنة الأعين.(٤)

عن أبي عبدالله ﷺ في قوله: «يعلم خائنة الأعين» قال: ألم تر الرجل ينظر إلى شيء و

١ـ الكشّاف ٤ / ١٥٧ ـ ١٥٨.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٧.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٥٩.
٤ـ تنزيه الأنبياء / ١١١.

كأنّه لاينظر؟ فذلك خائنة الأعين.(١)

[٢٠] «وَ اللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

«يقضي بالحقّ»؛ أي: يوصل كلّ ذي حقّ إلى حقّه. «و الذين يدعون من دونه»؛ أي: الأصنام.(٢)

«لايقضون بشيء». تهكّم بهم. لأنّ الجماد لايقال فيه إنّه يقضي أو لايقضي. و قرأ نافع و هشام بالتاء على الالتفات أو إضمار قل. «هو السميع البصير». تقرير لعلمه بخائنة الأعين و قضائه بالحقّ، و وعيد لهم على مايقولون و يفعلون، و تعريض لحال ما يدعون من دونه.(٣)

[٢١] «أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ».

«كانوا من قبلهم» من المكذّبين من الأمم لرسلهم. «و آثاراً في الأرض»؛ أي: أكثر عمارة للأبنية العجيبة. و قيل: أبعد ذهاباً في الأرض لطلب الدنيا، فأهلكهم الله. «من واق»؛ أي: دافع يدفع عنهم عذابه الذي نزل بهم. ابن‌عامر: «أشدّ منكم» بالكاف و الميم، و الباقون بالهاء و الميم.(٤)

[٢٢] «ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

١ـ معاني الأخبار / ١٤٧، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٧.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٨.

«بالبيّنات»؛ أي: المعجزات الباهرات و الدلالات الظاهرات. «فكفروا» بها «فأخذهم الله»؛ أي: أهلكهم على كفرهم.[١]

[٢٣ ـ ٢٤] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسىٰ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ».

«بآياتنا»؛ أي: دلالاتنا. «و سلطان مبين»؛ أي: حجّة ظاهرة نحو قلب العصا حيّة و فلق البحر. «إلى فرعون و هامان و قارون». كان موسى رسولاً إلى كافّتهم إلّا أنّه خصّ فرعون لأنّه كان رئيسهم و كان هامان وزيره و قارون صاحب جنوده[٢] و الباقون تبع لهم. و إنّما عطف السلطان على الآيات لاختلاف اللّفظين تأكيداً. و قيل: المراد بالآيات حجج التوحيد و العدل و بالسلطان المعجزات الدالّة على نبوّته.[٣]

[٢٥] «فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَ مَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ».

«بالحقّ»؛ أي: بالتوحيد و الدلالة عليه. «اقتلوا». أمروا بقتل الذكور من قوم موسى لئلّايكثروا و لايتقوّى بهم و باستبقاء نسائهم للخدمة. و هذا القتل غير القتل الأوّل. لأنّه أمر بالقتل الأوّل لئلّاينشأ منهم من يزول ملكه على يده، ثمّ ترك، فلمّا ظهر موسى عاد في تلك العادة. فمنعهم الله بإرسال الدم و الضفادع و الطوفان و الجراد كما مضى ذكر ذلك. ثمّ أخبر سبحانه أنّ ما فعله من قتل الرجال و استحياء النساء لم‌ينفعه بقوله: «و ما دعاء الكافرين إلّا في ضلال»؛ أي: ذهاب عن الحقّ و لاينتفعون به.[٤]

[٢٦] «وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسىٰ وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٨.
٢ـ المصدر: كنوزه.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٨ ـ ٨٠٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٨٠٩.

«ذروني أقتل موسى»؛ أي: قال لقومه: اتركوني أقتله. و في هذا دلالة على أنّه كان في خاصّة فرعون قوم يشيرون عليه بأن لايقتل موسى و يخوّفونه بأنّه يدعو ربّه و لذلك قال: «و ليدع ربّه» أي كما يقولون. و قيل: إنّهم قالوا: إنّه ساحر. فإن قتلته قبل ظهور الحجّة، قويت الشبهة بمكانه. بل أرجه و أخاه و ابعث في المدائن حاشرين. و قوله: «و ليدع ربّه» معناه: و قولوا له ليدع ربّه و ليستعن به في دفع القتل عنه، فإنّه لاينفعه. «أن يبدّل دينكم» إن لمأقتله، و هو ما يعتقدونه من إلهيّتي. «أو أن يظهر في الأرض الفساد» بأن يتّبعه قوم و نحتاج إلى أن نقاتله فيخرب فيما بين ذلك البلاد. و قيل: إنّ الفساد عند فرعون أن يعمل بطاعة الله.(١)

«و قال فرعون ذروني». كانوا يكفّونه عن قتله و يقولون: إنّه ليس الذي تخافه. و لو قتلته، ظنّ أنّك عجزت عن معارضته بالحجّة. و تعلّله بذلك مع كونه سفّاكاً في أهون شيء، دليل على أنّه تيقّن أنّه نبيّ فخاف من قتله أو ظنّ أنّه لو حاوله لمبتيسّر له. و يؤيّده قوله: «و ليدع ربّه» فإنّه تجلّد و عدم مبالاة بدعائه. «يبدّل دينكم»: يغيّر ما أنتم عليه من عبادته(٢) و عبادة الأصنام. لقوله: «و يذرك و آلهتك».(٣) «أو أن يظهر». أهل المدينة و أبوعمرو: «و أن» بغير ألف قبل الواو. و ابن‌كثير و ابن‌عامر و الكوفيّون غير حفص: «أو أن يظهر» بفتح الياء و الهاء و رفع «الفساد».(٤)

كان قوله: «ذروني أقتل موسى» تمويهاً على قومه و إيهاماً أنّهم هم الذين يكفّونه. و ماكان يكفّه إلّا ما في نفسه من هول الفزع.(٥)

عن رجل عن أبي‌عبدالله في قول فرعون: «ذروني أقتل موسى»: ما كان يمنعه؟ قال: منعه رشدته. و لايقتل الأنبياء و لا أولاد الأنبياء إلّا أولاد الزنى.(٦)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٠.
٢ـ كذا في المصدر أيضاً. و الأصحّ: عبادتي.
٣ـ الأعراف (٧) / ١٢٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٨.
٥ـ الكشّاف ٤ / ١٦١.
٦ـ علل الشرائع / ٥٨، ح ١.

[٢٧] «وَ قَالَ مُوسىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ».

«عذت بربّي و ربّكم»؛ أي: اعتصمت بربّي الذي خلقني وخلقكم. «متكبّر»: متجبّر عن الانقياد له تعالى. «عذت». نافع و أبوجعفر بإدغام الذال في التاء، و الباقون بالإظهار حيث كان.[١]

[٢٨] «وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ».

«رجل». اسمه حزقيل.

«من آل فرعون». لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره و غير امرأة فرعون و غير المؤمن الذي أنذر موسى فقال: «إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك».[٢] قيل: كان ابن عمّ فرعون و كان آمن بموسى. و هو الذي جاء من أقصى المدينة. و قيل: إنّه كان وليّ عهده من بعده و كان اسمه حبيب أو حزبيل. «أ تقتلون رجلاً». استفهام إنكار. «أن يقول»؛ أي: قائلاً. فموضع «أن يقول» نصب، على أنّه مفعول له.[٣]

«من آل فرعون»: من أقاربه. و قيل: متعلّق بقوله: «يكتم إيمانه» و الرجل إسرائيليّ أو غريب موحّد كان ينافقهم. «بالبيّنات من ربّكم». أضافه إليهم بعد ما ذكر البيّنات، احتجاجاً عليهم و استدراجاً لهم إلى الاعتراف به. «إنّ الله لايهدي من هو مسرف كذّاب». احتجاج ثالث ذات وجهين: أحدهما أنّه لو كان مسرفاً كذّاباً، لما هداه الله إلى البيّنات و لما عضده بتلك المعجزات. و ثانيهما أنّ من خذله الله و أهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله. و لعلّه أراد به المعنى الأوّل و خيّل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم، و عرّض به لفرعون بأنّه مسرف كذّاب لايهديه الله سبيل الصواب.[٤]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٠.

٢ـ القصص (٢٨) / ٢٠.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٠ ـ ٨١١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣٩.

«رجل مؤمن من آل فرعون». كان خازن فرعون و قد آمن بموسى و كتم إيمانه ستّمائة سنة. و هو الذي قال الله عزّ و جلّ: «و قال رجل».[۱]

عن الحلبيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال له رجل ـ و أنا عنده ـ: إنّ الحسن البصريّ يروي أنّ رسول الله قال: من كتم علماً، جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار. فقال: كذب! ويحه! فأين قول الله: «و قال رجل» ـ الآية؟[۲]

«و قد جاءكم بالبيّنات»؛ أي: بما يدلّ على صدقه من المعجزات. «فعليه كذبه». إنّما قال هذا على وجه التلطّف. «بعض الذي يعدكم». لأنّه كان يعدهم بالنجاة إن آمنوا و بالهلاك إن كفروا فقال: «بعض الذي يعدكم» لأنّهم [إذا] كانوا على أحد الحالين نالهم أحد الأمرين، فلذلك قال بعض الأمر لا كلّه. و قيل: إنّه توعّدهم أموراً مختلفة منها الهلاك في الدنيا و العذاب في الآخرة، فيكون هلاكهم في الدنيا بعض ما توعّدهم به. و قيل: إنّه قال ذلك على المظاهرة بالحجاج على أنّه يكفي بعضه فكيف جميعه. «إنّ الله لا يهدي» إلى جنّته و ثوابه «من هو مسرف» على نفسه، متجاوز عن الحدّ في المعصية «كذّاب» على ربّه. [يجوز أن يكون هذا حكاية عن قول المؤمن] و يجوز أن يكون ابتداء كلام من الله.[۳]

[۲۹] «يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَ مَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ».

«لكم الملك اليوم». ذكّرهم هذا المؤمن ما هم فيه من الملك ليشكروا الله على ذلك بالإيمان به فقال: «يا قوم لكم الملك»؛ أي: لكم السلطان على أهل الأرض. يعني أرض مصر. «ظاهرين»؛ أي: غالبين عليها قاهرين لأهلها. «من بأس الله»؛ أي: من عذاب الله. و معناه: لا تتعرّضوا لعذاب الله بقتل النبيّ و تكذيبه. فلا مانع لعذاب الله إن حلّ بكم.[٤]

۱ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۱۳۷.
۲ـ بصائر الدرجات / ۳۰، ح ٦.
۳ـ مجمع البيان ۸ / ۸۱۱.
٤ـ مجمع البيان ۸ / ۸۱۱.

«ما أرى»؛ أي: ما أشير عليكم برأي إلّا بما أرى من قتله. يعني: لا أستصوب إلّا قتله و هذا الذي تقولونه غير صواب. «و ما أهديكم» بهذا الرأي «إلّا سبيل الرشاد» و الصلاح. أو: ما أعلّمكم إلّا ما أعلم من الصواب لا أدّخر منه شيئاً. يعني أنّ لسانه و قلبه متواطئان على ما يقول. و قد كذب؛ فقد كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى ولكنّه كان يتجلّد. و لولا استشعاره، لم يستشر أحداً و لم يقف الأمر على الإشارة.[١]

[٣٠ ـ ٣١] «وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ *مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ مَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ».

«مثل يوم الأحزاب»: مثل أيّامهم. لأنّه لمّا أضافه إلى الأحزاب و فسّرهم بقوله: «قوم نوح و عاد و ثمود» و لم يلبس أنّ كلّ حزب منهم كان له يوم دمار، اقتصر على الواحد من الجمع. لأنّ المضاف إليه أغنى عن ذلك. و دأب هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر و التكذيب و سائر المعاصي. و لابدّ من حذف مضاف. يريد: مثل جزاء دأبهم. و «مثل» الثاني عطف بيان لمثل الأوّل. «و ما الله يريد ظلماً للعباد». يعني أنّ تدميرهم كان عدلاً قسطاً لأنّهم استوجبوه بأعمالهم. و يجوز أن يكون معناه كقوله: «و لا يرضى لعباده الكفر».[٢] أي: لا يريد لهم أن يظلموا. يعني أنّه دمّرهم لأنّهم كانوا ظالمين.[٣]

«و الذين من بعدهم» كقوم لوط.[٤]

[٣٢] «وَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ».

«يوم التناد»: يوم القيامة؛ ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستعانة.[٥]

«يوم التناد». هو ما حكاه الله في سورة الأعراف من قوله: «و نادى أصحاب الجنّة

١ـ الكشّاف ٤ / ١٦٤.
٢ـ الزمر (٣٩) / ٧.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٦٤ ـ ١٦٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٠.

أصحاب النار» «و نادى أصحاب النار أصحاب الجنّة».(۱) و يجوز أن يكـون تـصايحهم بالويل و الثبور. و قيل: بينا هم يموج بعضهم في بعض إذ سمعوا منادياً: أقبلوا إلى الحساب.(۲)

«يوم التناد». حذف الياء بالاجتزاء بالكسرة الدالّة عليها. و قـيل: إنّـه اليـوم الذي ينادي فيه أصحاب النار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من الماء و ممّا رزقكم الله. و قيل: ينادى فيه كلّ أناس بإمامهم.(۳)

[۳۳] «يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِـنْ هَادٍ».

«تولّون مدبرين»: منصرفين عن موقف الحساب إلى النار. أي: فارّين عن النار.(٤)

«يوم تولّون» عن الموقف «مدبرين»؛ أي: منصرفين عنه إلى النار.(٥)

«تولّون مدبرين»؛ أي: تعرضون على النار فارّين منها مقدّرين أنّ الفرار ينفعكم. «و من يضلل الله» عن طريق الجنّة «فما له من هاد».(٦)

[٣٤] «وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ».

«يوسف». هو ابن يعقوب. و قيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب، أقام فيهم نبيّاً عشرين سنة. و قيل: إنّ فرعون موسى هو فرعون يوسف عمّر إلى زمنه. و قيل: هو فرعون آخر. وبّخهم بأنّ يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فـيها و لم تـزالوا شـاكّين كافرين، حتّى إذا قبض قلتم: «لن يبعث الله من بعده رسولاً» حكماً من عند أنفسكم. و ليس قولهم: «لن يبعث الله» بتصديق لرسالة يوسف ـ كيف و قد كفروا بها – و إنّما هو تكذيب

١ـ الأعراف (٧) / ٤٤ و ٥٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ١٦٥.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٣ ـ ٨١٤.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٦٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٠.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٤.

لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته. «كذلك يضلّ الله»؛ أي: مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كلّ مسرف في عصيانه مرتاب في دينه.[١]

«مرتاب»؛ أي: شاكّ فيما تشهد به البيّنات لغلبة الوهم و الانهماك في التقليد.[٢]

«يوسف». هو ابن يعقوب؛ بعثه الله إلى القبط. «من قبل»؛ أي: من قبل موسى بالحجج الواضحات. «ممّا جاءكم به» من التوحيد و عبادة الله تعالى. «لن يبعث الله»؛ أي: أقمتم على كفركم و ظننتم أنّ الله تعالى لايجدّد لكم إيجاب الحجّة.[٣]

عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفرعليه السلام قال: قلت: فكان يوسف رسولاً نبيّاً ؟ قال: نعم. أما تسمع قول الله: «لقد جاءكم يوسف بالبيّنات»؟[٤]

[٣٥] «الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ».

«الذين يجادلون». بدل من «من هو مسرف». [و جاز إبداله منه و هو جمع و ذاك موحّد، لأنّه لايريد مسرفاً واحداً فـ] ـكأنّه قيل: كلّ مسرف. و فاعل «كبر» ضمير «من هو مسرف». و يجوز أن يرفع «الذين يجادلون» على الابتداء. و لا بدّ في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر. تقديره: جدال الذين يجادلون كبر مقتاً. و يحتمل أن يكون الذين مبتدأ و «بغير سلطان» خبراً و فاعل كبر قوله: «كذلك». أي: كبر مقتاً مثل ذلك الجدال. و «يطبع الله» كلام مستأنف. و في «كبر مقتاً» ضرب من التعجّب و الاستعظام لجدالهم و الشهادة على خروجه من حدّ إشكاله من الكبائر. و وصف القلب بالتكبّر و التجبّر لأنّه مركزهما و منبعهما. كما تقول: رأت العين، و سمعت الأذن. و نحو قوله: «فإنّه آثم قلبه».[٥] و يجوز أن يكون على حذف المضاف. أي: على كلّ ذي قلب.[٦]

١ـ الكشّاف ٤ / ١٦٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٤.
٤ـ قصص الأنبياء / ١٣٥.
٥ـ البقرة (٢) / ٢٨٣.
٦ـ الكشّاف ٤ / ١٦٦ ـ ١٦٧.

«في آيات الله»؛ أي: دفعها و إبطالها. «كبر مقتاً». المقت: العداوة. و المعنى: مقته الله و لعنه و أعدّ له العذاب و مقته المؤمنون و أبغضوه بذلك الجدال. و أنتم جادلتم و خاصمتم في ردّ آيات الله مثلهم، فاستحققتم ذلك. «كذلك»؛ أي: مثل ما طبع على قلوب أولئك بأن ختم عليها علامة الكفر، «يطبع على كلّ قلب متكبّر جبّار». و الجبّار صفة للمتكبّر و هو الذي يأبى عن قبول الحقّ. و قيل: هو القتّال.[1]

[٣٦ ـ ٣٧] «وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَىٰ وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً وَ كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَ صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَ مَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ».

«ابن لي صرحاً». الصرح: البناء الظاهر الذي لايخفى على عين الناظر. قال ذلك لوزيره هامان لمّا وعظه المؤمن و خوّفه من قتل موسى. «أسباب السموات»: طرقها من سماء إلى سماء. و قيل: لعلّي أتسبّب [وأتوصّل به] إلى مرادي و إلى علم ما غاب عنّي. «فأطّلع»؛ أي: أنظر إلى إله موسى. أراد به التلبيس على ضعفة قومه مع علمه باستحالة ذلك. وقيل: إنّه غلبه الجهل فاعتقد أنّ الله في السماء و أنّه يقدر على بلوغ السماء. «لأظنّه كاذباً» في قوله أنّ له إلهاً غيري أرسله إلينا. «و كذلك زيّن»؛ أي: مثل ما زيّن لهؤلاء الكفّار سوء أعمالهم، زيّن لفرعون قبيح عمله. و المزيّن له أصحابه و جلساؤه والشياطين. كما قال: «و زيّن لهم الشيطان أعمالهم».[2] «و ما كيد فرعون» في إبطال آيات موسى إلّا في هلاك و خسار لاينفعه. حفص: «فأطّلع» بالنصب، و الباقون بالرفع.[3]

«صرحاً»؛ أي: بناء مكشوفاً عالياً. «الأسباب»: الطرق. «أسباب السموات». بيان لها. و في إبهامها ثمّ إيضاحها تفخيم لشأنها و تشويق للسامع إلى معرفتها. «فأطّلع». عطف على

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٤.
٢ـ النمل (٢٧) / ٢٤.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٥ ـ ٨١٦.

أبلغ. و قرأ حفص بالنصب على جواب الترجّي. و لعلّه أراد أن يبني له رصداً في موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماويّة تدلّ على الحوادث الأرضيّة فيرى هل فيها ما يدلّ على إرسال الله إيّاه، أو أن يري فساد قول موسى بأنّ إخباره من إله السماء يتوقّف على اطّلاعه و وصوله إليه و ذلك لايتأتّى إلّا بالصعود إلى السماء و هو ممّا لايقوى عليه الإنسان. و ذلك لجهله بالله و كيفيّة استنبائه. الحجازيّان و الشاميّ و أبوعمرو: «و صَدّ» على أنّ فرعون صدّ الناس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات.[١]

«فأطّلع». قال هذا الكلام من شدّة بغيه و عتوّه.

[٣٨] «وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ».

«الذي آمن». و هو مؤمن آل فرعون. «سبيل الرشاد». و هو التوحيد و الإقرار بموسى. و قيل: إنّ هذا القائل موسى أيضاً.[٢]

[٣٩] «يَا قَوْمِ إِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ».

«متاع»؛ أي: انتفاع قليل يزول و ينقطع و يبقى وزره و آثامه. «دار القرار» يستقرّ الخلائق فيها.[٣]

[٤٠] «مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ».

«إلّا مثلها»؛ أي: مقدار ما يستحقّ عليها من العقاب. «بغير حساب»؛ أي: زيادة على ما يستحقّونه تفضّلاً منه تعالى. و لو كان على مقدار العمل فقط، لكان بحساب. و قيل معناه: لا تبعة عليهم فيما يعطون من الخير في الجنّة. قيل: هذا كلام مؤمن آل فرعون. و قيل: إنّه كلام

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٠ ـ ٣٤١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٦.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٦.

الله إخباراً عن نفسه.(١)

عن أميرالمؤمنينعليه السلام في قوله: «يرزقون فيها بغير حساب» قال: هم المتحابّون بجلال الله.(٢)

[٤١ ـ ٤٢] «وَ يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَ أُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ».

«ما لي أدعوكم إلى النجاة»؛ أي: ما لكم؟ كما يقول الرجل: ما لي أراك حزيناً؟ أي: ما لك؟ و معناه: أخبروني عنكم: كيف هذه الحال أدعوكم إلى الايمان بالله و تدعونني إلى الشرك الذي يوجب النار؟ و فسّر الدعوتين بقوله: «تدعونني لأكفر» ـ الآية. «ما ليس به علم»؛ أي: لايجوز حصول العلم به، إذ لا يجوز قيام الدلالة على إثبات شريك لله تعالى لا من طريق السمع و لا من طريق العقل. «إلى العزيز»؛ أي: إلى عبادة من ينتقم من كلّ كفّار عنيد.(٣)

«ليس لي به علم». أراد بنفي العلم نفي المعلوم. كأنّه قال: و أشرك به ما ليس بإله. و ما ليس بإله كيف يصحّ أن يعلم إلهاً؟(٤)

[٤٣] «لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ وَ أَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ».

«لا جرم». معناه: حقّاً مقطوعاً به. من الجرم و هو القطع. أي: لابدّ أنّ ما تدعونني إليه من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون، ليس له دعوة نافعة لا في الدنيا و لا في الآخرة. و قيل: معناه: ليست له دعوة في الدنيا، لأنّ الأصنام لاتدعو إلى عبادتها فيها، و لا في الآخرة،

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٦.

٢ـ التوحيد / ٢٦٨، ح ٥. و فيه : بجلال الله.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٧.

٤ـ الكشّاف ٤ / ١٦٩.

لأنّها تبرأ من عبادها فيها.[١]

«لا جرم». سياقه على مذهب البصريّين أن يجعل لا ردّاً لما دعاه إليه قومه و جرم فعل بمعنى حقّ و أنّ مع مافي حيّزه فاعله. أي: حقّ و وجب بطلان دعوته. أو بمعنى كسب. من قوله تعالى: «و لايجرمنّكم شنآن قوم».[٢] أي: كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته. على معنى أنّه ما حصل من ذلك إلّا ظهور بطلان دعوته. «ليس له دعوة»؛ أي: ليس له استجابة دعوة تنفع فيالدنيا و لا في الآخرة. «و إنّ المسرفين»؛ أي: المشركين. أو: السفّاكين للدماء بغير حلّها. أو: الذين غلب شرّهم خيرهم.[٣]

[٤٤ ـ ٤٥] «فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ❊ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ».

«و أفوّض أمري إلىالله». لأنّهم توعّدوه.[٤]

عن أبي عبداللهعليه السلام في حديث يذكر فيه حزقيلعليه السلام و أنّ قومه وشوا به إلى فرعون و قالوا: إنّ حزقيل يدعو إلى مخالفتك و يعين أعداءك على مضادّتك. فقال لهم فرعون: ابن عمّي و خليفتي على ملكي و وليّ عهدي! إن فعل ما قلتم، فقد استحقّ العذاب على كفره نعمتي. و إن كنتم عليه كاذبين، فقد استحققتم أشدّ العذاب. فجمعهم فكاشفوه و قالوا: أنت تجحد ربوبيّة فرعون. فقال حزقيل: أيّها الملك، هل جرّبت عليّ كذباً قطّ؟ قال: لا. قال: فاسألهم من ربّهم. قالوا: فرعون. قال: ومن خالقكم؟ قالوا: فرعون. قال: ومن رازقكم الكافل لمعايشكم والدافع عنكم مكارهكم؟ قالوا: فرعون. قال حزقيل: أيّها الملك فأشهدك و كلّ من حضرك أنّ ربّهم هو ربّي و خالقهم هو خالقي و رازقهم هو رازقي. لا ربّ لي و لا خالق و لا رازق غير ربّهم و خالقهم و رازقهم. و أشهدك و من حضرك أنّ كلّ ربّ و خالق و رازق سوى ربّهم و خالقهم و رازقهم، فأنا بريء منه و من ربوبيّته و كافر بإلهيّته.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٧.
٢ـ المائدة (٥) / ٨.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٦٩ ـ ١٧٠.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٧٠.

يقول حزقيل هذا و هو يعني أنّ ربّهم هو الله ربّي، و خفي هذا المعنى على فرعون و من حضره فتوهّموا أنّه يقول فرعون ربّي و خالقي و رازقي. فقال لهم فرعون: يا طلّاب الفساد في ملكي و مريدي الفتنة بيني و بين ابن عمّي، أنتم المستحقّون لعذابي لإرادتكم إهلاك ابن عمّي. ثمّ أمر بالأوتاد فجعل في ساق كلّ واحد منهم وتداً و في عضده وتداً و في صدره وتداً. و أمر أصحاب أمشاط الحديد فشقّوا بها لحومهم من أبدانهم. فتلك ما قال الله: «فوقاه الله سيّئات ما مكروا» و كان سبب هلاكهم، لمّا وشوا به إلى فرعون ليهلكوه «و حاق بآل فرعون سوء العذاب». و هم الذين وشوا بحزقيل إليه لمّا أوتد فيهم الأوتاد و مشط أبدانهم بالمشوط.[1]

«سيّئات ما مكروا»: شدائد مكرهم وما همّوا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم. و قيل: نجا مع موسى. «و حاق بآل فرعون» ما همّوا به من تعذيب المسلمين و رجع عليهم كيدهم.[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام: عجبت لمن مكر به كيف لايفزع إلى قوله تعالى: «و أفوّض أمري» ـ الآية. فإنّي سمعت الله يقول عقبها: «فوقاه الله» ـ الآية.[3]

«مكروا». يعني مؤمن آل فرعون. قال أبوعبدالله عليه السلام: والله لقد قطّعوه إرباً إرباً ولكن وقاه الله أن يفتنوه عن دينه.[4]

«سوء العذاب» في الدنيا الغرق و في الآخرة النار.[5]

[٤٦] «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَ عَشِيّاً وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ».

«النار يعرضون عليها». يعني في قبورهم في البرزخ. و الأخبار مستفيضة بل متواترة

١ـ الاحتجاج / ٣٧٠ ـ ٣٧١.
٢ـ الكشّاف ٤ / ١٧٠.
٣ـ الخصال / ٢١٨، ح ٤٣.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٨.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٨.

بعذاب القبر. و قد أنكره طائفة لا يعبأ بهم.

«أُدخلوا آل فرعون»؛ أي: يا آل فرعون. و قرأ نافع و حمزة و الكسائيّ و يعقوب و حفص: «أدْخِلوا» على أمر الملائكة بإدخالهم النار.[1]

«النار». بدل من سوء العذاب. أو خبر مبتدأ محذوف؛ كأن قال قائل: ما سوء العذاب؟ فقيل: هو النار. أو مبتدأ خبره «يعرضون عليها». و عرضهم عليها إحراقهم بها. «غدوّاً و عشيّاً». في هذين الوقتين يعذّبون بالنار. و فيما بين ذلك الله أعلم بحالهم. فإمّا أن يعذّبوا بجنس آخر منَ العذاب، أو ينفّس عنهم. و يجوز أن يكون «غدوّاً و عشيّاً» عبارة عن الدوام. هذا ما دامت الدنيا، فإذا قامت الساعة، قيل لهم: ادخلو يا آل فرعون أشدّ عذاب جهنّم. و يستدلّ بهذه الآية على إثبات عذاب القبر.[2]

عنه عليه السلام: انّ أحدكم إذا مات، عرض عليه مقعده بالغداة و العشيّ. إن كان من أهل الجنّة، فمن الجنّة. و إن كان من أهل النار، [فمن النار]. يقال: هذا مقعدك حتّى يبعثك الله يوم القيامة.[3]

عنه عليه السلام أنّه قال: شرّ ما على وجه الأرض برهوت، و هو واد بحضرموت يرد عليه هام الكفّار.[4]

و قال أبوجعفر عليه السلام: إنّ لله تعالى ناراً في المشرق خلقها ليسكن فيها أرواح الكفّار و يأكلون من زقّومها و يشربون من حميمها ليلهم. فإذا طلع الفجر، هاجت إلى واد باليمن يقال له برهوت أشدّ حرّاً من نيران الدنيا كانوا فيها يتلاقون و يتعارفون. فإذا كان المساء، عادوا إلى النار. فهم كذلك إلى يوم القيامة.[5]

[٤٧] «وَ إِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٢.
٢ـ الكشّاف ٤ / ١٧٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٨.
٤ـ الكافي ٣ / ٢٤٦، ح ٣.
٥ـ الكافي ٣ / ٢٤٦ ـ ٢٤٧، ح ١.

أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ».

«و إذ يتحاجّون». أي: اذكر. «تبعاً»: [تباعاً. كخدم في جمع خادم].(١)

«نصيباً»: أي: قسطاً.(٢)

[٤٨] «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ».

[٤٩] «وَ قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ».

«لخزنة جهنّم»: للقوّام بتعذيب أهلها. فإن قلت: فهلّا قيل: الذين في النار لخزنتها؟ قلت: لأنّ في ذكر جهنّم تهويلاً و تفظيعاً. و يحتمل أنّ جهنّم هي أبعد النار قعراً ـ من قولهم: بئر جهنام: بعيدة القعر ـ و فيها أعتى الكفّار و أطغاهم. فلعلّ الملائكة الموكّلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله، فلهذا تعمّدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم.(٣)

[٥٠] «قَالُوا أَ وَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ».

«أو لم تك تأتيكم رسلكم». إلزام للحجّة و توبيخ و أنّهم خلّفوا وراءهم أوقات الدعاء و التضرّع و عطّلوا الأسباب التي يستجيب الله لها الدعوات. «فادعوا» أنتم، فإنّا لانجترئ على ذلك و لانشفع إلّا بشرطين: كون المشفوع له غير ظالم، و الإذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها و ذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين. و ليس قولهم: «فادعوا» لرجاء المنفعة، ولكن للدلالة على الخيبة و أنّ الملك المقرّب إذا لم يسمع دعاؤه كيف يسمع دعاء الكافرين.(٤)

[٥١] «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ».

أخبر سبحانه بأنّه ينصر رسله ومن صدّقهم في الحياة الدنيا. ينصرهم بوجوه النصر،

١ـ الكشّاف ٤ / ١٧١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٨١٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٧١ ـ ١٧٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٧٢.

بالحجّة، و بالغلبة في المحاربة، و بالألطاف و تقوية القلب، و يكون بإهلاك العدّو. وقد يكون النصر بالانتقام لهم، كما نصر يحيى بن زكريّا لمّا قتل حين قتل به سبعون ألفاً.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام «إنّا لننصر رسلنا» قال: ذاك ـ و الله ـ في الرجعة. أما علمت أنّ أنبياء كثيرة لم ينصروا في الدنيا وقتلوا و أئمّة بعدهم قتلوا و لم ينصروا؟ و ذلك في الرجعة.(٢)

«في الحياة الدنيا و يوم يقوم الأشهاد»؛ أي: في الدنيا و الآخرة بالظفر على مخالفيهم. و إن غلبوا في بعض الأحيان، فالعاقبة لهم. «الأشهاد». [يريد] الحفظة من الملائكة و الأنبياء و المؤمنين من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله.(٣)

«الأشهاد»: الذين يشهدون بالحقّ للمؤمنين و على المبطلين و الكافرين يوم القيامة. و في ذلك سرور للمحقّ و فضيحة للمبطل في ذلك الجمع العظيم. و قيل: هم الأنبياء وحدهم يشهدون للناس و عليهم.(٤)

[٥٢] «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ».

ثمّ أخبر عن ذلك اليوم فقال: «لاينفع الظالمين معذرتهم» إن اعتذروا من كفرهم و لن تنفعهم التوبة. «و لهم اللّعنة»؛ أي: البعد من الرحمة و الحكم عليهم بالعقوبة و دوامها. «سوء الدار»: جهنّم.(٥)

[٥٣] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدىٰ وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ».

«الهدى»؛ أي: أعطيناه التوراة فيها أدلّة واضحة على معرفة الله و توحيده. «و أورثنا بني إسرائيل»؛ أي: أورثنا بعد موسى بني إسرائيل التوراة و ما فيه من البيان.(٦)

[٥٤] «هُدىً وَ ذِكْرىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٧٢.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٠.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٠ ـ ٨٢١.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢١.

«هدًى»؛ أي: هو هدًى؛ أي: دلالة يعرفون بها معالم دينهم. «و ذكرى»؛ أي: و تذكير لأولي العقول. و يجوز نصب هدًى و ذكرى على أنّهما مصدران وضعا موضع الحال من الكتاب. أي: هادياً و مذكّراً. و يجوز أن يكون للمفعول له. أي: للهدى و التذكير.(١)

[٥٥] «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ».

«فاصبر» يا محمّد على أذى قومك و تحمّل المشاقّ في تكذيبهم إيّاك. «إنّ وعد الله» الذي وعدك من النصر في الدنيا و الثواب في الآخرة [حقّ] و لا خلف فيه. «و استغفر لذنبك». هذا تعبّد من الله لنبيّه بالدعاء و الاستغفار لكي يزيد في الدرجات و ليصيّره سنّة لمن بعده. «و سبّح بحمد ربّك»؛ أي: نزّه الله [تعالى و اعترف بشكره و إضافة النعم إليه و نفي التشبيه عنه. و قيل:] نزّه صفاته عن صفات المحدثين و أفعاله عن أفعال الظالمين. و قيل: معناه: صلّ بأمر ربّك. «بالعشيّ»: من زوال الشمس إلى اللّيل. «و الإبكار»: من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. و قيل: يريد الصلوات الخمس. و عنه ﷺ: قال الله: يابن آدم، اذكرني بعد الغداة ساعة و بعد العصر ساعة، أكفك ما أهمّك.(٢)

«و استغفر لذنبك»؛ أي: أقبل على أمر دينك و تدارك فرطاتك كترك الأولى و الاهتمام بأمر العدوّ بالاستغفار. فإنّه تعالى كافيك في النصر و إظهار الأمر. «بالعشيّ و الإبكار»؛ أي: دم على التسبيح و التحميد لربّك. و قيل: صلّ بهذين الوقتين. إذ كان الواجب بمكّة ركعتين بكرة و ركعتين عشيّاً؛ أي: عصراً.(٣)

[٥٦] «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٣.

«يجادلون في آيات الله». عامّ في كلّ مجادل مبطل و إن نزلت في مشركي مكّة أو اليهود حين قالوا: لست صاحبنا بل هو المسيح بن داوود ـ يعني الدجّال ـ يبلغ سلطانه البرّ و البحر و تسير معه الأنهار. «إلّا كبر»؛ أي: تكبّر عن الحقّ أو إرادة الرئاسة و أنّ النبوّة و الملك لايكون إلّا لهم. «ببالغيه»؛ أي: ببالغي دفع الآيات.[١]

«يجادلون في آيات الله»؛ أي: يخاصمون في إبطال آيات الله «بغير سلطان»؛ أي: حجّة «أتاهم» الله إيّاها. «إن في صدورهم»؛ أي: ليس في صدورهم إلّا عظمة و تكبّر على محمّد ﷺ ما هم ببالغي مقتضى تلك العظمة. لأنّ الله قد أذلّهم. و قيل: معناه: إنّ في قلوبهم كبراً و هو حسدك على النبوّة و لاينالونها. و قيل: ما هم ببالغي وقت خروج الدجّال. لأنّ اليهود كانوا يقولون: سيخرج الدجّال فيعين على محمّد و أصحابه فنستريح منهم. «فاستعذ بالله» من شرّ اليهود و الدجّال.[٢]

[٥٧] «لَخَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ».

«لخلق السموات و الأرض» مع عظمتها و كثرة أجزائها «أكبر»؛ أي: أعظم «من خلق الناس» و إن كان عظيماً. «لايعلمون» لعدولهم عن التفكّر و الاستدلال على صحّته. و المعنى: انّهم إذا أقرّوا بأنّ الله خلق السماء و الأرض، فكيف أنكروا قدرته على إحياء الموتى؟ ولكنّهم أعرضوا عن التدبّر.[٣]

[٥٨] «وَ مَا يَسْتَوِي الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ لَا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ».

«و ما يستوي الأعمى و البصير»: الغافل و المستبصر. «و الذين آمنوا». فينبغي أن

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٣ ـ ٣٤٤.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٢.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٣.

يكون لهم حال يظهر فيه التفاوت و هي فيما بعد البعث.[١]

«و ما يستوي الأعمى»؛ أي: لايستوي من أهمل نفسه و من تفكّر فعرف الحقّ. شبّه الذي لايتفكّر في الدلائل بالأعمى والذي يستدلّ بها بـالبصير. «و الذيـن آمـنوا»؛ أي: ما يستوي المؤمنون الصالحون و لا الكافر الفاسق في الكرامة و الإهانة و الهدى و الضلال. أهل الكوفة: «تتذكّرون» بالتاء، و الباقون بالياء.[٢]

«يتذكّرون»؛ أي: تذكّراً ما قليلاً يتذكّرون. و الضمير للناس أو الكفّار.[٣]

[٥٩] «إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ».

«إنّ الساعة»؛ أي: القيامة. «لايؤمنون»؛ أي: لايصدّقون بها لجهلهم بالله تعالى.[٤]

[٦٠] «وَ قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل قال له السائل: تقول: قال الله تعالى: «ادعـوني أستجب لكم». و قد يرى المضطرّ يدعوه فلايستجاب له. قال: ويحك! ما يدعوه واحد إلّا استجاب له. أمّا الظالم، فدعاؤه مردود إلى أن يتوب إليه. و أمّا المحقّ، فإنّه إذا دعاه استجاب له و صرف عنه البلاء من حيث لايعلم أو ادّخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته إليـه. و إن لم يكن الأمر الذي سأل العبد خيراً له إن أعطاه، أمسك عنه. و المؤمن العارف بالله ربما عزّ عليه أن يدعوه فيما لايدري صواب ذلك أم خطأ.[٥]

«أستجب لكم». يعني إذا اقتضت المصلحة إجابتكم. و كلّ من يسأل الله شيئاً، فلابدّ أن يشترط المصلحة في ذلك إمّا لفظاً أو إضماراً، و إلّا كان قبيحاً. لأنّه ربما كان داعياً لما فيه

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٤.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٣ و ٨٢٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٤.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٣.
٥ـ الاحتجاج / ٣٤٣.

مفسدة و لايشترط انتفاءها فيكون قبيحاً. «عن عبادتي»؛ أي: دعائي. «داخرين»؛ أي: صاغرين ذليلين. و عن أبي جعفرعليه السلام: انّ العبادة في هذه الآية الدعاء.(١)

عن الصادقعليه السلام: إذا أراد أحدكم أن لايسأل ربّه شيئاً إلّا أعطاه، فلييأس من الناس كلّهم و لايكون له رجاء إلّا عند الله عزّ و جلّ. فإذا علم الله ذلك من قلبه، لم يسأله شيئاً إلّا أعطاه.(٢)

عثمان بن عيسى، عمّن حدّثه، عن أبي عبداللهعليه السلام قال: آيتين في كتاب الله أطلبهما فلاأجدهما. قال: و ما هما؟ قلت: قول الله عزّ و جلّ: «ادعوني أستجب لكم». فندعوه فلانرى إجابة. قال: أ فترى الله عزّ و جلّ أخلف وعده؟ قلت: لا. قال: فممّ ذلك؟ قلت: لاأدري. قال: لكنّي أخبرك. من أطاع الله عزّ و جلّ فيما أمره، ثمّ دعاه من جهة الدعاء، أجابه. قلت: و ما جهة الدعاء؟ قال: تبدأ فتحمد الله و تذكر نعمه عليك، ثمّ تشكره، ثمّ تصلّي على النبيّصلى الله عليه وآله، ثمّ تذكر ذنوبك فتقرّ بها، ثمّ تستعيذ منها. فهذا جهة الدعاء.(٣)

و عنهعليه السلام: إنّ العبد الوليّ لله يدعو الله في الأمر ينوبه، فيقول للملك: اقض لعبدي حاجته و لاتعجّلها. فإنّي أشتهي أن أسمع نداءه و صوته. و إنّ العبد العدوّ لله ليدعو الله في الأمر ينوبه، فيقول للملك الموكّل: اقض حاجته و عجّلها. فإنّي أكره أن أسمع نداءه و صوته. فيقول الناس: ما أعطي هذا إلّا لكرامته، و لا منع هذا إلّا لهوانه.(٤)

و عنهعليه السلام: انّ المؤمن ليدعو الله [في] حاجته، فيقول الله: أخّروا إجابته، شوقاً إلى صوته و دعائه. فإذا كان يوم القيامة، يقول: عبدي، دعوتني فأخّرت إجابتك، و ثوابك كذا و كذا. قال: فيتمنّى المؤمن أنّه لم يستجب له دعوة في الدنيا ممّا يرى من حسن الثواب.(٥)

و عنهعليه السلام: من كانت له إلى الله حاجة، فليبدأ بالصلاة على محمّد و آله، ثمّ يسأل حاجته، ثمّ يختم بالصلاة على محمّد و آل محمّد. فإنّ الله أكرم من أن يقبل الطرفين و يدع

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٣.
٢ـ الكافي ٢ / ١٤٨.
٣ـ الكافي ٢ / ٤٨٦، ح ٨.
٤ـ الكافي ٢ / ٤٩٠، ح ٧.
٥ـ الكافي ٢ / ٤٩٠ ـ ٤٩١، ح ٩.

الوسط؛ إذ كانت الصلاة على محمّد و آل محمّد لاتحجب عنه.[١]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: من قرأ مائة آية من القرآن، من أيّ القرآن شاء، ثمّ قال: يـا الله ـ سبع مرّات ـ ثمّ دعا، فلو دعا على الصخرة، لقلعها إن شاء الله.[٢]

عن الكاظم عليه السلام: قال قوم للصادق عليه السلام: إنّا ندعو فلايستجاب لنا. قال: لأنّكم تدعون من لاتعرفونه.[٣]

[٦١] «اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ».

[٦٢] «ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ».

«ذلكم الله ربّكم». أي الذي أظهر هذه الدلالات و أنعم بهذه النعم. «فأنّى تؤفكون»؛ أي: فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع وضوح الدلالة على توحيده؟[٤]

[٦٣] «كَذٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ».

«كذلك»؛ أي: مثل ما صرف و أفك هؤلاء «يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون». و هم من تقدّمهم من الكفّار، صرفهم أكابرهم و رؤساؤهم.[٥]

[٦٤] «اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

«قراراً» تستقرّون عليه. «و السماء بناء» مرتفعاً فوقها. «فأحسن صوركم». لأنّ صورة ابن آدم أحسن صور الحيوان. لأنّه يأكل بيده و يتناول بيده، وكلّ ما خلق الله يتناول بفيه.

١ـ الكافي ٢ / ٤٩٤، ح ١٦.
٢ـ ثواب الأعمال / ١٣٠، ح ١.
٣ـ التوحيد / ٢٨٨ ـ ٢٨٩، ح ٧.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٤.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٤.

«ذلكم الله ربّكم»؛ أي: فاعل هذه الأشياء خالقكم. «فتبارك الله»؛ أي: جلّ الله بأنّه الدائم الثابت.[١]

[٦٥] «هُوَ الْحَيُّ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: إذا قال أحدكم: لا إله إلّا الله، فليقل: الحمد لله ربّ العالمين. فإنّ الله يقول: «هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله ربّ العالمين».[٢]

«الحمد لله ربّ العالمين». خبر فيه إضمار. كأنّه قال: ادعوه و احمدوه على هذه النعم و قولوا: الحمد لله ربّ العالمين.[٣]

[٦٦] «قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَ أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ».

«قل» ـ يا محمّد ـ للكفّار: إنّي نهاني الله عن عبادة الأصنام لمّا جاءني البراهين من الله دلّتني على ذلك. «أن أسلم»؛ أي: أستسلم لأمره.[٤]

[٦٧] «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّٰى مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

«من تراب»؛ أي: خلق أباكم من تراب و أنتم نسله و إليه ينتمون. «ثمّ من نطفة»: ثمّ أنشأ من ذلك الأصل الذي خلقه من تراب النطفة، و هي ماء الرجل و المرأة. «ثمّ من علقة». و هي قطعة من الدم. «طفلاً»؛ أي: [أطفالاً] واحداً بعد واحد. فلذلك ذكره بالتوحيد. قال يونس: العرب تجعل الطفل للواحد و الجمع. قال الله: «أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٤ ـ ٨٢٥.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٠.

٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٥.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٦.

النساء».[۱] «ثمّ لتبلغوا أشدّكم». و هو حال استكمال القوّة. «من يتوفّى من قبل»؛ أي: من قبل أن يصير شيخاً. «و لتبلغوا» [أي: ليبلغ] كلّ منكم ما سمّي له من الأجل الذي يموت عنده. و قيل: هذا للقرن الذي تقوم عليهم القيامة. و الأجل المسمّى هو القيامة. «تعقلون». أي: إنّه خلقكم لهذه الأغراض التي ذكرها و لكي تتفكّروا في ذلك.[۲]

قرأ نافع و أبوعمرو و حفص و هشام: «شيوخاً» بضمّ الشين. و [قرئ:] «شيخاً» كقوله: «طفلاً».[۳]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يؤتى بالشيخ يوم القيامة فيدفع إليه كتابه فلايرى إلّا مساوئ. فيطول ذلك عليه فيقول: يا ربّ أ تأمر بي إلى النار؟ فيقول الجبّار: يا شيخ، إنّي أستحيي أن أعذّبك و قد كنت تصلّي لي في دار الدنيا. اذهبوا بعبدي إلى الجنّة.[٤]

[٦٨] «هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

«يحيى و يميت»؛ أي: يحييكم و يميتكم. فأوّلكم من تراب و آخركم إلى تراب.[٥]

[٦٩] «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ».

«الذين يجادلون في آيات الله». يعني المشركين الذين يخاصمون في إبطال حجج الله. «أنّى يصرفون»؛ أي: إلى أين ينقلبون عن الطريق المستقيم إلى الضلال؟ و لو كانوا يخاصمون في آيات الله بالنظر في صحّتها و التفكّر فيها، لما ذمّهم الله.[٦]

[٧٠] «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَ بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ».

«كذّبوا بالكتاب»؛ أي: القرآن و جحدوه. «و بما أرسلنا به رسلنا»؛ أي: الكتب و

۱ـ النور (٢٤) / ٣١.
۲ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٦.
۳ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٥.
٤ـ الخصال / ٥٤٦، ح ٢٦.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٦.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٦.

الشرائع. «فسوف يعلمون» عاقبة أمرهم.(١)

[٧١ ـ ٧٢] «إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ السَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ».

«إذ الأغلال»؛ أي: يعلمون وبال أمرهم في حال تكون الأغلال في أعناقهم. «يسحبون في الحميم»؛ أي: يجرّون في الماء الحارّ الذي انتهت حرارته، «ثمّ في النار يسجرون»: يقذفون في النار. و قيل: يصيرون وقود النار.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بينما أنا و أبي متوجّهان إلى مكّة [و أبي] قد تقدّمني في موضع يقال له ضجنان، إذ جاء رجل في عنقه سلسلة يجرّها فقال لي: اسقني! اسقني! فصاح بي أبي: لاتسقه. لا سقاه الله! و رجل يتبعه حتّى جذب سلسلة و طرحه في أسفل درك من النار. و كان ذلك الرجل معاوية. و يقال: إنّ وادي ضجنان من أودية جهنّم.(٣)

[٧٣] «ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ».

«ثمّ قيل» لهؤلاء الكفّار إذا دخلوا النار على وجه التوبيخ: «أين ما كنتم تشركون»؛ أي: أين ما كنتم تزعمون أنّها تنفع و تضرّ من أصنامكم التي عبدتموها؟(٤)

عن أبي جعفر عليه السلام: «أين ما كنتم تشركون»؛ أي: أين إمامكم الذي اتّخذتموه دون الإمام الذي خلّفه الله لكم و للناس إماماً.(٥)

[٧٤] «مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ».

«ضلّوا عنّا»؛ أي: هلكوا ولا نقدر عليهم. ثمّ يستدركون و يقولون: «بل لم نكن ندعو

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٦.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٨.

٣ـ بصائر الدرجات / ٣٠٥، ح ٢.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٨.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦١.

من قبل شيئاً» يستحقّ العبادة و لا [ما] ينتفع بعبادته. و قيل: معناه: ضاعت عبادتنا لهم فلم نكن نصنع شيئاً إذ عبدناها. «كذلك يضلّ الله»؛ أي: كما أضلّ الله أعمال هؤلاء و أبطل ما كانوا يأملونه، كذلك يفعل بجميع من يتديّن بالكفر فلا ينتفعون بشيء من أعمالهم. و قيل: يضلّ الكافرين عن طريق الجنّة و الثواب، كما أضلّهم عمّا اتّخذوه إلهاً بأن صرفهم عن الطمع في منفعة من جهتها.(١)

«ضلّوا عنّا»؛ أي: غابوا عنّا. وذلك قبل أن يقرن به آلهتهم. أو: ضاعوا عنّا فلم نجد منهم ما كنّا نتوقّع منهم. «بل لم نكن»؛ أي: تبيّن لنا أن لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم. فإنّهم ليسوا شيئاً يعتدّ به. «كذلك»؛ أي: مثل هذا الضلال «يضلّ الله الكافرين» حتّى لا يهتدوا إلى شيء ينفعهم في الآخرة أو يضلّهم عن آلهتهم حتّى لو يطالبوا لم يتصادفوا.(٢)

[٧٥] «ذٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ».

«ذلكم» الإضلال. «تفرحون»: تبطرون و تتكبّرون. «بغير الحقّ». و هو الشرك و الطغيان. «تمرحون»: تتوسّعون في الفرح. و العدول إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ.(٣)

«ذلكم» العذاب الذي نزل بكم. «بغير الحقّ»؛ أي: بما كان يصيب أنبياء الله تعالى و أولياءه من المكاره.(٤)

[٧٦] «ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ».

«ادخلوا»؛ أي: يقال لهم: ادخلوا. «أبواب جهنّم». و هي سبعة أبواب. «فبئس مثوى المتكبّرين»؛ أي: بئس مقام الذين تكبّروا عن عبادة الله و تجبّروا عن الانقياد له.(٥)

[٧٧] «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٦.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٨.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٩.

يُرْجَعُونَ».

«فاصبر» يا محمّد على أذى قومك و تكذيبهم إيّاك. و معناه: اثبت على الحقّ. فسمّاه صبراً للمشقّة التي تلحق به كما تلحق بتجرّع المرّ. و لذلك لايوصف أهل الجنّة بالصبر و إن وصفوا بالثبات على الحقّ. «إنّ وعد الله» و هو ما وعده الله المؤمنين على الصبر من الثواب في الجنّة «حقّ» لا شكّ فيه. «بعض الذي نعدهم» من المعجّل من عذابهم في الدنيا. و هو بعض ما يستحقّون من العقاب. [«أو نتوفّينّك» قبل] أن يحلّ بهم ذلك. «فإلينا يرجعون» يوم القيامة فنفعل بهم ما يستحقّون من العقاب.(١)

«إنّ وعد الله» بهلاك الكفّار. «فإمّا نرينّك»: فإن نرك. و ما مزيدة لتأكيد الشرطيّة و لذلك لحقت النون الفعل و لاتلحق مع إن وحدها. «بعض الذي نعدهم». و هو القتل و الأسر. «أو نتوفّينّك» قبل أن تراه. «يرجعون» يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم. و هو جواب نتوفّينّك و جواب نرينّك محذوف مثل فذاك. و يجوز أن يكون جواباً لهما بمعنى: إن نعذّبهم في حياتك أو لم نعذّبهم، فإنّا نعذّبهم في الآخرة أشدّ العذاب.(٢)

[٧٨] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ».

ثمّ زاد في تسلية النبيّ بقوله: «و لقد أرسلنا». «قصصنا عليك» قصصهم و أخبارهم. «و منهم من لم نقصص عليك» أخبارهم. و عن عليّ عليه السلام: إنّ الله بعث نبيّاً أسود لم يقصّ علينا قصّته. و اختلفت الأخبار في عدد الأنبياء. فروى بعضهم أنّ عددها مائة ألف و أربعة و عشرون ألفاً. و في بعضها أنّ عددهم ثمانية آلاف؛ أربعة آلاف من بني إسرائيل و أربعة آلاف من غيرهم. «بآية»؛ أي: بمعجزة و دلالة. «إلّا بإذن الله» و أمره؛ أي: إنّ الإتيان

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٢٩ ـ ٨٣٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٦.

بالمعجزات ليس إلى الرسول، ولكنّه إلى الله تعالى يأتي بها على وجه المصلحة. «أمر الله». و هو القيامة. «قضي بالحقّ» بين المسلمين و الكفّار و الأبرار و الفجّار. «و خسر هنالك»: عند ذلك «المبطلون». لأنّهم يخسرون الجنّة و يحصلون النار بدلاً منها.(١)

«بإذن الله». فإنّ المعجزات عطايا قسّمها الله بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في إيثار بعضها و الاستبداد بإتيان المقترح بها. «المبطلون»: المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان في المدينة رجل بطّال يضحك الناس. فقال: قد أعياني هذا الرجل أن أضحكه. يعني عليّ بن الحسين عليهما السلام. [فمرّ عليّ عليه السلام] و خلفه موليان له، فجاء الرجل حتّى انتزع من رقبته رداءه ثمّ مضى. فلم يلتفت إليه عليّ بن الحسين عليهما السلام. فأتبعوه و أخذوا الرداء منه فجاؤوا به فطرحوه عليه. فقال لهم: من هذا؟ قالوا: هذا رجل يضحك أهل المدينة. فقال: قولوا له: إنّ لله يوماً يخسر فيه المبطلون.(٣)

[٧٩] «اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ».

«لتركبوا منها»؛ أي: لتنتفعوا بركوبها. «و منها تأكلون»؛ أي: إنّ بعضها للركوب و الأكل كالإبل و البقر و بعضها للأكل كالأغنام. و قيل: المراد بالأنعام الإبل خاصّة. و اللّام في قوله: «لتركبوا» لام الغرض.(٤)

[٨٠] «وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ لِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ».

«منافع» من جهة ألبانها و أصوافها و أوبارها. «حاجة» بأن تركبوها لتبلغوا المواضع

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٣٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

٣ـ أمالي الصدوق / ١٨٣، ح ٦.

٤ـ مجمع البيان ٨ / ٨٣٠.

التي تقصدونها. «و عليها و على الفلك». يعني على الإبل في البرّ و على الفلك في البحر.[١]

[٨١] «وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ».

«و يريكم» أيّها الكفّار «آياته» كإهلاك الأمم الماضية بكفرهم و خلق الأنعام و ما فيها من المنافع.[٢]

[٨٢] «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«و آثاراً»؛ أي: الأبنية العظيمة التي بنوها. «ما كانوا يكسبون»؛ أي: لم ينفعهم ما كسبوا من الأموال و البنيان و لم يدفع عنهم العذاب. و قيل: إنّ [ما في قوله:] «ما أغنى» بمعنى أيّ. فالمعنى: فأيّ شيء أغنى عنهم كسبهم؟ و يكون موضع ما الأولى نصباً و موضع الثانية رفعاً.[٣]

[٨٣] «فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ».

«فلمّا جاءتهم رسلهم بالبيّنات» أي فجحدوها، «فرحوا بما عندهم»؛ أي: فرح الرسل بما عندهم «من العلم» بذلك. و قيل: معناه: فرح الكفّار بما عندهم من العلم؛ أي: بما كان عندهم أنّه علم و هو جهل على الحقيقة. لأنّهم قالوا: نحن أعلم منهم و لانبعث و لانعذّب، و اعتقدوا أنّه علم، فأطلق لفظ العلم على اعتقادهم. كما قال: «حجّتهم داحضة».[٤] و قيل: معناه: فرحوا بالشرك الذي كانوا عليه و عجبوا به و ظنّوا أنّه علم و هو جهل و كفر. و المراد بالفرح شدّة الإعجاب. «و حاق بهم»؛ أي: حلّ بهم و نزل بهم جزاء استهزائهم برسلهم من

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٣٠.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٨٣١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٨٣١ ـ ٨٣٢.
٤ـ الشورى (٤٢) / ١٦.

العذاب.[١]

«فرحوا بما عندهم من العلم». أراد العلم الوارد على طريق التهكّم في قوله: «بل ادّارك علمهم في الآخرة».[٢] و علمهم في الآخرة أنّهم كانوا يقولون: لانعذّب و لانبعث. «و ما أظنّ السّاعة قائمة و لئن رددت إلى ربّي لأجدنّ خيراً منها منقلباً».[٣] و كانوا يفرحون بذلك و يدفعون به البيّنات و علم الأنبياء. كما قال: «كلّ حزب بما لديهم فرحون».[٤] أو يريد به علم الفلاسفة و الدهريّين من بني يونان و كانوا إذا سمعوا بوحي الله، دفعوه و صغّروا علم الأنبياء إلى علمهم. و عن سقراط أنّه سمع بموسى عليه السلام و قيل له: لو هاجرت [إليه]. فقال: نحن قوم مهذّبون. فلا حاجة لنا إلى من يهذّبنا. [و] يجوز أن يجعل الفرح للرسل و معناه: انّ الرسل لمّا رأوا جهلهم المتمادي و استهزاءهم بالحقّ و علموا سوء عاقبتهم و ما يلحقهم من العقوبة على جهلهم و استهزائهم، فرحوا بما أوتوا من العلم و شكروا الله عليه.[٥]

[٨٤] «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ».

عن جعفر بن رزق[٦] قال: قدّم إلى المتوكّل رجل نصرانيّ فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحدّ، فأسلم. فاختلف فيه فقهاؤهم. فأمر المتوكّل بالكتاب إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام و سأله عن ذلك. فلمّا قرأ الكتاب كتب: يضرب حتّى يموت. فأنكره فقهاء العسكر فقالوا: يا أميرالمؤمنين، اسأله عن هذا. فإنّه شيء لم ينطق به كتاب الله. فسأله عن ذلك، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. «فلمّا رأوا بأسنا» ـ الآية. فأمر به المتوكّل فضرب حتّى مات.[٧]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٣٢.
٢ـ النمل (٢٧) / ٦٦.
٣ـ الكهف (١٨) / ٣٦.
٤ـ الروم (٣٠) / ٣٢.
٥ـ الكشّاف ٤ / ١٨٢.
٦ـ المصدر: رزق الله.
٧ـ الكافي ٧ / ٢٣٨، ح ٢.

«بأسنا»؛ أي: عذابنا النازل بهم. «و كفرنا بما كنّا به مشركين»؛ أي: كفرنا بالأصنام و الأوثان.[١]

[٨٥] «فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ».

«لمّا رأوا بأسنا». لأنّهم يصيرون بذلك ملجئين إلى الإيمان. «سنّة الله». نصب على المصدر. أي: سنّ الله هذه السنّة في الأمم الماضية أن لاينفعهم إيمانهم إذا رأوا العذاب. و المراد بالسنّة هنا الطريقة المستمرّة من فعله بأعدائه.[٢]

عن الهمدانيّ قال: قلت لأبي الحسن الرضاؑ: لأيّ علّة غرّق الله فرعون و قد آمن به و أقرّ بتوحيده؟ قال: لأنّه آمن عند رؤية البأس. و الإيمان عند رؤية البأس غير مقبول. و ذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف و الخلف. قال الله: «فلمّا رأوا بأسنا» إلى: «الكافرون». و هكذا فرعون لمّا أدركه الغرق قال: «آمنت أنّه لا إله إلّا الذي آمنت به بنوإسرائيل و أنا من المسلمين». فقيل له: «آلآن و قد عصيت» ـ الآية[٣].[٤]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٨٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٨٣٢.
٣ـ يونس (١٠) / ٩١.
٤ـ عيون الأخبار ٢ / ٧٦، ح ٧.

٤١.
سورة فصّلت

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ حم السجدة، كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره و سروراً، و عاش في الدنيا محموداً مغبوطاً.[١]

و عنه صلى الله عليه وآله: من قرأ حم السجدة، أعطي بعدد كلّ حرف منها عشر حسنات.[٢]

فصّلت: من كتبها بماء المطر و محاها و سحق بمائها كحلاً و اكتحل به، نفع من الرمد و البياض و أوجاع العين.[٣]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَ نَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ».

عن الصادق عليه السلام: و أمّا «حم» فمعناه: الحميد المجيد.[٤]

إن جعلت «حم» اسماً للسورة، كانت في موضع المبتدأ و «تنزيل» خبره. و إن جعلتها تعديداً للحروف، كان «تنزيل» خبراً لمبتدأ محذوف و «كتاب» بدل من «تنزيل» أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف. و جوّز الزجّاج أن يكون «تنزيل» مبتدأ و «كتاب» خبره لتخصيصه بالصفة. «فصّلت آياته»: ميّزت و جعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام و أمثال و مواعظ و وعد و وعيد و غير ذلك.[٥]

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٠، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣.
٣ـ المصباح / ٦١٠.
٤ـ معاني الأخبار / ٢٢، ح ١.
٥ـ الكشّاف ٤ / ١٨٤.

«قرآناً». نصبت قرآناً على الحال بمعنى: بيّنت آياته في حال جمعه و «بشيراً و نذيراً» من صفته. «لقوم يعلمون» اللّسان العربيّ و يعجزون عن مثله فيعرفون إعجازه. و قيل: يعلمون أنّ القرآن من عند الله. «فأعرض أكثرهم». يعني أهل مكّة عدلوا عن الايمان. «فهم لايسمعون» سماع قبول فكأنّهم لايسمعونه حقيقة.[١]

[٥] « وَ قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ».

«في أكنّة»؛ أي: في أغطية. «ممّا تدعونا إليه» فلانفقه ما تقول. و إنّما قالوا ذلك ليؤيسوا النبيّ من قبولهم دينه. فكأنّهم شبّهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلايصل إليه شيء ممّا وراءه. «وقر»؛ أي: ثقل عن استماع القرآن و صمم. «حجاب»؛ أي: بيننا و بينك فرقة في الدين و حاجز في النحلة فلانوافقك على ما تقول. و قيل: إنّه تمثيل بالحجاب ليؤيسوه من الإجابة. «فاعمل إنّنا عاملون». قيل: إنّ أباجهل رفع ثوباً بينه و بين النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد، أنت من ذلك الجانب و نحن من هذا الجانب. فاعمل أنت على دينك و مذهبك و إنّنا عاملون على ديننا. و قيل: معناه: فاعمل في هلاكنا؛ إنّنا عاملون في هلاكك. و قيل: فاعمل في إبطال أمرنا؛ إنّنا عاملون في إبطال أمرك. و هذا غاية في العناد.[٢]

فإن قلت: هل لزيادة «من» في قوله «ومن بيننا و بينك حجاب» فائدة؟ قلت: نعم. لأنّه لو قيل: بيننا و بينك حجاب، لكان المعنى أنّ حجاباً حاصل وسط الجهتين؛ و أمّا بزيادة «من» فالمعنى أنّ الحجاب ابتدأ منّا وابتدأ منك فالمسافة المتوسّطة لجهتنا و جهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها.[٣]

[٦ ـ ٧] « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٤ ـ ٥.

٣ـ الكشّاف ٤ / ١٨٥ ـ ١٨٦.

اسْتَغْفِرُوهُ وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ».

ثمّ قال لنبيّه: «قل» يا محمّد لهؤلاء الكفّار: «إنّما أنا بشر مثلكم» من ولد آدم. و إنّما خصّني الله بنبوّته و ميّزني منكم بالوحي. و لولا الوحي ما دعوتكم. «فاستقيموا إليه»؛ أي: لاتميلوا عن سبيله و توجّهوا إليه بالطاعة. «و استغفروه» من الشرك. [«الذين لايؤتون الزكاة»؛ أي: الزكاة المفروضة. و قيل: معناه: لايطهّرون أنفسهم من الشرك] بقول «لا إله إلّا الله». فإنّها زكاة الأنفس. و قال الفرّاء: الزكاة في هذا الموضع أنّ قريشاً كانت تطعم الحاجّ و تسقيهم فحرّموا ذلك على من آمن بمحمّد ﷺ. «و هم بالآخرة»؛ أي: و مع ذلك ينكرون البعث.[1]

فإن قلت: من أين كان قوله: «إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ» جواباً لقولهم: «قلوبنا في أكنّة»؟ قلت: من حيث إنّه قال لهم: لست بملك. و إنّما أنا بشر مثلكم و قد أوحي إليّ دونكم. و إذا صحّت نبوّتي، وجب عليكم اتّباعي. و فيما يوحى إليّ أنّ إلهكم إله واحد. «فاستقيموا إليه»: فاستووا إليه بالتوحيد و إخلاص العبادة غير ذاهبين يميناً و لا شمالاً و لا ملتفتين إلى ما يسوّل لكم الشيطان من اتّخاذ الأولياء و الشفعاء. فإن قلت: لم خصّ من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة؟ قلت: لأنّ أحبّ الأشياء إلى الإنسان ماله و هو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله، فذاك أقوى دليل على ثباته و استقامته و صدق نيّته. و فيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة و تخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين.[2]

عن أبان قال: قال أبوعبدالله ؑ: يا أبان، أ ترى أنّ الله طلب من المشركين زكاة أموالهم و هم يشركون به حيث يقول: «الذين لايؤتون الزكاة»؟ ثمّ قال: معناه: ويل للمشركين الذين أشركوا بالإمام الأوّل و هم بالأئمّة الآخرين كافرون. يا أبان، إنّما دعا الله العباد إلى

١ـ مجمع البيان ٩ / ٥ ـ ٦.

٢ـ الكشّاف ٤ / ١٨٦ ـ ١٨٧.

الإيمان به. فإذا آمنوا بالله و برسوله، افترض عليهم الفرائض.(١)

[٨] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ».

«آمنوا»؛ أي: صدّقوا بالآخرة من الثواب و العقاب. «غير ممنون»؛ أي: لهم جزاء غير مقطوع. و يجوز أن يكون معناه أنّه لا أذى فيه. من المنّ الذي يكدّر الصنيعة.(٢)

قيل: نزلت في المرضى و الزمنى و الهرمى؛ إذا عجزوا عن الطاعة، كتب لهم الأجر كأصحّ ما كانوا يعملون.(٣)

[٩] «قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

«قل» يا محمّد لهم على وجه الإنكار عليهم: «أ إنّكم لتكفرون». و هو استفهام تعجّب. أي: كيف تستجيزون أن تكفروا نعمة من خلق الأرض في مقدار يومين. عن النبيّ ﷺ قال: إنّ الله خلق الأرض في يوم الأحد و الاثنين. و خلق الجبال يوم الثلاثاء. و خلق الشجرة و الماء و العمران و الخراب يوم الأربعاء. فتلك أربعة أيّام. و خلق يوم الخميس السماء. و خلق يوم الجمعة الشمس و القمر و النجوم و الملائكة و آدم. «و تجعلون له أنداداً»؛ أي: أمثالاً و أشباهاً تعبدونهم. «ذلك» الذي خلق الأرض في يومين، خالق العالمين و مالك التصرّف فيهم.(٤)

و قوله: « في يومين»؛ أي: وقتين، ابتداء الخلق و انقضائه.(٥)

[١٠] «وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٢.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٨٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٦ ـ ٧.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٢.

«و جعل» في الأرض «رواسي»؛ أي: جبالاً راسيات ثابتات من فوق الأرض. «و بارك فيها» بما خلق فيها من المنافع. و قيل: بأن أنبت شجرها من غير غرس و أخرج نبتها من غير زرع و بذر و أودعها ما ينتفع به العباد. «و قدّر» في الأرض أرزاق أهلها. أو: قدّر في كلّ بلدة ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد. «في أربعة أيّام»؛ أي: في تتمّة أربعة أيّام حين ابتدأ الخلق. فاليومان الأوّلان داخلان فيها. «سواء للسائلين»؛ أي: مستوية كاملة من غير زيادة و لا نقصان للسائلين عن مدّة خلق الأرض. و قيل: معناه: للّذين يسألون أرزاقهم و يطلبون أقواتهم. فإنّ كلّاً يطلب القوت و يسأله. أبوجعفر: «سواء» بالرفع، و يعقوب بالجرّ، و الباقون بالنصب. بالرفع خبر مبتدأ محذوف. أي: هي سواء. و من قرأ بالجرّ، جعله صفة للأيّام. أي: مستويات تامّات. و أمّا النصب، فعلى المصدر. أي: استوت سواء و استواء.[١]

«أربعة أيّام سواء». فذلكة لمدّة خلق الأرض و ما فيها. كأنّه قال: كلّ ذلك في أربعة أيّام مستوية كاملة بلا زيادة و لا نقصان.[٢]

[١١] «ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ».

«إلى السماء». يفيد أنّه خلق السماء بعد خلق الأرض و خلق الأقوات فيها. و في موضع آخر: «و الأرض بعد ذلك دحاها».[٣] فيكون الفائدة فيه أنّ الأرض كانت مخلوقة غير مدحوّة فلمّا خلق الله السماء دحا بعد ذلك الأرض و بسطها.[٤]

«ثمّ استوى»؛ أي: قصد نحوها. من قولهم: استوى إلى مكان كذا، إذا توجّه إليه توجّهاً لايلوي على غيره. و الظاهر أنّ ثمّ لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي إلى المدّة؛ لقوله: «و الأرض بعد ذلك دحاها» و دحوها متقدّم على خلق الجبال من فوقها. «و هي دخان»: أمر

١ـ مجمع البيان ٩ / ٦ ـ ٧ و ٥.
٢ـ الكشّاف ٤ / ١٨٨.
٣ـ النازعات (٧٩) / ٣٠.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٨.

ظلماني. و لعلّه أراد مادّتها أو الأجزاء المتصغّرة التي ركّبت منها. «ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير و التأثّر و أبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة و الكائنات المتنوّعة «طوعاً أو كرهاً»: شئتما ذلك أو أبيتما. و المراد إظهار كمال قدرته و وجوب وقوع مراده لا إثبات الطوع و الكره لهما. و هما مصدران وقعا موقع الحال. «طائعين»؛ أي: منقادين بالذات. و الأظهر أنّ المراد تصوير تأثير قدرته فيهما و تأثّرهما بالذات عنها و تمثيلها بأمر المطاع و إجابة المطيع الطائع؛ كقوله: «كن فيكون».[1] و ما قيل: إنّه تعالى خاطبهما و أقدرهما على الجواب، ممكن كما لا يخفى.[2]

«و هي دخان». عن أبي عبدالله عليه السلام: كان عرشه على الماء، و الماء على الهواء، و الهواء لا يحدّ. و لم يكن يومئذ خلق غيرهما. و الماء يومئذ عذب فرات. فلمّا أراد أن يخلق الأرض، أمر الرياح فضربت الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحا الأرض من تحته. فقال الله: «إنّ أوّل بيت وضع للناس للّذي ببكّة».[3] ثمّ مكث الربّ ما شاء. فلمّا أراد أن يخلق السماء، أمر الرياح فضربت البحور حتّى أزبدتها فخرج من ذلك الموج و الزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء و جعل فيها البروج و النجوم. و كانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر و كانت الأرض غبراء على لون الماء العذب.[4]

سئل أبو الحسن الرضا عليه السلام عمّن كلّم الله لا من الجنّ و لا من الإنس، فقال: السموات و الأرض في قوله: «ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين».[5]

عن أبي جعفر عليه السلام: كان عرشه على الماء. فأمر عزّ و جلّ الماء فاضطرم ناراً. ثمّ أمر النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان. فخلق السموات من ذلك الدخان و خلق الأرض من الرماد.[6]

١ـ البقرة (٢) / ١١٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤٩ ـ ٣٥٠.
٣ـ آل عمران (٣) / ٩٦.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٦٩ ـ ٧٠.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٣.
٦ـ الكافي ٨ / ٩٥، ح ٦٨.

[١٢] «فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ حِفْظاً ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ».

«فقضاهنّ»؛ أي: صنعهنّ و أحكمهنّ و فرغ من خلقهنّ: «في يومين»: يوم الخميس و يوم الجمعة. و سمّي جمعة لأنّه جمع فيه خلق السموات و الأرض. «و أوحى في كلّ سماء أمرها»؛ أي: خلق فيها ما أراده من ملك و غيره. أو: أمر في كلّ سماء بما أراد. «بمصابيح». سمّي الكواكب مصابيح لأنّها يهتدى بها. كقوله: «و بالنجم هم يهتدون».[١] «و حفظاً»؛ أي: حفظناها حفظاً من استماع الشياطين. «العزيز»؛ أي: لايمتنع عليه شيء في ملكه.[٢]

[١٣] «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ».

«فإن أعرضوا» عن الإيمان بك بعد هذا البيان «فقل» لهم: «أنذرتكم صاعقة»؛ أي: عذاباً. و الصاعقة: اسم للنار التي تنزل من السماء.[٣]

[١٤] «إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللّٰهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ».

«إذ جاءتهم». متعلّق بصاعقة. أي: نزلت بهم حين جاءتهم الرسل من قبلهم و من بعدهم. عن ابن‌عبّاس: يعني الرسل الذين جاؤوا آباءهم و الذين جاؤوهم أنفسهم لأنّهم كانوا خلف من جاء آباءهم من الرسل. فيكون الهاء و الميم في خلفهم للرسل. و قيل معناه: انّ منهم من تقدّم زمانهم و منهم من تأخّر. و يكون المعنى: أتتهم أخبار الرسل من هاهنا و من هاهنا. «ألّاتعبدوا»؛ أي: أرسلناهم بأن لاتعبدوا. قال المشركون عند ذلك: «لو شاء ربّنا» أن نؤمن «لأنزل ملائكة» تدعونا إلى ذلك و لم‌يبعث بشراً مثلنا. ثمّ كفروا بالرسل و بما جاؤوا به.[٤]

١ـ النحل (١٦) / ١٦.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٩.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٩.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ٩.

«من بين أيديهم و من خلفهم»: من جميع جوانبهم و اجتهدوا بهم من كلّ جهة، أو من جهة الزمان الماضي بالإنذار عمّا جرى فيه [على] الكفّار [و] من جهة المستقبل بالتحذير عمّا أعدّ لهم في الآخرة. فكلّ من اللّفظين يحتملها. أو: من قبلهم و من بعدهم، إذ بلغهم خبر المتقدّمين و أخبرهم هود و صالح عن المتأخّرين داعين إلى الإيمان بهم أجمعين. و يحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة؛ كقوله: «يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان»(١).(٢)

روي أنّ أباجهل قال في ملأ من قريش: قد التبس علينا أمر محمّد. فلو طلبتم لنا رجلاً عالماً بالشعر و الكهانة و السحر فكلّمه ثمّ أخبرنا عن حقيقة أمره. فقال عتبة: أنا عالم بالثلاثة. فأتى و قال: يا محمّد، لم تشتم آلهتنا؟ فإن كنت تريد الرئاسة، عقدنا لك اللّواء فكنت رئيسنا. و إن كنت تريد الباه، زوّجناك عشرة نسوة من أيّ بنات قريش اخترت. و رسول الله ﷺ ساكت. فلمّا فرغ قال: بسم الله الرّحمن الرّحيم. «حم» إلى: «مثل صاعقة عاد و ثمود». فأمسك عتبة على فيه و ناشده بالرحم و رجع إلى أهله و قال: لقد كلّمته فأجابني بشيء ـ و الله ـ ما هو بشعر و لا كهانة و لا سحر. و لمّا بلغ «صاعقة عاد و ثمود» أمسكت بفيه و ناشدته بالرحم أن يكفّ. و قد علمت أنّ محمّداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب.(٣)

[١٥] «فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ».

ثمّ فصّل سبحانه أخبارهم فقال: «فأمّا عاد فاستكبروا» فعتوا في الأرض بغير حقّ جعله الله لهم. «من أشدّ منّا قوّة». اغترّوا بقوّتهم لمّا هدّدهم هود بالعذاب فقالوا: نحن نقدر على دفعه بفضل قوّتنا. فردّ الله عليهم بأنّ الذي خلقهم أشدّ قوّة منهم.(٤)

١ـ النحل (١٦) / ١١٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ١٩٣.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٩ ـ ١٠.

[١٦] «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزىٰ وَ هُمْ لَا يُنْصَرُونَ».

«ريحاً صرصراً»؛ أي: عاصفاً شديد الصوت. و قيل: هي الباردة. من الصرّ و هو البرد. قال الفرّاء: هي الباردة تحرق كما تحرق النار. «نحسات»؛ أي: نكدات مشؤومات ذوات نحوس. و قيل: نحسات: باردات. و العرب تسمّى البرد نحساً. «لنذيقهم»؛ أي: فعلنا ذلك بهم لنذيقهم عذاب الهوان و الذلّ. «و هم لاينصرون»؛ أي: لايدفع عنهم العذاب الذي ينزل.(١)

الحجازيّان و البصريّان: «نحسات» بالسكون على التخفيف أو النعت على فعل أو الوصف بالمصدر. قيل: كنّ آخر شوّال من الأربعاء إلى الأربعاء. ما عذّب قوم إلّا في يوم الأربعاء.(٢)

[١٧] «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمىٰ عَلَى الْهُدىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«فهديناهم»؛ أي: دللناهم و بيّنّا لهم الحقّ فاختاروا العمى في الدين على قبول الهدى. و «الهون»؛ أي: ذي الهون، و هو الذي يهينهم و يخزيهم. و قد قيل: إنّ كلّ عذاب صاعقة لأنّ كلّ من يسمعها يصعق لها. «بما كانوا يكسبون» من تكذيبهم صالحاً و عقرهم الناقة.(٣)

«صاعقة العذاب»: داهية العذاب. و «الهون»: الهوان. وصف به العذاب مبالغة، أو بدل منه. و لو لم يكن في القرآن حجّة على القدريّة الذين هم مجوس هذه الأمّة [إلّا هذه الآية] لكفى بها حجّة.(٤)

[١٨] «وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ١١ ـ ١٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥١.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٢.

٤ـ الكشّاف ٤ / ١٩٤.

«و نجّينا» صالحاً و من آمن به من العذاب.(١)

[١٩] «وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ».

«يوزعون»؛ أي: يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا و لايتفرّقوا. و المعنى: إذا حشروا وقفوا. نافع: «نحشر» بالنون «أعداء الله» بالنصب. و الباقون بالياء و «أعداء الله» بالرفع.(٢)

[٢٠] «حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

«حتّى إذا جاؤوها»؛ أي: جاؤوا النار التي حشروا إليها «شهد عليهم سمعهم» بما قرعه من الدعاء إلى الحقّ فأعرضوا عنه و لم يقبلوه «و أبصارهم» بما رأوا من الآيات الدالّة على وحدانيّة الله فلم يؤمنوا «و جلودهم» بما باشروا من المعاصي و الأفعال القبيحة. و قيل في شهادة الجوارح قولان. أحدهما: انّ الله يبنيها بنية الحيّ و يلجئها إلى الاعتراف و الشهادة بما فعل أصحابها. و الآخر: انّ الله يفعل فيها الشهادة، و إنّما أضاف الشهادة إليها مجازاً. و قيل في ذلك وجه ثالث؛ و هو أنّه يظهر فيها أمارات دالّة على كون أصحابها مستحقّين للنار، فسمّي ذلك شهادة مجازاً. و قيل: إنّ المراد هنا بالجلود الفروج على طريق الكناية. عن ابن عبّاس و المفسّرين.(٣)

فإن قلت: «ما» في قوله: «حتّى إذا ما جاؤوها» ما هي؟ قلت: مزيدة للتأكيد. و معنى التأكيد فيها أنّ وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم و لا وجه لأن يخلو منها.(٤)

«سمعهم و أبصارهم» ـ الآية. نزلت في قوم تعرض عليهم أعمالهم فينكرونها فيقولون: ما علمنا شيئاً منها، فتشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم أعمالهم. قال الصادق عليه السلام:

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٢.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٢ و ١٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٩٥.

فيقولون: يا ربّ ملائكتك يشهدون لك. ثمّ يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً. و هو قول الله: «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم».(١) و هم الذين غصبوا أميرالمؤمنين عليه السلام. فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم و ينطق جوارحهم، فيشهد السمع بما سمع ممّا حرّم الله عليه، و يشهد البصر بما نظر إليه إلى ما حرّم الله و تشهد اليدان بما أخذا فيما حرّم الله، و يشهد الرجلان بما سعتا فيما حرّم الله، و يشهد الفرج بما ارتكب من المحرّمات. ثمّ أنطق الله ألسنتهم، فيقولون هم لجلودهم: «لم شهدتم علينا» ـ الآية. و يعني بالجلود الفروج.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام: و ليست تشهد الجوارح على المؤمن. إنّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب. فأمّا المؤمن فيعطى كتابه بيمينه. قال الله: «فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم و لا يظلمون فتيلاً».(٣) (٤)

[٢١] «وَ قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

«و قالوا لجلودهم»: و قال الكفّار لجلودهم و أعضائهم يعاتبونهم: «لم شهدتم علينا»؟ ثمّ قال الله: «و هو خلقكم أوّل مرّة و إليه ترجعون» في الآخرة إلى حيث لا يملك أحد الأمر و النهي. و ليس هذا من جواب الجلود.(٥)

«أنطقنا الله الذي أنطق». و المعنى: انّ نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كلّ حيوان و على خلقكم و إنشائكم أوّل مرّة و على إعادتكم و رجعتكم إلى جزائه.(٦)

عن أميرالمؤمنين في حديث طويل يقول فيه حاكياً حال أهل المحشر: ثمّ يجتمعون في موضع

١ـ المجادلة (٥٨) / ١٨.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٤.
٣ـ الإسراء (١٧) / ٧١: «فمن أوتي كتابه...».
٤ـ الكافي ٢ / ٣٢، ح ١.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٤.
٦ـ الكشّاف ٤ / ١٩٥.

آخر فيستنطقون فيه فيقولون: «و الله ربّنا ماكنّا مشركين».[١] فيختم الله على أفواههم و يستنطق الأيدي و الأرجل و الأبصار و الجلود، فتشهد بكلّ عمل و معصية كانت منهم ثمّ يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: «لم شهدتم» ـ الآية.[٢]

[٢٢] «وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لَا أَبْصَارُكُمْ وَ لَا جُلُودُكُمْ وَ لٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ».

«و ما كنتم تستترون أن يشهد»؛ أي: من أن يشهد عليكم سمعكم؛ أي: لم يتهيّأ لكم أن تستروا أعمالكم عن هذه الأعضاء، لأنّكم كنتم بها تعملون. فجعلها الله شاهدة عليكم في القيامة. و قيل: معناه: و ماكنتم تتركون المعاصي حذراً أن تشهد عليكم جوارحكم. لأنّكم ماكنتم تظنّون ذلك. «ولكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيراً ممّا تعملون» لجهلكم بالله، فهان عليكم ارتكاب المعاصي لذلك. و يجوز أن يكون المعنى: انّكم عملتم عمل من ظنّ أن عمله يخفى على الله. كما يقال: أهلكت نفسي؛ أي: عملت عمل من أهلك النفس. و قيل: إنّ الكفّار كانوا يقولون: [إنّ الله] لايعلم ما في أنفسكم ولكن يعلم ما يظهر.[٣]

«و ماكنتم تستترون». [المعنى: انّكم كنتم تستترون] بالحيطان و الحجب عند ارتكاب الفواحش، و ماكان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم، لأنّكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم، بل كنتم جاحدين للبعث و الجزاء، ولكنّكم إنّما استترتم لظنّكم أنّ الله لايعلم كثيراً ممّا كنتم تعملون و هو الخفيّات من أعمالكم.[٤]

عن أميرالمؤمنين في وصيّته لابنه محمّد بن الحنفيّة: يا بنيّ لاتقل ما لاتعلم، بل لاتقل كلّ ما تعلم. فإنّ الله قد فرض على جوارحك كلّها فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة. إلى قوله: و قال عزّ وجلّ: «و ماكنتم تستترون» ـ الآية.[٥]

١ـ الأنعام (٦) / ٢٣.
٢ـ التوحيد / ٢٦١، ح ٥.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٤.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٩٦.
٥ـ الفقيه ٢ / ٦٢٦.

[٢٣] «وَ ذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

«ذلكم ظنّكم». ذلكم مبتدأ، و ظنّكم خبره، و أرداكم خبر ثان. و المعنى: و ظنّكم الذي ظننتم بربّكم أنّه لايعلم كثيراً ممّا تعملون أهلككم إذ هوّن عليكم أمر المعاصي و أدّى بكم إلى الكفر، فظللتم من الخاسرين. قال الصادق عليه السلام: ينبغي للمؤمن أن يخاف الله خوفاً كأنّه يشرف على النار و يرجوه رجاء كأنّه من أهل الجنّة. إنّ الله يقول: «ذلكم ظنّكم الذي ظننتم بربّكم». [ثمّ] قال: إنّ الله عند ظنّ عبده [به]. إن خيراً فخير، و إنّ شرّاً فشرّ.(١)

«و ذلكم ظنّكم الذي ظننتم بربّكم». و هو أنّه سبحانه لايعلم كثيراً من أعمالكم المخفيّة. و عن ابن مسعود قال: كنت مستتراً بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيّان و قرشيّ. فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال آخر: إذا رفعنا أصواتنا سمع و إلّا لم يسمع. و قال آخر: إن كان يسمع إذا رفعنا أصواتنا، يسمع إذا خفضنا. فذكرت ذلك للنبيّ صلى الله عليه و آله فنزل: «و ماكنتم تستترون» ـ الآية. قال مؤلّف هذا الكتاب: إذا كان هذا وعيد من ظنّ أنّه يمكن إخفاء بعض الأعمال من الله بالاستتار و الحجب، فما ظنّكم بوعيد من جزم أنّه سبحانه غير عالم بالجزئيّات؟(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ آخر عبد يؤمر به إلى النار، فإذا أمر به، التفت. فيقول الجبّار: ردّوه. فيردّونه. فيقول له: لم التفتّ؟ فيقول: ياربّ لم يكن ظنّي بك هكذا. فيقول: و ما كان ظنّك بي؟ فيقول: كان ظنّي بك أن تغفر خطيئتي و أن تسكنني جنّتك. فيقول الجبّار: يا ملائكتي، لا و عزّتي و جلالي، ما ظنّ بي عبدي هذا ساعة من خير قطّ. و لو ظنّ بي ساعة من خير ما روّعته بالنار. أجيزوا [له] كذبه و أدخلوه الجنّة. ثمّ قال رسول الله: ليس من عبد يظنّ بالله خيراً إلّا كان عند ظنّه به. و ذلك قول الله: «و ذلكم ظنّكم».(٣)

[٢٤] «فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَ إِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٤.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢٤ / ٨٠ ـ ٨٢.
٣ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

«فإن يصبروا»: فإن يصبر هؤلاء على النار. و ليس المراد به الصبر المحمود ولكنّه الإمساك عن إظهار الشكوى و عن الاستغاثة. «فالنار» مسكن لهم. و إن طلبوا العتبى و سألوا الله أن يرضى عنهم و ليس لها طريق إلّا الإعتاب، فما هم ممّن يقبل عذرهم و يرضى عنهم. و المعتب: الذي يقبل عتابه و يجاب إلى ما سأل. و قيل: معناه: إن يستغيثوا، فما هم من المغاثين.[١]

[٢٥] «وَ قَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ».

«و قيّضنا لهم»؛ أي: هيّأنا لهم قرناء من الشياطين. أي: بدّلناهم قرناء سوء من الجنّ و الإنس مكان قرناء الصدق الذين أمروا بمقارنتهم فلم يفعلوا. بيّن الله سبحانه أنّما فعل ذلك عقوبة لهم على مخالفتهم. و نظيره: «و من يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين».[٢] و قيل: معناه: خلّينا بينهم و بين قرناء السوء بما استوجبوه من الخذلان «فزيّنوا لهم مابين أيديهم» من أمر الدنيا حتّى آثروه «و ما خلفهم» من أمر الآخرة فقالوا: لا جنّة و لا نار و لا بعث و لا حساب. و قيل: مابين أيديهم ما قدّموه من أفعالهم السيّئة حتّى ارتكبوها. و ما خلفهم ما سنّوه لغيرهم ممّن يأتي بعدهم. «و حقّ»؛ أي: وجب عليهم العذاب بعصيانهم.[٣]

[٢٦] «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ».

«و قال الذين كفروا»؛ أي: قال رؤساؤهم لأتباعهم: لاتصغوا إلى القرآن الذي يقرأ محمّد و عارضوه باللّغو و الباطل [و] ما لايعتدّ به من الكلام، لعلّكم تغلبوه باللّغو و لايتمكّن أصحابه من الاستماع. و قيل: الغوا فيه بالتخليط في القول و المكاء و الصفير

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٤ ـ ١٥.
٢ـ الزخرف (٤٣) / ٣٦.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٥.

و ارفعوا أصواتكم في وجهه بالشعر و الرجز. لمّا عجزوا عن معارضة القرآن، احـتالوا في اللّبس على غيرهم و تواصوا بترك استماعه و الإلغاء عن قراءته.(١)

[٢٧] «فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«عذاباً شديداً». أي في الدنيا بالقتل و الأسر و في الآخرة نجزيهم بأسوأ الذي كانوا يعملون؛ أي: بأقبح الجزاء على أقبح معاصيهم و هو الكفر و الشرك. و خصّ الأسوأ بالذكر للمبالغة في الزجر.(٢)

[٢٨] «ذٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ».

«ذلك»؛ أي: ما تقدّم الوعيد به. «بآياتنا» يعني القرآن. «يجحدون» بأنّه من عند الله.(٣)

[٢٩] «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ».

«و قال الذين كفروا»؛ أي: سيقولون و هم في النار. «من الجنّ و الإنس». يعني إبليس الأبالسة و قابيل بن آدم أوّل من أبدع المعصية. روي ذلك عن عليّعليه السلام. و قيل: المراد بذلك كلّ من دعا إلى الكفر و الضلال من الجنّ و الإنس. و المراد باللّذين الجنس من الجـنّ و الإنس. «نجعلهما تحت أقدامنا». تمنّوا لشدّة بغضهم لهم بما أضلّوهم أن يجعلوهم تحت أقدامهم في الدرك الأسفل من النار. و قيل: المراد: ندوسهما و نطؤهما تحت أقدامنا إذلالاً لهـما. أو ليكونا أشدّ عذاباً منّا.(٤)

«منّ الجنّ و الإنس». قال العالمعليه السلام: من الجنّ إبليس الذي أرى على قتل رسول الله في

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٧.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٧.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٧.

دار الندوة و أضلّ الناس بالمعاصي و جاء بعد وفاة رسول الله إلى أبي‌بكر فبايعه. و من الإنس فلان.[١]

«من الجنّ و الإنس». عن أبي عبدالله قال: هما. ثمّ قال: و كان فلان شيطاناً. و في حديث آخر عنه عليه السلام قال: هما ـ و الله ـ ثلاثاً.[٢]

[٣٠] «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ».

«قالوا ربّنا الله»؛ أي: وحّدوا الله و صدّقوا أنبياءه. «ثمّ استقاموا»؛ أي: استمرّوا على التوحيد و الطاعة. و روى محمّد بن الفضل عن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الاستقامة فقال: هي ـ و الله ـ ما أنتم عليه. «تتنزّل عليهم الملائكة». يعني عند الموت. و روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: تستقبلهم الملائكة إذ خرجوا من قبورهم إلى الموقف بالبشارة من الله. و قيل: إنّ البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، و عند البعث، و في القبر. «ألّاتخافوا»؛ أي: يقولون لهم: لاتخافوا عقاب الله. «و لاتحزنوا» لفوات ثواب الله. أو: لاتخافوا فيما يستقبل من الأوقات، و لاتحزنوا على ما مضى. «كنتم توعدون». أي في دار الدنيا على ألسنة الأنبياء.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام: «ثمّ استقاموا». أي على الأئمّة واحداً بعد واحد.[٤]

«استقاموا». أي على ولاية أميرالمؤمنين.[٥]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «تتنزّل عليهم الملائكة» فقال: أما و الله لربما وسّدناهم الوسائد في منزلنا. قيل له: الملائكة تظهر لكم؟ فقال: هم ألطف بصبياننا منّا بهم. و ضرب بيده إلى مساور في البيت فقال: و الله لطالما اتّكت عليها الملائكة. و ربما التقطنا من

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٥.

٢ـ الكافي ٨ / ٣٣٤، ح ٥٢٣ و ٥٢٤.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٧ ـ ١٨.

٤ـ الكافي ١ / ٤٢٠، ح ٤٠.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٥.

زغبها.(١)

«ثمّ استقاموا». ثمّ لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة و فضلها عليه. لأنّ الاستقامة لها الشأن كلّه. و المعنى: ثبتوا على الإقرار و مقتضياته. أي: لم يرجعوا إلى الكفر. و عن عليّ عليه السلام: أدّوا الفرائض. «ألّاتخافوا». أن بمعنى أي، أو مخفّفة من المثقّلة، أي بأنّه لاتخافوا.(٢)

[٣١] «نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ».

«نحن أولياؤكم»؛ أي: تقول الملائكة للمؤمنين الذين استقاموا بعد البشارة: نحن معاشر الملائكة أنصاركم و أحبّاؤكم «في الحياة الدنيا و في الآخرة»: نتولّى إيصال الخيرات إليكم من قبل الله في الدنيا و الآخرة فلانفارقكم حتّى ندخلكم الجنّة. و عن أبي جعفر عليه السلام: نحرسكم في الدنيا و عند الموت و في الآخرة. «ما تشتهي أنفسكم» من البقاء و ما تمنّونه من النعيم.(٣)

«في الحياة الدنيا». قال: [كنّا] نحرسكم من الشياطين. «و في الآخرة»؛ أي: عند الموت. «و ما تشتهي أنفسكم». يعني في الجنّة.(٤)

عاصم بن حميد: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك؛ هل في الجنّة غناء؟ قال: إنّ في الجنّة شجراً يأمر الله رياحاً فتهبّ فتضرب تلك الشجرة بأصوات لم يسمعها الخلائق مثلها حسناً. ثمّ قال: هذا عوض لمن يترك سماع الغناء في الدنيا مخافة الله.(٥)

[٣٢] «نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ».

١ـ الخرائج ٢ / ٨٥١.
٢ـ الكشّاف ٤ / ١٩٨ ـ ١٩٩.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٨ ـ ١٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٥.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٧٠.

«نزلاً». نصب على المصدر. أي: أنزلكم ربّكم فيما تشتهون نزلاً. و قيل: معناه: انّ هذا الموعود به مع جلالته في نفسه له جلالة بمعطيه إذ هو عطاء من يغفر الذنوب برحمة منه لعباده فهو أهنأ لكم و أكمل لسروركم.[١]

«نزلاً». النزل: رزق النزيل و هو الضيف. و انتصابه على الحال.[٢]

[٣٣] «وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَ عَمِلَ صَالِحاً وَ قَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

«و من أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله»: إلى طاعته. أي: لا أحد أحسن قولاً منه. «من المسلمين»؛ أي: المنقادين لطاعة الله. و هذا الداعي هو رسول الله. و قيل: هم جميع الأئمّة الدعاة الهداة إلى الحقّ. عن جماعة [من] المفسّرين.[٣]

«إنّني من المسلمين». ليس الغرض أنّه تكلّم بهذا الكلام، و لكن جعل دين الإسلام مذهبه.[٤]

عن الباقر عليه السلام: لمّا وجّه النبيّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام و عمّار بن ياسر إلى أهل مكّة قالوا: بعث هذا الصبيّ! و لو بعث غيره ـ يا حذيفة ـ إلى أهل مكّة و في مكّة صناديدها. و كانوا يسمّون عليّاً الصبيّ لقول الله: و من أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله و عمل صالحاً و هو صبيّ و قال إنّني من المسلمين.[٥]

[٣٤] «وَ لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ».

ثمّ بيّن سبحانه ما يلزم الداعي من الرفق بالمدعوّ فقال: «ادفع بالتي هي أحسن». خاطب الله نبيّه فقال: ادفع بحقّك باطلهم و بعفوك إساءتهم. «فإذا الذي بينك»؛ أي: إذا

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ١٩٩.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ١٩٩.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ١ / ٢٧٩، ح ٢٨٦.

دفعت خصومك بلين و رفق و مداراة، صار عدوّك الذي يعاديك في الدين بصورة وليّك القريب كأنّه وليّك في الدين. و عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الحسنة التقيّة، و السيّئة الإذاعة.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الحسنة التقيّة، و السيّئة الإذاعة.[٢]

«و لاتستوي الحسنة و لا السيّئة ادفع» ـ الآية. مثال ذلك رجل أساء إليك إساءة، فالحسنة أن تعفو عنه، و التي هى أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمّك فتمدحه.[٣]

و في أمالي الصدوق أنّ العلاء بن الحضرميّ قد نظم قوله: «ادفع بالتي هي أحسن» في ثلاثة أشعار و قرأها على النبيّ. فقال: إنّ من الشعر لحكماً. و إنّ من البيان لسحراً. و إنّ شعرك لحسن. و إنّ كتاب الله أحسن.[٤]

«ادفع بالتي هي أحسن». قال: ادفع سيّئة من أساء إليك بحسنة.[٥]

[٣٥] «وَ مَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ».

«و ما يلقّاها»؛ أي: هذه الفعلة و هذه الحالة التي هي دفع السيّئة بالحسنة. «إلّا الذين صبروا» على كظم الغيظ و احتمال المكروه. و عن أبي عبدالله: إلّا الذين صبروا في الدنيا على الأذى. و ما يلقّى الخصلة المذكورة إلّا ذو نصيب وافر من الرأي و العقل. و قيل: إلّا ذونصيب عظيم من الثواب و الخير. و قيل: الحظّ هنا الجنّة.[٦]

ثمّ قال: و ما يلقّى هذه السجيّة التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان إلّا أهل الصبر و إلّا رجل خير وفّق لحظّ عظيم من الخير.[٧]

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٩ ـ ٢٠.
٢ـ الكافي ٢ / ٢١٨، ح ٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٠٠.
٤ـ أمالي الصدوق / ٤٩٥، ح ٦. و فيه: «فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: «ادفع بالتي...» فقال العلاء بن الحضرميّ: إنّي قد قلت شعراً هو أحسن من هذا.» فلايخفى ما في تلخيص صدر الحديث.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٦.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢٠.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٢٠٠.

[٣٦] «وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«و إمّا ينزغنّك». هي إن [التي] للجزاء زيد عليها ما تأكيداً. أمر نبيّه أن يستعيذ بالله إذا صرفه الشيطان عن الاحتمال. و النزغ: النخس بما يدعو إلى الفساد. أي: إن نزغك الشيطان بالوسوسة، فاطلب الاعتصام من شرّه بالله.(١)

و نزغ الشيطان: الحمل على ما لاينبغي.(٢)

[٣٧] «وَ مِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لَا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ».

«و من آياته»؛ أي: و من حججه الدالّة على وحدانيّته و أدلّته على صفاته خلقة اللّيل بذهاب الشمس و النهار بطلوعها «و الشمس و القمر» و ما اختصّا به من النور. «لاتسجدوا للشمس و لا للقمر» و إن كان فيهما منافع كثيرة. لأنّهما ليسا بخالقين. «إن كنتم إيّاه تعبدون»؛ أي: إن كنتم تقصدونه بعبادتكم كما تزعمون.(٣)

[٣٨] «فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُمْ لَا يَسْأَمُونَ».

«فالّذين عند ربّك». و هم الملائكة. و عن ابن‌عبّاس: موضع السجود عند قوله: «لايسأمون». و عن ابن‌مسعود: عند قوله: «إن كنتم إيّاه تعبدون». و هو المرويّ عن أئمّتنا.(٤)

[٣٩] «وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢١.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٠٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢١ ـ ٢٢.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢.

«و من آياته» الدالّة على ربوبيّته «أنّك ترى الأرض خاشعة»؛ أي: حالها حال الخاضع المتواضع. و قيل: يابسة لا نبات فيها. «اهتزّت»؛ أي: تحرّكت بالنبات. «و ربت» بكثرة ريعها. «أحياها». أي بالمطر. «لمحيي الموتى»؛ أي: في الآخرة.(١)

[٤٠] «إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَ فَمَنْ يُلْقىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».

«يلحدون في آياتنا»؛ أي: يميلون عن الإيمان بآياته. «لا يخفون علينا» بأشخاصهم [و] بأقوالهم و أفعالهم. و قيل: إنّ الإلحاد في الآيات هو ما كانوا يفعلون من المكاء و الصفير. قال ابن عبّاس: المراد بالآيات دلالات التوحيد، والإلحاد فيها الانحراف عنها و ترك الاستدلال بها. ثمّ قال على وجه الإنكار عليهم: «أفمن يلقى في النار». أبوجهل، و الذي يأتي آمناً رسول الله صلى الله عليه وآله أو عمّار بن ياسر. و الصحيح أنّها عامّة بالمؤمن و الكافر. «اعملوا ما شئتم». معناه الوعيد و التهديد. أي: إذا علمتم أنّهما لا يستويان، فليختر كلّ واحد منكم لنفسه ما شاء من الأمرين. فإنّ العاقل لا يختار الإلقاء في النار و إذا لم يختر ذلك فلا بدّ أن يؤمن بالآلات و لا يلحد فيها.(٢)

عن أمير المؤمنين عليه السلام مجيباً لبعض الزنادقة: و أمّا ما ذكرت من الخطاب الدالّ على تهجين النبيّ صلى الله عليه وآله و التأنيب له مع ما أظهره الله في كتابه من تفضيله على سائر أنبيائه، فإنّ الله عزّ و جلّ جعل لكلّ نبيّ عدوّاً من المشركين ـ كما قال في كتابه ـ و بحسب جلالة منزلة نبيّنا عند ربّه، عظم محنته بعدوّه الذي عاداه في حال شقاقه و نفاقه و دفع نبوّته و تكذيبه إيّاه و إلحاده في إبطال دعواه و تغيير ملّته و لم ير شيئاً أبلغ في تمام كيده من تنفيرهم عن موالاة وصيّه و إغرائهم بعداوته و القصد لتغيير الكتاب و إسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل و كفر ذوي الكفر [منه] و ممّن وافقه على ظلمه. و لقد علم الله ذلك منهم فقال: «و الذين

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢ ـ ٢٣.

يلحدون في آياتنا». و قال: «يريدون أن يبدّلوا كلام الله».[١] و لقد أحضروا الكتاب مكمّلاً مشتملاً على التأويل و التنزيل و المحكم و المتشابه و الناسخ و المنسوخ لم يسقط منه حرف. فلمّا وقفوا على ما بيّنه الله من أسماء أهل الحقّ و الباطل و أنّ ذلك إن ظهر نقض ما عقدوه، قالوا: لا حاجة لنا فيه. نحن مستغنون عنه بما عندنا. و لذلك قال: «فنبذوه وراء ظهورهم».[٢] ثمّ دفعهم الاضطرار بورود المسائل عليهم عمّا لايعلمون تأويله إلى جمعه و تأليفه و تضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم، فصرّح مناديهم: من كان عنده شيء من القرآن، فليأتنا به. و وكّلوا تأليفه و نظمه إلى بعض من وافقهم على معاداة أولياء الله فألّفه على اختيارهم. فيقف المتأمّل له على اختلال تميزهم و افترائهم تركوا منه ما قدّروا أنّه لهم و هو عليهم و زادوا فيه ما ظهر تناكره و تنافره. و علم الله أنّ ذلك يظهر و يبين فقال: «ذلك مبلغهم من العلم.»[٣] و انكشف لأهل الاستبصار افتراؤهم. و الذي بدا من الإزراء على النبيّ من فرية الملحدين. فذكر جلّ ذكره لنبيّه ما يحدثه عدوّه في كتابه من بعده بقوله: «ما أرسلنا قبلك من رسول و لا نبيّ إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيّته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثمّ يحكم الله آياته».[٤] يعني أنّه ما من نبيّ تمنّى مفارقة ما يعانيه من نفاق قومه و عقوقهم و الانتقال إلى دار الإقامة إلّا ألقى الشيطان المعرّض بعداوته عند فقده في الكتاب الذي أنزل عليه ذمّه و الطعن فيه، فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلاتصغى إليه غير قلوب المنافقين و الجاهلين. و يحكم الله آياته بأن يحمي أولياءه من الضلال و العدوان.[٥]

[٤١] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ».

«بالذكر»؛ أي: بالقرآن. و خبر إنّ محذوف. أي: الذين كفروا بالذكر يجازون بالكفر. و

١ـ الفتح (٤٨) / ١٥.
٢ـ آل عمران (٣) / ١٨٧.
٣ـ النجم (٥٣) / ٣٠.
٤ـ الحجّ (٢٢) / ٥٢.
٥ـ الاحتجاج / ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

قيل: إنّ خبره «أولئك ينادون من مكان بعيد». و قيل: إنّ قوله: «و إنّه لكتاب عزيز» في موضع الخبر. أي: الكتاب الذي جاءهم عزيز بإعزاز الله إيّاه إذ حفظ من التغيير و التبديل. و قيل: عزيز بأنّه يجب أن يعزّ و يجلّ بالانتهاء إلى ما فيه.(١)

[٤٢] «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ».

«لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه». فيه أقوال. أحدها: انّ الباطل الشيطان. و معناه: لايقدر الشيطان أن ينقص منه حقّاً أو يزيد فيه باطلاً. وثانيها: لايأتيه ما يبطله من الكتب [التي] قبله و لايجيء من بعده كتاب ينسخه.(٢) و ثالثها: انّه ليس في أخباره عمّا مضى باطل و لا في أخباره عمّا يكون بالمستقبل باطل، بل أخباره كلّها موافقة لمخبراتها. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. و رابعها: لايأتيه الباطل من جهة من الجهات، فلا تناقض في ألفاظه و لا كذب في أخباره و لا تعارض و لا يزاد فيه و لا ينقص بل هو محفوظ حجّة على المكلّفين إلى يوم القيامة. «تنزيل»؛ أي: تنزيل من عالم بوجوه الحكمة مستحقّ للحمد على الإنعام.(٣)

شكا رجل إلى أبي عبدالله عليه السلام عن وجع السرّة. فقال له: اذهب و ضع يدك على الموضع الذي تشتكي و قل: «و إنّه لكتاب عزيز» إلى قوله: «حكيم حميد» ـ ثلاثاً. فإنّك تعافى بإذن الله تعالى.(٤)

[٤٣] «مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ».

«ما يقال لك»؛ أي: ما يقول هؤلاء الكفّار لك إلّا ما قد قيل للأنبياء قبلك من التكذيب

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣.

٢ـ في النسخة: «و لا من الكتب يجيء بعده تنسخه» بدل العبارة الأخيرة.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣.

٤ـ طبّ الأئمّة / ٢٨.

و الجحد لنبوّتهم. و قيل: معناه: ما يقول الله لك إلّا ما قد قال للرسل من قبلك و هو الأمر بالدعاء إلى الحقّ في عبادة الله و لزوم طاعته. فهذا القرآن موافق لما قبله من الكتب. و قيل: معناه ما حكاه الله بعده من «انّ ربّك لذو مغفرة و ذو عقاب أليم» فيكون على جهة الوعد و الوعيد. أي: إنّه لذو مغفرة لمن آمن بك و ذو عقاب لمن كذّبك.(١)

[٤٤] «وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفَاءٌ وَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ».

«و لو جعلناه»؛ أي: لو جعلنا هذا القرآن بغير لغة العرب لقالوا: لولا بيّنت آياته بلسان العرب حتّى نفهمه؟ «أأعجميّ و عربيّ»؛ أي: كتاب أعجميّ و نبيّ عربيّ؟ استفهام على وجه الإنكار. و المعنى أنّهم كانوا يقولون: المنزل عليه عربيّ و المنزل عجميّ، و كان ذلك أشدّ لتكذيبهم. فبيّن سبحانه أنّه أنزل الكتاب بلغتهم و أرسل الرسول من عشيرتهم ليكون أبلغ في الحجّة و أقطع للمعذرة. «قل» يا محمّد: «هو»؛ أي: القرآن. «و شفاء» من الأوجاع و للقلوب من الشكّ و الريب. و سمّى اليقين شفاء كما سمّى الشكّ مرضاً في قوله: «في قلوبهم مرض».(٢) «وقر»؛ أي: ثقل و صمم من سماعه من حيث يثقل عليهم استماعه فلاينتفعون به فكأنّهم صمّ عنه. «و هو عليهم عمًى» عميت قلوبهم عنه. يعني أنّهم لمّا ضلّوا عنه و حاروا عن تدبّره فكأنّه عمًى لهم. «من مكان بعيد»؛ أي: إنّهم لايسمعون و لايفهمون كما أنّ من دعي من مكان بعيد لم‌يسمع و لم‌يفهم. و إنّما قال ذلك لبعد أفهامهم و شدّة إعراضهم عنه، أو لبعده عن قلوبهم. و قيل: ينادى الرجل منهم في الآخرة بأشنع اسمه. أهل الكوفة غير حفص: «أأعجميّ» بهمزتين، و هشام بهمزة واحدة [و الباقون بهمزة واحدة] ممدودة.(٣)

«و لو جعلناه». كانوا لتعنّتهم يقولون: هلّا نزّل هذا القرآن بلغة العجم؟ فقيل: لو كان كما

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥. ٢ـ البقرة (٢) / ١٠.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥ ـ ٢٦ و ٢٤.

يقترحون، لم يتركوا الاعتراض و التعنّت و قالوا: «لولا فصّلت آياته»؛ أي: بيّنت و لخّصت بلسان نفقهه. «ءأعجميّ و عربيّ». الهمزة للإنكار. يعني: لأنكروا و قالوا: أقرآن أعجميّ و رسول عربيّ أو مرسل إليه عربيّ؟ [فإن قلت: كيف يصحّ أن يراد بالعربيّ المرسل إليهم و هم أمّة العرب؟ قلت:...] لأنّ مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب و المكتوب إليه لا على [أنّ] المكتوب إليه واحد أو جماعة، فيكون قوله: «و عربيّ» بمنزلة: و أمّة عربيّة. و قوله: «و الذين لايؤمنون في آذانهم وقر» في موضع الجرّ عطف على قوله: «للّذين آمنوا» [على معنى قولك: هو للّذين آمنوا] هدًى و شفاء، و هو للّذين لايؤمنون في آذانهم وقر.(١)

[٤٥] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ».

«الكتاب»؛ أي: التوراة. «فاختلف فيه». لأنّه آمن به قوم و كذّب به آخرون. و هذا تسلية للنبيّ عن جحود قومه له و إنكارهم نبوّته. «سبقت من ربّك» في تأخير العذاب عن قومك و أنّه لايعذّبهم و أنت فيهم. «لقضي بينهم»؛ أي: لفرغ من عذابهم و استئصالهم. و قيل: معناه: لولا حكم سبق من ربّك بتأخيرهم إلى وقت انقضاء آجالهم، لقضي قبل انقضاء آجالهم فظهر المحقّ من المبطل. «و إنّهم»؛ أي: و إنّ قومك «لفي شكّ منه».(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه» قال: اختلفوا كما اختلف هذه الأمّة في الكتاب و سيختلفون في الكتاب الذي مع القائم لمّا يأتيهم به حتّى ينكره ناس كثير فيقدّمهم فيضرب أعناقهم.(٣)

«و إنّهم»؛ أي: و إنّ اليهود أو الذين لايؤمنون. «لفي شكّ منه»؛ أي: من التوراة أو القرآن. «مريب»: موجب للاضطراب.(٤)

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٠٢ ـ ٢٠٣.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٦.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٤١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥٥.

[٤٦] «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

«بظلّام للعبيد». إنّما قال ذلك ـ مع أنّه لايظلم مثقال ذرّة ـ لأمرين: أحدهما أنّ من فعل الظلم ـ و إن قلّ ـ و هو عالم بقبحه و بأنّه غنيّ عنه، لكان ظالماً. و الآخر أنّه على طريق الجواب لمن يزعم أنّه يظلم العباد فيأخذ أحداً بذنب غيره.(١)

[٤٧ ـ ٤٨] «إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ مَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثىٰ وَ لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ * وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَ ظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ».

«علم الساعة»؛ أي: القيامة. «من أكمامها»؛ أي: غلافها. أهل المدينة و الشام و حفص: «من ثمرات» على الجمع. و الباقون: «من ثمرة» على التوحيد. «و ما تحمل من أنثى» من ذكر أو أنثى و لاتضع إلّا في الوقت الذي علم سبحانه أنّها تحمل فيه و تضع فيه. فيعلم سبحانه قدر الثمار و طعومها و روائحها و يعلم ما في بطون الحبالى و كيفيّة انتقالها حالاً بعد حال حتّى يصير بشراً سويّاً. «يناديهم»؛ أي: ينادي المشركين. «أين شركائي» في قولكم و زعمكم؟ كما قال: «أين شركائي الذين كنتم تزعمون».(٢) «قالوا آذنّاك»؛ أي: يقولون: أعلمناك ما منّا شاهد بأنّ لك شريكاً. يتبرّؤون من أن يكون مع الله شريك. «و ضلّ عنهم»؛ أي: ذهب ما كانوا أملوه من أصنامهم «و ظنّوا»؛ أي: أيقنوا ما لهم من مهرب و ملجأ. أي علموا ألّا مخلص لهم من عذاب الله.(٣)

«ما منّا من شهيد»؛ أي: ما من أحد منّا يشاهد الشركاء. لأنّهم ضلّوا عنهم و ضلّت عنهم آلهتهم لايبصرونها في ساعة التوبيخ. و قيل: هو كلام الشركاء. أي: ما منّا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة. و معنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنّهم لاينفعونهم فكأنّهم ضلّوا عنهم. فإن قلت: «آذنّاك» إخبار بإيذان كان منهم. فإذ قد آذنوا فلم سئلوا؟

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧.
٢ـ القصص (٢٨) / ٦٢.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧ ـ ٢٨.

قلت: يجوز أن يعاد عليهم: «أين شركائي» إعادة للتوبيخ. و يجوز أن يكون المعنى: انّك علمت من قلوبنا و عقائدنا الآن أنّا لانشهد تلك الشهادة الباطلة. لأنّه إذا علمه من نفوسهم فكأنّهم أعلموه. و يجوز أن يكون إنشاء للإيذان.[١]

[٤٩] «لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَ إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ».

بيّن سبحانه طريقتهم في الدنيا فقال: «لايسأم الإنسان». يراد به الكافر. أي: لايملّ الكافر من دعاء الخير و لايزال يسأل ربّه المال و العافية و الولد و نحوه. و إن مسّه البلاء و الشدّة و الفقر، فهو شديد اليأس من الخير أو من إجابة الدعاء، قنوط سيّئ الظنّ بربّه.[٢]

[٥٠] «وَ لَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هٰذَا لِي وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ».

«رحمة»؛ أي: خيراً أو عافية. «هذا لي»؛ أي: هذا بعملي و أنا محقوق به. أو: هذا لي دائماً أبداً. «قائمة»؛ أي: كائنة على ما يقوله المسلمون. «و لئن رجعت إلى ربّي»؛ أي: ليس لي يقين بالبعث. فإن كان الأمر على ذلك و رددت إلى ربّي، إنّ لي عنده المنزلة الحسنى و هي الجنّة، سيعطيني في الآخرة مثل ما أعطاني في الدنيا. ثمّ هدّد سبحانه من هذه صفته بأن قال: «فلننبّئنّ الذين»؛ أي: لنقفنّهم على مساوئ أعمالهم. «غليظ»؛ أي: شديد متراكم.[٣]

[٥١] «وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأىٰ بِجَانِبِهِ وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ».

ثمّ أخبر سبحانه عن جهل الإنسان الذي تقدّم وصفه بمواقع نعم الله فقال: «و إذا أنعمنا

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٠٤.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٨.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٨.

على الإنسان أعرض» عن الشكر «و نأى بجانبه»؛ أي: بعد و تجبّر عن الاعتراف بنعم الله. «و إذا مسّه الشرّ»؛ أي: الفقر و المرض، فذو دعاء كثير عند ذلك. و إنّما قال: «عريض» و لم يقل: طويل، لأنّه أبلغ. فإنّ العرض يدلّ على الطول و لايدلّ الطول على العرض إذ قد يصحّ طويل و لا عرض له.(١)

فإن قلت: حقّق لي معنى قوله: «و نأى بجانبه». قلت: فيه وجهان: أن يوضع جانبه موضع نفسه، كقولهم: كتبت إلى جانب فلان؛ أي: إليه؛ و أن يراد بجانبه عطفه و يكون عبارة عن الانحراف و الازورار، كما قالوا: ثنى عطفه و تولّى بركنه.(٢)

[٥٢] «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ».

«إن كان». أي القرآن أو الإنعام من عند الله و كفرتم به و جحدتموه. «في شقاق»؛ أي: في خلاف للحقّ «بعيد» عنه. أي: فلا أحد أضلّ منكم.(٣)

«أ رأيتم»: أخبروني «إن كان» القرآن «من عند الله». يعني: انّ ما أنتم عليه من إنكار القرآن ليس بأمر صادر عن حجّة قاطعة. و [إنّما هو] قبل النظر و اتّباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله و أن لايكون من عنده. و أنتم لم تفحصوا، فما أنكرتم أن يكون حقّاً و قد كفرتم به؟ فأخبروني من أضلّ منكم و أنتم أبعدتم الشوط في مشاقّته و لعلّه حقّ فأهلكتم أنفسكم. و قوله: «ممّن هو في شقاق بعيد» موضوع موضع منكم بياناً لحالهم و صفتهم.(٤)

[٥٣] «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».

«سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم»؛ أي: سنريهم حججنا و دلائلنا على التوحيد

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٨ ـ ٢٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٢٠٦.

في آفاق العالم و أقطار السماء و الأرض من الشمس و القمر و النجوم و النبات و الأشجار و في أنفسهم و ما فيها من لطائف الصنعة و بدائع الحكمة حتّى يظهر لهم أنّ الله هو الحقّ. و قيل: معناه: سنريهم آياتنا و دلائلنا على صدق محمّد و نبوّته في الآفاق، أي بما يفتح من القرى عليه و على المسلمين في أقطار الأرض، و في أنفسهم، يعني فتح مكّة، حتّى يعرفوا أنّ ما أتى به من القرآن حقّ و أنّه من عند الله. لأنّهم بذلك يعرفون أنّه مؤيّد من قبل الله بعد أن كان واحداً لا ناصر له. و قيل: إنّ المراد بقوله: «في الآفاق» وقائع الله بالأمم «و في أنـفسهم» وقعة يوم بدر.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم» قال: نـريهم في أنفسهم المسخ. و نريهم في الآفاق انتقاص(٢) الآفاق عليهم فيرون قدرة الله في أنفسهم و في الآفاق. و قوله: «حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» قال: خروج القائم عليه السلام هو الحقّ من عند الله يراه الخلق لابدّ منه.(٣)

قال الصادق عليه السلام: العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة. فما فقد من العبوديّة وجد في الربوبيّة. و ما خفي في الربوبيّة أصيب في العبوديّة. قال الله: «سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم» إلى قوله: «شهيد»؛ أي: موجود في غيبتك و حضرتك.(٤)

«سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم». هذه الطريقة من الاستدلال هـي طـريقة الملّيّين و المتكلّمين. فإنّهم يستدلّون أوّلاً على حدوث الأجسام و الأعراض، ثمّ يستدلّون بحدوثها و تغييراتها على وجود الخالق، ثمّ بالنظر في أحوال المخلوقات على صفاته واحدة واحدة، مثلاً بإحكامها و إتقانها على كون فاعلها حكيماً عليماً. و أمّا الإلهيّون من الحكماء، فلهم في الاستدلال طريق آخر و هي أنّهم ينظرون أوّلاً في مطلق الوجود أهو واجب أم ممكن و يستدلّون من ذلك على إثبات موجود واجب الوجود، ثمّ يستدلّون بصفاته على

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٩.
٢ـ المصدر: انتقاض.
٣ـ الكافي ٨ / ٣٨١، ح ٥٧٥.
٤ـ مصباح الشريعة / ٧.

كيفيّة صدور أفعاله عنه واحداً بعد آخر. و هذه الطريقة أحكم من الأولى. لأنّها استدلال بالعلّة على المعلول. فيكون صدر الآية إشارة إلى الطريقة الأولى، و تمامها ـ و هو قوله: «أو لم يكف» لأنّه يستشهدون ـ إشارة إلى الطريقة الثانية و هو طريقة الصدّيقين. فإنّهم بالحقّ لا عليه.

«أو لم يكف بربّك». الباء زائدة للتأكيد. كأنّه قيل: أو لم يحصل الكفاية به؟ و لا يكاد يزاد في الفاعل إلّا مع كفى. «أنّه على كلّ شيء شهيد». بدل منه. و المعنى: أو لم يكفك أنّه تعالى على كلّ شيء شهيد محقّق له فتحقّق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقّق سائر الأشياء الموعودة، أو مطّلع فيعلم حالك و حالهم. أو: أو لم يكف الإنسان رادعاً عن المعاصي أنّه تعالى مطّلع على كلّ شيء لا يخفى عليه خافية؟[١]

«أو لم يكف بربّك». هو في موضع الرفع فاعل «كفى» و «أنّه على كلّ شيء» بدل منه. تقديره: أو لم يكفهم أنّ ربّك على كلّ شيء شهيد؟ معناه أنّ هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق و في أنفسهم سيرونه فيتبيّنون عند ذلك أنّ القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كلّ شيء شهيد؛ أي: مطّلع مهمين يستوي عنده غيبه و شهادته، فيكفيهم ذلك دليلاً على أنّه حقّ و لو لم يكن كذلك لما نصره هذه النصرة.[٢]

[٥٤] «أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ».

«في مرية»؛ أي: في شكّ «من لقاء ربّهم» بالبعث و الجزاء. «ألا إنّه» عالم بكلّ الأشياء و تفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها.[٣]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥٧.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٠٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥٧.

٤٢.
سورة الشورى

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، كان ممّن يصلّي عليه الملائكة و يستغفرون له و يسترحمون عليه.(١)

و عن الصادق عليه السلام: من قرأها، بعث و وجهه كالقمر ليلة البدر ـ الحديث.(٢)

من كتبها و شربها في سفره، قلّ عطشه. و إن رشّ هذا الماء على مصروع، احترق شيطانه و لم يعد إليه.(٣)

عن أبي عبدالله: من قرأ حمعسق ، بعثه الله يوم القيامة و وجهه كالشمس حتّى يقف بين [يدي] الله فيقول: عبدي، أدمت قراءة حمعسق و لم تدر ما ثوابها. أما لو دريت ما ثوابها، لما مللت قراءتها، ولكن سأجزيك جزاءك. أدخلوه الجنّة. و له فيها قصر [من] ياقوتة حمراء أبوابها و شرفها و درجها منها ـ الحديث.(٤)

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * حم * عسق».

عن ابن عبّاس قال: «حم» اسم من أسماء الله عزّ و جلّ. و «عسق» علم عليّ تفسير كلّ جماعة و نفاق كلّ فرقة. و عن أبي جعفر عليه السلام قال: حم حتم. و عين عذاب. و سين سنون كسني يوسف. و قاف قذف و خسف و مسخ يكون في آخر الزمان بالسفيانيّ و أصحابه و

١ـ المصباح / ٥٩٠.
٢ـ المصباح / ٥٩٠.
٣ـ المصباح / ٦١٠.
٤ـ ثواب الأعمال / ١٤٠.

ناس من كلب ثلاثون ألف ألف يخرجون معه. و ذلك حين يخرج القائم عليه السلام بمكّة.[١]

قيل: إنّما فضّلت هذه السورة من بين سائر الحواميم بعسق لأنّ جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلّا هذه السورة. فذكر عسق ليكون دالّاً على الكتاب دلالة التضمين و إن لم يدلّ عليه دلالة التصريح.[٢]

[٣] «كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«كذلك يوحي إليك»؛ أي: كالوحي الذي [تقدّم] يوحي إليك من أخبار الغيب و[٣] إلى [الذين] من قبلك من الأنبياء. قال ابن‌عبّاس: ما من نبيّ أنزل الله عليه الكتاب إلّا أنزل عليه معاني هذه السورة بلغاتهم. ابن كثير: «يوحى» بفتح الحاء.[٤]

«كذلك يوحي إليك»؛ أي: مثل ذلك الوحي، أو مثل ذلك الكتاب، يوحي إليك و إلى الرسل من قبلك. يعني أنّ ما تضمّنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثلها في غيرها من السور و أوحاها من قبلك إلى رسله، على معنى أنّ الله كرّر هذه المعاني في القرآن و في جميع الكتب السماويّة لما فيها من التنبيه البليغ و اللّطف العظيم لعباده من الأوّلين و الآخرين. و على قراءة «يوحىٰ» ـ بالبناء على المفعول ـ يكون رفع «الله» على تقدير أنّ قائلاً قال: من الموحي؟ فقيل: الله.[٥]

[٤ ـ ٥] «لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

«تكاد». نافع و الكسائيّ بالياء. البصريّان و أبوبكر: «ينفطرن».[٦]

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٤٢.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٢.

٣ـ في النسخة «يوحى» بدل «و».

٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٢ ـ ٣٣.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٢٠٨.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥٨.

«يتفطّرن من فوقهنّ»؛ أي: يكدن ينفطرن من علوّ شأن الله و عظمته. يدلّ عليه مجيئه بعد «العليّ العظيم». و قيل: من دعائهم له ولداً. كقوله: «تكاد السموات يتفطّرن منه».[١] و إنّما قال: «من فوقهنّ» لأنّ أعظم الآيات و أدلّها على الجلال و العظمة فوق السموات و هي العرش و الكرسيّ و صنوف الملائكة و ما لايعلم كنهه إلّا الله. أي: يبتدئ الانفطار من جهتهنّ الفوقانيّة. أو لأنّ كلمة الكفر جاءت من الذي تحت السموات فكان القياس تحتهنّ لكنّه بولغ في ذلك فجعلت مؤثّرة من جهة الفوق، و أمّا جهة التحت فبالطريق الأولى. «و يستغفرون لمن في الأرض»؛ أي: للمؤمنين منهم لا كلّهم. كقوله في سورة المؤمن: «و يستغفرون للّذين آمنوا».[٢] و يحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم و الغفران ـ لقوله: «و إنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم»[٣] ـ و المراد الحلم عنهم و أن لايعاجلهم بالانتقام فيكون عامّاً. فإن قلت: قد فسّرت قوله: «تكاد السموات يتفطّرن» بوجهين. فما وجه طباق ما بعده لهما؟ قلت: أمّا على أحدهما، فكأنّه قيل: تكاد السموات يتفطّرن هيبة من جلاله و الملائكة يداومون خضوعاً لعظمته و يستغفرون لمن في الأرض خوفاً عليهم من سطواته. و أمّا على الثاني، فكأنّه قيل: يكدن يتفطّرن من إقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء و الملائكة ينزّهون الله عمّا لايجوز عليه حامدين على ما أولاهم من ألطافه و يستغفرون لمؤمني أهل الأرض الذين تبرّؤوا من تلك الكلمة و أهلها أو يطلبون إلى ربّهم أن يحلم عن أهل الأرض و لايعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم حرصاً على نجاة الخلق و طمعاً في توبة الكفّار و الفسّاق منهم.[٤]

قال الصادق عليه السلام: «لمن في الأرض» من المؤمنين.[٥]

[٦] «وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ».

١ـ مريم (١٩) / ٩٠.
٢ـ المؤمن (٤٠) / ٧.
٣ـ الرعد (١٣) / ٦.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٨.

«و الذين اتّخذوا من دونه أولياء»: جعلوا له شريكاً و أنداداً، الله رقيب على أحوالهم لايفوته منها شيء و هو محاسبهم عليها. «و ما أنت» يا محمّد بوكّل بهم و لا مفوّض إليك أمرهم و لا قسرهم على الايمان. إنّما أنت منذر فحسب.(١)

[٧] «وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرىٰ وَ مَنْ حَوْلَهَا وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ».

«و كذلك أوحينا». و ذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أنّ الله هو الرقيب عليهم و ما أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم. لأنّ هذا المعنى كرّره الله في كتابه. فالكاف مفعول به لأوحينا و «قرآناً» حال من المفعول به. أي: أوحينا إليك و هو قرآن عربيّ لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال و لاتتجاوز حدّ الإنذار. و يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا. أي: و مثل ذلك الايحاء البيّن المفهم أوحينا إليك قرآناً عربيّاً بلسانك «لتنذر أمّ القرى»؛ أي: أهل أمّ القرى «و من حولها» من العرب. و «يوم الجمع» يوم القيامة؛ لأنّ الخلائق تجمع فيه. و قيل: يجمع بين الأرواح و الأجساد أو بين كلّ عامل و عمله. و «لا ريب فيه» اعتراض لا محلّ له.(٢)

عن الحسن عليه السلام و قد سئل عن أرواح المؤمنين: أين تكونوا إذا ماتوا؟ قال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس في كلّ ليلة جمعة. و هو عرش الله الأولى. و أرواح الكفّار تجتمع في وادي حضرموت. ثمّ يبعث الله ناراً من المشرق و ناراً من المغرب و ريحين شديدين فيحشر الناس عند صخرة بيت المقدس؛ أهل الجنّة عن يمينها و أهل النار عن يسارها. فتفرق الخلائق من عند الصخرة. فمن وجبت له الجنّة دخلها. و من وجبت له النار دخلها. و ذلك قوله: «فريق في الجنّة و فريق في السعير».(٣)

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٢٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٢٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧١ ـ ٢٧٢.

[٨] «وَ لَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ».

«أمّة واحدة»؛ أي: مؤمنين كلّهم على القسر و الإكراه. كقوله: «و لو شاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً».[١] أي: و لو شاء ربّك مشيّة قدرة لقسرهم جميعاً على الإيمان، ولكنّه شاء مشيّة حكمة فكلّفهم و بنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته ـ و هم المراد بمن يشاء ـ و يترك الظالمين بغير وليّ و لا نصير في عذابه.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الرحمة ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.[٣]

[٩] «أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَ هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«أم اتّخذوا»؛ أي: بل اتّخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام و الأوثان يوالونهم. «هو الوليّ»؛ أي: المستحقّ للولاية لأنّه المالك للنفع و الضرّ. «و هو على كلّ شيء قدير» من الإحياء و الإماتة.[٤]

«فالله هو الوليّ». جواب شرط محذوف مثل: إن أرادوا أولياء بحقّ، فالله الوليّ بالحقّ. «و هو يحيي الموتى». كالتقرير لكونه حقيقاً بالولاية.[٥]

[١٠] «وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذٰلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ».

«و ما اختلفتم فيه من شيء» من أمور دينكم و دنياكم و تتنازعون فيه «فحكمه إلى الله» بأنّه الفاصل بين الحقّ و الباطل فيه فيحكم للمحقّق بالثواب و المدح و للمبطل

١ـ يونس (١٠) / ٩٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢١١.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٤٢ ـ ٥٤٣.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٣٤.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥٩.

بالعقاب و الذمّ. و قيل: معناه: فبيان الصواب إلى الله بنصب الأدلّة. و قيل: فحكمه إلى الله يوم القيامة فيجازي كلّ أحد بما يستحقّه. «ذلكم الله»: الذي يحكم بين المختلفين. «أنيب»؛ أي: أرجع إليه في أموري.(١)

«و ما اختلفتم» أنتم و الكفّار فيه من أمر من أمور الدين أو الدنيا، فحكمه مفوّض إلى الله يميّز الحقّ من المبطل. و قيل: و ما اختلفتم فيه من تأويل متشابه، فارجعوا فيه إلى المحكم من كتاب الله. «و إليه أنيب»؛ أي: أرجع في المعضلات.(٢)

[١١] «فَاطِرُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَ مِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

ثمّ وصف سبحانه [نفسه] بما يوجب أن لايعبد غيره فقال: «فاطر السموات و الأرض»؛ أي: مبتدعهما ابتداء. «أزواجاً»؛ أي: أشكالاً مع كلّ ذكر أنثى يسكن إليها و يألفها. «و من الأنعام أزواجاً»؛ أي: ذكوراً و إناثاً لتكمل منافعكم بها. «يذرؤكم فيه»: في الزواج، لتكثروا به؛ لدلالة الكلام عليه و هو ذكر الأزواج. و قال الفرّاء: معناه: يذرؤكم به؛ أي: يكثّركم بأن جعل من أنفسكم أزواجاً و من الأنعام أزواجاً. «ليس كمثله شيء». الكاف زائدة موكّدة للنفي. و قيل: معناه: لو قدّر لله تعالى مثل [لم يكن لذلك المثل مثل] لما تقرّر في المعقول أنّ الله متفرّد بصفات لايشاركه فيها غيره [فلو كان له مثل لتفرّد بصفات لايشاركه فيها غيره] و كان هو الله، و قد دلّ الدليل على أنّه ليس مع الله إله آخر.(٣)

«من أنفسكم»: من جنسكم «أزواجاً»؛ أي: نساء. «و من الأنعام أزواجاً»؛ أي: و خلق للأنعام من جنسها أزواجاً. «يذرؤكم فيه»؛ أي: يكثّركم في هذا التدبير و هو جعل الناس و الأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد، فإنّه كالمنبع للبثّ و التكثير. «ليس كمثله»؛ أي: كصفته «شيء»؛ أي: صفة.(٤)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٤ ـ ٣٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥٩.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٦ ـ ٣٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

[١٢] «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«مقاليد»؛ أي: مفاتيح أرزاق السموات و الأرض. «يبسط الرزق»؛ أي: يوسّع الرزق لمن يشاء و يضيّق على من يشاء، على ما يعلمه من مصالح العباد.(١)

«مقاليد السموات»؛ أي: خزائنها.(٢)

[١٣] «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصّٰى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ».

«شرع لكم»؛ أي: أوضح «من الدين» و التوحيد «ما وصّى به نوحاً و الذي أوحينا إليك»: و هو الذي أوحينا إليك» ـ يا محمّد ـ و هو ما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى. ثمّ بيّن ذلك بقوله: «أن أقيموا الدين و لاتتفرّقوا فيه». و إقامة الدين التمسّك به و الدعاء إليه. و لاتتفرّقوا؛ أي: لاتختلفوا و اتّفقوا و كونوا عباداً لله إخواناً. «كبر على المشركين ما تدعوهم إليه» من توحيد الله و الإخلاص له و ترك دين الآباء. لأنّهم قالوا: أ جعل الآلهة إلهاً واحداً؟ و قيل: معناه: ثقل عليهم اختيارنا لك الوحي و النبوّة دونهم. «الله يجتبي»؛ أي: ليس لهم الاختيار، لأنّ الله يصطفي لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم. فاجتباك الله لها كما اجتبى الذين من قبلك من الأنبياء. و قيل: معناه: يصطفي من عباده لدينه من يشاء. «و يهدي إليه من ينيب»؛ أي: و يرشد إلى دينه من يقبل إلى طاعته. و قيل: يهدي إلى جنّته و ثوابه من يرجع إليه بالنيّة و الإخلاص.(٣)

«أن أقيموا الدين». و هو الإيمان بما يجب تصديقه و الطاعة في أحكام الله. و محلّه النصب على البدل من مفعول شرع، أو الرفع على الاستئناف كأنّه جواب: و ما ذلك المشروع؟ «و

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧.

لاتتفرّقوا فيه»؛ أي: لاتختلفوا في هذا الأصل. أمّا فروع الشرائع فمختلفة؛ كما [قال:] «لكلّ جعلنا منكم شرعة و منهاجاً».(١) «الله يجتبي إليه». الضمير لما تدعوهم أو للدين.(٢)

«شرع لكم». عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: نحن أولى الناس بدين الله. و نحن الذين شرع الله لنا دينه فقال في كتابه: شرع الله لكم ـ يا آل محمّد ـ ما وصّى به نوحاً. فقد وصّانا بما وصّى به نوحاً. و الذي أوحينا إليك ـ يا محمّد ـ و ما وصّينا به إبراهيم. فنحن ورثة أولى العزم من الرسل. أن اقيموا الدين ـ يا آل محمّد ـ و لاتتفرّقوا فيه. كبر على المشركين ما تدعوهم إليه من ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام. إنّ الله ـ يا محمّد ـ يهدي إليه من ينيب؛ أي: من يجيبك إلى ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «أن أقيموا الدين» قال: الإمام. «و لاتتفرّقوا فيه». كناية عن أميرالمؤمنين. «يجتبي إليه من يشاء». كناية عن أميرالمؤمنين عليه السلام.(٤)

عن الرضا عليه السلام: «كبر على المشركين»: من أشرك بولاية عليّ «ما تدعوهم إليه» من ولاية عليّ.(٥)

و عن الرضا عليه السلام: «كبر على المشركين ما تدعوهم إليه» يا محمّد من ولاية عليّ. هكذا في الكتاب مخطوطة.(٦)

[١٤] «وَ مَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ».

«و ما تفرّقوا»؛ أي: لم يختلف هؤلاء الكفّار عليك إلّا بعد أن أتاهم طريق العلم بصحّة نبوّتك فعدلوا عن النظر فيه. «بغياً بينهم»؛ أي: ما تفرّقوا عن محمّد إلّا بعد ما علموا أنّه حقّ

١ـ المائدة (٥) / ٤٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٠.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٤٣.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤.
٥ـ الكافي ١ / ٢٢٤.
٦ـ الكافي ١ / ٤١٨، ح ٣٢.

ولكنّهم تفرّقوا عنه حسداً و خوفاً أن تذهب رئاستهم. «و لولا كلمة»؛ أي: لولا وعد الله تعالى و إخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم و تأخّر العذاب عنهم في الحال، لفصل بينهم الحكم و أنزل عليهم العذاب الذي استحقّوه عاجلاً. أو: و لولا وعد الله بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة و هو الأجل المسمّى، لقضي بينهم بإهلاك الباطل و إبانه الحقّ. «من بعدهم»: قوم نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و من بعد أحبارهم لفي شكّ من القرآن و من محمّد مؤدّ إلى الريبة. بيّن بذلك أنّ أحبارهم أنكروا الحقّ عن معرفته و أنّ عوامّ أمّتهم كانوا شاكّين فيه. يدلّ عليه قوله: «و الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه».[١] و قيل: معناه: «إنّ الذين أورثوا الكتاب»؛ أي: القرآن، و هم العرب. «من بعدهم»؛ أي: من بعد اليهود و النصارى، لفي شكّ بليغ. و لو استقصوا النظر لأدّاهم إلى اليقين و الرشد.[٢]

«و ما تفرّقوا» عن أميرالمؤمنين‌عليه‌السلام «إلّا من بعد ما جاءهم العلم» و عرفوه فبغى بعضهم على بعض لما رأوا من تفاضل أميرالمؤمنين‌عليه‌السلام بأمر الله، فتفرّقوا في المذاهب و أخذوا بالآراء و الأهواء.[٣]

«و ما تفرّقوا». أي الأمم السالفة. و قيل: أهل الكتاب؛ لقوله: «و ما تفرّق الذين أوتوا الكتاب».[٤] «إلّا من بعد ما جاءهم العلم» بأنّ التفرّق ضلال متوعّد عليه، أو العلم بمبعث الرسول. «و إنّ الذين أورثوا الكتاب». يعني أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله و المشركين الذين أورثوا الكتاب[٥] من بعد أهل الكتاب. «لفي شكّ منه»: من كتابهم لايعلمونه كما هو، أو لايؤمنون به حقّ الإيمان. أو من القرآن. «مريب»؛ أي: مقلق. أو: مدخل في الريبة.[٦]

[١٥] «فَلِذٰلِكَ فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ

١ـ البقرة (٢) / ١٤٦.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٧ ـ ٣٨.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٣.

٤ـ البيّنة (٩٨) / ٤.

٥ـ المصدر: أو المشركين الذين أورثوا القرآن.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٠ ـ ٣٦١.

مِنْ كِتَابٍ وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ».

«فلذلك فادع»؛ أي: فادع إلى ذلك. و هو إشارة إلى ما وصّى به الأنبياء من التوحيد. و معناه: فإلى الدين الذي شرعه الله تعالى و وصّى به أنبياءه، فادع الخلق. و قيل: اللّام للتعليل. أي: فلأجل الشكّ الذي هم عليه، فادعهم إلى الحقّ حتّى تزيل شكّهم، و استقم على تبليغ الرسالة و لاتتّبع أهواء المشركين في ترك التبليغ. «بما أنزل الله»؛ أي: آمنت بكتب الله التي أنزلها على الأنبياء قبلي كلّها. «لأعدل بينكم»؛ أي: أسوّي بينكم في الدين و الدعاء إلى الحقّ و لا أحابي أحداً. «الله ربّنا و ربّكم»؛ أي: و قل لهم أيضاً: الله مدبّرنا و مدبّركم. «لنا أعمالنا و لكم أعمالكم»؛ أي: لايضرّنا إصراركم على الكفر. فإنّ جزاء أعمالنا لنا و جزاء أعمالكم لكم، لايؤاخذ أحد بذنب غيره. «لا حجّة»؛ أي: لا خصومة «بيننا و بينكم». يعني أنّ الحقّ قد ظهر فسقط الجدال و الخصومة. وهذا قبل أن يؤمر بالقتال. «الله يجمع بيننا» يوم القيامة لفصل القضاء فيحكم بيننا بالحقّ. و في هذا غاية التهديد.(١)

«فلذلك»: فلأجل ذلك التفرّق أو الكتاب أو العلم الذي أوتيت، «فادع» إلى الاتّفاق على الملّة الحنيفيّة. «لأعدل بينكم» في تبليغ الشرائع و الحكومات. و الأوّل إشارة إلى كمال القوّة النظريّة، و هذا إشارة إلى كمال القوّة العمليّة. «لا حجّة بيننا»؛ أي: لا خصومة، إذ الحقّ قد ظهر و لم يبق للمحاجّة مجال و لا للخلاف مبدأ سوى العناد. و ليس في الآية ما يدلّ على متاركة الكفّار رأساً حتّى تكون منسوخة بآية القتال.(٢)

عن الباقر عليه السلام: ما أنزل الله كتاباً و لا وحياً إلّا بالعربيّة، فكان يقع في مسامع الأنبياء بألسنة قومهم. و كان يقع في مسامع نبيّنا بالعربيّة فإذا كلّم به قومه كلّمهم بالعربيّة فيقع في مسامعهم بلسانهم. و كان أحد لايخاطب رسول الله بأيّ لسان خاطبه إلّا وقع في مسامعه

١ـ مجمع البيان ٩ / ٣٨ ـ ٣٩. ٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦١.

بالعربيّة. كلّ ذلك يترجم جبرئيل عنه تشريفاً من الله عزّ و جلّ لنبيّه صلى الله عليه و آله.[١]

[١٦] «وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ».

«يحاجّون في الله»؛ أي: يخاصمون المسلمين في دين الله و توحيده. و هم اليهود و النصارى. قالوا: كتابنا قبل كتابكم. و نبيّنا قبل نبيّكم. و نحن أولى بالحقّ منكم. قصدوا بذلك دفع ما أتى به النبيّ صلى الله عليه و آله. «ما استجيب له»؛ أي: من بعد ما دخل الناس في الإسلام و أجابوه إليه. «حجّتهم داحضة»؛ أي: خصومتهم باطلة حيث زعموا أنّ دينهم أفضل من الإسلام. أو معناه: و الذين يجادلون في الله بنصرة مذهبهم من بعد ما استجيب للنبيّ دعاؤه في كفّار بدر حتّى قتلوا و على أهل مكّة و مضر حتّى قحطوا و نحو ذلك، أو من بعد ما استجيب له بأن أقرّوا به قبل مبعثه فلمّا بعث جحدوه. و سمّى شبهتهم حجّة على اعتقادهم. «و عليهم غضب»: غضب الله، لأجل كفرهم. «عذاب شديد» يوم القيامة.[٢]

[١٧] «اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزَانَ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ».

«بالحقّ»؛ أي: الصدق في إخباراته. و قيل: الحقّ الأحكام. و أنزل «الميزان»؛ أي: العدل أو المعروف، أنزله من السماء و عرّفهم كيف يعملون به. و قيل: الميزان محمّد يقضي بينهم بالحقّ.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الميزان عليّ بن أبي طالب عليه السلام. و الدليل على ذلك قوله: «و السماء رفعها و وضع الميزان».[٤] يعني الإمام.[٥]

«و الميزان»: الشرع الذي يوازن به الحقوق و يسوّى بين الناس، أو العدل بأن أنزل

١ـ علل الشرائع ١ / ١٢٦، ح ٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٣٩ـ ٤٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٤٠.
٤ـ الرحمن (٥٥) / ٧.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٤.

الأمر به، أو آلة الوزن [بأن] أوحى بإعدادها. «لعلّ الساعة قريب» إتيانها. فاتّبع الكتاب و اعمل بالشرع و واظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي يوازن به أعمالك و يوفى به جزاؤك. و قيل: تذكير القريب لأنّه بمعنى ذات قرب، أو لأنّ الساعة بمعنى البعث.(١)

[١٨] «يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ».

«لايؤمنون بها» لجهلهم بأهوالها فلايخافون ما فيها. فهم يطلبون قيامها إبعاداً لكونها.

«الذين يمارون»؛ أي: تدخلهم المرية و الشكّ «في الساعة» فيخاصمون في مجيئها على وجه الإنكار لها «في ضلال» عن الصواب «بعيد» حين لم‌يذكروا فيعلموا أنّ الذي خلقهم أوّلاً قادر على بعثهم.(٢)

«لفي ضلال بعيد» عن الحقّ. فإنّ البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات. فمن لم‌يهتد لتجويزها، فهو أبعد إلى الاهتداء إلى ما وراءه.(٣)

[١٩] «اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ».

«لطيف». اللّطيف: العالم بخفيّات الأمور. و المراد هنا الموصل المنافع إلى العباد من وجه يدقّ إدراكه في الأرزاق.(٤)

«يرزق من يشاء»؛ أي: يرزقه كما يشاء فيخصّ كلّاً من عباده بنوع من البرّ على ما اقتضته حكمته.(٥)

فإن قلت: فما معنى قوله: «يرزق من يشاء» بعد توصّل برّه إلى جميعهم؟ قلت: لايخلو أحد من برّه؛ إلّا أنّ البرّ أصناف و له أوصاف و القسمة بين العباد تتفاوت على حسب

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦١.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٤٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦١.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٤٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦١.

تفاوت قضايا الحكمة و التدبير. و هذا معنى قوله: «يرزق من يشاء». كما يرزق أحد الأخوين ولداً دون الآخر على أنّه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد.[١]

[٢٠] «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ».

«حرث الآخرة»؛ أي: من كان يريد بعمله نفع الآخرة و يعمل لها، نجازه على عمله و نضاعف ثوابه فنعطيه على الواحد عشرة و نزيد على ذلك ما نشاء. «حرث الدنيا»؛ أي: يريد بعمله نفع الدنيا. و قيل: معناه: من قصد بالجهاد وجه الله، فله سهم العاملين و الثواب في الآخرة. و من قصد به الغنيمة، يحصل له سهم من الغنيمة و لم يكن له نصيب في الآخرة.[٢]

«حرث الآخرة»: ثوابها. شبّهه بالزرع من حيث إنّه فائدة تحصل بعمل الدنيا. و لذلك قيل: الدنيا مزرعة الآخرة. «و ما له في الآخرة من نصيب». إذ الأعمال بالنيّات و لكلّ امرئ ما نوى.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام «و يرزق من يشاء» قال: ولاية أميرالمؤمنين. قلت: «من كان يريد حرث الآخرة»؟ قال: معرفة أميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام. «نزد له في حرثه». قال: يستوفي نصيبه من دولتهم. «و ما له في الآخرة من نصيب». قال: ليس له في دولة الحقّ مع الإمام نصيب.[٤]

و عن عليّ عليه السلام: إنّ المال و البنين حرث الدنيا، و العمل الصالح حرث الآخرة. و قد يجمعها الله لأقوام.[٥]

١ـ الكشّاف ٤ / ٢١٧ ـ ٢١٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٤١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦١ ـ ٣٦٢.
٤ـ الكافي ١ / ٤٣٥ ـ ٤٣٦، ح ٩٢.
٥ـ الكافي ٥ / ٥٧، ح ٦.

[٢١] «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

و لمّا أخبر سبحانه أنّ من يطلب الدنيا بأعماله فلا حظّ له في خير الآخرة قال: «أم لهم شركاء» ـ أي فيما كانوا يفعلونه ـ بيّنوا لهم من الدين ما لم يأمر به الله. يعني ديناً غير دين الإسلام. «و لولا كلمة الفصل»؛ أي: لولا أنّ الله حكم في حكمه الفصل بتأخير عذاب هذه الأمّة، لفرغ من عذاب الذين يكذّبونك في الدنيا. «و إنّ الظالمين»؛ أي: الذين يكذّبونك.[١]

«أم لهم شركاء». الهمزة للتقرير و التقريع. و شركاؤهم شياطينهم. «ما لم يأذن به الله» كالشرك و إنكار البعث و العمل للدنيا. و قيل: شركاؤهم أوثانهم، و أضافها إليهم لأنّهم يتّخذونها شركاء. و إسناد الشرع إليها لأنّها سبب ضلالتهم و افتتانهم بما تديّنوا به. «كلمة الفصل»؛ أي: القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو العدة بأنّ الفصل يكون يوم القيامة. «لقضي» بين الكافرين و المؤمنين أو المشركين و شركائهم.[٢]

قال أبوعبدالله عليه السلام: الكلمة الإمام. و الدليل على ذلك قوله عزّ و جلّ: «و جعلها كلمة باقية في عقبه».[٣] يعني الإمامة. «و إنّ الظالمين»: الذين ظلموا هذه الكلمة.[٤]

[٢٢] «تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ».

«ممّا كسبوا»؛ أي: من جزائه، و هو العقاب الذي استحقّوه. «و هو واقع بهم» لا ينفعهم خوفهم من وقوعه. «روضات». الروضة: الأرض الخضرة بحسن النبات. و الجنّة: البستان. «ما يشاؤون»؛ أي: ما يتمنّون يوم القيامة. «الفضل الكبير». لأنّه لا ينقطع.[٥]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٢.
٣ـ الزخرف (٤٣) / ٢٨.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٤.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٤٢.

[٢٣ ـ ٢٤] «ذٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلىٰ قَلْبِكَ وَ يَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ».

«ذلك»؛ أي: الفضل الكبير «يبشّر الله عباده» ليستعجلوا بذلك السرور في الدنيا. «قل» يا محمّد: «لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى». فيه أقوال. أحدها: لا أسألكم على تبليغ الرسالة [إلّا] التوادّ فيما يقرّب إلى الله من العمل الصالح. فالمودّة بمعنى التودّد إلى الله بالطاعة. و ثانيها: انّ معناه: إلّا أن تودّوني في قرابتي منكم ـ أي: لأجلها ـ و تحفظوني لها. عن ابن‌عبّاس و جماعة. قالوا: و كلّ قريش كانت بينه و بين رسول الله قرابة و هذا لقريش خاصّة. أي: إن لم تودّونى لأجل النبوّة، فودّوني لأجل القرابة. و ثالثها: انّ معناه: إلّا أن تودّوا قرابتي و عترتي و تحفظوني فيهم. عن عليّ بن الحسين عليهما السلام و جماعة. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. و عن ابن‌عبّاس: لمّا نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة و ولدهما. و على الأقوال الثلاثة فقد قيل في «إلّا المودّة» قولان: أحدهما أنّه استثناء منقطع، لأنّ هذا إنّما يجب بالإسلام فلايكون أجراً للنبوّة. و الآخر أنّه استثناء متّصل و المعنى: لا أسألكم عليه أجراً إلّا هذا. فقد رضيت به أجراً. فالمعنى: لا أسألكم عليه أجراً إلّا هذا، و نفعه أيضاً عائد عليكم. فكأنّي لم أسألكم أجراً، كما تقدّم في قوله: «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم».[1] و عن ابن‌عبّاس: انّ رسول الله حين قدم المدينة و استحكم الإسلام، قالت الأنصار فيما بينها: نأتي رسول الله فنقول له: إن يعرض لك أمور، فهذه أموالنا تحكم فيها غير حرج و لا محظور. فأتوه في ذلك، فنزلت الآية فقرأها عليهم فقال: تودّون قرابتي من بعدي. «و من يقترف حسنة»؛ أي: من فعل طاعة، نزد له في تلك الطاعة حسناً بأن نوجب له الثواب. و عن الحسن عليه السلام: اقتراف

١ـ سبأ (٣٤) / ٤٧.

الحسنة مودّتنا أهل البيت أصحاب الكساء. «غفور» أي للسيّئات «شكور» للطاعات، يعامل عباده معاملة الشاكر في توفية الحقّ حتّى كأنّه ممّن وصل إليه النفع فشكره.(١)

عن أبي جعفرعليه السلام: لمّا نزلت: «قل لا أسألكم» - الآية ـ قالت طائفة من المنافقين: هذا افتراء منه. كما حكى الله عنهم بقوله: «افترى على الله كذباً». فقال الله: «فإن يشأ الله يختم على قلبك». قال: لو افتريت. «و يمح الله الباطل». يعني يبطله. «و يحقّ الحقّ بكلماته». يعني بالأئمّة و القائم من آل محمّد صلوات الله عليهم.(٢)

عن أبي عبداللهعليه السلام: لمّا نزل قوله «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة» ـ الآية ـ قام رسول الله فقال: أيّها الناس، إنّ الله قد فرض عليكم فرضاً. فهل أنتم مؤدّوه؟ فلم يجبه أحد فانصرف. فقال في اليوم الثاني مثل ذلك، فلم يجبه أحد. فقام في اليوم الثالث فقال: إنّه ليس من ذهب و لا فضّة و لا مطعم و لا مشرب. قالوا: فألقه إذاً. قال: إنّ الله أنزل عليّ: «قل لا أسألكم» ـ الآية. فقالوا: أمّا هذه فنعم. فقال أبوعبداللهعليه السلام: فو الله ما وفى بها إلّا سبعة نفر: سلمان و أبوذرّ و عمّار و المقداد و جابر الأنصاريّ و مولى لرسول الله يقال له البنت(٣) و زيد بن أرقم.(٤)

عن أبي جعفرعليه السلام: لمّا نزل: «قل لا أسألكم» ـ الآية ـ قال المنافقون بعضهم لبعض: أما يكفي محمّداً أن يكون قهرنا عشرين سنة حتّى يريد أن يحمل أهل بيته على رقابنا؟ فقالوا: ما هذا إلّا كذب. و لئن قتل محمّد، لننزعنّها من أهل بيته ثمّ لانعيدها فيهم أبداً. و أراد الله أن يعلم نبيّه الذي أخفوا في صدورهم و أسرّوا به فقال في كتابه: «إنّه عليم بذات الصدور»؛ أي: بما ألقوه من العداوة لأهل بيتك في صدورهم و الظلم بعدك.(٥)

«أم يقولون»: بل يقولون: افترى محمّد على الله كذباً في ادّعاء الرسالة على الله. «يختم على قلبك»؛ أي: لو حدّثت نفسك بأن تفتري على الله كذباً، لطبع الله على قلبك و لأنساك

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤٢ ـ ٤٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٥.
٣ـ المصدر: الثبت.
٤ـ قرب الإسناد / ٣٨.
٥ـ الكافي ٨ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠، ح ٥٧٤.

القرآن. فكيف تقدر على الافتراء؟ كقوله: «لئن أشركت» ـ الآية.[١] و قيل: معناه: فإن يشأ الله، يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتّى لايشقّ عليك قولهم انّه مفتر و ساحر. فعلى هذا لايحتاج إلى إضمار و حذف. «و يمح الله الباطل»؛ أي: يزيله بإقامة الدلائل على بطلانه. و حذف الواو في المصاحف على اللّفظ في ذهابها لالتقاء الساكنين و ليس بعطف على قوله: «يختم»، لأنّه مرفوع. يدلّ عليه: «و يحقّ الحقّ بكلماته»؛ أي: يثبت الحقّ بأقواله التي ينزلها على نبيّه بهذا القرآن.[٢]

[٢٥] «وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ».

«يقبل التوبة عن عباده» و إن جلّت معاصيهم. فكأنّه قال: من نسب محمّداً صلى الله عليه وآله إلى الافتراء ثمّ تاب قبلت توبته.[٣]

[٢٦] «وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ».

«و يستجيب الذين آمنوا». أي لهم. فحذف اللّام. و المراد إجابة الدعاء و الإثابة في الطاعة؛ فإنّها كدعاء و طلب لما يترتّب عليه.[٤]

[٢٧] «وَ لَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَ لٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ».

«و لو بسط الله»؛ أي: لو وسّع الله الرزق على عباده على حسب ما يطلبونه، لبطروا النعمة و تنافسوا و تغالبوا و ظلموا في الأرض و تغلّب بعضهم على بعض و خرجوا عن الطاعة. و عن ابن‌عبّاس: بغيهم في الأرض طلبهم منزلة بعد منزلة و دابّة بعد دابّة. «ولكن

١ـ الزمر (٣٩) / ٦٥.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٤٤ ـ ٤٥.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٤٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٣.

ينزّل»؛ أي: ولكنّه ينزّل من الرزق قدر صلاحهم ما يشاء نظراً منه لهم. و المعنى أنّه يوسّع الرزق على من يكون مصلحته فيه و يضيّق على من يكون مصلحته فيه. و عنه ﷺ عن جبرئيل، عن الله تعالى: و إنّ من عبادي من لايصلح له إلّا الغنى، و لو أفقرته لأفسدته. و إنّ من عبادي من لايصلح له إلّا الفقر، و لو أغنيته لأفسدته ـ الحديث. «إنّه بعباده خبير بصير»؛ أي: عليم بأحوالهم بصير بما يصلحهم و ما يفسدهم.(١)

[٢٨] «وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ».

ثمّ بيّن سبحانه حسن نظره بعباده فقال: «و هو الذي ينزّل الغيث»؛ أي: ينزّله عليهم من بعد ما أيسوا من نزوله. و الغيث ما كان نافعاً في وقته. و المطر قد يكون نافعاً و قد يكون غير نافع بل ضارّاً في وقته و غير وقته. و وجه إنزاله بعد القنوط أنّه أدعى إلى شكر الآتي بعده و تعظيمه و المعرفة بموقع إحسانه. «و ينشر رحمته»؛ أي: يفرّق نعمته و يبسطها بإخراج النبات و الثمار التي يكون سببها المطر. «و هو الوليّ»: الذي يتولّى تدبير عباده و تقدير أمورهم و مصالحهم المالك لهم. «الحميد»: المحمود على جميع أفعاله [لكون جميعها] إحساناً و منافع.(٢)

[٢٩] «وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَ هُوَ عَلىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ».

«و من آياته خلق السموات و الأرض». فإنّها بذاتها و صفاتها تدلّ على وجود صانع حكيم قادر. «و ما بثّ فيهما». عطف على السموات أو خلق. «من دابّة»؛ أي: من حيّ؛ [على] إطلاق المسبّب على السبب. أو: ممّا يدبّ على الأرض. و ما يكون في أحد الشيئين يصدق أنّه فيهما في الجملة. «إذا يشاء»؛ أي: في أيّ وقت يشاء.(٣)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٤٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٤٦ـ٤٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٤.

[٣٠] «وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ».

«فبما كسبت أيديكم»؛ أي: بسبب معاصيكم. و الفاء لأنّ ما شرطيّة أو متضمّنة معناه. نافع و ابن‌عامر: «بما كسبت» بدون الفاء، استغناء بما في الباء من معنى السببيّة. «و يعفو عن كثير» من الذنوب فلايعاقب عليها. و الآية مخصوصة بالمجرمين. فإنّ ما أصاب غيرهم فلأسباب آخر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه.[١]

عن ابن رئاب قال: سألت عن قول الله: «و ما أصابكم من مصيبة» ـ الآية ـ: أرأيت ما أصاب عليّاً و أهل بيته عليهم السلام من بعده أهو بما كسبت أيديهم و هم معصومون؟ فقال: إنّ رسول الله كان يتوب إلى الله و يستغفر كلّ يوم و ليلة مائة مرّة من غير ذنب. إنّ الله يخصّ أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب.[٢]

و عن أميرالمؤمنين عليه السلام: ليس من التواء عرق و لا نكبة حجر و لا عثرة قدم و لا خدش عمود إلّا بذنب. و ما يعفو الله أكثر. فمن عجّل الله عقوبة ذنبه في الدنيا، فإنّ الله أجلّ و أكرم من أن يعود في عقوبته في الآخرة.[٣]

قال أهل التحقيق: إنّ ذلك خاصّ و إن خرج مخرج العموم؛ لما يلحق من مصائب الأطفال و المجانين و من لا ذنب له من المؤمنين، و لأنّ الأنبياء و الأئمّة ممتحنون بالمصائب و إن كانوا معصومين من الذنوب، لما يحصل لهم على الصبر عليها من الثواب.[٤]

[٣١] «وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ».

«بمعجزين في الأرض»؛ أي: فائتين ما قضي عليكم من المصائب. «من وليّ» يحرسكم عنها. «و لا نصير» يدفعها عنكم.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٤.
٢ـ الكافي ٢ / ٤٥٠، ح ٢.
٣ـ الكافي ٢ / ٤٤٥، ح ٦.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٤٧.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٤.

[٣٢] «وَ مِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ».

«الجوار»: السفن الجارية. «كالأعلام»: كالجبال.[١]

[٣٣] «إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ».

«فيظللن»: يبقين. «رواكد»: ثوابت على ظهر البحر. «صبّار شكور». لكلّ من وكل همّته و حبس نفسه على النظر في آيات الله و التفكّر في آلائه. أو لكلّ مؤمن كامل. فإنّ الايمان نصفان؛ نصف صبر و نصف شكر.[٢]

[٣٤] «أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَ يَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ».

«أو يوبقهنّ»؛ أي: يهلكهنّ بإرسال الرياح العاصفة المغرقة. و المراد إهلاك أهلها؛ لقوله: «بما كسبوا». و أصله: أو يرسلها فيوبقهنّ ـ لأنّه قسيم «يسكن» ـ فاقتصر فيه على المقصود، كما في قوله: «و يعف عن كثير»، إذ المعنى: أو يرسلها عاصفة فيوبق ناساً بذنوبهم و ينجي ناساً على العفو عنهم.[٣]

[٣٥] «وَ يَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ».

«و يعلم». عطف على علّة مقدّرة ـ مثل: لينتقم منهم ـ أو على الجزاء و نصب [نصب] الواقع جواباً للأشياء الستّة لأنّه أيضاً غير واجب. «محيص»: محيد من العذاب. و الجملة معلّق عنها الفعل.[٤]

[٣٦] «فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٤.

«فمتاع الحياة الدنيا»: تمتّعون به مدّة حياتكم. «و ما عند الله» من ثواب الآخرة «خير و أبقى» لخلوص نفعه و دوامه. و ما الأولى تضمّنت معنى الشرط من حيث إنّ إيتاء ما أوتوا سبب للتمتّع بها في الحياة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية.(١)

[٣٧] «وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ».

«و الذين يجتنبون». عطف على «للّذين آمنوا» أو مدح منصوب أو مرفوع. و بناء «يغفرون» على ضمير «هم» خبراً للدلالة على أنّهم الأخصّاء بالمغفرة حال الغضب. حمزة و الكسائيّ: «كبير الإثم».(٢)

«و الذين يجتنبون». يجوز أن يكون في محلّ الجرّ عطفاً على قوله: «للّذين آمنوا». و يجوز أن يكون في موضع رفع على الابتداء فيكون الخبر محذوفاً. أي: لهم مثل ذلك. و الفواحش: جمع فاحشة؛ و هو أقبح القبائح.(٣)

[٣٨] «وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ».

«و الذين استجابوا». نزلت في الأنصار؛ دعاهم رسول الله إلى الإيمان فاستجابوا. «و أمرهم شورى»: ذو شورى، لاينفردون برأي حتّى يتشاوروا و يجتمعوا عليه. و ذلك من فرط تدبّرهم في الأمور. و هو مصدر بمعنى التشاور.(٤)

«و الذين استجابوا لربّهم» فيما دعاهم [إليه] من أمور الدنيا.(٥) «و أمرهم شورى بينهم»؛ أي: يتشاورون بينهم. و هي المفاوضة في الكلام لظهور الحقّ. أي: لايتفرّدوا بأمر حتّى يشاوروا غيرهم فيه. و قيل: المعنيّ في الآية الأنصار؛ كانوا قبل الإسلام و قدوم النبيّ

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٤ ـ ٣٦٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٥.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٥٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٥.
٥ـ المصدر: الدين.

إذا أرادوا أمراً اجتمعوا و تشاوروا ثمّ عملوا، فأثنى الله عليهم بذلك. و قيل: هو تشاورهم حين سمعوا برسول الله و ورود النقباء عليه حتّى اجتمعوا في دار أبي أيّوب على الإيمان به و النصرة له. و فيه دلالة على فضل المشاورة في الأمور. و عنه ﷺ: ما من أحد يشاور أحداً إلّا هدي إلى الرشد.(١)

«و أمرهم شورى»؛ أي: يقبلون ما أمروا به و يشاورون الإمام عليه السلام فيما يحتاجون إليه.(٢)

[٣٩] «وَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ».

«ينتصرون» ممّن بغى عليهم من غير أن يعتدوا. أو: يتناصرون ينصر بعضهم بعضاً. و قيل: يعني به المؤمنين الذين أخرجهم الكفّار من مكّة و بغوا عليهم ثمّ مكّنهم الله في الأرض حتّى انتصروا ممّن ظلمهم. و قيل: جعل الله المؤمنين صنفين: صنف يعفون عمّن ظلمهم، و هم الذين ذكروا قبل هذه الآية و هو قوله: «إذا ما غضبوا هم يغفرون»؛ و صنف ينتصرون ممّن ظلمهم، و هم الذين ذكروا في هذه الآية. فمن انتصر و أخذ بحقّه و لم يتجاوز ما حدّ الله، فهو مطيع لله و من أطاع الله فهو محمود.(٣)

«هم ينتصرون» على ما جعله الله لهم كراهة التذلّل. و هو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمّهات الفضائل. و هو لا يخالف وصفهم بالغفران. فإنّه ينبئ عن عجز المغفور و الانتصار عن مقاومة الخصم. و الحلم عن العاجز محمود و عن المتغلّب مذموم، لأنّه إغراء على البغي.(٤)

[٤٠] «وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ».

ثمّ ذكر حدّ الانتصار فقال: «و جزاء سيّئة سيّئة مثلها». قيل: هي جواب القبيح، إذا

١ـ مجمع البيان ٩ / ٥٠ ـ ٥١.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٧.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٥١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٥.

قال: أخزاك الله، [يقول: أخزاك الله،] من غير أن يعتدي. و قيل: يعني القصاص في الجراحات و الدماء. و سمّى الثاني سيّئة لأنّها في مقابلة الأولى. «فمن عفا» عمّا له و أصلح أمره فيما بينه و بين الله، فثوابه على الله. و عنه ﷺ: إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: من كان أجره على الله، فليدخل الجنّة. فيقال: من ذا الذي أجره على الله؟ فيقال: العافون عن الناس يدخلون الجنّة بغير حساب.[١]

«و جزاء سيّئة سيّئة». سمّى الثانية سيّئة لأنّها تسوء من تنزل به. «فمن عفا و أصلح» بينه و بين عدوّه. «لايحبّ الظالمين»: المبتدئين بالسيّئة و المتجاوزين في الانتقام.[٢]

[٤١] «وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ».

«بعد ظلمه»؛ أي: ظلم الغير له. «من سبيل»؛ أي: إثم و عقوبة.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و لمن انتصر» ـ الآية ـ قال: ذلك القائم؛ إذا قام، انتصر من بني أميّة و من المكذّبين و النصّاب.[٤]

عن عليّ بن الحسين: و حقّ من أساءك أن تعفو عنه، و إن علمت أنّ العفو يضرّ انتصرت. قال الله: «و لمن انتصر بعد ظلمه».[٥]

و عن النبيّ ﷺ: ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك: السفلة، و الزوجة، و المملوك.[٦]

[٤٢] «إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«يظلمون الناس»: يبتدئونهم بالإضرار.[٧]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٥١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٥.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٥٢.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٤٩ ـ ٥٥٠.
٥ـ الخصال / ٥٧٠، ح ١.
٦ـ الخصال / ٨٦، ح ١٥.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٥.

[٤٣] «وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

«و لمن صبر»؛ أي: تحمّل المشقّة في رضا الله فلم ينتصر. «فإنّ ذلك» الصبر و التجاوز لمن ثابت الأمور التي أمر الله بها فلم تنسخ. و قيل: عزم الأمور هو الأخذ بأعلاها في باب نيل الثواب و الأجر.(١)

[٤٤] «وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ».

«و من يضلل الله» عن رحمته و جنّته، «فما له من وليّ» يدفع عنه العذاب. «و ترى الظالمين» يا محمّد «لمّا رأوا العذاب»: عذاب النار. «يقولون هل إلى مردّ» إلى الدنيا، تمنّياً منهم لذلك.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام: «و ترى الظالمين» لآل محمّد صلوات الله عليهم حقّهم.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قرأ: «و ترى ظالمي آل محمّد حقّهم».(٤)

عن أبي جعفر عليه السلام «لمّا رأوا العذاب»: و عليّ عليه السلام هو العذاب في هذا الوجه.(٥) «يقولون هل إلى مردّ من سبيل» فنوالي عليّاً عليه السلام؟(٦)

عن أبي جعفر عليه السلام «لمّا رأوا العذاب»: و عليّ هو العذاب. «يقولون هل إلى مردّ من سبيل». يعني أنّه سبب العذاب. لأنّه قسيم الجنّة و النار.(٧)

[٤٥] «وَ تَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٥٢.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٥٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٧.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٥٠، ح ١٩.
٥ـ في النسخة: في هذه الرجعة.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٨.
٧ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٥٠، ح ١٩.

«يعرضون عليها»؛ أي: على النار قبل دخولها. «خاشعين»؛ أي: ساكتين متواضعين في حال العرض. «خفيّ»؛ أي: خفيّ النظر، لما عليهم من الهوان يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها. و قيل: من عين لاتفتح كلّها و إنّما نظروا ببعضها إلى النار. «و قال الذين آمنوا» لمّا رأوا عظيم ما نزل بالظالمين: «إنّ الخاسرين» في الحقيقة هم الذين فوّتوا أنفسهم الانتفاع بالجنّة. «و أهليهم»؛ أي: أولادهم و أزواجهم و أقاربهم لاينتفعون بهم «يوم القيامة» لما حيل بينهم و بينهم. و قيل: و أهليهم من الحور العين في الجنّة لو آمنوا.(١)

«خاشعين من الذلّ» لعليّ، ينظرون إلى عليّ من طرف خفيّ. «و قال الذين آمنوا». يعني آل محمّد و شيعتهم. «إنّ الخاسرين». قال: و الله يعني النصّاب الذين نصبوا العداوة لأميرالمؤمنين و ذرّيّته عليهم السلام.(٢)

و عنه عليه السلام في قول الله: «ينظرون من طرف خفيّ»: يعني إلى القائم عليه السلام.(٣)

«يوم القيامة». إمّا يتعلّق بخسروا و يكون قول المؤمنين واقعاً في الدنيا. و إمّا أن يتعلّق بقال. أي: يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة.(٤)

[٤٦] «وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ».

«من سبيل» يوصل إلى الجنّة.(٥)

[٤٧] «اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ».

«استجيبوا لربّكم»؛ أي: أجيبوا داعي ربّكم ـ يعني محمّداً صلى الله عليه و آله ـ فيما دعاكم إليه و

١ـ مجمع البيان ٩ / ٥٣.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٨، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٥٠، ح ٢٠.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٢٣٠.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٥٤.

رغّبكم فيه من المصير إلى طاعته. «لا مردّ له»؛ أي: لا رجوع بعده إلى الدنيا. «و ما لكم من نكير»؛ أي: إنكار و تغيير للعذاب. أو: من نصير ينكر ما يحلّ بكم.(١)

«من الله». من صلة لا مردّ. أي: لايردّه الله بعد ما حكم به. أو من صلة يأتي. أي: من قبل أن يأتي من الله يوم لايقدر أحد على ردّه. «من نكير». النكير: الإنكار. أي: ما لكم من مخلص من العذاب و لاتقدرون أن تنكروا شيئاً ممّا اقترفتموه و دوّن في صحائف أعمالكم.(٢)

[٤٨] «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ».

«فإن أعرضوا». يعني الكفّار. أي: عدلوا عمّا دعوتهم إليه. «فما أرسلناك عليهم حفيظاً»؛ أي: مأموراً بحفظهم لئلّايخرجوا عمّا دعوتهم إليه كما يحفظ الراعي غنمه. فلاتحزن لإعراضهم. «فرح بها»؛ أي: بطر. لأنّ الفرح المراد هنا ما قارنه أشر أو جحود و إنكار. لأنّه خرج مخرج الذمّ.(٣)

«الإنسان». أراد به الجمع لا الواحد. و لم يرد إلّا المجرمين. لأنّ إصابة السيّئة بما قدّمت أيديهم إنّما يستقيم فيهم. و الرحمة: النعمة و الغنى و الأمن. و السيّئة: البلاء من المرض و الفقر و المخاوف. «كفور». و هو البليغ الكفران. و لم يقل: فإنّه كفور، ليسجّل على أنّ هذا الجنس موسوم بكفران النعمة. و المعنى أنّه يذكر البلاء و ينسى النعمة.(٤)

[٤٩ ـ ٥٠] «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَ إِنَاثاً وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٥٤.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٣١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٥٤.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٢٣٢.

«لله ملك السموات». أي يقسم النعمة و البلاء كيف أراد و يهب لعباده من الأولاد ما يقتضيه مشيّته فيخصّ بعضاً بالإناث و بعضاً بالذكور و بعضاً بالصنفين جميعاً و يعقّم آخرين. قيل: نزلت في الأنبياء حيث وهب لشعيب و لوط إناثاً و لإبراهيم ذكوراً و لمحمّد صلى الله عليه وآله ذكوراً و إناثاً و جعل يحيى و عيسى عقيمين.[١]

«أو يزوّجهم» [أي: يجمع لهم بين البنين و البنات. تقول العرب: زوّجت إبلي؛ أي: جمعت] بين صغارها و كبارها. و قيل: هو أن تلد المرأة غلاماً ثمّ جارية ثمّ غلاماً ثمّ جارية، أو تلد توأماً ذكراً و أنثى.[٢]

عن الرضا عليه السلام في علّة تحليل مال الولد لوالده بغير إذنه: و ليس ذلك للولد. لأنّ الولد موهوب للوالد في قوله تعالى: «يهب لمن يشاء إناثاً» ـ الآية. مع أنّه المأخوذ بمؤونته صغيراً و كبيراً و المدعوّ له لقوله تعالى: «ادعوهم لآبائهم»[٣].[٤]

لعلّ تقديم الإناث لأنّها أكثر لتكثير النسل، أو لأنّ مساق الآية للدلالة على أنّ الواقع ما يتعلّق به مشيّة الله لا مشيّة الإنسان و الإناث كذلك، أو لأنّ الكلام في البلاء و العرب تعدّهنّ بلاء، أو لتطييب قلوب آبائهنّ.[٥]

عن أبي الحسن العسكريّ قال: يزوّج ذكران المطيعين إناثاً من الحور العين و إناث المطيعات من الإنس من ذكران المطيعين.[٦]

[٥١] «وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ».

«إلّا وحياً»؛ أي: ما صحّ لأحد من البشر أن يكلّمه الله إلّا على ثلاثة أوجه: إمّا على طريق الوحي و هو الإلهام و القذف في القلب أو المنام، كما أوحى إلى أمّ موسى و إلى إبراهيم

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٥٤.
٣ـ الأحزاب (٣٣) / ٥.
٤ـ عيون الأخبار ٢ / ٩٤، ح ١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٦.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٩.

في ذبح ولده. و إمّا على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلّمه. و قوله: «من وراء حجاب» مثل. أي: كما يكلّم الملك المحتجب بعض خواصّه و هو من وراء الحجاب فيسمع صوته و لا يرى شخصه. و ذلك كما كلّم موسى و يكلّم الملائكة. و إمّا على أن يرسل إليه رسولاً من الملائكة فيوحي الملك، كما كلّم غير موسى من الأنبياء. و قيل: «إلّا وحياً» كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة. «أو يرسل رسولاً»؛ أي: نبيّاً، كما كلّم أمم الأنبياء على ألسنتهم. «وحياً» و «أن يرسل» مصدران واقعان موقع الحال. لأنّ «أن يرسل» في معنى إرسالاً. و «من وراء حجاب» ظرف واقع موقع الحال أيضاً. و التقدير: و ما صحّ أن يكلّم أحداً إلّا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلاً. و روي أنّ اليهود قالت للنبيّ ﷺ: ألا تكلّم الله و تنظر إليه إن كنت نبيّاً كما كلّمه موسى و نظر إليه؟ فإنّا لن نؤمن لك حتّى تفعل ذلك. فقال: لم ينظر موسى إلى الله. فنزلت. «إنّه عليّ». أي عن صفات المخلوقين. «حكيم» يجري أفعاله على موجب الحكمة. فيكلّم تارة بواسطة و تارة بغير واسطة إمّا إلهاماً و إمّا خطاباً.(١)

«إلّا وحياً». قال: وحي مشافهة و وحي إلهام و هو الذي يقع في القلب. «أو من وراء حجاب» كما كلّم موسى و كما كلّم نبيّه ﷺ. «أو يرسل رسولاً». قال: وحي مشافهة. يعني إلى الناس.(٢)

قال الخليل: نصب «أو يرسل» للعطف على أن يوحي الذي يدلّ عليه «وحياً». فصار التقدير: ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا أن يوحي وحياً أو يرسل رسولاً. قرأ نافع: «أو يرسل» بالرفع «فيوحي» بسكون الياء، و الباقون: «أو يرسل» «فيوحي» بالنصب.(٣)

[٥٢ ـ ٥٣] «وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ وَ لٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلىٰ صِرَاطٍ

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧٩.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٥٥.

مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ».

«و كذلك أوحينا»؛ أي: مثل ما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك. «روحاً». و هو القرآن. لأنّه يهتدى به ففيه حياة من موت الكفر. و قيل: روح القدس. و قيل: ملك أعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله. عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. قالا: و لم يصعد إلى السماء و هو معنا. «ماكنت» ـ يا محمّد ـ «تدري قبل الوحي» ما القرآن و لا الشرائع. و قيل: معناه: ولا أهل الإيمان؛ أي: من الذي يؤمن و من الذي لايؤمن. «ولكن» جعلنا القرآن الذي هو الروح نوراً، لأنّ فيه معالم الدين، و جعلنا الإيمان نوراً، لأنّه طريق النجاة. «نهدي به» إلى الجنّة «من نشاء». «صراط الله». تفسير للصراط المستقيم.[1]

«ماكنت تدري». أي قبل الوحي. و هو دليل على أنّه لم يكن متعبّداً قبل النبوّة بشرع. و قيل: المراد هو الإيمان بما لا طريق إليه إلّا السمع. «ولكن جعلناه»؛ أي: الروح. أو: الكتاب. أو: الإيمان.[2]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و إنّك لتهدي إلى صراط مستقيم». يعني لتأمر بولاية عليّ عليه السلام. «ولكن جعلناه نوراً». يعني عليّاً عليه السلام. و عليّ هو النور. «نهدي به»؛ أي: بعليّ «من نشاء» من عبادنا. «صراط الله الذي له ما في السموات و ما في الأرض». لأنّه جعل خازنه على ما في السموات و الأرض من شيء و ائتمنه عليه.[3]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٥٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٧.
٣ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٢٨٠.

٤٣.
سورة الزخرف

من سقاها للزوجة المخالفة، أطاعت. و ماؤها ينفع المعصوم من البطن و يسهّل المخرج. و من حملها، أمن من كلّ شرّ. و إن وضعت تحت رأس نائم، لم ير في نومه إلّا خيراً.[١]

عنه عليه السلام: من قرأ سورة الزخرف، كان ممّن يقال له يوم القيامة: يا عبادي، لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون. ادخلوا الجنّة بغير حساب.[٢]

و عن أبي جعفر عليه السلام: من أدمن قراءة حم الزخرف، آمنه الله في قبره من هوامّ الأرض و من ضغطة القبر حتّى يقف بين يدي الله، ثمّ جاءت حتّى تكون هي التي تدخله الجنّة بأمر الله.[٣]

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * حم * وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

أقسم بالقرآن على أنّه جعله قرآناً عربيّاً. و من البدائع تناسب المقسم و المقسم عليه.[٤]

«و الكتاب المبين». أقسم بالقرآن المبيّن للحلال و الحرام. «إنّا جعلناه»؛ أي: أنزلناه «قرآناً عربيّاً» على طريقة العرب، و مع ذلك فإنّه لايتمكّن أحد منهم من إنشاء مثله.

١ـ المصباح / ٦١٠.
٢ـ مستدرك الوسائل ٤ / ٣٤٨.
٣ـ ثواب الأعمال / ١٤١، ح ١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٨.

«لعلّكم تعقلون»؛ أي: لكي تعقلوا و تتفكّروا فتعلموا صدق من ظهر على يده.(١)

[٤] «وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ».

«و إنّه»: القرآن. «في أمّ الكتاب»؛ أي: اللّوح المحفوظ. و إنّما سمّي أمّاً لأنّ سائر الكتب تنسخ منه. و القرآن مثبوت في اللّوح المحفوظ و هو [الكتاب] الذي كتب [الله] فيه ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة لما رأى في ذلك من صلاح ملائكته بالنظر فيه. «لدينا»؛ أي: عندنا. «لعليّ»؛ أي: عال في البلاغة مظهر ما يحتاج إليه العباد. و قيل: عليّ على كلّ الكتب ناسخ لها. و قيل: [عليّ؛ أي: عظيم الشأن] تعظّمه الملائكة و المؤمنون. «حكيم»؛ أي: مظهر الحكمة. وصف الله القرآن بهاتين الصفتين على سبيل التوسّع لأنّهما من صفات الحيّ.(٢)

[٥] «أَ فَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ».

«أ فنضرب». الفاء للعطف على محذوف. أي: أنهملكم فنضرب. «صفحاً». مصدر من غير لفظه. فإنّ تنحية الذكر عنهم إعراض. «أن كنتم». قرأ نافع بكسر الهمزة، على أنّ الجملة شرطيّة مخرجة للمحقّق مخرج المشكوك استجهالاً لهم و ما قبلها دليل الجزاء.(٣)

«أ فنضرب عنكم الذكر»؛ أي: القرآن. أي: أفنترك الوحي «صفحاً» فلانأمركم و لانتهاكم و لانرسل إليكم رسولاً؟ و هذا استفهام إنكار. و أصل ضربت عنه الذكر أنّ الراكب إذا ركب دابّة فأراد أن يصرفه عن وجهه، ضربه بعصاً أو سوط ليعدل به إلى جهة أخرى، ثمّ وضع الضرب موضع الصرف. و قيل: إنّ الذكر بمعنى العذاب. و معناه: أحسبتم أن لانعذّبكم أبداً؟ «إن كنتم»؛ أي: كنتم مسرفين في كفركم. أهل المدينة و الكوفة غير عاصم: «إن كنتم» بكسر الهمزة، و الباقون بفتحها.(٤)

[٦ ـ ٨] «وَ كَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ * وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ

١ـ مجمع البيان ٩ / ٦٠.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٦٠ ـ ٦١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٨ ـ ٣٦٩.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٦١ و ٦٠.

يَسْتَهْزِؤُونَ * فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَ مَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ».

ثمّ عزّى سبحانه نبيّه بقوله: «و كم أرسلنا من نبيّ» في الأمم الماضية و كانوا يكفرون بالأنبياء و يسخرون منهم لفرط جهلهم كما استهزأ قومك بك. أي: فلم نضرب عنهم الصفح لاستهزائهم برسلهم، بل كرّرنا الحجج و أرسلنا الرسل. «فأهلكنا» من أولئك الأمم من كان أشدّ قوّة من قومك. فلايغترّ هؤلاء المشركون بالقوّة و النجدة. «و مضى»؛ أي: سبق فيما أنزلنا إليك تشبيه حال الكفّار الماضية بحال هؤلاء في التكذيب. و لمّا أهلكوا أولئك بتكذيبهم رسلهم، فعاقبة هؤلاء أيضاً الهلاك.(١)

[٩] «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ».

«و لئن سألتهم»؛ أي: سألت قومك يا محمّد. «خلقهنّ العزيز». لأنّه لايمكنهم أن يجعلوا في ذلك شركة للأوثان و الأصنام. و هذا إخبار عن غاية جهلهم إذ اعترفوا أنّ الله خالق السموات و الأرض ثمّ عبدوا معه غيره و أنكروا قدرته على البعث.(٢)

[١٠] «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ».

«مهداً». قرأ غير الكوفيّين: «مهاداً» بالألف.(٣)

«لعلّكم تهتدون»؛ أي: لتهتدوا على مقاصدكم في أسفاركم. و قيل: معناه: لتهتدوا إلى الحقّ في الدين بالاعتبار الذي حصل لكم بالنظر فيها.(٤)

[١١] «وَ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ».

«ميتاً». تذكيره لأنّ البلدة بمعنى البلد و المكان. و قرأ ابن‌عامر و حمزة و الكسائيّ: «تخرجون» بفتح التاء و ضمّ الراء.(٥)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٦١ ـ ٦٢.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٦٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٩.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٦٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٦٩.

«بقدر»؛ أي: بقدر الحاجة. «فأنشرنا»؛ أي: أحيينا بذلك المطر بلدة يابسة بإخراج النبات و الزروع. «كذلك تخرجون».؛ أي: مثل إخراج النبات تخرجون يوم البعث.[١]

[١٢ ـ ١٤] «وَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَ الْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ».

«الأزواج». يعني أزواج الحيوان من ذكر و أنثى. أو: خلق الأشكال جميعها من الحيوان و الجماد. فمن الحيوان الذكر و الأنثى، و من غير الحيوان ما هو كالمقابل كالحلو و المرّ و الرطب و اليابس و غير ذلك. «من الفلك»؛ أي: السفن. «و الأنعام»: الإبل و البقر. «ما تركبون» في البرّ و البحر. «على ظهوره»؛ أي: ظهور ما جعل الله لكم. «مقرنين»؛ أي: مطيقين مقاومين في القوّة. «و إنّا إلى ربّنا»؛ أي: و لتقولوا: إنّا إلى ربّنا راجعون آخر عمرنا على مراكب أخر و هو الجنازة. [قال قتادة: قد][٢] علّمكم كيف تقولون إذا ركبتم. و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ذكر النعمة أن تقول: الحمد لله الذي هدانا للإسلام و علّمنا القرآن و منّ علينا بمحمّد و آله الأماجد الكرام صلوات الله عليه و عليهم. و يقولون بعده: «سبحان الذي» ـ الآية.[٣]

عن أمير المؤمنين عليه السلام: إذا ركبتم الدوابّ، فاذكروا الله تعالى و قولوا: «سبحان الذي سخّر لنا هذا» ـ الآية.[٤]

و عن أبي الحسن عليه السلام: ما من عبد يقولها عند ركوبه فيقع من بعير أو دابّة فيصيبه شيء بإذن الله تعالى.[٥]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٦٣.
٢ـ في النسخة: «يعني أن» بدل ما بين المعقوفتين.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٦٣.
٤ـ الخصال / ٦٣٤.
٥ـ الكافي ٣ / ٤٧١ ـ ٤٧٢، ح ٥.

[١٥] «وَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ».

«جزءاً»؛ أي: نصيباً. يعني: حكموا أنّ بعض عباده ـ و هم الملائكة ـ له أولاد. و معنى الجعل هنا الحكم. لأنّهم زعموا أنّ الملائكة بنات الله. و قيل: معناه: و جعلوا لله من مال عباده نصيباً. «مبين»؛ أي: مظهر للكفر غير مستتر به.(١)

«و جعلوا له من عباده جزءاً». متّصل بقوله: «و لئن سألتهم»؛ أي: قد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولداً و هم الملائكة. و لعلّه سمّاه جزءاً كما سمّاه بعضاً لأنّه بضعة من الوالد، دلالة على استحالته على الواحد الحقّ في ذاته.(٢)

[١٦] «أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَ أَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ».

«أم اتّخذ». معنى الهمزة الإنكار و التعجّب من شأنهم حيث لم يقنعوا بأن جعلوا له جزءاً حتّى جعلوا له من مخلوقاته جزءاً أخسّ ما اختير لهم و أبغض الأشياء إليهم.(٣)

«أم اتّخذ». استفهام إنكار و توبيخ و معناه: بل اتّخذ ممّا يخلق.(٤)

[١٧] «وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَ هُوَ كَظِيمٌ».

«بما ضرب للرحمن مثلاً»؛ أي: بما جعل لله شبهاً. و ذلك أنّ ولد كلّ [شيء] شبهه. فالمعنى: إذا بشّر بولادة ابنة له «ظلّ وجهه مسودّاً» بما يلحقه من الغمّ بذلك. «و هو كظيم»؛ أي: مملوّ غيظاً.(٥)

[١٨] «أَ وَ مَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ».

«أو من ينشّأ في الحلية»؛ أي: [أو جعلوا من ينشّأ] في زينة النساء لله ـ يعني البنات ـ و هو في المخاصمة غير مبين للحجّة؟ قال قتادة: قلّ ما تتكلّم امرأة بحجّتها إلّا تكلّمت بالحجّة

١ـ مجمع البيان ٩ / ٦٣ ـ ٦٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٠.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٦٦.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٦٦.

عليها. أي لايمكنها أن تبين الحجّة عند الخصومة لضعفها و سفهها. و قيل: معناه: أو يعبدون من ينشّأ في الحلية و لايمكنه أن ينطق بحجّته و يعجز عن الجواب؟ و هم الأصنام. فإنّهم كانوا يحلّونها بالحليّ. أهل الكوفة غير أبي‌بكر: «ينشّأ» بالتشديد. و الباقون: «ينشأ» بفتح الياء و سكون النون و التخفيف.(١)

[١٩] «وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثاً أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُونَ».

«و جعلوا الملائكة». كفر آخر تضمّنه مقالهم شنّع به عليهم و هو جعلهم أكمل العباد و أكرمهم على الله أنقصهم رأياً و أخسّهم صنفاً.(٢)

و أهل الكوفة و أبوعمرو: «عباد الرحمن». و الباقون: «عند الرحمن». «إناثاً» بأن زعموا أنّهم بنات الله. أ حضروا خلقهم حتّى علموا أنّهم إناث؟ أهل المدينة: «أشهدوا» بضمّ الهمزة و سكون السين و قبلها همزة الاستفهام مفتوحة ثمّ يخفّف الثانية من غير أن يدخل بينهما ألفاً و بعضهم يدخل بينهما ألفاً. و الباقون: «أشهدوا» بفتح الألف و الشين. «ستكتب شهادتهم» بذلك «و يسألون» عنها يوم القيامة.(٣)

«أو من ينشّأ»؛ أي: أو جعلوا له ـ أو اتّخذ ـ من يتربّى في الزينه ـ يعني البنات ـ و هو في المجادلة غير مقرّر لما يدّعيه من نقصان العقل؟ و يجوز أن يكون مبتدأً محذوف الخبر. [أي:] أو من هذا حال ولده؟ [و] في الخصام متعلّق بمبين.(٤)

«أو من ينشّأ في الحلية»؛ أي: في الذهب. قال: إنّ موسى أعطاه الله من القوّة أن أرى فرعون صورته على فرس من ذهب رطب عليه ثياب من ذهب رطب. فقال فرعون: «أو من ينشّأ في الحلية»؛ أي: منشّأ بالذهب «و هو في الخصام غير مبين»؟ قال: [لا] يبين الكلام

١ـ مجمع البيان ٩ / ٦٦ و ٦٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٦٤ و ٦٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٠.

و لايتبيّن من الناس. و لو كان نبيّاً، لكان خلاف الناس.(١)

قال أبوعبدالله عليه السلام: أمر رسول الله أبابكر و عمر و عليّاً عليه السلام أن يمضوا إلى الكهف و الرقيم فيسبغ أبوبكر الوضوء و يصفّ قدميه و يصلّي ركعتين و ينادي ثلاثاً؛ فإن أجابوه، و إلّا فليقل مثل ذلك عمر؛ فإن أجابوه، و إلّا فليقل مثل ذلك عليّ عليه السلام. فمضوا و فعلوا ما أمرهم به رسول الله، فلم يجيبوا أبابكر و لا عمر. فقام عليّ عليه السلام و فعل ذلك فأجابوه و قالوا: لبّيك لبّيك ـ ثلاثاً. فقال: ما لكم لم تجيبوا الصوت الأوّل و الثاني و أجبتم الثالث؟ فقالوا: إنّا أمرنا ألّانجيب إلّا نبيّاً أو وصيّ نبيّ. ثمّ انصرفوا إلى النبيّ فأخبروه. فأخرج رسول الله صحيفة حمراء فقال لهم: اكتبوا شهادتكم بخطوطكم فيها بما رأيتم و سمعتم. فأنزل الله: «ستكتب شهادتهم و يسألون» يوم القيامة.(٢)

ذكر أبوجعفر عليه السلام الكتاب الذي تعاقدوا عليه في الكعبة و أشهدوا فيه و ختموا عليه بخواتيمهم [فقال:] فأخبر الله نبيّه بما يصنعونه قبل أن يكتبوه. و أنزل الله فيه كتاباً: «ستكتب شهادتهم و يسألون».(٣)

[٢٠ ـ ٢١] «وَ قَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ».

«لو شاء الرحمن ما عبدناهم». فإنّما عبدناهم بمشيّة الله. «إن هم إلّا يخرصون»؛ أي: ما هم إلّا كاذبون. كذّبهم الله لأنّهم أنكروا التوحيد بإضافتهم الولد إليه و فارقوا العدل بإضافتهم الكفر إلى مشيّة الله. «أم آتيناهم». هو استفهام بمعنى التقرير لهم على خطائهم. و التقدير: أهذا الذي ذكروه شيء تخرّصوه أم آتيناهم كتاباً فهم مستمسكون بذلك. فإذا لم يمكنهم ادّعاء أنّ الله أنزل كتاباً بذلك، علم أنّ ذلك من تخرّصهم. و دلّ أم على حذف حرف الاستفهام لأنّه المعادلة.(٤)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٥٣ ـ ٥٥٤، ح ٧.

٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٥٥، ح ٩.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ٦٦ ـ ٦٧.

[«ما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يخرصون»: يتمحّلون تمحّلاً باطلاً. و يجوز أن تكون الإشارة إلى أصل الدعوى. كأنّه لمّا أبدى وجوه فسادها و حكى شبههم المزيّفة][١] نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل، ثمّ أضرب عنه إلى إنكار أن يكون لهم سند من جهة النقل فقال: «أم آتيناهم كتاباً من قبله»: من قبل القرآن أو ادّعائهم ينطق على صحّة ما قالوه. «فهم به»؛ أي: بذلك الكتاب.[٢]

[٢٢] «بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ».

«بل قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أمّة»؛ أي: طريقة. و قيل: على جماعة. أي كانوا مجتمعين متوافقين على ما نحن عليه. «مهتدون»؛ أي: نهتدي بهداهم.[٣]

«إنّا وجدنا آباءنا». أي لا حجّة لهم على ذلك عقليّة و لا نقليّة و إنّما احتجّوا به على تقليد آبائهم الجهلة.[٤]

[٢٣ ـ ٢٤] «وَ كَذٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ».

«و كذلك ما أرسلنا». تسلية لرسول الله و دلالة على أنّ التقليد في نحو ذلك ضلال قديم و أنّ مقدّميهم أيضاً لم يكن لهم مستند منظور إليه. و تخصيص المترفين إشعار بأنّ التنعّم وقت البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد. «قل أو لو جئتكم»؛ أي: أ تتّبعون آباءكم و لو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم؟ «قالوا إنّا بما أرسلتم به كافرون»، أي و إن كان أهدى، إقناطاً للنذير من أن ينظروا و يتفكّروا فيه.[٥]

١ـ في النسخة: «أم آتيناهم كتاباً» بدل ما بين المعقوفتين.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٠ ـ ٣٧١.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٦٨.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧١.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧١.

«و كذلك ما أرسلنا»؛ أي: مثل ما قال هؤلاء في الحوالة على تقليد آبائهم في الكفر ما أرسلنا «من قبلك» يا محمّد «في قرية» و مجتمع بين الناس «من نذير»؛ أي: نذيراً. و من زائدة. «إلّا قال مترفوها». و هم الذين آثروا الترفّه على طلب الحجّة. يريد الرؤساء. ثمّ قال سبحانه للنذير: «قل أو لو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم» تتّبعون ما وجدتم عليه آباءكم و لاتقبلون ما جئتكم به؟ ثمّ أخبر أنّهم أبوا أن يقبلوا ذلك [و قالوا:] إنّا كافرون بما أرسلتم به أيّها الرسل. حفص و أبوعمرو: «قال أو لو». و الباقون: «قل». و أبوجعفر: «جئناكم». و الباقون «جئتكم».(١)

[٢٥] «فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ».

«فانتقمنا منهم»؛ أي: عجّلنا عقوبتهم.(٢)

«فانظر كيف كان» و لاتكترث بتكذيبهم.(٣)

[٢٦ـ٢٧] «وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ».

«و إذ قال إبراهيم»؛ أي: اذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرّأ عن التقليد و تمسّك بالدليل، أو ليقلّدوه إن لم يكن لهم بدّ من التقليد، فإنّه أشرف آبائهم. «براء ممّا تعبدون»: بريء من عبادتكم أو معبودكم. و براء مصدر نعت به و لذلك استوى فيه الواحد و المتعدّد و المذكّر و المؤنّث. «إلّا الذي فطرني». استثناء منقطع أو متّصل على أنّ «ما» يعمّ أولي العلم و غيرهم و أنّهم كانوا يعبدون الله و الأوثان. «فإنّه سيهدين»؛ أي: يثبتني على الهداية. أو: سيهدين إلى وراء ما هداني إليه.(٤)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٦٨ و ٦٧.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٦٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧١.

«سيهدين» إلى طريق الجنّة، أو إلى الحقّ بما نصب لي من الأدلّة.(١)

[٢٨] «وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

«و جعلها»؛ أي: جعل إبراهيم، أو الله تعالى، كلمة التوحيد «كلمة باقية في عقبه»؛ أي: في ذرّيّته، فيكون فيهم أبداً من يوحّد الله و يدعو إلى توحيده. «يرجعون»؛ أي: يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحّد.(٢)

«و جعلها»؛ أي: كلمة التوحيد، و هي قوله: لا إله إلّا الله. أو: الكلمة التي قالها إبراهيم و هو براءته من الشرك. «باقية» في ولده من بعده. «لعلّهم يرجعون»؛ أي: يرجعون عمّا هم عليه بالاقتداء بأبيهم إبراهيم في توحيد الله كما اقتدى الكفّار بآبائهم.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «و جعلها كلمة باقية» قال: هي الإمامة؛ جعلها الله في عقب الحسين عليه السلام باقية إلى يوم القيامة.(٤)

[٢٩] «بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَ رَسُولٌ مُبِينٌ».

«بل متّعت هؤلاء و آباءهم»: هؤلاء المعاصرين لرسول الله من قريش و آباءهم بالمدّ في العمر و النعمة، فاغترّوا بذلك و انهمكوا في الشهوات. «حتّى جاءهم الحقّ»؛ أي: دعوة التوحيد. أو: القرآن. «و رسول مبين»: ظاهر الرسالة، بما له من المعجزات. أو: مبين للتوحيد بالحجج و الآيات.(٥)

[٣٠] «وَ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ وَ إِنَّا بِهِ كَافِرُونَ».

«و لمّا جاءهم الحقّ» لينبّههم عن غفلتهم «قالوا هذا سحر». زادوا شرارة فضمّوا إلى شركهم معاندة الحقّ و الاستخفاف به فسمّوا القرآن سحراً و كفروا به و استحقروا

١ـ مجمع البيان ٩ / ٦٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٦٩.
٤ـ معاني الأخبار / ١٣١ ـ ١٣٢، ح ١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧١ ـ ٣٧٢.

الرسول ﷺ.(١)

[٣١ ـ ٣٢] «وَ قَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ».

«و قالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين»: مكّة و الطائف «عظيم» بالجاه و المال، كالوليد بن مغيرة و عروة بن مسعود الثقفيّ؟ فإنّ الرسالة منصب عظيم لا يليق إلّا بالعظيم. و لم يعلموا أنّها رتبة روحانيّة تستدعي عظم النفس بالتحلّي بالفضائل و الكمالات القدسيّة لا التزخرف بالزخارف الدنيويّة. «أهم يقسمون». إنكار فيه تجهيل و تعجّب من تحكّمهم. و المراد بالرحمة النبوّة. «نحن قسمنا بينهم معيشتهم» و هم عاجزون عن تدبيرها و هي خويصة أمرهم في دنياهم. فمن أين لهم أن يدبّروا أمر النبوّة التي هي أعلى المراتب الإنسيّة؟ «و رفعنا بعضهم فوق بعض»؛ أي: أوقعنا بينهم التفاوت في الرزق و غيره. «ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً»: ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف و تظامّ ينتظم بذلك نظام العالم، لا لكمال في الموسّع و لا لنقص في المقتّر. ثمّ إنّه لا اعتراض لهم علينا في ذلك و لا تصرّف، فكيف فيما هو أعلى منه! «و رحمة ربّك». يعني النبوّة و ما يتبعها. «خير ممّا يجمعون» من حطام الدنيا. فالعظيم من رزق منها لا منه.(٢)

«لولا نزّل». مازالوا ينكرون أن يبعث الله بشراً رسولاً. فلمّا علموا بتكرير الله الحجج أنّ الرسل لم يكونوا إلّا رجالاً من أهل القرى، جاؤوا بالإنكار من وجه آخر و هو تحكّمهم أن يكون أحد هذين. و قولهم: «هذا القرآن» ذكر له على وجه الاستهانة. فإن قلت: معيشتهم ما يعيشون به من المنافع. و منهم من يعيش بالحلال. و منهم من يعيش بالحرام. فإذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال! قلت: الله يقسم لكلّ عبد معيشته ـ و هي مطاعمه و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٢.

مشاربه و ما يصلحه من المنافع ـ و أذن له في تناولها، ولكن شرط عليه و كلّفه في تناولها الطرق التي شرعها. فإذا سلكها، فقد تناول قسمته من المعيشة حلالاً. و إذا لم يسلكها، تناولها حراماً و ليس له أن يسمّيها رزق الله. فالله تعالى قاسم المعايش و المنافع، ولكنّ العباد هم الذين يكسونها صفة الحرمة بعدولهم عمّا شرعه الله.(١)

[٣٣ ـ ٣٥] «وَ لَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَ مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَ لِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَ سُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ * وَ زُخْرُفاً وَ إِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ».

«و لولا أن يكون الناس»؛ أي: لولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفّار في سعة و تنعّم لحبّهم الدنيا فيجتمعوا عليه. «و معارج»؛ أي: مصاعد يعلونها على السطوح. «سقفاً». ابن‌كثير و أبوعمرو: «سقفاً» بفتح السين و سكون القاف، اكتفاء بجمع البيوت.(٢)

«لبيوتهم». بدل اشتمال من قوله: «لمن يكفر».(٣)

«أبواباً». أي من فضّة. «و زخرفاً». منصوب بفعل مضمر. أي: و جعلنا لهم مع ذلك ذهباً. و قيل: الزخرف النقوش. و قيل: هو الفرش و متاع البيت. «و الآخرة»؛ أي: الجنّة الباقية.(٤)

«إن كلّ ذلك لمّا». عاصم و حمزة: «لمّا» بتشديد الميم. و الباقون: «لما» مخفّفة الميم. من شدّد لمّا، كانت إن عنده بمنزلة ما النافية و لمّا بمعنى إلّا. و من خفّف قال: إن مخفّفة من الثقيلة و اللّام فيها هي الفارقة بين النفي و الإيجاب.(٥)

[٣٦ ـ ٣٩] «وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَ إِنَّهُمْ

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٢.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٤٩.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٧٢.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٧٠.

لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ».

«و من يعش»؛ أي: يعرض أو يعم. شبّههم بالأعمى لمّا لم يبصروا الحقّ. و الذكر هو القرآن أو الآيات و الأدلّة. «نقيّض له شيطاناً»؛ أي: نخلّ بينه و بين الشيطان الذي يغويه و يدعوه الى الضلالة فيصير قرينه عوضاً عن الله. و هذا هو الخذلان عقوبة له عن الإعراض. و قيل: معناه: نقرن به شيطاناً في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار، كما أنّ المؤمن يقرن به ملك فلايفارقه حتّى يصير به إلى الجنّة. و قيل: أريد به شياطين الإنس نحو علماء السوء و رؤساء الضلالة يصدّونهم عن سبيل الله فيتّبعونهم. «و إنّهم»؛ أي: الشياطين. «عن السبيل»؛ أي: طريق الجنّة. «و يحسبون»، أي الكفّار، أنّهم على الهدى فيتّبعونهم. عاصم [في رواية حمّاد و يعقوب]: «يقيّض» بالياء، و الباقون بالنون. و أهل العراق غير أبي‌بكر: «حتّى إذا جاءنا» على الواحد. و الباقون: «جاءانا» على الاثنين. «حتّى إذا جاءنا». من قرأ على التثنية، فالمعنى: جاءنا الشيطان و من أغواه يوم القيامة. و من قرأ على التوحيد، فالمعنى: حتّى إذا جاءنا الكافر و علم مايستحقّه من العذاب قال في ذلك الوقت لقرينه الذي أغواه: «يا ليت بيني و بينك بعد المشرقين». يعني المشرق و المغرب. و قيل: مشرق الشتاء و مشرق الصيف. «فبئس القرين» كنت لي في الدنيا حيث أضللتني و أوردتني النار. أو: بئس القرين أنت في اليوم. فإنّهما يكونان مشدودان في سلسلة واحدة زيادة عقوبة. «و لن ينفعكم». يقول الله للكفّار: و لن ينفعكم[1] «إذ ظلمتم أنفسكم أنّكم في العذاب مشتركون»؛ أي: لايخفّف الاشتراك عنكم شيئاً من العذاب. لأنّ لكلّ واحد من الكفّار و الشياطين الحظّ الأوفر من العذاب. و قيل: معناه أنّه لاتسلّي لهم عمّا فيه بما يرونه بغيرهم

١ـ في النسخة زيادة: «الفرار» و لايوجد في المصدر و لم نر له وجهاً.

من العذاب. لأنّه قد يتسلّى الإنسان عن المحنة إذا رأى أنّ عدوّه في مثلها.(١)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة: و لئن تقمّصها دوني الأشقيان و نازعاني فيما ليس لهما بحقّ، فلبئس ما عليه وردا. يقول لقرينه إذا التقيا: «يا ليت بيني و بينك بعد المشرقين فبئس القرين». فيجيبه الأشقى: يا ليتني لم أتّخذك خليلاً. لقد أضللتني عن الذكر.(٢) فأنا الذكر الذي عنه ضلّ.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزلت هاتان الآيتان هكذا: حتّى إذا جاءانا ـ يعني فلاناً و فلاناً ـ يقول أحدهما لصاحبه حين يراه: يا ليت بيني و بينك. فقال الله لنبيّه: قل لفلان و فلان و أتباعهما: لن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم آل محمّد حقّهم.(٤)

[٤٠] «أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَ مَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«أ فأنت تسمع». شبّه الكفّار في عدم انتفاعهم بما يسمعونه و يرونه بالصمّ و العمي. [معناه:] فلا يضيقنّ صدرك. فإنّك لاتقدر على إكراههم على الإيمان.(٥)

«و من كان في ضلال مبين». عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين. و فيه إشعار بأنّ الموجب لذلك تمكّنهم في ضلال لايخفى.(٦)

[٤١ ـ ٤٢] «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ».

«فإمّا نذهبنّ»؛ أي: فإن قبضناك. وما مزيدة مؤكّدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكّدة.(٧)

«فإمّا نذهبنّ»؛ أي: فإمّا نتوفّينّك. «فإنّا منتقمون» من أمّتك بعدك «أو نرينّك»

١ـ مجمع البيان ٩ / ٧٣ ـ ٧٤.

٢ـ مأخوذ من الآية ٢٨ و ٢٩ من سورة الفرقان.

٣ـ الكافي ٨ / ٢٧ ـ ٢٨، ح ٤.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٨٦.

٥ـ مجمع البيان ٩ / ٧٤.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٣.

٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٣.

ما وعدناهم من العذاب في حياتك. فإنّا قادرون على عقوبتهم في حياتك و بعد مماتك. أكرم الله نبيّه بأنّه لم ير في أمّته تلك النقمة و لم ير فيهم إلّا ما قرّت به عينه و قد كان بعده نقمة شديدة. و قد روي أنّه ﷺ أري ما تلقى أمّته بعده فما زال منقبضاً لم ينبسط ضاحكاً حتّى لقي الله. و عن جابر الأنصاريّ قال: إنّي لأدناهم من رسول الله في حجّة الوداع بمنى حتّى قال: لا ألفينّكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. و أيم الله لئن فعلتموها، لتعرفنّني في الكتيبة التي تضاربكم. ثمّ التفت إلى خلفه فقال: أو عليّ، أو عليّ ـ ثلاث مرّات. فرأينا أنّ جبرئيل غمزه فأنزل الله على أثر ذلك: «فإمّا نذهبنّ» ـ الآية. فإنّا منتقمون منهم بعليّ بن أبي طالب. و قيل: إنّ النبيّ رأى الانتقام منهم في يوم بدر بعد أن أخرجوه من مكّة.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام: «فإمّا نذهبنّ بك» يا محمّد إلى المدينة، فإنّا رادّوك إليها و منتقمون منهم بعليّ بن أبي طالب عليه السلام.(٢)

و عن الأعمش: «فإمّا تذهبنّ بك فإنّا منهم بعليّ منتقمون». محيت ـ و الله ـ من القرآن. و اختلست ـ و الله ـ من القرآن.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «فإنّا منهم منتقمون» قال: سأنتقم بعليّ يوم البصرة. و هو الذي وعد الله و رسوله.(٤)

[٤٣ ـ ٤٤] «فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ».

«فاستمسك بالذي أوحي إليك». يعني القرآن بأن تتبّع أوامره و تنتهي عن نواهيه. «صراط مستقيم». هو دين الإسلام. «و إنّه»؛ أي: القرآن. «لذكر لك»؛ أي: شرف لك «و لقومك» من قريش أو العرب. لأنّ القرآن نزل بلغتهم. «و سوف تسألون» عن شكر ما

١ـ مجمع البيان ٩ / ٧٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٨٤.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٦٠، ح ٢٠.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٥٩ ـ ٥٦٠، ح ١٩.

جعله الله لكم من الشرف. و قيل: عن القرآن و القيام بحقّه.[١]

و عن أبي جعفرعليه السلام «فاستمسك بالذي أوحي إليك» قال: في عليّ بن أبي طالب.[٢] و في قوله: «إنّه لذكر لك ولقومك»: فرسول الله و أهل بيتهعليهم السلام أهل الذكر. و هم المسؤولون. أمر الله الناس أن يسألوهم. فهم أهل الذكر.[٣]

«و سوف تسألون» عن ولاية أميرالمؤمنينعليه السلام. و يدلّ على ذلك قوله تعالى: «و قفوهم إنّهم مسؤولون».[٤][٥]

[٤٥] «وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ».

«و اسأل من». المراد به الاستشهاد[٦] بإجماع الأنبياء على التوحيد [و] الدلالة على أنّه ليس ببدع ابتدعه فيكذّب و يعادى له. فإنّه كان أقوى ما حملهم على التكذيب و المخالفة.[٧]

«و اسأل من أرسلنا»؛ أي: أمم من أرسلنا. أي: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلنا إليهم الرسل هل جاءتهم الرسل إلّا بالتوحيد. و هو قول أكثر المفسّرين. و قيل المراد: سل أهل الكتابين التوراة و الإنجيل، و إن كانوا كفّاراً. فإنّ الحجّة تقوم بتواتر خبرهم. و الخطاب، و إن توجّه إلى النبيّ ولكنّ المراد به الأمّة. أي: سلوا من ذكرنا هل جعلنا فيما مضى معبوداً سوى الله يعبده قوم. فإنّهم يقولون إنّا لم نأمرهم به. و قيل: معناه: و اسأل الأنبياء، و هم الذين جمعوا له ليلة الإسراء و كانوا تسعين نبيّاً منهم موسى و عيسى. و لم يسألهم لأنّه كان أعلم منهم.[٨]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٧٥ ـ ٧٦.
٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٦٠، ح ٢١.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٦١، ح ٢٥.
٤ـ الصافّات (٣٧) / ٢٤.
٥ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٦٢، ح ٢٧.
٦ـ في النسخة: المراد بالاستشهاد.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٤.
٨ـ مجمع البيان ٩ / ٧٦.

السؤال هنا مجاز عن النظر في أديانهم و الفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قطّ في ملّة من ملل الأنبياء.[١]

و عنه ﷺ أنّه قال: لمّا أسري بي إلى السماء فانتهى بي المسير مع جبرئيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوتة حمراء. فقال جبرئيل: هذا البيت المعمور خلقه الله قبل خلق السموات و الأرض بخمسين ألف عام. فصلّيت فيه و صلّت الأنبياء خلقي. فأتاني آت أن سل الأنبياء: على ما أرسلتم من قبلي؟ فسألتهم فقالوا: على ولايتك و ولاية عليّ بن أبي طالب. و ذلك قوله: «و أسأل من أرسلنا».[٢]

[٤٦] «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسىٰ بِآيَاتِنَا إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«بآياتنا»؛ أي: المعجزات القاهرات. «و ملئه»؛ أي: أشراف قومه و من عداهم تبع لهم.[٣]

«و لقد أرسلنا موسى». ـ الآية. يريد باقتصاصه تسلية الرسول و مناقضة قولهم: «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»[٤] و الاستشهاد بدعوته إلى التوحيد.[٥]

[٤٧] «فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ».

«جاءهم بآياتنا»؛ أي: أظهر المعجزات التي هي اليد البيضاء و العصا. «إذا هم منها يضحكون» استهزاء و استخفافاً بها.[٦]

«إذا هم منها يضحكون»: فاجؤوا وقت ضحكهم منها. أو استهزؤوا بها أوّل ما رأوها و لم يتأمّلوا فيها.[٧]

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٥٤.
٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٦٣، ح ٣٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٧٧.
٤ـ الزخرف (٤٣) / ٢١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٤.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٧٧.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٤.

[٤٨] «وَ مَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

«من آية». المراد بذلك ما ترادف عليهم من الطوفان و الجراد و القمّل و الضفادع و الطمس، فغلبت عليهم الشقاوة.(١)

«أكبر من أختها»؛ أي: إلّا و هي بالغة أقصى درجات الإعجاز بحيث يحسب الناظر فيها أنّها أكبر ممّا يقاس إليها من الآيات. و المراد وصف الكلّ بالكبر. «بالعذاب». كالسنين و الطوفان و الجراد. «لعلّهم يرجعون»؛ أي: على وجه يرجى رجوعهم.(٢)

[٤٩] «وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ».

«يا أيّها الساحر»؛ يعني: يا أيّها العالم. و كان الساحر عندهم عظيماً يعظّمونه و لم يكن صفة ذمّ. و قيل: إنّما قالوه استهزاء بموسى. و قيل: معناه: يا أيّها الذي غلبنا بسحره. «بما عهد عندك». و هو أنّه ضمن لنا أنّا إذا آمنّا بك أن يكشف العذاب عنّا. «إنّنا لمهتدون»: راجعون إلى الحقّ الذي تدعونا إليه متى كشف عنّا العذاب.(٣)

«يا أيّها السّاحر». نادوه بذلك في تلك الساعة لشدّة شكيمتهم و فرط حماقتهم. «بما عهد عندك» من النبوّة أو من أن يستجيب دعوتك.(٤)

إن قلت: كيف سمّوه بالساحر مع قولهم: «إنّنا لمهتدون»؟ قلت: قولهم: «إنّنا لمهتدون» وعد منويّ إخلافه و عهد معزوم على نكثه معلّق بشرط أن يدعو لهم و ينكشف عنهم العذاب. ألا ترى إلى قوله: «فلمّا كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون»؟(٥)

[٥٠] «فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٧٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٤.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٧٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٤.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٢٥٧.

«إذا هم ينكثون». فاجؤوا نكث عهدهم بالاهتداء.[١]

«ينكثون»؛ أي: يغدرون في العهد و ينقضونه. و في هذا تسلية للنبيّ. يعني: فاصبر ـ يا محمّد ـ على أذى قومك كأخيك موسى و يؤول أمرك إلى الاستعلاء عليهم كما آل أمره إلى ذلك.[٢]

[٥١ ـ ٥٢] «وَ نَادىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَ فَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَ لَا يَكَادُ يُبِينُ».

«و نادى فرعون». معناه: انّه لمّا رأى أمر موسى يزيد على الأيّام ظهوراً و اعتلاء، خاف على مملكته، فأظهر الخداع فخطب الناس و قال: «يا قوم أليس لي ملك مصر» أتصرّف فيها كيف أشاء؟ أراد بذلك [إظهار] بسطته في الملك و المال. «و هذه الأنهار» مثل النيل و غيره تجري من تحت أمري. و قيل: إنّها كانت تجري تحت قصره و هو مشرف عليها. «أفلاتبصرون» هذا الملك العظيم و قوّتي و ضعف موسى؟ «أم أنا خير من هذا الذي هو مهين»؛ أي: حقير. يعني به موسى. قال سيبويه: و الخليل عطف أنا بأم على قوله: «أفلاتبصرون» لأنّ معنى «أم أنا خير» أم تبصرون. فكأنّه قال: أفلاتبصرون أم تبصرون؟ لأنّهم إذا قالوا له: أنت خير منه، فقد صاروا بصراء عنده. و قيل: المهين: الفقير الذي يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج إليه ليس له من يكفيه أمره. «و لايكاد» يفصح بكلامه و حججه للعقدة التي في لسانه. و قيل: كانت العقدة زالت حين أرسله كما قال: «و احلل عقدة من لساني» ثمّ قال: «قد أوتيت سؤلك يا موسى».[٣] و إنّما عيّره بما كان في لسانه قبل. و قيل: كان في لسانه لثغة فرفعها الله و بقي فيه ثقل.[٤]

[٥٣] «فَلَوْ لَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٤.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٧٧ ـ ٧٨.
٣ـ طه (٢٠) / ٢٧ و ٣٦.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٧٨.

«فلولا ألقي».؛ أي: هلّا طرح عليه أسورة من ذهب إن كان صادقاً؟ و كانوا إذا سوّدوا رجلاً سوّروه بسوار من ذهب و طوّقوه بطوق من ذهب. «أو جاء معه الملائكة مقترنين»؛ أي: متتابعين يعينونه على أمره الذي بعث له و يشهدون له بصدقه.[١]

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: و لمّا دخل موسى بن عمران و معه أخوه هارون على فرعون و عليهما مدارع الصوف و معهما العصيّ فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه و دوام عزّه فقال: ألا تعجبون من هذين يشترطان لي دوام العزّة و بقاء الملك و هما بما ترون من حال الفقر و الذلّ؟ فهلّا ألقي عليهما أساورة من ذهب؟ إعظاماً للذهب و جمعه و احتقاراً للصوف و لبسه ـ الحديث.[٢]

[٥٤] «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ».

«فاستخفّ قومه»: استفزّهم. و حقيقته حملهم على أن يخفّوا له و لما أراد منهم.[٣]

[٥٥ ـ ٥٦] «فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَ مَثَلاً لِلْآخِرِينَ».

«آسفونا»؛ أي: أغضبونا فاستوجبوا أن نعجّل لهم عذاباً. «سلفاً». جمع سالف. أي: جعلناهم قدوة للآخرين من الكفّار يقتدون بهم في استحقاق مثل عذابهم لإتيانهم بمثل أفعالهم. «و مثلاً»؛ أي: حديثاً عجيب الشأن يحدّثون به.[٤]

[٥٧] «وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ».

و لمّا قرأ رسول الله على قريش: «إنّكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنّم»[٥] امتعضوا من ذلك امتعاضاً شديداً. فقال ابن الزبعرى: يا محمّد أخاصّة لنا و لآلهتنا أم لجميع

١ـ مجمع البيان ٩ / ٧٨.

٢ـ نهج البلاغة / ٢٩١ ـ ٢٩٢، الخطبة ١٩٢.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٥٩.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٢٥٩.

٥ـ الأنبياء (٢١) / ٩٨.

الأمم؟ فقال عليه السلام: لكم و لآلهتكم و لجميع الأمم. فقال: خصمتك و ربّ الكعبة! أما علمت أنّ عيسى و أمّه و عزيراً و الملائكة يعبدون؟ فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضينا أن نكون نحن معهم. فضحكوا و سكت النبيّ فنزلت: «إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى»[1] و نزلت هذه الآية. [و المعني:] و لمّا ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلاً و جادل رسول الله بعبادة النصارى إيّاه «إذا قومك» قريش من هذا المثل «يصدّون»: يرتفع لهم ضجيج فرحاً و جزلاً و ضحكاً بما سمعوا منه من إسكات رسول الله بجدله كما يرتفع لغط القوم إذا تعيّوا بحجّة ثمّ فتحت عليهم. و أمّا من قرأ: «يصدّون» بالضمّ، فمن الصدود. أي: من أجل هذا المثل يصدّون عن الحقّ و يعرضون عنه. و قيل: من الصديد و هو الجلبة و إنّهما لغتان.[2]

«و لمّا ضرب» ـ الآية. روى سادات أهل البيت عن عليّ عليه السلام قال: جئت إلى النبيّ يوماً فوجدته في ملأ من قريش. فنظر إليّ ثمّ قال: يا عليّ، إنّما مثلك في هذه الأمّة كمثل عيسى بن مريم أحبّه قوم فأفرطوا في حبّه فهلكوا و أبغضه قوم و أفرطوا في بغضه فهلكوا و اقتصد فيه قوم فنجوا. فعظم ذلك عليهم فضحكوا و قالوا: يشبّهه بالأنبياء و الرسل! فنزلت.[3]

عن سلمان الفارسيّ قال: بينما رسول الله جالس في أصحابه، إذ قال لهم: إنّه يدخل الساعة عليكم شبيه عيسى بن مريم. فخرج بعض من كان جالساً مع رسول الله ليكون هو الداخل. فدخل عليّ بن أبي‌طالب، فقال الرجل لبعض أصحابه: أما رضي محمّد أن فضّل عليّاً علينا حتّى شبّهه بعيسى بن مريم؟ و الله لآلهتنا التي كنّا نعبدها في الجاهليّة أفضل منه! فأنزل في ذلك المجلس: «و لمّا ضرب بن مريم مثلاً إذا قومك منه يضجّون». فحرّفوها يصدّون. «إن عليّ إلّا عبد أنعمنا عليه». فمحي اسمه عن هذا الموضع.[4]

في احتجاج عليّ عليه السلام يوم الشورى على الناس قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله: احفظ الباب. فإنّ زوّاراً من الملائكة يزوروني، فلاتأذن لأحد. فجاء عمر،

١ـ الأنبياء (٢١) / ١٠١.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٥٩ ـ ٢٦٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٨٠ ـ ٨١.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٨٦.

فرددته ثلاث مرّات و أخبرته أنّ رسول الله محتجب و عنده زوّار من الملائكة و عدّتهم كذا و كذا. ثمّ أذنت له فدخل فقال: يا رسول الله، إنّي قد جئتك ثلاث مرّات و كلّ ذلك يردّني عليّ و يقول: إنّ رسول الله محتجب و عنده زوّار من الملائكة و عدّتهم كذا و كذا. فيكف علم بالعدّة؟ أعاينهم؟ فقال: يا عليّ، كيف علمت بعدّتهم؟ فقال: اختلفت عليّ التحيّات و سمعت الأصوات فأحصيت العدد. قال: صدقت. فإنّ فيك شبهاً من أخي عيسى. فخرج عمر و هو يقول: ضربه لابن مريم مثلاً.[١]

عن النبيّ ﷺ «إذا قومك منه يصدّون» قال: الصدود في العربيّة الضحك.[٢]

[٥٨] «وَ قَالُوا أَ آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ».

«و قالوا أ آلهتنا خير أم هو». يعنون: انّ آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى. فإذا كان عيسى حصب جهنّم، كان أمر آلهتنا هيّناً. «ما ضربوه»: ما ضربوا هذا المثل «لك إلّا جدلاً»: إلّا لأجل الجدل و الغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحقّ و الباطل. «قوم خصمون»: شداد الخصومة دأبهم اللّجاج. و ذلك أنّ قوله: «إنّكم و ما تعبدون» ما أريد به إلّا الأصنام، إلّا أنّ ابن الزبعرى بخداعه و خبث دخلته لمّا رأى كلام الله محتملاً للعموم، مع علمه بأنّ المراد به أصنامهم، وجد للحيلة مساغاً فصرف معناه إلى الشمول و الإحاطة على طريق اللّجاج و حبّ المغالبة. فتوقّف رسول الله حتّى أجاب عن ربّه: «إنّ الذين سبقت لهم» ـ الآية ـ فدلّت على أنّ الآية خاصّة في الأصنام. على أنّ ظاهر قوله: «إنّكم و ما تعبدون» لغير العقلاء.[٣]

[٥٩] «إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَ جَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ».

ثمّ وصف سبحانه المسيح فقال: «إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه» بالخلق من غير أب و بالنبوّة. «و جعلناه مثلاً»؛ أي: آية لبني إسرائيل و دلالة يعرفون قدرة الله بها حيث خلق من

١ـ بحارالأنوار ٣٥ / ٣١٧.
٢ـ معاني الأخبار / ٢٢٠، ح ١.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٦٠.

غير أب. فهو مثل لهم يشبّهون به ما يرون من أعاجيب صنع الله.[١]

[٦٠] «وَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ».

ثمّ قال سبحانه دالّاً على كمال قدرته و على أنّه لايفعل إلّا الأصلح: «و لو نشاء لجعلنا منكم»؛ أي: بدلاً منكم معاشر بني آدم «ملائكة في الأرض يخلفون»: يكونون خلفاء بني آدم. أي: لو نشاء أهلكناهم و جعلنا الملائكة بدلهم يسكنون الأرض يعمرونها و يعبدون الله. وَ قيل: معناه: و لو نشاء لجعلناكم ـ أيّها البشر ـ ملائكة. فيكون من باب التجريد و فيه إشارة إلى قدرته على تغيير بنية البشر إلى بنية الملائكة. «يخلفون»؛ أي: يخلف بعضهم بعضاً.[٢]

[٦١ ـ ٦٢] «وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَ اتَّبِعُونِ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَ لَايَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ».

«و إنّه لعلم»؛ أي: نزول عيسى من أشراط الساعة يعلم به قربها. «فلاتمترنّ بها»؛ أي: بالساعة. أي: لاتكذّبوا بها. و قيل: إنّ الهاء في قوله: «و إنّه» يعود إلى القرآن لدلالته على قيام الساعة و البعث يعلم به ذلك. و قيل: معناه: انّ القرآن دليل الساعة لأنّه آخر الكتب أنزل على آخر الأنبياء. «و اتّبعوني» فيما آمركم. هذا الذي أنا عليه طريق واضح. ابن‌عبّاس و الضحّاك: «و إنّه لعَلَم» ـ بفتح العين و اللّام ـ أي: أمارة و علامة.[٣]

[٦٣] «وَ لَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ».

«بالبيّنات»؛ أي: المعجزات الدالّة على نبوّته و الإنجيل. «بالحكمة»؛ أي: النبوّة. أو:

١ـ مجمع البيان ٩ / ٨١.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٨١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٨٢.

التوحيد و العدل و الشرائع. «بعض الذي تختلفون فيه». لأنّه بيّن في الإنجيل الذي اختلفوا فيه و بيّن لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. أو معناه: لأبيّن لكم ما تختلفون فيه من أمور الدين دون أمور الدنيا و هو المقصود.(١)

عن أبي‌عبدالله عليه السلام: يقول الله في عيسى: ليبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه. و قال في صاحبكم أميرالمؤمنين: «قل كفى بالله شهيداً بيني و بينكم و من عنده علم الكتاب»(٢) و علم الكتاب كلّه عنده.(٣)

[٦٤] «إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ».

«إنّ الله». بيان لما أمرهم بالطاعة فيه و هو اعتقاد التوحيد و التعبّد بالشرائع. «هذا صراط مستقيم». الإشارة إلى مجموع الأمرين. و هو تتمّة كلام عيسى أو استئناف من الله يدلّ على ما هو المقتضى من الطاعة في ذلك.(٤)

[٦٥] «فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ».

«الأحزاب من بينهم»: الفرق المتحزّبة من بين النصارى أو اليهود و النصارى من بين قومه المبعوث [إليهم]. «للّذين ظلموا». أي من المتحزّبين. «يوم أليم»؛ أي: يوم القيامة.(٥)

[٦٦] «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ».

«هل ينظرون». على سبيل التوبيخ لهم. أي: هل ينتظر هؤلاء و الكفّار بعد ورود الرسل أو القرآن. «إلّا الساعة»؛ أي: القيامة.(٦)

«هل ينظرون». يعني قريش أو الذين ظلموا. «أن تأتيهم». بدل من الساعة.

١ـ مجمع البيان ٩ / ٨٢ ـ ٨٣.
٢ـ الرعد (١٣) / ٤٣.
٣ـ الاحتجاج / ٣٧٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٦ ـ ٣٧٧.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٨٤.

«لايشعرون» باشتغالهم بأمور الدنيا و إنكارهم لها.(١)

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «هل ينظرون إلّا الساعة» ـ الآية ـ قال: هي ساعة قيام القائم عليه السلام.(٢)

[٦٧] «الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ».

«الأخلّاء يومئذ»؛ أي: الذين تحابّوا و تواصلوا في الدنيا على الكفر، يتعادون يوم القيامة لما يرى كلّ واحد منهم من العذاب بسبب تلك المصادقة.(٣)

قال الصادق عليه السلام: و اطلب مؤاخاة الأتقياء و لو في ظلمات الأرض و إن أفنيت عمرك في طلبهم. فإنّ الله لم يخلق أفضل منهم على وجه الأرض بعد النبيّين عليهم السلام. و ما أنعم الله على عبد بمثل ما أنعم به من صحبتهم. قال الله تعالى: «الأخلّاء يومئذ» ـ الآية.(٤)

«الأخلّاء». عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: فأمّا الخليلان المؤمنان فتخالّا في الدنيا في طاعة الله و توادّا عليها فمات أحدهما قبل صاحبه فأراه الله منزلته في الجنّة، يشفع لصاحبه فيقول: يا ربّ خليلي كان يأمرني بطاعتك و يعينني عليها و ينهاني عن معصيتك. فثبّته على ما ثبّتني عليه من الهدى حتّى تريه ما أريتني. فيستجيب الله له حتّى يلتقيا عند الله فيقول كلّ واحد منهما لصاحبه: جزاك الله من خليل خيراً. كنت تأمرني بطاعة الله و تنهاني عن معصية الله. و أمّا الكافران فتخالّا بمعصية الله و تباذلا عليها، فمات أحدهما قبل صاحبه فأراه الله منزله في النار فيقول: يا ربّ خليلي فلان كان يأمرني بمعصيتك و ينهاني عن طاعتك. فثبّته على ما ثبّتني عليه من المعاصي حتّى تريه ما أريتني من العذاب. فيلتقيان عند الله يوم القيامة يقول كلّ واحد لصاحبه: جزاك الله من خليل شرّاً. كنت تأمرني بمعصية الله و تنهاني عن طاعة الله. ثمّ قرأ: «الأخلّاء» ـ الآية.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٧.
٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٧١، ح ٤٦.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٨٤.
٤ـ مصباح الشريعة / ١٥٠ـ١٥١.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٨٧.

[٦٨ـ ٦٩] «يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَ لَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَ كَانُوا مُسْلِمِينَ».

«يا عباد لا خوف عليكم»؛ أي: يقال لهم وقت الخوف: لا خوف عليكم من العذاب «و لا أنتم تحزنون» من فوات الثواب. «الذين آمنوا». في محلّ النصب على البدل من عبادي أو الصفة. «بآياتنا»: بحججنا و دلائلنا و اتّبعوها. «و كانوا مسلمين»: مستسلمين لأمرنا.(١)

«يا عبادي». بالياء في الحالين أبوجعفر و نافع و ابن‌عامر و أبوعمرو. و قرأ حمّاد و أبوبكر بفتح الياء، و الباقون بغير ياء في الحالين.(٢)

[٧٠] «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَ أَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ».

«أنتم و أزواجكم»؛ أي: نساؤكم المؤمنات. «تحبرون»؛ أي: تسرّون سروراً يظهر حباره ـ أي: أثره ـ على وجوهكم. أو: تزيّنون. من الحبر و هو حسن الهيئة.(٣)

[٧١] «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوَابٍ وَ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«بصحاف»؛ أي: بقصاع «من ذهب» فيها ألوان الأطعمة. «و أكواب»؛ أي: كيزان لا عرى فيها. اكتفى سبحانه بذكر الصحاف و الأكواب عن ذكر الطعام و الشراب. «و فيها»؛ أي: في الجنّة. «تلذّ الأعين»؛ أي: تلذّه الأعين بالنظر إليها. «و أنتم فيها»؛ أي: في الجنّة و في هذه الأنواع من الملاذّ. «خالدون». أهل المدينة و ابن‌عامر و حفص: «ما تشتهيه الأنفس» بزيادة الهاء. و الباقون: «تشتهي» بحذفها.(٤)

عن القائم عليه السلام أنّه سئل عن أهل الجنّة هل يتوالدون إذا دخلوها أم لا، فأجاب عليه السلام: انّ الجنّة لا حمل فيها للنساء و لا ولادة و لا طمث و لا نفاس و لا شقاء بالطفوليّة «و فيها ما

١ـ مجمع البيان ٩ / ٨٤ ـ ٨٥.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢٥ / ٧١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٨٥ و ٨٤.

تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين». فإذا اشتهى المؤمن ولداً، خلقه الله بغير حمل و لا ولادة على الصورة التي يريد كما خلق آدمعليه السلام.(١)

«و أكواب»: جمع كوب، و هو الإبريق لا عروة له. و قد يدور في الخلد أنّ العروة للكوز أمر زائد على مصلحة الشرب و إنّما هو لدفع حاجة كتعليق و تعلّق و فيها أيضاً منع الشرب من هناك و أهل الجنّة برآء من أمثال ذلك فلهذا كانت أكوازها أكواباً.(٢)

[٧٢] «وَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«أورثتموها»؛ أي: أعطيتموها. قال ابن‌عبّاس: الكافر يرث نار المؤمن و المؤمن يرث جنّة الكافر.(٣)

[٧٣] «لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الرجل في الجنّة يبقى على مائدته أيّام الدنيا و يأكل بأكلة واحدة بمقدار أكله في الدنيا.(٤)

[٧٤] «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ».

«مبلسون»؛ أي: آيسون من كلّ خير. «هم الظالمين» لنفوسهم.(٥)

عن أبي عبدالله: «ولكن كانوا هم الظالمين» بتركهم ولاية أهل البيت عليهم السلام.(٦)

[٧٧] «وَ نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ».

« مالك»: خازن جهنّم. «ليقض علينا»؛ أي: ليمتنا ربّك حتّى نستريح من هذا العذاب.

١ـ الاحتجاج / ٤٨٨.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ٢٥ / ٧٥.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٨٥.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٨٨.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٨٥ و ٨٧.
٦ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٧١، ح ٤٧.

فيقول لهم مالك: إنّكم في العذاب مخلّدون. و عن ابن‌عبّاس: يجيبهم مالك بذلك بـعد ألف سنة. في الشواذّ: «يا مال». و روي ذلك عن عليّ عليه السلام.[١]

«و نادوا يا مالك». و قرئ: «يا مال» على الترخيم مكسوراً و مضموماً. و لعلّه إشعار بأنّهم لضعفهم لايستطيعون تأدية اللّفظ بالتمام. «ليقض علينا»؛ أي: سل ربّنا ليقض علينا. من قضى عليه، إذا أماته. و هو لاينافي إبلاسهم، فإنّه تمنّ للموت من فرط الشدّة.[٢]

[٧٨ ـ ٨٠] «لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ بَلىٰ وَ رُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ».

«لقد جئناكم بالحقّ»؛ أي: يقول الله: لقد أرسلنا إليكم الرسل، ولكنّ أكثركم ـ معاشر الخلق ـ تكرهون الحقّ لأنّكم ألفتم الباطل فكرهتم مفارقته.[٣]

«جئناكم بالحقّ»؛ أي: بالإرسال و الإنزال.[٤]

«بالحقّ»؛ يعني: بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام «ولكنّ أكثركم للحقّ كارهون». ثمّ ذكر على أثر هذا خبرهم و ما تعاهدوا عليه في الكعبة أن لايردّوا الأمر في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله فقال جلّ ذكره: «أم أبرموا» ـ الآية.[٥]

«أم أبرموا أمراً»: بل أحكموا أمراً في كيد محمّد. «فإنّا مبرمون»؛ أي: محكمون أمـراً في مجازاتهم. «أم يحسبون»: بل يظنّون هؤلاء الكفّار. «و رسلنا»؛ أي: الحفظة.[٦]

عن بريدة الأسلميّ: انّ النبيّ قال لبعض أصحابه: سلّموا على عليّ بإمرة المؤمنين. فقال رجل من القوم: لا و الله لاتجتمع النبوّة و الخلافة في أهل بيت أبداً. فأنزل الله: «أم أبرموا» ـ الآية.[٧]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٨٧ و ٨٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٨.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٨٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٧٨.
٥ـ تفسيرالقميّ ٢ / ٢٨٩.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٨٧.
٧ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٧٢، ح ٤٨.

«أم أبرموا». و ذلك أنّهم اجتمعوا في دارالندوة و أجمعوا على الاغتيال بمحمّد صلى الله عليه وآله و تناجوا في ذلك، فكفّ عنه شرّهم و واعدهم عليه بأنّه يعلم سرّهم و نجواهم.(١)

السرّ ما حدّث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال. و النجوى: ما تكلّموا به فيما بينهم.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت في فلان و فلان و أبي‌عبيدة بن الجرّاح ـ و كان كاتبهم ـ و عبدالرحمن بن عوف و سالم مولى أبي‌حذيفة و المغيرة بن شعبة حيث كتبوا الكتاب بينهم و تواثقوا و تعاهدوا لئن مضى محمّد، لاتكون الخلافة في بني‌هاشم و لا النبوّة أبداً. قال أبوعبدالله: لعلّك ترى أنّه [كان] يوم يشبه يوم كتب الكتاب إلّا يوم قتل الحسين عليه السلام و هكذا كان في سابق علم الله عزّ و جلّ الذي أعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله أن إذا كتب الكتاب قتل الحسين و خرج الملك من بني‌هاشم فقد كان ذلك كلّه.(٣)

[٨١] «قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ».

«إن كان للرحمن ولد». فيه أقوال. [أحدها:] انّ معناه إن كان للرحمن ولد في قولكم و زعمكم، فأنا أوّل من عبد الله، و من عبده فقد دفع أن يكون له ولد. و المعنى: أنا أوّل الموحّدين المنكرين لقولكم. و ثانيها: انّ معناه: لو كان له ولد، لكنت أوّل الآنفين عن عبادته. لأنّ من يكون له ولد لايكون إلّا جسماً محدثاً، و من كان كذلك لايستحقّ العبادة. و ثالثها: انّ إن بمعنى النفي. أي: ماكان للرحمن ولد و أنا أوّل المقرّين بذلك. عن ابن‌عبّاس. و رابعها: انّه لو كان له ولد، لكنت أوّل من يعبده بأنّ له ولداً ولكن لا ولد له. و هذا تحقيق لنفي الولد.(٤)

«قل إن كان للرحمن ولد» قضيّة شرطيّة شرطها و جزاؤها ممتنعان إلّا أنّ الملازمة صادقة. نظيره قولك: إن كانت الخمسة زوجاً، فهي منقسمة بمتساويين. و هذا على سبيل

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢٠ / ٧٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٦٥.
٣ـ الكافي ٨ / ١٧٩ ـ ١٨٠، ح ٢٠٢.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٨٧ ـ ٨٨.

الفرض و التقدير.[١]

«إن كان للرحمن ولد»: إن صحّ و ثبت ببرهان صحيح، فأنا أوّل من يعظّم ذلك الولد و أسبقكم إلى طاعته و الانقياد له كما يعظّم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه. و هذا كلام وارد على سبيل الفرض و التمثيل لغرض و هو المبالغة في نفي الولد. لأنّه علّق العبادة بكينونة الولد و هي محال في نفسها فكان المعلّق بها محالاً مثلها. و قيل: معناه: أنا أوّل الآنفين من أن يكون له ولد. من عبد يعبد، إذا اشتدّ أنفه.[٢]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «فأنا أوّل العابدين»؛ أي: الجاحدين. و التأويل في هذا القول باطنه مضادّ لظاهره.[٣]

«أوّل العابدين»؛ أي: القائلين بأنّ الله تعالى ليس له ولد.[٤]

[٨٢] «سُبْحَانَ رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ».

«عمّا يصفون» من اتّخاذ الولد. لأنّ من قدر على ذلك، استغنى عن الولد.[٥]

[٨٣] «فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ».

«يخوضوا» في باطلهم «و يلعبوا» في دنياهم. «يوعدون» فيه بعذاب الأبد.[٦]

[٨٤] «وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلٰهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلٰهٌ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ».

«في السماء إله»؛ أي: هو الذي تحقّ له العبادة في السماء و تحقّ له العبادة في الأرض.[٧]

[٨٥] «وَ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

١ـ تفسيرالنيسابوريّ ٢٥ / ٧٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٦٥ ـ ٢٦٦.
٣ـ الاحتجاج / ٢٥٠.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٨٩.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٨٨.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٨٨.
٧ـ مجمع البيان ٩ / ٨٨.

«و تبارك»؛ أي: دامت بركته فمنه البركات و إيصال السعادات. «علم الساعة»؛ أي: علم يوم القيامة. لأنّه لايعلم وقته على التعيين غيره. «وإليه ترجعون» يوم القيامة فيجازي كلّاً على قدر عمله. ابن‌كثير و أهل الكوفة غير عاصم: «و إليه يرجعون» بالياء، و الباقون بالتاء.(١)

[٨٦] «وَ لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ».

«و لايملك الذين يدعون»؛ أي: الذي يدعوه الكفّار إلهاً و يوجّهون عبادتهم إليه من الأصنام و غيرها. «الشفاعة» لمن يعبدهم كما توهّمه الكفّار. «إلّا من شهد بالحقّ». و هم عيسى و عزير و الملائكة. استثناهم ممّن عبد من دون الله. فإنّ لهم منزلة الشفاعة. و قيل: معناه: لايملك أحد من الملائكة و غيرهم الشفاعة إلّا لمن شهد بالحقّ؛ أي: شهد ألّا إله إلّا الله. و ذلك أنّ النضر بن الحارث و جماعة من قريش قالوا: إن كان ما يقوله محمّد حقّاً، فنحن نتولّى الملائكة و هم أحقّ بالشفاعة، فنزلت الآية. فالمعنى أنّهم يشفعون للمؤمنين بإذن الله. «و هم يعلمون»؛ أي: يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم.(٢)

«إلّا من شهد بالحقّ»؛ أي: ولكن من شهد بالحقّ ـ و هو توحيد الله ـ هو الذي يملك الشفاعة. و هو استثناء منقطع. و يجوز أن يكون متّصلاً. لأنّ في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة.(٣)

[٨٧] «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ».

«ليقولنّ الله». لأنّهم يعلمون ضرورة أنّ أصنامهم لم تخلقهم. «فأنّى» يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره؟(٤)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٨٨ و ٨٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٩٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٦٨.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٩٠.

[٨٨] «وَ قِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ».

«و قيله يا ربّ». قال قتادة: هذا نبيّكم يشكو قومه إلى ربّه و ينكر عليهم تخلّفهم عن الإيمان. و ذكر أنّ قراءة عبدالله: «و قال الرسول يا ربّ إنّ هؤلاء قوم لايؤمنون». و على هذا فالهاء في قيله يعود إلى النبيّ. عاصم و حمزة: «و قيله» بالجرّ، و الباقون بالنصب.[١]

«و قيله». قرئ بالحركات الثلاث. و ذكر في النصب عن الأخفش أنّه حمله على: أم يحسبون أنّا لانسمع سرّهم و نجواهم و قيله؟ و عنه: و قال قيله. و عطفه الزجّاج على محلّ «الساعة»، و حمل الجرّ على لفظ «الساعة» و الرفع على الابتداء و الخبر ما بعده. و جوّز عطفه على «علم الساعة» على تقدير حذف المضاف. أي: عنده علم الساعة و علم قيله. و الذي قالوه ليس بقويّ في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف و المعطوف عليه بما لايحسن اعتراضاً و مع تنافر النظم. و أقوى من ذلك و أوجهها أن يكون الجرّ و النصب على إضمار حرف القسم و حذفه، و الرفع على قولهم: أيمن الله و قوله: «إنّ هؤلاء» جواب القسم. كأنّه قيل: و أقسم بقيله: يا ربّ إنّ هؤلاء قوم لايؤمنون. و الضمير في قوله: «قيله» لرسول الله ﷺ و إقسام الله بقيله رفع منه و تعظيم لدعائه و التجائه إليه.[٢]

[٨٩] «فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَ قُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ».

«فاصفح عنهم»؛ أي: أعرض ـ يا محمّد ـ عنهم بصفح وجهك. «و قل سلام»؛ أي: مداراة و متاركة. و قيل: هو سلام هجران و مجانبة لا سلام تحيّة و إكرام. و قيل: معناه: قل ما تسلم به من شرّهم و أذاهم. و هذا منسوخ بآية السيف. و قيل: معناه: فاصفح عن سفههم و لاتقابلهم بمثله. ندبه سبحانه إلى الحلم، فلايكون منسوخاً. «فسوف تعلمون». يعني يوم القيامة. و أهل المدينة و الشام: «فسوف تعلمون» بالتاء، و الباقون بالياء.[٣]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٩٠ و ٨٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٦٨.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٩٠ و ٨٩.

٤٤.
سورة الدخان

الدخان: من حملها، كان مهاباً محبوباً آمناً من شرّ كلّ ملك. و من شربها، أمن من كلّ نمّام. و إن علّقت على طفل حين طهوره، أمن من الجنّ و الهوامّ.(١)

و عن الباقر عليه السلام: من قرأها في فرائضه و نوافله، بعث من الآمنين و أظلّه الله تحت عرشه و حاسبه حساباً يسيراً و أعطاه كتابه بيمينه.(٢)

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها في ليلة جمعة، غفر الله له و كان له بكلّ حرف منها مائة ألف رقبة و استغفر له سبعون ألف ملك. و من قرأها في ليلة الجمعة و يومها، بنى الله له بيتاً في الجنّة.(٣)

و عن أبي جعفر عليه السلام في حديث يقول له السائل: كيف أعرف ليلة القدر يكون في كلّ سنة ليلة؟ قال: فإذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدخان في كلّ ليلة مائة مرّة. فإذا أتت ليلة ثلاث و عشرين، فإنّك ناظر إلى تصديق الذي سألت.(٤)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * حم».

عن أبي عبدالله عليه السلام: و أمّا «حم» فمعناه: الحميد المجيد.(٥)

[٢ ـ ٣] «وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ».

١ـ المصباح / ٦١٠.
٢ـ المصباح / ٥٩١، عن الصادق عليه السلام.
٣ـ المصباح / ٥٩١.
٤ـ الكافي ١ / ٢٥٢، ح ٨.
٥ـ معاني الأخبار / ٢٢، ح ١.

أقسم سبحانه بالقرآن و جعل جواب القسم: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة». هـي ليـلة القدر. [و إنّما وصفها بأنّها مباركة] لأنّ فيها يقسّم الله النعم على العباد. «منذرين»؛ أي: مخوّفين بما أنزلناه من تعذيب العصاة.(١)

و عن الكاظم عليه السلام أنّه سأله رجل نصرانيّ من تفسير «حم و الكتاب المبين» في الباطن فقال: أمّا حم، فهو محمّد صلوات الله عليه و آله و هو في كتاب هود عليه السلام الذي أنزل عليه و هو منقوص الحروف. و أمّا الكتاب المبين، فهو أميرالمؤمنين عليه السلام. و أمّا اللّيل، ففاطمة عليها السلام. و أمّا قوله: «فيها يفرق كلّ أمر حكيم» يقول: يخرج منها خير كثير؛ فرجل حكيم و رجل حكيم و رجل حكيم ـ الحديث.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّا أنزلناه»؛ يعني: القرآن «في ليلة مباركة». هي ليلة القدر؛ أنزل الله القرآن فيها إلى البيت المعمور جملة واحدة ثمّ أنزل من البيت المعمور على رسول الله صلى الله عليه وآله في طول عشرين سنة.(٣)

[٤] «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ».

«يفرق»؛ أي: يقضى كلّ أمر محكم لا يلحقه الزيادة و النقصان، و هو الأرزاق و الآجال من السنة إلى مثلها.(٤)

«فيها يفرق»: في ليلة القدر يقدّر الله [كلّ أمر] من الحقّ و الباطل و ما يكون في تلك السنة. وله فيه البداء و المشيّة؛ يقدّم منه ما يشاء و يؤخّر ما يشاء من الآجال و الأرزاق و البلايا [و] يزيد فيه و ينقص ما يشاء و يلقيه رسول الله إلى أميرالمؤمنين عليه السلام و هو إلى الأئمّة و هكذا إلى أن ينتهي إلى صاحب الزمان عليه السلام. و يشترط فيه البداء و المشيّة.(٥)

«كلّ أمر حكيم»؛ أي: محكم ليس فيه اختلاف. فمن حكم بما ليس فيه اختلاف، فحكمه

١ـ مجمع البيان ٩ / ٩٢ ـ ٩٣.
٢ـ الكافي ١ / ٤٧٨ ـ ٤٧٩، ح ١.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩٠.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٩٣.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩٠، عن الباقر عليه السلام.

من حكم الله. و من حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب، فقد حكم بحكم الطاغوت. إنّه في ليلة القدر لينزل إلى وليّ الله تفسير الأمور سنة [سنة]. و إنّه ليحدث في وليّ الله[١] سوى ذلك كلّ يوم علم الله مثل ماينزل في تلك اللّيلة من الأمر. هكذا روي عن أبي جعفر عليه السلام.[٢]

[٥ ـ ٦] «أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«مرسلين» أي محمّداً إلى عبادنا و فيمن قبله من الأنبياء، رحمة منّا بخلقنا.[٣]

[٧ ـ ٩] «رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ».

«إن كنتم موقنين» بهذا الخبر محقّقين له و هو أنّه «لا إله إلّا هو»؛ أي: لا يستحقّ العبادة سواه. «بل هم»؛ أي: هؤلاء الكفّار «في شكّ يلعبون»: ليسوا بموقنين بما أخبرناك به بل هم منه في شكّ و مع ذلك يستهزئون بك و بالقرآن. و قيل: يشتغلون بالدنيا و يتردّدون في أحوالها.[٤]

فإن قلت: ما معنى الشرط الذي هو قوله: «إن كنتم موقنين»؟ قلت: كانوا يقرّون بأنّ للسموات و الأرض ربّاً و خالقاً فقيل لهم: إنّ إرسال الرسل و إنزال الكتب، من الربّ الذي أنتم تعترفون بأنّه ربّ السموات و الأرض إن كان إقراركم عن علم و إيقان. ثمّ ردّ أن يكونوا موقنين بقوله: «بل هم في شكّ يلعبون»» و أنّ إقرارهم غير صادر عن علم و لا جدّ و حقيقة بل هو قول مخلوط بهزء و لعب.[٥]

[١٠ ـ ١١] «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ».

١ـ المصدر: ليحدث لوليّ الأمر.

٢ـ الكافي ١ / ٢٤٨، ح ٣.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٩٣.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ٩٣.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٢٧١ ـ ٢٧٢.

«فارتقب»: فانتظر يا محمّد «يوم تأتي السماء بدخان». و ذلك أنّه ﷺ دعا على قومه لمّا كذّبوه فقال: اللّهمّ اجعل عليهم سنيناً كسنين يوسف. فأجدبت الأرض و أصابت قريش المجاعة. فكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه و بين السماء كالدخان و أكلوا الميتة و العظام. فقالوا له: جئت تأمرنا بصلة الرحم و قومك قد هلكوا! فسأل الله الخصب فكشف عنهم فعادوا إلى الكفر. عن ابن‌عبّاس. و قيل: إنّ الدخان آية من أشراط الساعة يدخل في مسامع الكفّار و المنافقين. و إنّه يأتي قبل قيام الساعة و يصيب المؤمن منه مثل الزكمة. يمكث أربعين يوماً. «يغشى الناس»؛ يعني: الدخان يعمّ جميع الناس. و على الأوّل المراد أهل مكّة و هم الذين يقولون: «هذا عذاب أليم».(١)

«يوم». مفعول به.(٢)

«يوم تأتي السماء». قال: ذلك إذا خرجوا في الرجعة من القبر. «يغشى الناس» كلّهم الظلمة.(٣)

«تأتي السماء بدخان». لأنّ الهواء يظلم في عام القحط لقلّة الأمطار و كثرة الغبار، أو لأنّ العرب تسمّي الشرّ الغالب دخاناً. و قد قحطوا حتّى أكلوا جيف الكلاب و عظامها.(٤)

[١٢ ـ ١٤] «رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَ قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ».

«ربّنا اكشف»؛ أي: يقولون عند ذلك: إنّا مؤمنون بمحمّد و القرآن. فأجابهم الله: من أين لهم الاتّعاظ و حالهم أنّه جاءهم رسول ظاهر الصدق فأعرضوا وقالوا: معلّم [مجنون] بادّعائه النبوّة.(٥)

«ربّنا اكشف». مقدّر بقول وقع حالاً. «و قد جاءهم رسول مبين» بيّن لهم ما هو أعظم

١ـ مجمع البيان ٩ / ٩٣ ـ ٩٤.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٢.
٣ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٢٩٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨١.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٩٥.

منها في إيجاب الاذّكار من الآيات و المعجزات. «معلّم مجنون». قال بعضهم: يعلّمه غلام أعجميّ لبعض ثقيف. و قال آخرون: مجنون.(١)

«أنّى لهم الذكرى» في ذلك اليوم و قد جاءهم رسول بيّن لهم؟ «مجنون». قالوا ذلك لمّا نزل الوحي على رسول الله فأخذه الغشاء فقالوا: هو مجنون.(٢)

[١٥] «إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ».

«كاشفو العذاب»؛ أي: عذاب الجوع و الدخان زماناً قليلاً إلى يوم بدر. «إنّكم عائدون» في كفركم و تكذيبكم. هذا إذا كان الدخان وقت النبيّ. و على القول الآخر معناه: انّكم عائدون إلى العذاب الأكبر و هو عذاب جهنّم. و القليل مدّة ما بين العذابين.(٣)

«كاشفو العذاب» بدعاء النبيّ. فإنّه دعا فرفع القحط زماناً قليلاً و هو ما بقي من أعمارهم.(٤)

«إنّا كاشفو العذاب». لأنّه مشى إليه أبوسفيان و نفر معه و ناشدوه الله و الرحم و واعدوه إن دعا لهم و كشف عنهم أن يؤمنوا، فرجعوا إلى الشرك.(٥)

«عائدون». يعني إلى القيامة. و لو كان قوله: «يوم تأتي السماء بدخان» في القيامة، لم يقل: «عائدون» لأنّه ليس بعد القيامة حالة يعودون إليها.(٦)

[١٦] «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ».

«يوم نبطش»؛ أي: اذكر لهم ذلك اليوم، و هو يوم بدر. لأنّه انتقم سبحانه منهم [يوم بدر]. و على القول الآخر البطشة الكبرى يوم القيامة. و البطش: الأخذ بشدّة. «إنّا منتقمون» ذلك اليوم منهم.(٧)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨١.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٩٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨١.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٣.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩١.
٧ـ مجمع البيان ٩ / ٩٥.

«يوم نبطش». منصوب بما دلّ عليه «إنّا منتقمون».[١]

[١٧] «وَ لَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ».

أقسم سبحانه أنّه فتن قبل قوم النبيّ قوم فرعون؛ أي: اختبرهم و شدّد التكليف عليهم. و قيل: إنّ الفتنة معاملة المختبر ليجازي بما يظهر دون ما يعلم ممّا لا يظهر. «رسول كريم»: كريم الأخلاق و الأفعال بالتجاوز و الصفح. و قيل: شريف في قومه من بني إسرائيل.[٢]

«فتنّا قبلهم»: امتحنّاهم بإرسال موسى إليهم. أو: أوقعناهم في الفتنة بالإمهال و توسيع الرزق عليهم.[٣]

[١٨] «أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ».

«أنّ أدّوا». هذا قول موسى لفرعون و قومه. أي: أطلقوا بني إسرائيل من العذاب و التسخير، فإنّهم أحرار. فهو كقوله: «فأرسل معي بني إسرائيل».[٤] فيكون «عباد الله» مفعول أدّوا. و قال الفرّاء: معناه: أدّوا إليّ ما آمركم به يا عباد الله. «أمين». أي على ما أدعوكم إليه.[٥]

«أنّ أدّوا إليّ عباد الله»؛ أي: بأنّ أدّوهم. أو: بأن أدّوا إليّ الايمان و قبول الدعوة يا عباد الله.[٦]

«أن أدّوا». أن هي المفسّرة. لأنّ مجيء الرسل متضمّن لمعنى القول. أو المخفّفة من المثقّلة و معناه: و جاءهم بأنّ الشأن و الحديث أن أدّوا إليّ. و «عباد الله» مفعول به و هم بنوإسرائيل.[٧]

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٤.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨٢.
٤ـ الإسراء (٧) / ١٠٥.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٩٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨٢.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٤.

[١٩] «وَ أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ».

«لاتعلوا على الله»؛ أي: لاتتكبّروا على الله بترك طاعته. أو: لاتتكبّروا على أولياء الله بالبغي عليهم. «سلطان مبين»؛ أي: حجّة واضحة على صدق نبوّتي.(١)

[٢٠] «وَ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ».

«أن ترجمون»؛ أي: تقتلون. و معناه أنّه عائذ بربّه متّكل على أنّه يعصمه منهم و من كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعّدونه به من الرجم و القتل.(٢)

[٢١] «وَ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ».

«فاعتزلون». يريد: انّكم إن لم تؤمنوا لي فخلّوني كفافاً لا عليّ و لا لي و لاتتعرّضوا لي بشرّكم.(٣)

[٢٢] «فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ».

«أنّ هؤلاء»: بأنّ هؤلاء. أي دعا ربّه بذلك. قيل: كان دعاؤه: اللّهمّ عجّل لهم ما يستحقّونه بأجرامهم. و قيل: هو قوله: «ربّنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين».(٤) و إنّما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك و هو كونهم مجرمين.(٥)

[٢٣] «فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ».

«فأسر بعبادي»؛ أي: قال: أسر بعبادي. أو يكون جواب شرط محذوف. أي: إن كان الأمر كما تقول، فأسر بعبادي. فقد دبّر الله أن تتقدّموا و يتّبعكم فرعون و جنوده فينجي المتقدّمين و يغرق التابعين.(٦)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٩٥ ـ ٩٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٤.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٤.
٤ـ يونس (١٠) / ٨٥.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٥.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٥.

[٢٤] «وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ».

«رهواً». فيه وجهان. أحدهما: انّ الرهو الساكن. أراد موسى لمّا جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق، فأمر بأن يتركه قارّاً على حاله من كون الطريق يبساً لايضربه بعصاه و لايغيّر منه شيئاً ليدخله [القبط]، فإذا دخلوه طبّقه [الله] عليهم. و الثاني: انّ الرهو الفجوة الواسعة. أي: اتركه مفتوحاً على حاله منفرجاً.[1]

[٢٥ ـ ٢٦] «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ * وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ».

«و مقام كريم»: ما كان لهم من المجالس و المنازل الحسنة.[2]

[٢٧] «وَ نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ».

«و نعمة». النعمة بالفتح من التنعّم، و بالكسر [من] الإنعام.[3]

«و نعمة» قال: النعمة في الأبدان. و قوله: «فاكهين»؛ أي: مفاكهين للنساء.[4]

[٢٨] «كَذٰلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ».

«كذلك». الكاف منصوبة على معنى: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها و أورثناها. أو في موضع الرفع على: الأمر كذلك. «قوماً آخرين» ليسوا منهم في قرابة و لا دين و لا ولاء. و هم بنوإسرائيل كانوا مستعبدين في أيديهم و أورثهم ملكهم و ديارهم.[5]

[٢٩] «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ».

إذا مات رجل خطير، قالت العرب في تعظيم مهلكه: بكت عليه السماء و الأرض و بكته الريح و أظلمت له الشمس. و في حديث رسول الله: ما من مؤمن مات في غربة غابت

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٥.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٦.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٦.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩١.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٦.

فيها بواكيه إلّا بكت عليه السماء و الأرض. و ذلك على سبيل التمثيل و التخييل مبالغة في وجوب الجزع و البكاء عليه. و كذلك ما يروى عن ابن‌عبّاس من بكاء مصلّى المؤمن و آثاره في الأرض و مصاعد عمله و مهابط رزقه في السماء تمثيل. و نفي ذلك عنهم في قوله: «فما بكت عليهم السماء» فيه تهكّم بهم و بحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه: بكت عليه السماء و الأرض. و قيل: ما بكى عليهم الملائكة و المؤمنون بل كانوا لهلاكهم مسرورين. يعني: فما بكى عليهم أهل السماء و أهل الأرض. «و ما كانوا منظرين»؛ أي: لمّا [جاء] وقت هلاكهم، لم ينظروا إلى وقت آخر و لم يمهلوا إلى الآخرة بل عجّل لهم في الدنيا.[1]

«فما بكت عليهم السماء». عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه مرّ عليه رجل عدوّ لله و لرسوله فقال: «فما بكت عليهم السماء و الأرض». ثمّ مرّ الحسين بن عليّ عليهما السلام فقال: لكنّ هذا لتبكينّ عليه السماء و الأرض. و ما بكت إلّا على [يحيى بن زكريّا و الحسين بن عليّ عليهما السلام].[2]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: بكت السماء على] يحيى بن زكريّا و على الحسين بن عليّ عليهما السلام أربعين صباحاً. و بكاؤها أنّها كانت تطلع حمراء و تغيب حمراء.[3]

و عن الصادق عليه السلام قال: بكت السماء على الحسين بن عليّ أربعين صباحاً بالدم.[4]

عن الصادق عليه السلام قال: إذا مات المؤمن، بكت عليه بقاع الأرض التي كان يعبد الله فيها و الباب الذي يصعد منه عمله و موضع سجوده.[5]

[٣٠ ـ ٣١] «وَ لَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ».

«من فرعون». بدل من العذاب؛ كأنّه في نفسه كان عذاباً مهيناً. أو يكون المعنى: من

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٩٨ ـ ٩٩.
٤ـ المناقب ٤ / ٥٤.
٥ـ الفقيه ١ / ٨٤، ح ٣٨٤.

العذاب المهين واقعاً من جهة فرعون. «عالياً»؛ أي: بليغاً في إسرافه. أو: متكبّراً.[١]

[٣٢] «وَ لَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ».

«و لقد اخترناهم»؛ أي: بني إسرائيل. و «على علم» في موضع الحال. أي: عالمين بمكان الخيرة و بأنّهم أحقّاء بأن يختاروا. أو المعنى: مع علم منّا بأنّهم يزيغون و يفرط منهم الفرطات في بعض الأحوال. «على العالمين»؛ أي: عالمي زمانهم. و قيل: على الناس جميعاً لكثرة الأنبياء منهم.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قوله: « ولقد اخترناهم على علم على العالمين» قال: الأئمّة من المؤمنين، و فضّلناهم على من سواهم.[٣]

[٣٣] «وَ آتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَٰؤٌا مُبِينٌ».

«من الآيات» من نحو فلق البحر و تظليل الغمام و إنزال المنّ و السلوى و غير ذلك من الآيات العظام. «بلاء مبين»: نعمة ظاهرة. لأنّ الله يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة. أو: اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون.[٤]

[٣٤ ـ ٣٥] «إِنَّ هٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَ مَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ».

«إنّ هؤلاء». إشارة إلى كفّار قريش. فإن قلت: كان الكلام واقعاً في الحياة الثانية لا في الموت. فهلّا قيل: إن هي إلّا حياتنا الأولى كما قيل: «إن هي إلّا حياتنا الدنيا و ما نحن بمبعوثين»[٥]؟ و ما معنى قوله: «إن هي إلّا موتتنا الأولى و ما نحن»؟ و ما معنى ذكر الأولى؟ كأنّهم وعدوا موتة أخرى حتّى نفوها و جحدوها و أثبتوا الأولى! قلت: معناه: إنّه قيل: إنّكم تموتون موتة تتعقّبها حياة كما تتقدّمكم موتة تتعقّبها حياة. و ذلك قوله: «و كنتم أمواتاً

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٨.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٧٤.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٨.
٥ـ الأنعام (٦) / ٢٩.

فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم».[١] فقالوا: «إن هي إلّا موتتنا الأولى». يريدون: ما الموتة التي من شأنها أن يتعقّبها حياة إلّا الموتة الأولى دون الموتة الثانية. و ما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقّب الحياة لها إلّا الموتة الأولى خاصّة. فلا فرق إذن بين قوله: «إن هي إلّا حياتنا الدنيا» و بين هنا في المعنى. «بمنشرين». يقال: أنشر الله الموتى و نشرهم، إذا بعثهم.[٢]

«إن هي إلّا موتتنا الأولى»؛ أي: ما العاقبة و نهاية الأمر إلّا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيويّة. و لا قصد فيه إلى إثبات ثانية. كما في قولك: حجّ زيد الحجّة الأولى و مات.[٣]

[٣٦] «فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«فأتوا بآبائنا» الذين ماتوا قبلنا و أعيدوهم «إن كنتم صادقين» في أنّ الله يقدر على إعادة الأموات و إحيائهم. و قيل: إنّ هذا قول أبي‌جهل بن هشام قال: إن كنت صادقاً فابعث جدّك قصيّ بن كلاب ـ فإنّه كان رجلاً صالحاً صادقاً ـ لنسأله عمّا يكون بعد الموت. و هذا جهل منه. لأنّ الإعادة إنّما هي للجزاء لا للتكليف و ليست هذه الدار دار جزاء. فكأنّه قال: إن كنت صادقاً في إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف.[٤]

[٣٧] «أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ».

«أهم خير»؛ أي: مشركو قريش أظهر نعمة و أكثر أموالاً و أعزّ في القوّة و القدرة «أم قوم تبّع» الحميريّ الذي سار بالجيوش حتّى حيّر الحيرة ثمّ أتى سمرقند فهدمها و بناها. و كان إذا كتب كتب: باسم الذي ملك برّاً و بحراً و ريحاً و ضحًى. و سمّي تبّعاً لكثرة أتباعه من الناس. و قيل: لأنّه تبع من قبله من ملوك اليمن و التبابعه اسم ملوك اليمن فتبّع لقب له. و عنه صلى الله عليه و آله: لا تسبّوا تبّعاً. فإنّه كان قد أسلم و هذا ذمّ الله قومه و لم يذمّه. و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ تبّعاً قال للأوس و الخزرج: كونوا هاهنا حتّى يخرج هذا النبيّ. أمّا أنا لو أدركته

١ـ البقرة (٢) / ٢٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٧٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨٣.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٠١.

لخدمته و خرجت معه. «من قبلهم» من قوم نوح و عاد و ثمود «أهلكناهم» و قريش ليسوا بأفضل منهم و إهلاكهم أيسر. «مجرمين»؛ أي: كافرين. و هؤلاء مثلهم.[١]

[٣٨] «وَ مَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ».

«لاعبين» بل خلقناهما لغرض حكميّ و هو انتفاع المكلّفين بهما.[٢]

[٣٩] «مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«إلّا بالحقّ»؛ أي: العلم الداعي إلى خلقهما، و العلم لايدعو إلّا إلى الصواب. و قيل: معنى بالحقّ أي: الامتحان بالأمر و النهي و التمييز بين المحسن و المسيء. كقوله: «ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا».[٣] «لايعلمون». أي صحّة ما قلناه لعدولهم عن الاستدلال على صحّته.[٤]

[٤٠] «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ».

«يوم الفصل». هو يوم القيامة، لأنّه يفصل بين المحقّ و المبطل. «أجمعين». يعني كفّار قريش و من تقدّمهم.[٥]

[٤١ ـ ٤٢] «يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَ لَا هُمْ يُنْصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللّٰهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

«مولًى». المولى: الصاحب الذي من شأنه أن يتولّى معونة صاحبه على أموره. فيدخل في ذلك ابن العمّ و الناصر و الحليف و غيرهم. و هذا لاينافي ما تذهب إليه أكثر الأمّة من إثبات الشفاعة للنبيّ و الأئمّة عليهم السلام و المؤمنين. لأنّ الشفاعة لاتحصل إلّا بأمر الله و إذنه و لا

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٠ ـ ١٠١.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٠١.
٣ـ النجم (٥٣) / ٣١.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٠١.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٠١.

إذن هنا.[١] «إلّا من رحم»؛ أي: إلّا الذين رحمهم الله من المؤمنين. فإنّه إمّا أن يسقط عقابهم ابتداء أو يأذن بالشفاعة فيهم لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له بشفاعته. «إنّه هو العزيز» في انتقامه «الرحيم» بالمؤمنين.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «إلّا من رحم الله» قال: يعني بذلك عليّاً عليه السلام و شيعته.[٣]

[٤٣ ـ ٤٦] «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ».

«طعام الأثيم»؛ أي: الآثم. و هو أبوجهل. و روي أنّ أباجهل أتى بتمر و زبد فجمع بينهما و أكل و قال: هو الزقّوم الذي يخوّفنا به محمّد. «كالمهل». و هو المذاب من النحاس أو الرصاص. «الحميم». و هو الماء الذي اشتدّت حرارته. أهل مكّة و حفص: «يغلي» بالياء، و الباقون بالتاء.[٤]

[٤٧] «خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ».

«خذوه»؛ أي: يقال للزبانية: خذوا الأثيم. «فاعتلوه»؛ أي: جرّوه على وجهه إلى وسط النار.[٥]

[٤٨] «ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ».

[٤٩] «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ».

«ذق إنّك». [و ذلك أنّه كان يقول:][٦] أنا أعزّ أهل الوادي. فيقول له الملك: ذق العذاب

١ـ كذا في النسخة. و لايخفى ما في قصور العبارة الأخيرة عن المراد.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٢.

٣ـ الكافي ٨ / ٣٥، ح ٦.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٢ و ١٠١.

٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٢ ـ ١٠٣.

٦ـ في النسخة: «أي يقول له خازن النار ذق العذاب أنت الذي كنت تقول» بدل ما بين المعقوفتين.

أيّها المتعزّز في زعمك. و قيل: معناه: انّك كنت العزيز في قومك الكريم عليهم، فما أغنى ذلك عنك. الكسائيّ: «ذق أنّك» بفتح الهمزة. أي: لأنّك.(١)

روي أنّ أباجهل قال لرسول الله: ما بين جبليها [أعزّ] و لا أكرم منّي. فيعيّر بذلك في النار.(٢)

[٥٠] «إِنَّ هٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْـتَرُونَ».

«ما كنتم به»؛ أي: ثمّ يقال لهم: إنّ هذا هو العذاب الذي كنتم تشكّون فيه في دار الدنيا.(٣)

[٥١ ـ ٥٢] «إِنَّ الْمُـتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ».

أهل المدينة و ابن‌عامر: «في مقام» بالضمّ، و الباقون بالفتح. «أمين»؛ أي: أمنوا فيه من الحوادث و الموت.(٤)

[٥٣] «يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ».

«من سندس». قيل: السندس: الحرير. و الإستبرق: الديباج الغليظ الصفيق. و قيل له الإستبرق لشدّة بريقه. خاطب العرب فوعدهم بما عظم عندهم و اشتهته أنفسهم. و قيل: السندس ما يلبسونه. و الإستبرق ما يفترشونه. «متقابلين» في المجالس لاينظر بعضهم إلى قفا بعض. و قيل: معناه: متقابلين بالمحبّة لا متدابرين بالبغضة. و متقابلين نصب على الحال من يلبسون و مفعول يلبسون محذوف أي ثياباً.(٥)

قيل: السندس ما رقّ من الديباج. و الإستبرق ما غلظ منه و هو معرّب استبر.(٦)

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٣ و ١٠١ ـ ١٠٢.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٨٢.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٣.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٣ ـ ١٠٤.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٤.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٢٨٢.

[٥٤] «كَذٰلِكَ وَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ».

«كذلك» حال أهل الجنّة.(١) «و زوّجناهم بحور عين». قيل: المراد به التزويج المعروف. و قيل: لايكون في الجنّة تزويج. و المعنى: قرنّاهم بحور عين. «بحورعين». الحَوَر: شدّة بياض العين و شدّة سوادها. و العين: جمع العيناء؛ و هي العظيمة العينين. و قوله: «كذلك» خبر مبتدأ محذوف. أي: الأمر كذلك.(٢)

في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، بعث ربّ العزّة عليّاً عليه السلام فأنزلهم منازلهم من الجنّة. فعليّ ـ و الله ـ الذي يزوّج أهل الجنّة في الجنّة.(٣)

و فيه أيضاً مرويّاً عن أبي الحسن عليه السلام لمّا سئل: كيف صار مهر السنة خمسمائة درهم؟ قال: إنّ الله أوجب على نفسه أن لايكبّره مؤمن مائة تكبيرة و يسبّحه مائة تسبيحة و يحمده مائة تحمدة و يهلّله كذلك و يصلّي على محمّد و آله كذلك ثمّ يقول: اللّهمّ زوّجني من الحور العين، إلّا زوّجه الله و جعل ذلك مهرها. فأوحى الله إلى نبيّه صلى الله عليه و آله بأن يسنّ مهور المؤمنات خمسمائة درهم.(٤)

و في صحيفة الرضا عن النبيّ صلى الله عليه و آله: الذي يسقط من المائدة مهور لحور العين.(٥)

[٥٥] «يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ».

«يدعون فيها»؛ أي: يستدعون فيها أيّ ثمرة اشتهوا غير خائفين فوتها و مضرّتها. و قيل: آمنين من التخم و الأسقام و الأوجاع. و آمنين حال من يدعون.(٦)

[٥٦] «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولىٰ وَ وَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ».

١ـ كذا في المصدر أيضاً في قسم المعنى. و ذكر في قسم الإعراب غير هذا كما يأتي في آخر الفقرة.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٤ ـ ١٠٥.

٣ـ الكافي ٨ / ١٥٩، ح ١٥٤.

٤ـ الكافي ٥ / ٣٧٦، ح ٧.

٥ـ صحيفة الرضا عليه السلام / ٥٠.

٦ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٥ و ١٠٤.

«إلّا الموتة الأولى»؛ أي: بعد الموتة الأولى. و قيل: معناه: لكنّ الموتة الأولى ذاقوها.[١]

«إلّا الموتة الأولى». فإن قلت: كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنّة من الموت المنفيّ ذوقه فيها؟ قلت: أريد أن يقال: لايذوقون فيها الموت البتّة، فوضع قوله: «إلّا الموتة الأولى» موضع ذلك، لأنّ الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل، فهو من باب التعليق بالمحال. كأنّه قيل: إن كان الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنّهم يذوقونها.[٢]

[٥٧] «فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

«فضلاً من ربّك»؛ أي: فعل الله ذلك بهم تفضّلاً. لأنّه كلّفهم و هداهم و لطف بهم و جازاهم على الحسنة عشر أمثالها. و قيل: إنّما سمّاها فضلاً، و إن كان مستحقّاً، لأنّ سبب الاستحقاق هو التكليف و هو فضل منه سبحانه. «الفوز العظيم»؛ أي: الظفر بالمطلوب. و «فضلاً» منصوب بفعل محذوف. أي: فعل الله بهم ذلك فضلاً. أو: و أعطاهم فضلاً.[٣]

[٥٨] «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

«يسّرناه بلسانك»؛ أي: سهّلنا و هوّنّا القرآن على لسانك و يسّرنا قراءته عليك. أو: جعلناه قرآناً عربيّاً يسهل عليك و على قومك تفهّمه ليتذكّروا ما فيه من الأحكام و يتفكّروا فيه.[٤]

فإنّما يسّرناه»؛ أي: سهّلناه حيث أنزلناه عربيّاً بلسانك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكّروا.[٥]

[٥٩] «فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ».

«فارتقب إنّهم مرتقبون»: فإن أعرضوا و لم‌يقبلوا، فانتظر مجيء ما وعدناك به. إنّهم

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٥.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٨٣.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٥ و ١٠٤.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٥.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٢٨٣.

منتظرون. لأنّهم في حكم من ينتظر. لأنّ المحسن ينتظر عاقبة الإحسان و المسيء يرتقب عاقبة الإساءة. و قيل: معناه: انتظر بهم عذاب الله. فإنّهم ينتظرون بك الدوائر. و قيل: انتظر قهرهم و نصرك عليهم. فإنّهم منتظرون قهرك بزعمهم.(١)

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٥.

٤٥.
سورة الجاثية

من حملها، أمن من كلّ محذور. و من جعلها تحت رأسه، كفي شرّ الجنّ.(١)

عن النبيّ ﷺ: من قرأها، ستر الله عورته و سكّن روعته عند الحساب.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الجاثية، كان ثوابها أن لايرى النار أبداً و لايسمع زفير جهنّم و لاشهيقها، و هو مع محمّد ﷺ.(٣)

[١ ـ ٣] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ».

«حم». اسم السورة. قيل: سمّيت بحم دلالة على أنّ هذا القرآن المعجز كلّه من حروف المعجم. «من الله»؛ أي: تنزيله من الله. «العزيز»: الذي لايغالب. «للمؤمنين»؛ أي: المصدّقين.(٤)

و قيل: « حم». مقسم به، و « تنزيل الكتاب». صفته، و الجواب: «إنّ في السموات».(٥)

«حم». إن جعلتها اسماً مبتدأ مخبراً عنه بتنزيل الكتاب، لم يكن بدّ من حذف مضاف. أي: تنزيل حم تنزيل الكتاب. و «من الله» صلة للتنزيل. و إن جعلتها تعديداً للحروف، كان «تنزيل الكتاب» مبتدأ و الظرف خبر. «إنّ في السموات و الأرض». يجوز أن يكون

١ـ المصباح / ٦١٠.

٢ـ المصباح / ٥٩١.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٦.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٨.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨٦.

على ظاهره، و أن يكون المعنى: انّ في خلق السموات.[١]

[٤] «وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ مَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ».

«و في خلقكم»؛ أي: في خلقه إيّاكم بما فيكم من بدائع الصنع و في خلق ما تفرّق على وجه الأرض من الحيوانات على اختلاف أجناسها و المقاصد المطلوبة منها، دلالات واضحات على ما ذكرنا لقوم يطلبون علم اليقين بالتفكّر و التدبّر.[٢]

«و ما يبثّ». معطوف على المضاف أعني خلق. لأنّ المضاف إليه ضمير متّصل مجرور يقبح العطف عليه.[٣]

«آيات». بالرفع، محمول على محلّ إنّ و اسمها. و قرأ حمزة و الكسائيّ و يعقوب بالنصب، حملاً على الاسم.[٤]

[٥] «وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

«و اختلاف اللّيل و النهار» و مجيئها على وتيرة واحدة. أو: في اختلاف حالها من الطول و القصر. أو: اختلافهما في أنّ أحدهما نور و الآخر ظلمة. «و ما أنزل الله من السماء». يعني المطر لأنّه سبب الأرزاق. «و تصريف الرياح»؛ أي: في تصريف الرياح يجعل مرّة جنوباً و مرّة شمالاً و مرّة صباً و أخرى دبوراً. و قيل: يجعلها تارة رحمة و تارة عذاباً. «آيات لقوم يعقلون» وجوه الأدلّة فيعلمون أنّ لهذه الأشياء مدبّراً حكيماً قادراً.[٥]

حمزة و الكسائيّ: «و تصريف الريح».[٦]

[٦] «تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ».

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٨٤.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٨ ـ ١٠٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٨٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨٦.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٠٩.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨٦.

«تلك آيات الله»؛ أي: ما ذكرناه أدلّة الله التي نصبها لخلقه. «نتلوها عليك» لتقرأها عليهم. «فبأيّ حديث» بعد حديث الله ـ و هو القرآن ـ و آياته يصدّقون؟ و هذا إشارة إلى أنّ المعاند لا حيلة له. أهل الكوفة غير حفص: «تؤمنون» بالتاء، و الباقون بالياء. أي: قل لهم: فبأيّ حديث تؤمنون؟ (١)

[٧] «وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ».

«ويل لكلّ أفّاك». الأفّاك: الكذّاب. و يطلق على من كثر كذبه أو عظم كمسيلمة في ادّعاء النبوّة. و الأثيم: ذو الإثم؛ أي: المعصية. و الويل كلمة وعيد يتلقّى بها الكفّار. و قيل: واد سائل من صديد جهنّم. (٢)

[٨] «يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ».

«يسمع آيات الله». أي الأفّاك. «يصرّ»؛ أي: يقيم على كفره متعظّماً عن الانقياد للحقّ. (٣)

«ثمّ يصرّ». ثمّ هنا للتراخي في الرتبة، لأنّه ينبغي أن يقبل عليها فإذن الإصرار منه مستبعد. فهي هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان.

[٩] «وَ إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ».

«اتّخذها هزواً»: استهزأ بها ليري العوامّ أنّه لا حقيقة لها، كما فعله أبوجهل حين سمع قوله: «إنّ شجرة الزقّوم * طعام الأثيم» (٤) و كما فعله النضر بن الحارث حين كان يقابل القرآن بأحاديث الفرس. (٥)

١ـ مجمع البيان ٩ / ١١٠.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١١٠.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ١١٠.

٤ـ الدخان (٤٤) / ٤٣ ـ ٤٤.

٥ـ مجمع البيان ٩ / ١١٠.

«اتّخذها». الضمير راجع إلى آياتنا. و فائدته الإشعار بأنّه إذا سمع كلاماً و علم أنّه من الآيات، بادر إلى الاستهزاء بالآيات كلّها و لم يقتصر على ما سمعه. أو لشيء، فإنّه بمعنى الآية.[١]

[١٠] «مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَ لَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«من ورائهم جهنّم»؛ أي: من وراء ما هم فيه من التعزّز و المال جهنّم. و معناه: قدّامهم و من بين أيديهم. و وراء اسم يقع على القدّام و الخلف. فما توارى عنك فهو وراؤك، خلفك كان أو أمامك. «و لايغني عنهم»؛ أي: ما كسبوه من المال لايدفع عنهم العذاب، و لا ما اتّخذوا من الأصنام التي عبدوها لتكون شفعاءهم عند الله.[٢]

[١١] «هٰذَا هُدىً وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ».

«هذا هدًى»؛ أي: هذا القرآن الذي تلوناه و الحديث الذي ذكرناه هدًى؛ أي: دلالة موصلة إلى الفرق بين الحقّ و الباطل.[٣]

ابن‌كثير و يعقوب و حفص: «أليم» بالرفع. و الرجز: أشدّ العذاب.[٤]

[١٢] «اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«سخّر لكم البحر»؛ أي: جعله على هيئة تجري السفن فيه. «و لتبتغوا من فضله» في أسفاركم الأرباح بالتجارات. «و لعلّكم تشكرون» هذه النعمة.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨٧.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١١٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١١٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨٧.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١١٢.

[١٣] «وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».

«جميعاً منه». قال ابن‌عبّاس: كلّ ذلك رحمة منه لكم. و قال الزجّاج: ذلك تفضّل منه و إحسان. و يحسن الوقف على قوله: «جميعاً» ثمّ يقول: «منه». أي: ذلك التسخير منه لا من غيره. و عن ابن‌عبّاس [و عبدالله بن عمر و الجحدريّ] أنّهم قرؤوا: «منّة» منصوبة منوّنة. أي: منّ عليهم منّة.(١)

«جميعاً منه». فإن قلت: ما معنى منه و ما موقعها من الإعراب؟ قلت: هي واقعة موقع الحال. أي: سخّر هذه الأشياء كائنة منه و حاصلة من عنده. يعني أنّه مكوّنها و موجدها بقدرته و حكمته ثمّ سخّرها لخلقه. و يجوز أن [يكون] خبر مبتدأ محذوف. تقديره: هي جميعاً منه.(٢)

[١٤] «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

«قل للّذين آمنوا». حذف المقول.لأنّ الجواب دالّ عليه. و المعنى: قل لهم: اغفروا. «لايرجون أيّام الله»: لايتوقّعون وقائع الله بأعدائه. من قولهم [لوقائع] العرب: أيّام العرب. و قيل: يأملون الأوقات التي وقّتها الله لثواب المؤمنين و وعدهم الفوز فيها. قيل: نزلت قبل آية القتال، ثمّ نسخ حكمها. «ليجزي». تعليل للأمر بالمغفرة. أي: إنّما أمروا بأن يغفروا لما أراد الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة. فإن قلت: قوله: «قوماً» ما وجه تنكيره؟ و إنّما أراد الذين آمنوا و هم معارف. قلت: هو مدح لهم. كأنّه قيل: ليجزي أيّما قوم و قوماً مخصوصين لصبرهم و إغضائهم على أذى أعدائهم من الكفّار. «بما كانوا يكسبون» من الثواب العظيم بكظم الغيظ و احتمال المكروه.(٣)

١ـ مجمع البيان ٩ / ١١٢.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٨٨.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

«لايرجون أيّام الله»: لايخافون عذاب الله إذا نالوكم بالأذى و لايرجون ثوابه بالكفّ عنكم. و معنى «يغفروا» هاهنا: يتركوا مجازاتهم على أذاهم ليتولّى الله مجازاتهم. أبوجعفر: «ليجزى» بضمّ الياء وفتح الزاء. أي: ليجزى الجزاء. و ابن‌عامر و حمزة و الكسائيّ: «لنجزي» بالنون و كسر الزاء و النصب. و الباقون بفتح الياء وكسر الزاء.(١)

«قل للّذين آمنوا يغفروا». قال: يقول لولاة الحقّ: لاتدعونّ على أئمّة الجور حتّى يكون الذي يعاقبهم هو الله في قوله: «ليجزي قوماً». و عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «قل للّذين آمنوا» قال: قل للّذين منّنا عليهم بمعرفتنا أن يعرّفوا الذين لايعلمون. فإذا عرّفوهم فقد غفروا لهم.(٢)

عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه أراد أن يضرب غلاماً له فقرأ: «قل للّذين آمنوا» ـ الآية ـ فوضع السوط من يده. ثمّ بكى الغلام. فقال له: ما يبكيك؟ قال: و إنّي عندك ـ يا مولاي ـ ممّن لايرجو أيّام الله؟ فقال له: أنت ممّن يرجو أيّام الله؟ قال: نعم يا مولاى. فقال عليه السلام: لاأحبّ أن أملك من يرجو أيّام الله. قال: قم فائت قبر رسول الله صلى الله عليه وآله و قل: اللّهمّ اغفر لعليّ بن الحسين عليهما السلام خطيئته يوم الدين. و أنت حرّ لوجه الله.(٣)

و عن أبي عبدالله عليه السلام: أيّام الله المرجوّة ثلاثة: يوم قيام القائم، و يوم الكرّة، و يوم القيامة.(٤)

[١٥] «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ».

[١٦] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ».

«الكتاب»: التوراة. «و الحكم»: الحكمة و الفقه. أو: فصل الخصومات بين الناس. لأنّ

١ـ مجمع البيان ٩ / ١١٢ ـ ١١٣ و ١١١.
٢ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٧٥ ـ ٥٧٦.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٧٦.

الملك كان فيهم و النبوّة. «من الطيّبات»: ممّا أحلّ الله لهم و أطاب من الأرزاق. «و فضّلناهم» حيث لم نؤت أحداً ما آتيناهم.(١)

«و النبوّة». روي أنّه كان فيهم ألف نبيّ. «على العالمين»؛ أي: عالمي زمانهم. «و فضّلناهم» بكثرة الأنبياء منهم على سائر الأمم و إن كانت أمّة محمّدﷺ أفضل منهم في كثرة المطيعين لله و كثرة العلماء منهم.(٢)

[١٧] «وَ آتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

«بيّنات من الأمر»: دلالات واضحات ببعث محمّدﷺ و ما بيّن لهم من أمره. «بغياً بينهم»؛ أي: طلباً للرئاسة و أنفة من الإذعان للحقّ. و قيل: بغياً على محمّد في جحود ما في كتابهم من نبوّته و صفته.(٣)

«بيّنات»: آيات و معجزات. «من الأمر»: من أمر الدين. فما وقع الخلاف بينهم في الدين إلّا من بعد ما جاءهم ما هو [موجب] لزوال الخلاف و هو العلم. و إنّما اختلفوا لبغي حدث بينهم؛ أي: العداوة و الحسد.(٤)

[١٨ ـ ١٩] «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ اللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ».

«على شريعة»؛ أي: على طريقة و منهاج. «من الأمر»: من أمر الدين. فاتّبع شريعتك الثابتة بالدلائل و لاتتّبع ما لا حجّة عليه من أهواء الجهّال و دينهم و هم رؤساء قريش حين قالوا: ارجع إلى دين آبائك ـ و لاتوالهم. إنّما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم. و أمّا

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٨٩.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١١٣.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١١٤.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٢٨٩.

المتّقون، فوليّهم الله و هم موالوه. و ما أبين الفصل بين الولايتين.[١]

«الذين لايعلمون» من أهل الكتاب الذين غيّروا التوراة اتّباعاً لهواهم و استتباعاً للعوامّ و من المشركين الذين اتّبعوا أهواءهم في عبادة الأوثان. «لن يغنوا»؛ أي: لن يدفعوا عنك شيئاً من عذاب الله إن اتّبعتهم. « أولياء بعض». يعني: الكفّار بأجمعهم متّفقون على معاداتك و بعضهم أنصار بعض عليك. و الله ناصر المتّقين و حافظهم. فلاتشغل قلبك بتعاونهم عليك. فإنّ الله يحفظك و ينصرك عليهم.[٢]

قال عليّ بن إبراهيم في قوله عزّ و جلّ: «ثمّ جعلناك على شريعة من الأمر» ـ الآية ـ: فهذا تأديب لرسول الله ﷺ و المعنيّ لأمّته.[٣]

[٢٠] «هٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ».

«هذا بصائر»؛ أي: ما أنزلته إليك من القرآن بصائر؛ أي: معالم في الدين و عظات و عبر للناس يتبصّرون منه أمر دينهم. «و هدًى»؛ أي: دلالة واضحة. «و رحمة»؛ أي: نعمة من الله. «لقوم يوقنون» بثواب الله و عقابه.[٤]

[٢١] «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ».

«اجترحوا السيّئات»؛ أي: اكتسبوها. و قوله: «أم حسب» استفهام إنكار. و قيل: إنّه معطوف على مضمر تقديره: هذا القرآن بصائر للناس مؤدّية إلى الجنّة. أفعلموا ذلك أم حسب الذين اكتسبوا السيّئات. ـ أي: الشرك و المعاصي ـ أن نجعل منزلتهم منزلة الذين آمنوا ـ أي: صدّقوا الله و رسوله ـ «سواء محياهم و مماتهم»؛ أي: يستوي محيا القبيلتين و مماتهم؟ يعني: أحسبوا أنّ حياتهم و مماتهم كحياة المؤمنين و مماتهم؟ ساء ما حكموا على الله.

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٨٩.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١١٤.
٣ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٢٩٤.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١١٤.

لأنّ ذلك لايستقيم في العقول؛ بل ينصر المؤمنين في الدنيا على الكافرين و لاينصر الكافرين و ينزّل الملائكة عند الموت على المؤمنين بالبشرى و على الكافرين يضربون وجوههم و أدبارهم. و قيل: أراد: محياهم بعد البعث و مماتهم على الإيمان و محيا المشركين على الشرك و كذلك مماتهم. و قيل: إنّ الضمير في محياهم و مماتهم للكفّار. لأنّ الحيّ إذا لم يفعل الطاعة كان بمنزلة الميّت. «سواء». أهل الكوفة بالنصب، و الباقون بالرفع.(١)

«كالّذين آمنوا»؛ أي: مثلهم. [و] «سواء محياهم» بدل منه، إن كان الضمير للموصول الأوّل. لأنّ المماثلة فيه إذ المعنى إنكار أن يكون حياتهم مماتهم سيّين في البهجة و الكرامة كما هو للمؤمنين. و يدلّ عليه قراءة حمزة: «سواء» بالنصب على البدل. و إن كان للثاني، فحال منه أو استئناف يبيّن المقتضي للإنكار. و إن كان لهما، فبدل أو حال من الثاني و ضمير الأوّل و المعنى إنكار أن يستووا بعد المماة في الكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق و الصحّة في الحياة، أو استئناف مقرّر لتساوي كلّ صنف و مماته في الهدى و الضلال.(٢)

عن ابن عبّاس في قوله تعالى: «أم حسب الذين اجترحوا السيّئات» ـ الآية ـ: نزلت في عليّ عليه السلام و حمزة و عبيدة بن الحارث ـ هم المؤمنون ـ و ثلاثة من المشركين: عتبة و شيبة ابني ربيعة و الوليد بن عتبة. و هم الذين اجترحوا السيّئات.(٣)

[٢٢] «وَ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

«بالحقّ»؛ أي: لم يخلقهما عبثاً بل خلقهما فنفع خلقه بأن يكلّفهم و يعرّضهم للثواب و العقاب. «لايظلمون»؛ أي: لايبخسون حقوقهم.(٤)

[٢٣] «أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَ أَضَلَّهُ اللهُ عَلىٰ عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلىٰ سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ

١ـ مجمع البيان ٩ / ١١٧ و ١١٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨٨ ـ ٣٨٩.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٧٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١١٧.

جَعَلَ عَلىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَ فَلَا تَذَكَّرُونَ».

«أفرأيت» ـ يا محمّد ـ من اتّخذ دينه ما يهواه فلايهوى شيئاً إلّا ركبه؟ و قيل: من اتّخذ معبوده ما يهواه دون ما دلّت الأدلّة على استحقاقه العبادة. و كان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به و عبد غيره. و قيل: معناه: أفرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلهه و معبوده و يرتكب ما يدعوه إليه؟ و لم يرد أنّه يعبد هواه و يعتقد أنّه يحقّ له العبادة. لأنّ ذلك لايعتقده أحد. عن عليّ بن عيسى. قد آيس الله رسوله من إيمان هؤلاء. «و أضلّه الله على علم»؛ أي: خذله و خلّاه و ما اختاره جزاء له على كفره و عناده، على علم منه باستحقاقه كذلك. و قيل: أضلّه الله؛ أي: وجده ضالّاً على حسب ما علمه فخرج معلومه على وفق علمه. كما يقال: أحمدت فلاناً؛ أي: وجدته حميداً. «فمن يهديه من بعد الله»؛ أي: إذا لم يهتد بهدى الله بعد وضوحه، فلا طمع في اهتدائه. «أفلاتذكّرون»؛ أي: تتّعظون بهذه المواعظ. و هذا استبطاء للتذكّر منهم.[١]

«و أضلّه الله على علم»؛ أي: تركه عن الهداية و اللّطف و خذله «على علم»: عالماً بأنّ ذلك لايجدي عليه و أنّه ممّن لا لطف له. أو: مع علمه بوجوه الهداية و إحاطته بأنواع الألطاف المحصّلة و المقرّبة. «فمن يهديه من بعد» إضلال «الله»؟[٢]

«أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه». نزلت في قريش؛ كلّما أرادوا شيئاً عبدوه. «و أضلّه الله على علم»؛ أي: عذّبه على علم منه فيما ارتكب من أميرالمؤمنين عليه السلام. و جرى ذلك بعد رسول الله فيما فعلوه بعده بآرائهم و أمالوا الخلافة و الإمامة من أميرالمؤمنين بعد أخذ الميثاق عليهم مرّتين لأميرالمؤمنين. «اتّخذ إلهه هواه». نزلت في قريش و جرت بعد رسول الله في أصحابه الذين غصبوا أميرالمؤمنين و اتّخذوا إماماً بأهوائهم.[٣]

[٢٤] «وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَ مَالَهُمْ

١ـ مجمع البيان ٩ / ١١٧ ـ ١١٨.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٩١.

٣ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٢٩٤.

بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ».

ثمّ أخبر سبحانه عن منكري البعث فقال: «و قالوا ما هي إلّا حياتنا الدنيا»؛ أي: ليس الحياة إلّا حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا و لايكون بعد الموت بعث. «نموت و نحيا» فيه أقوال. أحدها: انّ تقديره: نحيا و نموت. فقدّم و أخّر. و الثاني: انّ معناه: نموت و تحيا أولادنا. و الثالث: يموت بعضنا و يحيا بعضنا. كما قال: «فاقتلوا أنفسكم»[1]؛ أي: ليقتل بعضكم بعضاً. «إلّا الدهر»؛ أي: ما يميتنا إلّا مرور الزمان و طول العمر، إنكاراً منهم للصانع. «من علم»؛ أي: ينسبون ذلك إلى الدهر بجهلهم. و لو علموا أنّ الذي يميتهم هو الله و أنّه قادر على إحيائهم، لما نسبوا الفعل إلى الدهر. «إلّا يظنّون» و الأمر بخلافه. و عنه ﷺ: لاتسبّوا الدهر. فإنّ الله هو الدهر. و تأويله أنّ الجاهليّة كانوا ينسبون البلايا النازلة بهم إلى الدهر و كانوا يسبّون الدهر فقال ﷺ: إنّ فاعل هذه الأمور هو الله، فلاتسبّوا فاعلها. و قيل: معناه: انّ الله مصرّف الدهر و مدبّره. و الوجه الأوّل أحسن. فإنّ كلامهم مملوّ من ذلك.[2]

«نموت و نحيا»؛ أي: نكون أمواتاً نطفة و ما قبلها و نحيا بعد ذلك. و يحتمل أنّهم أرادوا التناسخ. فإنّه عقيدة أكثر عبدة الأوثان. «و ما لهم بذلك من علم». يعني نسبة الحوادث إلى حركات الأفلاك و ما يتعلّق بها على الاستقلال أو إنكار البعث أو كليهما. «إلّا يظنّون» بناء على التقليد و الإنكار لما لم يحسّوا به.[3]

ثمّ عطف على الدهريّة الذين قالوا: لانحيا بعد الموت فقال: «و قالوا ما هي إلّا حياتنا الدنيا نموت و نحيا». هذا مقدّم و مؤخّر. لأنّ الدهريّة لم يقرّوا بالبعث بعد الموت و إنّما قالوا: نحيا و نموت. «إلّا يظنّون». فهذا ظنّ شكّ. و نزلت هذه الآية في الدهريّة و جرت في الذين فعلوا ما فعلوا بعد رسول الله بأميرالمؤمنين و إنّما كان إيمانهم إقراراً بلا تصديق خوفاً من السيف و رغبة في المال.[4]

١ـ البقرة (٢) / ٥٤.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١١٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩٤.

[٢٥] «وَ إِذَا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«و إذا تتلى عليهم آياتنا»؛ أي: إذا قرئت عليهم حججنا ظاهرات.(١)

«حجّتهم». فإن قلت: لم سمّي قولهم حجّة و ليس بحجّة؟ قلت: لأنّهم أدلوا به كما يدلي المحتجّ بحجّته و ساقوه سياقها، فسمّيت حجّة على سبيل التهكّم، أو لأنّه في حسبانهم و تقديرهم حجّة، أو لأنّه في أسلوب قوله: «تحيّة بينهم ضرب وجيع». كأنّه قيل: ما كان حجّتهم إلّا ما ليس بحجّة. و المراد نفي أن يكون لهم حجّة البتّة.(٢)

[٢٦] «قُلِ اللّٰهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

«قل الله يحييكم». فإن قلت: كيف وقع قوله: «قل الله يحييكم» جواباً لقولهم: «ائتوا بآبائنا»؟ قلت: لمّا أنكروا البعث و كذّبوا الرسل و حسبوا أنّ ما قالوه قول مبكّت، ألزموا ما هم مقرّون به من [أنّ] الله [هو] الذي يحييهم ثمّ يميتهم و ضمّ إلى إلزام ذلك [إلزام] ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا و أصغوا إلى داعي الحقّ، و هو جمعهم إلى يوم القيامة و من كان قادراً على ذلك كان قادراً على الإتيان بآبائهم و كان أهون شيء عليه.(٣)

[٢٧] «وَ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ».

عامل النصب في «يوم تقوم» «يخسر». و «يومئذ» بدل من «يوم تقوم».(٤)

[٢٨] «وَ تَرىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعىٰ إِلىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ

١ـ مجمع البيان ٩ / ١١٨.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٩١ ـ ٢٩٢.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٩٢.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٢٩٢.

تَعْمَلُونَ».

«ترى كلّ أمّة جاثية»؛ أي: باركة على ركبها كهيئة قعود الخصوم بين يدي القضاة. و قيل: إنّ الجثوّ للكفّار خاصّة. «كلّ أمّة تدعى» بالنصب[١] بدل من الأوّل. «إلى كتابها». قيل: إلى كتابها المنزل على رسولها ليسألوا عمّا عملوا به.[٢]

«جاثية»: باركة على الركب. أو: مجتمعة. عن ابن عبّاس. «إلى كتابها»؛ أي: إلى صحائف أعمالها. «اليوم تجزون». محمول على القول.[٣]

[٢٩] «هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«كتابنا». يعني ديوان الحفظة. «ينطق عليكم بالحقّ». يعني يبيّنه بياناً شافياً حتّى كأنّه ناطق. و قيل: المراد بالكتاب اللّوح المحفوظ يشهد بما قضي فيه من خير أو شرّ. و على هذا فيكون معنى نستنسخ أنّ الحفظة تستنسخ ما هو مدوّن عندها من أحوال العباد.[٤]

«هذا كتابنا». فإن قلت: كيف أضيف الكتاب إليهم و إلى الله؟ قلت: الإضافة تكون للملابسة و قد لابسهم و لابسه. أمّا ملابسته إيّاهم، فلأنّ أعمالهم مثبتة فيه. و أمّا ملابسته إيّاه، فلأنّه مالكه و الآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده. «ينطق»؛ أي: يشهد عليكم بما عملتم. «بالحقّ»: من غير زيادة و لا نقصان. «إنّا كنّا نستنسخ» الملائكة «ما كنتم تعملون»؛ أي: نستكتبهم أعمالكم.[٥]

و هذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدفّتين لاينطق بلسان و لا بدّ له من ترجمان. و إنّما ينطق عنه الرجال.[٦]

عن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ الأعمال تعرض على الله في كلّ يوم خميس. فإذا كان الهلال

١ـ قرأ يعقوب: «كلّ أمّة تدعى» بفتح اللّام، و الباقون بالرفع. (مجمع البيان ٩ / ١١٩)

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١١٩ ـ ١٢٠.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٢٠.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٢٩٣.

٦ـ نهج البلاغة / ١٨٢، الخطبة ١٢٥.

أجملت. فإذا كان النصف من شعبان، عرضت على رسول الله و على عليّ عليهما السلام. ثمّ تنسخ في الذكر الحكيم.[١]

و عن الرضا عليه السلام قال: سئل: أ يعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ فقال: إنّ الله هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء. قال الله: «إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون». [و قال لأهل النار: «و لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه...».[٢] فقد علم تعالى أنّه لو ردّهم لعادوا لما نهوا عنه. و قال.... [٣]

و عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: قول الله عزّ و جلّ:] «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ». قال: إنّ الكتاب لم ينطق و لا ينطق، ولكن رسول الله هو الناطق بالكتاب. قال الله: «هذا كتابنا يُنطق عليكم بالحقّ». فقلت: إنّا لا نقرؤها هكذا. فقال عليه السلام: و الله هكذا نزل بها جبرئيل على محمّد صلى الله عليه وآله ولكنّه ممّا حرّف من كتاب الله. و هكذا رواه في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام.[٤]

أقول: قرأ عليه السلام: «ينطق» بالبناء للمفعول. (حسن عفي عنه)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن ن و القلم، قال: إنّ الله خلق القلم من شجرة في الجنّة يقال لها الخلد. ثمّ قال لنهر في الجنّة و هو «ن»: كن مداداً. فجمد النهر و كان أشدّ بياضاً من الثلج و أحلى من الشهد. ثمّ قال للقلم: اكتب ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة. فكتب القلم في رقّ أشدّ بياضاً من الفضّة و أصفى من الياقوت. ثمّ طواه فجعله في ركن العرش. ثمّ ختم على فم القلم فلم ينطق و لا ينطق أبداً. فهو الكتاب الذي منه النسخ كلّها. أو لستم عرباً؟ فكيف لا تعرفون معنى الكلام؟ و أحدكم يقول لصاحبه: انسخ ذلك الكتاب. أو ليس إنّما ينسخ من كتاب آخر[٥] من الأصل؟ و هو قوله: «إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون».[٦]

و في كتاب سعد السعود لابن طاووس بعد أن ذكر الملكين الموكّلين بالعبد: و في رواية

١ـ بصائر الدرجات / ٤٤٤، ح ١.
٢ـ الأنعام (٦) / ٢٨.
٣ـ عيون الأخبار ١ / ٩٦، ح ٨.
٤ـ الكافي ٨ / ٥٠، ح ١١.
٥ـ تفسير القمّيّ: أُخذ.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

أنّهما إذا أرادا النزول صباحاً و مساء، ينسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللّوح المحفوظ فيعطيهما ذلك. فإذا صعدا صباحاً و مساء بديوان العبد، قابله إسرافيل بالنسخ التي انتسخ لهما حتّى يظهر أنّه كما نسخ منه.(١)

[٣٠] «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ».

«في رحمته»؛ أي: في جنّته.(٢)

[٣١] «وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَ فَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَ كُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ».

«و أمّا الذين كفروا». جواب أمّا محذوف. تقديره: و أمّا الذين كفروا فيقال لهم: «أفلم تكن آياتي تتلى عليكم»؟ و المعنى: ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم؟ فحذف المعطوف عليه.(٣)

[٣٢] «وَ إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَ السَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَ مَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ».

«و الساعة»؛ أي: القيامة لا شكّ فيها. «إن نظنّ إلّا ظنّاً»؛ أي: ما نظنّ إلّا ظنّاً و نشكّ فيه. حمزة: «و الساعة» بالنصب.(٤)

«و الساعة». [قرأ حمزة] بالنصب عطفاً على اسم إنّ.(٥)

[٣٣] «وَ بَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ».

١ـ سعد السعود / ٢٢٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٩٣.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٢٩٣.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٢١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٠.

«و بدا لهم»؛ أي: ظهر لهم جزاء معاصيهم التي عملوها. «ما كانوا به يستهزئون»؛ أي: جزاء استهزائهم.[١]

[٣٤] «وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا وَ مَأْوَاكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ».

«ننساكم»؛ أي: نترككم في العقاب كما تركتم التأهّب للقاء يومكم هذا. عن ابن عبّاس. و قيل: معناه: نحلّكم في العذاب محلّ المنسيّ. «و مأواكم النار»؛ أي: مستقرّكم جهنّم. «من ناصرين» يدفعون عنكم عذاب الله.[٢]

[٣٥] «ذٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَ غَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ».

«ذلكم»: الذي فعلنا بكم. «هزواً»؛ أي: سخريّة تسخرون منها. «و غرّتكم»؛ أي: خدعتكم بزينتها. «منها»؛ أي: من النار. «و لا هم يستعتبون»؛ أي: لايطلب منهم العتبى و الاعتذار. لأنّ التكليف قد زال. و قيل: لاتقبل منهم العتبى.[٣]

«و لا هم يستعتبون»؛ أي: لايطلب منهم أن يعتبوا ربّهم؛ أي: يرضوه.[٤]

حمزة و الكسائيّ: «لايخرجون» بفتح الياء و ضمّ الراء.[٥]

«آيات الله». و هم الأئمّة. أي: كذّبتموهم و استهزأتم بهم. «لايخرجون منها»؛ يعني: من النار. «و لا هم يستعتبون»؛ أي: لايجاوبون و لايقبلهم الله.[٦]

[٣٦] «فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٢١.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٢١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٢١ ـ ١٢٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٢٩٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩١.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩٥.

[٣٧] «وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَـكِيمُ».

«و له الكبرياء». يعني القدرة «في السموات و الأرض».[١]

«و له الكبرياء»؛ أي: السلطان القاهر و العظمة القاهرة. و في الحديث: قال الله سبحانه: الكبرياء ردائي. و العظمة إزاري. فمن نازعني واحداً منهما، ألقيته في جهنّم.[٢]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩٥.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٢٢.

٤٦.
سورة الأحقاف

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ كلّ ليلة أو كلّ جمعة سورة الأحقاف، لم يصبه الله بروعة و آمنه من فزع يوم القيامة إن شاء الله.(١)

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأ سورة الأحقاف، أعطي من الأجر بعدد كلّ رمل في الدنيا عشر حسنات و محي عنه عشر سيّئات و رفع له عشر درجات.(٢)

من كتبها في صحيفة و غسلها بماء زمزم و شربها، كان وجيهاً محبوباً حافظاً.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * حم».

عن أبي عبدالله عليه السلام: و أمّا «حم» فمعناه: الحميد المجيد.(٤)

[٢] «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ».

[٣] «مَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ».

«إلّا بالحقّ»: أي: إلّا خلقاً متلبّساً بالحكمة و الغرض الصحيح. «و أجل مسمًّى»: أي: بتقدير أجل مسمًّى ينتهي إليه و هو يوم القيامة. «و الذين كفروا عمّا أنذروا» من هول ذلك اليوم الذي لابدّ لكل خلق من انتهائه إليه «معرضون»: لا يؤمنون به و لا يهتمّون

١ـ ثواب الأعمال / ١٤١، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٢٣.
٣ـ المصباح / ٦١٠.
٤ـ معاني الأخبار / ٢٢، ح ١.

بالاستعداد له.(١)

«و أجل مسمًّى»؛ أي: بتقدير أجل مسمًّى ينتهي إليه كلّ واحد و هو آخر مدّة بقائه المقدّرة له.(٢)

[٤] «قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

عن أبي جعفرعليه السلام في قوله تعالى: «ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم» قال: عنى بالكتاب التوراة و الإنجيل. و «أثارة من علم» علم أوصياء الأنبياء.(٣)

و قالعليه السلام: إنّ في الجفر الذي يذكرونه لما يسؤوهم. لأنّهم لايقولون الحقّ و الحقّ فيه. فليخرجوا قضايا عليّ و فرائضه إن كانوا صادقين. و سلوهم عن الخالات و العمّات. و ليخرجوا مصحف فاطمةعليها السلام. فإنّ فيه وصيّة فاطمة و معه سلاح رسول الله. إنّ الله يقول: «فأتوا بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم».(٤)

«ماذا خلقوا من الأرض»؛ أي: أخبروا عن حال آلهتكم بعد تأمّل فيها هل يعقل أن يكون لها في أنفسها مدخل في خلق شيء من أجزاء العالم فتستحقّ به العبادة. و تخصيص الشرك بالسموات احتراز عمّا يتوهّم أنّ للوسائط شركة في إيجاد الحوادث السفليّة.(٥)

«من قبل هذا»؛ أي: من قبل هذا الكتاب و هو القرآن. يعني: انّ هذا الكتاب ناطق بالتوحيد. و ما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلّا و هو ناطق مثل ذلك. فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحّة ما أنتم عليه من عبادة غير الله. «أو أثارة من علم»؛ أي: بقيّة من علم بقيت عليكم من علوم الأوّلين. و قرئ: «أثرة»؛ أي: من شيء أوثرتم به و خصّصتم من علم لا إحاطة به لغيركم.(٦)

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٩٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٢.
٣ـ الكافي ١ / ٤٢٦، ح ٧٢.
٤ـ الكافي ١ / ٢٤١، ح ٤.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٢.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٢٩٥.

قرأ عليّ عليه السلام: «أو أثرة» بسكون الثاء من غير ألف و ابن‌عامر: «أثرة» بفتحتين.(١)

[٥ـ٦] «وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ هُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَ إِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَ كَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ».

«و من أضلّ». معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلّهم أبلغ ضلالاً من عبدة الأوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كلّ بغية و يدعون من دونه جماداً لايستجيب لهم و لا قدرة [به] على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا إلى أن تقوم الساعة، و إذا قامت القيامة و حشر الناس، كانوا لهم أعداء و كانوا عليهم ضدّاً. فليسوا في الدارين إلّا على نكد و مضرّة؛ لاتتولّاهم في الدنيا بالاستجابة، و في الآخرة تعاديهم و تجحد عبادتهم. و إنّما قيل «من» و «هم» لأنّه استند إليهم ما يستند إلى أولي العلم من الاستجابة و الغفلة و لأنّهم كانوا يصفونهم بالتميز جهلاً و غباوة. و يجوز أن يريد كلّ معبود من دون الله من الجنّ و الإنس و الأوثان فغلب غير الأوثان عليها. و وصفهم بترك الاستجابة و الغفلة طريقه طريق التهكّم بها و بعبدتها.(٢)

«و هم عن دعائهم غافلون». لأنّهم إمّا جمادات أو عباد مسخّرون مشتغلون بأحوالهم. «كافرين»: مكذّبين بلسان الحال أو المقال. و قيل: الضمير للعابدين.(٣)

«أعداء». يعني إذا قامت القيامة، صارت آلهتهم التي عبدوها أعداء لهم. يعني أنّ هذه الأوثان ينطقهم الله حتّى يجحدوا أن يكونوا دعوا إلى عبادتها و يجحدوا عبادة الكفّار لهم.(٤)

[٧] «وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هٰذَا سِحْرٌ

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٢٤.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٢٩٥ـ٢٩٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٣.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٢٦.

مُبِينٌ».

«آيات بيّنات»: جمع بيّنة و هي الحجّة و الشاهد. أو: واضحات. «للحقّ»: أي: لأجل الحقّ و لأجل الذين آمنوا. و المراد بالحقّ الآيات و بالّذين كفروا المتلوّ عليهم. فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر و للمتلوّ بالحقّ. «لمّا جاءهم»: أي: فاجؤوه بالجحود ساعة أتاهم و أوّل ما سمعوه من غير إجالة فكر. و من عنادهم أنّهم سمّوه سحراً مبيناً.[١]

[٨] «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

«أم يقولون». إضراب عن ذكر تسميتهم إيّاه سحراً إلى ذكر ما هو أشنع منه [و إنكار] له و تعجيب. «إن افتريته» على الفرض. «فلاتملكون لي من الله شيئاً»: أي: إن عاجلني الله بالعقوبة، فلاتقدرون على دفع شيء منها. فكيف أجترئ عليه و أعرض نفسي للعقاب من غير توقّع نفع و لا دفع ضرر من قبلكم؟ «تفيضون فيه»: أي: تندفعون فيه من القدح في آياته. «شهيداً بيني و بينكم» يشهد لي بالصدق و البلاغ و عليكم بالتكذيب و الإنكار. و هو وعيد بجزاء إفاضتهم. «و هو الغفور الرحيم». وعد بالمغفرة و الرحمة لمن تاب و آمن و إشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم.[٢]

عن الحسين بن عليّ عليه السلام قال: اجتمع المهاجرون و الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقالوا: إنّ لك ـ يا رسول الله ـ مؤونة في نفقتك و فيمن يأتيك من الوفود. و هذه أموالنا مع دمائنا فاحكم فيها بارّاً مأجوراً. [أعط] ما شئت و أمسك ما شئت. فنزل قوله: «قل لا أسألكم عليه أجراً» ـ الآية ـ[٣] يعني أن تودّوا قرابتي من بعدي ـ فخرجوا. فقال المنافقون: ما حمل رسول الله على ترك ما عرضنا عليه إلّا ليحثّنا على قرابته من بعده. و إن هو إلّا شيء افتراه

١ـ الكشّاف ٤ / ٢٩٦. ٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٣.
٣ـ الشورى (٤٢) / ٢٣.

في مجلسه. و كان ذلك من قولهم عظيماً. فأنزل الله هذه الآية: «أم يقولون افتراه» ـ الآية ـ فبعث إليهم النبيّ فقال: هل من حدث؟ فقالوا: إي و الله يا رسول الله. لقد قال بعضنا كلاماً غليظاً كرهناه. فتلا عليهم رسول الله الآية، فبكوا و اشتدّ بكاؤهم. فأنزل الله: «و هو الذي يقبل التوبة» ـ الآية[١].[٢]

[٩] «قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَ مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَ لَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحىٰ إِلَيَّ وَ مٰا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ».

«بدعاً من الرسل»: بديعاً منهم أدعوكم إلى ما لايدعون إليه أو أقدر على ما لايقدرون عليه و هو الإتيان بالمقترحات كلّها. و نظيره الخفّ بمعنى الخفيف. «ما يفعل بي و لا بكم» على التفصيل؛ إذ لا علم لي بالغيب. و ما إمّا موصولة منصوبة أو استفهاميّة. «إلّا ما يوحى إليّ» لاأتجاوزه. و هو جواب عن اقتراحهم الإخبار عمّا لم يوح إليه من الغيوب أو استعجال المسلمين أن يتخلّصوا من أذى المشركين. «إلّا نذير» عن عقاب الله. «مبين»؛ أي: مبين الإنذار بالشواهد المبيّنة و المعجزات المصدّقة.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا نزلت: «قل ماكنت بدعاً من الرسل و ما أدري ما يفعل بي و لا بكم» ـ يعني في حروبه ـ قالت قريش: فعلى ما نتّبعه و هو لايدري ما يفعل به و لا بنا؟ فأنزل الله: «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً». و قال: قوله: «إن أتّبع إلّا ما يوحى إليّ» في عليّ. هكذا نزلت.[٤]

[١٠] «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

«إن كان». أي القرآن. «كفرتم به»؛ أي: و قد كفرتم به. «و شهد شاهد». هو

١ـ الشورى (٤٢) / ٢٥.
٢ـ عيون الأخبار ١ / ١٨٤ ـ ١٨٥، ح ١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٣.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٧٨.

عبدالله بن سلام. و قيل: موسىعليه السلام و شهادته ما في التوراة من نعت الرسول. «على مثله»؛ أي: مثل القرآن. و هو ما في التوراة من المعاني المصدّقة للقرآن المطابقة لها. أو: على [مثل] ذلك و هو كونه من عند الله. «فآمن». أي بالقرآن، لمّا رآه من جنس الوحي مطابقاً للحقّ. «و استكبرتم» على الايمان به. «إنّ الله لايهدي». استئناف مشعر بأنّ كفرهم به لضلالهم المسبّب عن ظلمهم، و دليل على الجواب المحذوف مثل: ألستم ظالمين؟[١]

«و شهد شاهد». نزلت في عبدالله بن سلام و هو الشاهد من بني إسرائيل. فروي أنّ عبدالله بن سلام جاء إلى النبيّصلى الله عليه وآله فأسلم و قال: يا رسول الله، سل اليهود عنّي، فإنّهم يقولون: هو أعلمنا. فإذا قالوا ذلك، قلت لهم: إنّ التوراة دالّة على نبوّتك و صفاتك فيها واضحة. فلمّا سألهم قالوا ذلك، فحينئذ أظهر ابن سلام إيمانه فكذّبوه.[٢]

[١١] «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ».

«للّذين آمنوا»: لأجلهم. «لو كان» الايمان، أو ما أتى به محمّد «خيراً ما سبقونا إليه». و هم سقاط، إذ عامّتهم فقراء و موالي و رعاة. و إنّما قاله قريش أو اليهود حين أسلم ابن سلام و أصحابه. «و إذ لم يهتدوا به». ظرف لمحذوف مثل: ظهر عنادهم. [وقوله:] «فسيقولون هذا إفك قديم» مسبّب عنه. و هو كقولهم: «أساطير الأوّلين».[٣]

[١٢] «وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسىٰ إِمَاماً وَ رَحْمَةً وَ هٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ بُشْرىٰ لِلْمُحْسِنِينَ».

«و من قبله كتاب موسى». و هو التوراة. و تقدير الكلام: و تقدّمه كتاب موسى فلم يهتدوا به. و ذلك أنّ المشركين لم يهتدوا بالتوراة فيتركوا ما هم عليه من عبادة الأوثان و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٣.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٢٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٤.

يعرفوا منها صفة محمّد صلوات الله عليه و آله.[١]

«و من قبله»: و من قبل القرآن. و هو خبر لقوله: «كتاب موسى» ناصب لقوله: «إماماً و رحمة» على الحال. «و هذا كتاب مصدّق» لكتاب موسى أو لما بين يديه. «لساناً عربيّاً». حال من ضمير كتاب في مصدّق. «لينذر». علّة مصدّق. و فيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول. «و بشرى». عطف على محلّه.[٢]

[١٣] «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

«قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا». جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم و الاستقامة في الأمور التي هي منتهى العمل. و ثمّ للدلالة على تأخّر رتبة العمل و توقّف اعتباره على التوحيد.[٣]

«فلا خوف عليهم» من العقاب. «و لا هم يحزنون» من أهوال يوم القيامة.[٤]

[١٤] «أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

[١٥] «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَىٰ وَالِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

«كرهاً»؛ أي: بكره و مشقّة. يعني حين أثقلت و ثقل عليها الولد. «و وضعته كرهاً». يريد شدّة الطلق. «ثلاثون شهراً». يريد أنّ أقلّ مدّة الحمل و كمال مدّة الرضاع ثلاثون شهراً. قال ابن‌عبّاس: إذا حملت المرأة تسعة أشهر، أرضعت أحد و عشرين شهراً. «أشدّه».

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٢٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٤.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٠.

و هو ثلاث و ثلاثون سنة. عن ابن عبّاس. و قيل: بلوغ الحلم. و قيل: هو أربعون سنة. و ذلك وقت إنزال الوحي على الأنبياء. و لذلك فسّر به فقال: «و بلغ أربعين سنة». فيكون هذا بياناً لزمان الأشدّ. و أراد بذلك أنّه يكمل له رأيه و يجتمع عقله عند الأربعين سنة. «أوزعني»: أي: ألهمني. «و أصلح لي» أي: اجعل ذرّيّتي صالحين. و قيل: إنّه دعاء بإصلاح ذرّيّته لبرّه و طاعته؛ لقوله: «أصلح لي». و قيل: معناه: اجعلهم لي خلف صدق. «من المسلمين»: المنقادين لك. قرأ أهل الكوفة. «إحساناً» و الباقون: «حسناً». و عن عليّ عليه السلام: «حسناً» بفتح الحاء و السين. و قرأ أهل الحجاز و أبوعمرو و الكسائيّ: «كرهاً» بفتح الكاف، و الباقون بضمّها. و يعقوب: «و فصله» و الباقون: «و فصاله».(١)

«إحساناً». قال: الإحسان رسول الله صلى الله عليه وآله. و قوله: «بوالديه» يعني الحسن و الحسين صلوات الله عليهما. ثمّ عطف على الحسين فقال: «حملته أمّه كرهاً». و ذلك أنّ الله بشّر رسوله بالحسين عليه السلام قبل حمله و أنّ الإمامة تكون في ولده إلى يوم القيامة، ثمّ أخبره بما يصيبه من القتل، ثمّ عوّضه بأن جعل الإمامة في ولده و عقبه، ثمّ أخبره بأنّه يقتل ثمّ يردّه إلى الدنيا حتّى يقتل أعداءه و يملّكه الأرض. و هو قوله: «و نريد أن نمنّ» ـ الآية.(٢) فبشّر الله نبيّه أنّ أهل بيته يملكون الأرض و يرجعون إليها و يقتلون أعداءهم. فأخبر رسول الله فاطمة عليها السلام بخبر الحسين و قتله فحملته كرهاً. ثمّ قال أبوعبدالله عليه السلام: فهل رأيتم أحداً يبشّر بولد ذكر فتحمله كرهاً؟ أي إنّها اغتمّت و كرهت لمّا أخبرت بقتله. و وضعته كرهاً لما علمت من ذلك. وكان الحسين عليه السلام في بطن أمّه ستّة أشهر.(٣)

و لم يعش مولود قطّ لستّة أشهر غير الحسين و عيسى بن مريم عليهما السلام. فكفلته أمّ سلمة و كان رسول الله يأتيه في كلّ يوم فيضع لسانه الشريف في فم الحسين فيمصّه حتّى يروى. فأنبت الله لحمه من لحم رسول الله و لم يرضع من فاطمة و لا من غيرها لبناً قطّ. فلمّا أنزل

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٠ و ١٢٨. ٢ـ القصص (٢٨) / ٥.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩٧.

الله: «و حمله و فصاله» إلى: «و أصلح لي في ذرّيّتي». و لو قال: «و أصلح لي ذرّيّتي» كانوا كلّهم أئمّة.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «حتّى إذا بلغ أشدّه» قال: الاحتلام.[٢]

عن عليّ بن أسباط قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام ـ و قد خرج عليّ ـ فنظرت إلى رأسه و رجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر. فبينما أنا كذلك حتّى قعد و قال: يا عليّ، إنّ الله احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ في النبوّة فقال: «و آتيناه الحكم صبيّاً».[٣] و قال: «و لمّا بلغ أشدّه و بلغ أربعين سنة». فقد يجوز أن يؤتى الحكمة صبيّاً و يجوز أن يعطاها و هو ابن أربعين سنة.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا بلغ العبد ثلاثاً و ثلاثين سنة، فقد بلغ أشدّه. و إذا بلغ أربعين سنة، فقد بلغ و انتهى منتهاه. فإذا طعن في واحد و أربعين، فهو في النقصان.[٥]

[١٦] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ نَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ».

«أولئك». يعني أهل هذا القول. «نتقبّل عنهم أحسن ما عملوا»؛ أي: يثابون على طاعاتهم. و المعنى نقبل بإيجاب الثواب لهم أحسن أعمالهم، و هو ما يستحقّ به الثواب من الواجبات و المندوبات. فإنّ المباح أيضاً من قبيل الحسن [و] لا يوصف بأنّه متقبّل. قرأ أهل الكوفة غير أبي‌بكر: «نتقبّل» و «نتجاوز» بالنون «أحسن» بالنصب، و الباقون: «يتقبّل» و «يتجاوز» بضمّ الياء «أحسن» بالرفع. «في أصحاب الجنّة»؛ أي: في جملة من يتجاوز عنهم و هم أصحاب الجنّة. فيكون قوله: «في أصحاب الجنّة» في موضع الحال. «وعد الصدق». و هو ما وعد أهل الإيمان بأن يتقبّل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم إذا شاء أن يتفضّل عليهم بإسقاط عقابهم إذا تابوا الوعد الذي [كانوا] يوعدونه على ألسنة

١ـ علل الشرائع / ٢٠٥ ـ ٢٠٦، ح ٣.
٢ـ تهذيب الأحكام ٩ / ١٨٢، ح ٣٨٧.
٣ـ مريم (١٩) / ١٢.
٤ـ الكافي ١ / ٤٩٤، ح ٣.
٥ـ الخصال / ٥٤٥، ح ٢٣.

الرسل.(١)

[١٧] «وَ الَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَ تَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَ قَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَ هُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ».

«و الذي قال لوالديه» إذا دعواه إلى الايمان: «أفّ لكما». و هي كلمة تبرّم يقصد بها إظهار السخط. و معناه: بعداً لكما! «أتعدانني أن أخرج» من القبر و أحيا؟ و قد مضت الأمم من قبلي فماتوا و ما خرجوا و لا أعيدوا! و قيل: معناه: خلت القرون على هذا المذهب ينكرون البعث. «و هما يستغيثان الله». يعني والديه يطلبان الغوث من الله ليلطف له بما يؤمن عنده و يقولان له: «ويلك آمن» بالله و القيامة. «إنّ وعد الله» بالبعث و النشور «حقّ». فيقول هو في جوابهما: «ما هذا» القرآن و ما تدعوانني إليه إلّا أحاديث الأوّلين التي سطروها و ليس لها حقيقه. قيل: إنّها نزلت في عبدالرحمن بن أبي‌بكر. و قيل: في كلّ كافر عاقّ لوالديه.(٢)

«و الذي قال لوالديه» إلى قوله: «إلّا أساطير الأوّلين». قال: نزلت في عبدالرحمن بن أبي‌بكر.(٣)

«و الذي قال لوالديه». قيل: إنّها نزلت في عبدالرحمن بن أبي‌بكر قبل إسلامه و قد دعاه أبوه و أمّه إلى الإسلام فأفّف بهما و قال: ابعثوا [لي جدعان بن عمر و عثمان بن عمرو ـ و هما من أجداده ـ](٤) حتّى أسألهما عمّا يقول محمّدﷺ.(٥)

أقول: حاصل الأحاديث الواردة: انّ قوله: ««و وصّينا الإنسان» إلى قوله: «كانوا يوعدون» ممّا ورد في شأن الحسينعليه‌السلام و من كلامه. ثمّ لمّا فرغ من المدح و الثناء على الحسينعليه‌السلام أردفه بذمّ عبدالرحمن أبي‌بكر في قوله: «و الذي قال» إلى قوله: «كانوا

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٣١ ـ ١٣٢.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٢.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩٧.

٤ـ في النسخة: «أجدادي» بدل ما بين المعقوفتين.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

خاسرين».

«و الذي قال لوالديه». مبتدأ خبره «أولئك». و المراد به الجنس. و إن صحّ نزولها في واحد من الصحابة ـ أعني عبدالرحمن بن أبي‌بكر ـ فإنّ خصوص السبب لا يوجب التخصيص. «أ تعدانني». قرأ هشام: «أ تعدانّي» بنون واحدة مشدّدة. «يستغيثان الله»: يقولان: الغياث بالله منك. «ويلك»؛ أي: يقولان له: ويلك. و هو الدعاء بالثبور بالحثّ على ما يخاف على تركه. «أساطير الأوّلين»؛ أي: أباطيلهم التي كتبوها.(١)

[١٨] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ».

«حقّ عليهم القول»؛ أي: حقّت عليهم كلمة العذاب «في أمم»؛ أي: مع أمم قد خلت من قبلهم على مثل حالهم و اعتقادهم. «خاسرين» لأنفسهم إذا أهلكوها بالمعاصي.(٢)

[١٩] «وَ لِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَ لِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

«درجات ممّا عملوا» من الخير و الشرّ. أو: من أجل ما عملوا. و الدرجات غالبة في المثوبات و هاهنا جاءت [على التغليب]. نافع و ابن‌عامر و حمزة و الكسائيّ: «و لنوفّيهم» بالنون.(٣)

«لكلّ درجات»؛ أي: لكلّ واحد ممّن تقدّم ذكره من المؤمنين و الكافرين درجات على مقادير أعمالهم. فدرجات الأبرار في علّيّين و درجات الكفّار دركات في سجّين. و قيل: معناه: لكلّ مطيع درجات ثواب و إن تفاضلوا في مقاديرها. «و ليوفّيهم أعمالهم»؛ أي: جزاءها.(٤)

[٢٠] «وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَ

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٥.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٢

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٥ـ ٣٩٦.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٢.

اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ».

«و يوم يعرض الذين كفروا على النار». يعني يوم القيامة. أي يدخلون النار. و قيل: تعرض عليهم النار قبل أن يدخلوها ليروا أهوالها. «أذهبتم طيّباتكم»؛ أي: يقال لهم: آثرتم طيّباتكم و لذّاتكم في الدنيا على طيّبات الجنّة. «و استمتعتم بها»؛ أي: انتفعتم بها. و قيل: هي الطيّبات من الرزق. يعني أنفقتموها في شهواتكم و لم تنفقوها في مرضاة الله. «عذاب الهون»؛ أي: الذي فيه الذلّة و الخزي. «بما كنتم تستكبرون» [أي: باستكباركم] على الانقياد للحقّ و تكبّركم على أنبياء الله و أوليائه. «بما كنتم تفسقون»؛ أي: بخروجكم عن طاعة الله. و قرأ ابن‌كثير و أبوجعفر: «آذهبتم» بهمزة واحدة ممدودة، و ابن‌عامر بهمزتين، و الباقون: «أذهبتم» بفتح الهمزة.[١]

«و استمتعتم بها». فما بقي لكم منها شيء.[٢]

«أذهبتم». قال: أكلتم و شربتم و لبستم و ركبتم. و هي في بني‌فلان. «عذاب الهون». قال: العطش.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: دخل النبيّ مسجد قبا، فأتي بخبيص، فأبى أن يأكل. فقيل: أتحرّمه؟ قال: لا، ولكنّي أكره أن تتوق إليه نفسي. ثمّ تلا الآية: «أذهبتم طيّباتكم».[٤]

[٢١] «وَ اذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَ قَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ».

«و اذكر» يا محمّد «أخا عاد». يعني هوداً لقومك أهل مكّة. «أنذر قومه»: خوّفهم و دعاهم إلى طاعة الله. «بالأحقاف». و هو واد بين عمان و مهرة. و قيل: رمال مشرفة على البحر من اليمن. «خلت النذر»؛ أي: مضت الرسل من قبل هود و من بعده بأن لاتعبدوا إلّا

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٣ ـ ١٣٤ و ١٣١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٦.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩٨.
٤ـ المحاسن / ٤٠٩، ح ١٣٣.

الله. أي: لم أبعث قبل هود و لا بعده إلّا بالأمر بعبادة الله وحده. و هذا اعتراض بين إنذار هود و كلامه لقومه. ثمّ عاد إلى كلام هود لقومه فقال: «إنّي أخاف عليكم» ـ الآية. أي: أنذر قومه بالأحقاف فقال: إنّي أخاف عليكم.[١]

الأحقاف: جمع حقف؛ و هو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء. من احقوقف الشيء، إذا اعوجّ. و كانت عاد أصحاب خيام يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض اليمن. «من بين يديه»: من قبله. «و من خلفه»: من بعده. و المعنى أنّ هوداً عليه السلام قد أنذرهم و قال لهم: لاتعبدوا إلّا الله. إنّي أخاف عليكم العذاب. و أعلمهم أنّ الرسل الذين بعثوا قبله و الذين سيبعثون بعده كلّهم منذرون بنحو إنذاره. و عن ابن عبّاس: يعني الرسل الذين بعثوا قبله و الذين بعثوا في زمانه. و معنى «و من خلفه» على هذا التفسير: و من بعد إنذاره. هذا إذا علّقت «و قد خلت النذر» بقوله «أنذر قومه». و لك أن تجعله اعتراضاً.[٢]

[٢٢] «قَالُوا أَ جِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

«لتأفكنا»: أي: لتصرفنا عن عبادة آلهتنا. «فأتنا بما تعدنا» من العذاب «إن كنت من الصادقين» أنّ العذاب نازل بنا.[٣]

[٢٣] «قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَ لٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ».

«قال» هود: إنّ الله يعلم متى يأتيكم العذاب لا أنا. و أمّا أنا، فأبلّغكم الرسالة. «تجهلون» حيث تستعجلون العذاب الذي فيه هلاككم.[٤]

[٢٤] «فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٦.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٣٠٦.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٦.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٦.

«فلمّا رأوه»؛ أي: رأو ما يوعدون. [و الهاء تعود إلى «ما تعدنا»] في قوله: «فأتنا بما تعدنا». «عارضاً»؛ أي: سحاباً يعرض من ناحية السماء ثمّ يطبق السماء. قالوا: كانت عاد قد حبس عنهم المطر أيّاماً. فساق الله سبحانه إليهم سحابة سوداء خرجت من واد لهم. «فلمّا رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا» سحاب «ممطرنا». فقال هود: «بل هو ما استعجلتم به». و هو الذي وعدتكم و طلبتم تعجيله. ثمّ فسّره فقال: «ريح فيها عذاب أليم». و قيل: بل هو قول الله.(١)

قوم عاد كان نبيّهم هودعليه السلام. و كان بلادهم كثيرة الخير خصبة. فحبس الله عنهم المطر سبع سنين حتّى أجدبوا و ذهب خيرهم. و كان هود يأمرهم بالاستغفار. فلم يؤمنوا و عتوا. فأوحى الله إلى هود أنّهم يأتيهم العذاب في وقت كذا و كذا ريح فيها عذاب أليم. فنظروا إلى سحابة قد أقبلت ففرحوا «و قالوا هذا عارض ممطرنا» إلى قوله: «تدمّر كلّ شيء». لفظه عامّ و معناه خاصّ. لأنّها تركت أشياء كثيرة لم تدمّرها و إنّما دمّرت ما لهم كلّه. و كلّ هذه الأخبار من هلاك الأمم تخويف و تحذير لأمّة محمّدصلى الله عليه وآله. حدّثني أبي قال: إنّ المعتصم أمر أن يحفر بالبطانية بئراً. فحفروا حتّى وضعوا في كلّ قامة بكرة حتّى انتهوا إلى صخرة فضربوها بالمعول، فانكسرت فخرج منها ريح باردة فمات من كان بقربها. فأخبروا المتوكّل بذلك فلم يدر ما ذاك. فقالوا: سل ابن الرضاعليه السلام و هو أبوالحسن العسكريّعليه السلام. فكتب إليه يسأله عن ذلك. فقالعليه السلام: تلك بلاد الأحقاف. وهم قوم عاد الذين أهلكهم الله بالريح الصرصر.(٢)

إنّ المهديّ الخليفة أمر أن يحفر بئر بقرب قبر العباديّ لعطش الحاجّ هناك. فحفروا أكثر من مائة قامة. فبينا هم يحفرون، إذ خرقوا خرقاً و إذا تحته هواء لايدرى قعره و هو مظلمة و للريح فيه دويّ. فأدلوا رجلين. فلمّا خرجا تغيّرت ألوانهما. فقالا: رأينا هواء و رأينا بيوتاً قائمة [و] رجالاً و نساء و إبلاً و بقراً و غنماً. و كلّما مسسنا شيئاً رأيناه هباء. فسأل الفقهاء

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٦.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

عن ذلك، فلم يدر أحد ما هو. فقدم أبوالحسن موسى بن جعفر عليه السلام على المهديّ، فسأله عن ذلك. فقال: هؤلاء أصحاب الأحقاف. و هم بقيّة من قوم عاد ساخت بهم منازلهم.(١)

[٢٥] «تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ».

«تدمّر»؛ أي: تهلك كلّ شيء مرّت به من الناس و الدوابّ و الأموال. و اعتزل هود [و] من آمن معه في حظيرة لم تصبهم من تلك الريح إلّا ما يلين على الجلود و تلتذّ به الأنفس. «كذلك»؛ أي: مثل ما أهلكنا أهل الأحقاف نجزي الذين يسلكون مسلكهم.(٢)

عاصم و حمزة و الكسائيّ: «لايرى إلّا مساكنهم» بالياء المضمومة و رفع المساكن. و الباقون بالتاء و نصب المساكن، خطاب للنبيّ. أي: بحيث لو حضرت ديارهم لاترى إلّا مساكنهم.(٣)

[٢٦] «وَ لَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَ أَبْصَاراً وَ أَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لَا أَبْصَارُهُمْ وَ لَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ».

ثمّ خوّف سبحانه كفّار مكّة و ذكر فضل عاد بالأجساد و القوّة عليهم فقال: «و لقد مكّنّاهم فيما إن مكّنّاكم»؛ أي: في الذي ما مكّنّاكم فيه؛ أي: في الشيء الذي لم نمكّنكم فيه من القوّة في الأبدان و طول العمر و كثرة المال. و قيل: معناه: فيما مكّنّاكم فيه. و إن مزيدة. و المعنى: مكّنّاهم من الطاعات و جعلناهم متمكّنين بنصب الأدلّة على التوحيد. «و جعلنا لهم سمعاً و أبصاراً و أفئدة» فلم ينفعهم جميع ذلك. لأنّهم لم يعتبروا و لا استعملوا أبصارهم و أفئدتهم في النظر. «و حاق بهم»؛ أي: حلّ بهم جزاء «ما كانوا به يستهزئون».(٤)

١ـ الخرائج ٢ / ٦٥٥، ح ٨.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٦ ـ ١٣٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٧.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٨.

«و جعلنا لهم سمعاً و أبصاراً» ليعرفوا تلك النعم و يستدلّوا بها على مانحها و يواظبوا على شكرها. «من شيء». أي من الإغناء و هو القليل. «إذ كانوا». صلة لما أغنى. و هو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث إنّ الحكم [مرتّب] على ما أضيف إليه.(١)

[٢٧] «وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرىٰ وَ صَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».

«و لقد أهلكنا» يا أهل مكّة. «ما حولكم». و هم قوم هود كانوا باليمن، و قوم صالح بالحجر، و قوم لوط على طريقهم إلى الشام. «و صرّفنا الآيات». تصريفها تغييرها(٢) تارة في الإعجاز و تارة في الإهلاك و تارة في التذكير بالنعمة و تارة في وصف الأبرار ليقتدى بهم و تارة في وصف الفجّار ليجتنب مثل فعلهم لكي يرجعوا عن الكفر.(٣)

[٢٨] «فَلَوْ لَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَاناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَ ذٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

«فلولا نصرهم»؛ أي: فهلّا نصر هؤلاء المهلكين الذين زعموا أنّهم يعبدونهم تقرّباً إلى الله. «ضلّوا عنهم»؛ أي: ضلّت الآلهة و غابوا عن نصرهم وقت الحاجة إليها. «و ذلك إفكهم»؛ أي: اتّخاذهم الآلهة من دون الله كذبهم و افتراؤهم و هو قوله: «و ما كانوا يفترون»؛ أي: يكذبون في أنّها آلهة. ابن‌عبّاس: «أفكهم» بفتح الألف و الفاء و الكاف بمعنى صرفهم.(٤)

[٢٩] «وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ».

ثمّ بيّن سبحانه أنّ في الجنّ مؤمنين و كافرين كما في الإنس فقال: «و إذ صرفنا إليك»؛

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٧.
٢ـ المصدر: تصييرها.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٨ ـ ١٣٩.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٩ و ١٣٧.

أي: و اذكر ـ يا محمّد ـ إذ وجّهنا إليك جماعة من الجنّ «يستمعون القرآن». أو: صرفناهم إليك من بلادهم بالتوفيق و الألطاف حتّى أتوك. أو: صرفناهم عن استراق السمع من السماء برجوم الشهب ـ و لم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه ـ فقالوا: ما حدث هذا في السماء إلّا من أجل شيء قد حدث في الأرض. فضربوا في الأرض حتّى وقفوا على النبيّ ببطن نخلة عائداً إلى عكاظ و هو يصلّي الفجر. فاستمعوا القرآن و نظروا كيف يصلّي. «فلمّا حضروه»؛ أي: القرآن أو النبيّ، قال بعضهم لبعض: اسكتوا لنستمع إلى قراءته. فلمّا فرغ من تلاوته، انصرفوا إلى قومهم محذّرين إيّاهم عذاب الله إن لم يؤمنوا.(١)

«نفراً». النفر دون العشرة. و جمعه أنفار.(٢)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه أقبل إلى النبيّ صلى الله عليه و آله التسعة من أشرافهم ـ واحد من جنّ نصيبين و الثمان من بني عمرو بن عامر ـ و هم الذين يقول الله فيهم: «و إذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ» و هم التسعة «يستمعون القرآن». فأقبل إليه الجنّ و النبيّ ببطن النخلة فاعتذروا بأنّهم ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً. و لقد أقبل إليه أحد و سبعون ألفاً منهم فبايعوه على الصوم و الصلاة و الزكاة و الحجّ و الجهاد و نصح المسلمين ـ الحديث.(٣)

عن عمر بن يزيد قال: ضللنا سنة من السنين ـ و نحن في طريق مكّة ـ فأقمنا ثلاثة أيّام نطلب الطريق فلم نجده. فلمّا أن كان في اليوم الثالث و قد نفد ما كان عندنا من الماء، عدنا إلى ما كان معنا من ثياب الإحرام و من الحنوط فتحنّطنا و تكفّنّا بإزار إحرامنا. فقام رجل من أصحابنا فنادى: يا صالح، يا أبا الحسين! فأجابه مجيب من بعد. فقلنا له: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا من النفر الذي قال الله عزّ و جلّ: «و إذ صرفنا إليك» ـ الآية. و لم يبق منهم غيري. فأرشد الضالّ إلى الطريق. فلم نزل نتّبع الصوت حتّى خرجنا إلى الطريق.(٤)

[٣٠] «قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٧.

٣ـ الاحتجاج / ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

٤ـ المحاسن / ٣٧٩ ـ ٣٨٠، ح ١٥٨.

إِلَى الْحَقِّ وَ إِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ».

«سمعنا كتاباً». يعنون القرآن. «مصدّقاً لما بين يديه»: لما تقدّمه من الكتب، يرشد إلى الدين الحقّ.(١)

«من بعد موسى». إنّما قالوا ذلك لأنّهم كانوا يهوديّاً أو ما سمعوا بأمر عيسى.(٢)

[٣١] «يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَ آمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ».

«يا قومنا». من كلام الجنّ. «داعي الله». يعنون محمّداً صلى الله عليه وآله إذ دعاهم إلى توحيده. «من ذنوبكم»؛ أي: يغفر لكم ذنوبكم. فجاؤوا إلى رسول الله فآمنوا به و علّمهم شرائع الإسلام و أنزل الله سورة «قل أوحي». و فيه دلالة على أنّه كان مبعوثاً إلى الجنّ و لم يبعث الله نبيّاً إلى الجنّ قبله.(٣)

«من ذنوبكم»؛ أي: بعض ذنوبكم، و هو ما يكون في خالص حقّ الله. فإنّ المظالم لا تغفر بالايمان.(٤)

فإن قلت: هل للجنّ ثواب كما للإنس؟ قلت: اختلف فيه. فقيل: لا ثواب لهم إلّا النجاة من النار؛ لقوله: «و يجركم من عذاب أليم». و إليه يذهب أبوحنيفة. و الصحيح أنّهم في حكم بني آدم لأنّهم مكلّفون مثلهم.(٥)

[٣٢] «وَ مَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«فليس بمعجز»؛ أي: لا يعجز الله فيفوته و ليس له من دونه أنصار يدفعون عنه العذاب.

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٣٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٨.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩٨.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٣١٢.

و يجوز أن يكون هذا من كلام الله ابتداء. «أولئك في ضلال»؛ يعني: الذين لايجيبون داعي الله في ضلال؛ أي: عدول عن الحقّ.[١]

[٣٣] «أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَـوْتىٰ بَلىٰ إِنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

ثمّ قال منبّهاً على قدرته على البعث و الإعادة: «أو لم يروا»؛ أي: يعلموا. «بقادر». قرأ يعقوب: «يقدر» بالياء.[٢]

«على كلّ شيء قدير» من البعث و غيره.[٣]

[٣٤] «وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَ لَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلىٰ وَ رَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ».

«أليس هذا بالحقّ». هو محكيّ بعد قول مضمر. و هذا المضمر هو ناصب الظرف. و هذا إشارة إلى العذاب؛ بدليل قوله: «فذوقوا العذاب». و المعنى التهكّم بهم و التوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله و وعيده و قولهم: «و ما نحن بمعذّبين».[٤][٥]

[٣٥] «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَ لَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ».

«أولو العزم»: أولو الجدّ و الثبات و الصبر. و «من» يجوز أن يكون للتبعيض و يـراد بأولي العزم بعض الانبياء. قيل: هم نوح، صبر على أذى قومه ـ كانوا يضربونه حتّى يغشى عليه ـ و إبراهيم على النار و ذبح ولده، و إسحاق على الذبح، و يعقوب عـلى فـقد ولد يوسف، و يوسف على الجبّ، و أيّوب على الضرّ، و موسى لمّا قال له قومه: «إنّا لمدركون»

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٢.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٢ و ١٤١.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٣١٣.

٤ـ الشعراء (٢٦) / ١٣٨.

٥ـ الكشّاف ٤ / ٣١٣.

قال: « كلّا إنّ معي ربّي سيهدين»[١]، و داوود بكى على خطيئته أربعين سنة، و عيسى لم يضع لبنة على لبنة و قال: إنّها معبر فاعبروها و لاتعمروها. و قال الله في آدم: «و لم نجد له عزماً»[٢] و في يونس: «و لاتكن كصاحب الحوت».[٣] و يجوز أن يكون للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلّهم. «و لاتستعجل» لكفّار قريش بالعذاب؛ أي: لاتدع لهم بتعجيله؛ فإنّه نازل بهم لا محالة و إن تأخّر. و إنّهم يستقصرون مدّة لبثهم حينئذ في الدنيا حتّى يحسبوها «ساعة من نهار». «بلاغ»: هذا بلاغ؛ أي: هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة. أو: هذا تبليغ من الرسول. «فهل يهلك» إلّا الخارجون عن الاتّعاظ به.[٤]

«فاصبر» على أذى هؤلاء الكفّار «كما صبر أولو العزم من الرسل». من هنا للتبعيض. و هو قول أكثر المفسّرين و الظاهر في روايات أصحابنا. ثمّ اختلفوا فقيل: أولو العزم من أتى بشريعة نسخت شريعة من تقدّمه. و هم خمسة: نوح، ثمّ إبراهيم، ثمّ موسى، ثمّ عيسى، ثمّ محمّد صلوات الله عليهم. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. و قيل: هم الذين أمروا بالجهاد و القتال. و قيل: هم أربعة: إبراهيم، و نوح، و هود، و محمّد عليهم السلام. و العزم هو الوجوب و الحتم. و أولو العزم من الرسل الذين شرعوا الشرائع و أوجبوا على الناس الأخذ بها و الانقطاع عن غيرها. «كأنّهم يوم يرون ما يوعدون» من العذاب في الآخرة. «لم يلبثوا»؛ أي: إذا عاينوا العذاب صار طول مكثهم في الدنيا و البرزخ كأنّه ساعة من نهار. لأنّ ما مضى كأن لم يكن و إن كان طويلاً. و تمّ الكلام ثمّ قال: «بلاغ»؛ أي: هذا القرآن و ما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم. و البلاغ بمعنى التبليغ. و قيل: معناه: ذلك اللّبث [بلاغ].[٥]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «و لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي و لم نجد له عزماً»[٦] قال: عهد إليه في محمّد و الأئمّة عليهم السلام من بعده فترك و لم يكن له عزم فيهم أنّهم هكذا. و إنّما سمّي أولو العزم لأنّهم عهد إليهم في محمّد و الأوصياء من بعده و المهديّ و

١ـ الشعراء (٢٦) / ٦١ ـ ٦٢.
٢ـ طه (٢٠) / ١١٥.
٣ـ القلم (٦٨) / ٤٨.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٣١٣ ـ ٣١٤.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٣.
٦ـ طه (٢٠) / ١١٥.

سيرته فأجمع عزمهم أنّ ذلك كذلك فالإقرار به.(١)

سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «فاصبر كما صبر أولو العزم» فقال: نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمّد عليهم السلام. قلت: كيف صاروا أولي العزم؟ قال: لأنّ نوحاً بعث بكتاب و شريعة و كلّ من جاء بعد نوح، أخذ بكتابه و شريعته حتّى جاء إبراهيم بالصحف و بعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به. فكلّ نبيّ جاء بعد إبراهيم، أخذ بشريعة إبراهيم حتّى جاء موسى بالتوراة و بعزيمة ترك الصحف. فكلّ نبيّ جاء بعد موسى، أخذ بالتوراة حتّى جاء المسيح بالإنجيل. فكلّ نبيّ جاء بعد المسيح، أخذ بشريعته و منهاجه حتّى جاء محمّد صلى الله عليه و آله فجاء بالقرآن. فحلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة. فهؤلاء أولو العزم من الرسل.(٢)

أقول: روي هذا المضمون في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام(٣) و في غيره من الكتب بالطرق المستفيضة. فلا مجال للتوقّف في عموم دعوة هؤلاء الخمسة من الأنبياء الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

١ـ علل الشرائع / ١٢٢، ح ١، و الكافي ١ / ٤١٦، ح ٢٢.

٢ـ الكافي ٢ / ١٧ ـ ١٨، ح ٢.

٣ـ عيون الأخبار ٢ / ٧٩، ح ١٣.

٤٧. سورة محمّد صلى الله عليه وآله

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، كان حقّاً عليه تعالى أن يسقيه من أنهار الجنّة.(١)

و عن الصادق عليه السلام: من قرأها، لم يدخله شكّ في دينه أبداً ـ الخبر.(٢)

محمّد: من علّقها عليه في القتال، نصر. و من شرب ماءها، أذهب عنه الرعب و الزجر. و من قرأها في البحر، أمن منه.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة «الذين كفروا» لم يدخله شكّ في دينه أبداً و لم يبله الله بفقر أبداً حتّى يموت. فإذا مات، وكّل الله به في قبره ألف ملك يصلّون في قبره و يكون ثواب صلاتهم له، و يشيّعونه حتّى يوقفوه موقف الأمن عند الله في أمان الله و أمان محمّد صلى الله عليه وآله.(٤)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ».

نزلت في مشركي عرب. «أضلّ أعمالهم» التي كانوا يزعمون أنّها قربة كالعتق و الصدقة و إقراء الضيف. و قيل: نزلت في المطعمين ببدر و كانوا عشرة أنفس أطعم كلّ واحد منهم الجند يوماً.(٥)

نزلت في أصحاب محمّد الذين ارتدّوا بعده و غصبوا أهل بيته حقّهم و صدّوا عن أميرالمؤمنين و عن ولاية الأئمّة عليهم السلام. أبطل أعمالهم الذي تقدّم منهم مع رسول الله من الجهاد.

١ـ المصباح / ٥٩١.
٢ـ المصباح / ٥٩١.
٣ـ المصباح / ٦١٠.
٤ـ ثواب الأعمال / ١٤٢، ح ١.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٦.

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين بعد وفاة رسول الله و الناس في المسجد مجتمعون بصوت عال: «الذين كفروا» ـ الآية. فقال له ابن‌عبّاس: لم قلت ما قلت؟ قال: قرأت شيئاً من القرآن. قال: لقد قلت لأمر. قال: نعم. إنّ الله يقول: «و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا».[١] فتشهد على رسول الله أنّه استخلف أبابكر؟ قال: ما سمعته أوصى إلّا إليك. قال: فهلّا بايعتني؟ قال: اجتمع الناس على أبي‌بكر فكنت منهم. فقال أميرالمؤمنين: كما اجتمع أهل العجل على العجل. و هاهنا فتنتم. و مثلكم «كمثل الذي استوقد ناراً» ـ الآية.[٢] [٣]

[٢] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ أَصْلَحَ بَالَهُمْ».

و قال أبوعبدالله: «و الذين آمنوا و عملوا الصالحات و آمنوا بما نزّل على محمّد» في عليّ «و هو الحقّ من ربّهم». هكذا نزلت. «و الذين آمنوا» ـ الآية. نزلت في أبي‌ذرّ و سلمان و عمّار و المقداد. «آمنوا بما نزّل على محمّد»؛ أي: ثبتوا على ولاية عليّ عليه السلام و هو الحقّ من ربّهم الذي نزّل على محمّد صلى الله عليه وآله.[٤]

«و هو الحقّ»؛ أي: ما نزّل على محمّد. لأنّه ناسخ لجميع الشرائع. و قيل: معناه: محمّد هو الحقّ من ربّهم دون ما يزعمون من أنّه سيخرج نبيّ في آخرالزمان من العرب فليس هذا هو. فردّ الله ذلك عليهم. «كفّر» الله «عنهم سيّئاتهم» المتقدّمة بسبب الإيمان. «و أصلح بالهم»؛ أي: معاشهم في أمر دنياهم. و قيل: أمر دينهم و دنياهم بالنصر على الأعداء و دخول الجنّة.[٥]

قال أبوجعفر عليه السلام: إذا قام القائم من آل محمّد، ضرب فساطيط لمن يعلّم الناس القرآن

١ـ الحشر (٥٩) / ٧.
٢ـ البقرة (٢) / ١٧.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠٠ ـ ٣٠١.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠١.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٦.

على ما أنزل الله. فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم، لأنّه يخالف التأليف.[١]

[٣] «ذٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ».

«ذلك بأنّ الذين»؛ أي: ذلك الإضلال والإصلاح باتّباع المشركين الشرك و اتّباع المؤمنين التوحيد و القرآن. «كذلك يضرب الله للناس أمثالهم»؛ أي: كالبيان الذي ذكرنا يبيّن الله سبحانه للناس أمثال حسنات المؤمنين و سيّئات الكافرين. و قيل: أراد به المثل المقرون به فجعل الكافر كمن دعاه الباطل إلى نفسه فأجابه و المؤمن كمن دعاه الحقّ إلى نفسه فأجابه. و قيل: معناه: كما بيّن عاقبة الكفّار و المؤمنين و جزاء كلّ منهما، ضرب للناس أمثالاً يستدلّون بها فيزيدهم علماً و وعظاً. و أضاف المثل إليهم لأنّه مجعول لهم.[٢]

[٤] «فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتّٰى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً حَتّٰى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذٰلِكَ وَ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَ لٰكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ».

«الذين كفروا». يعني أهل دار الحرب. «فضرب الرقاب» أي: فاضربوا رقابهم. «أثخنتموهم»؛ أي: أثقلتموهم بالجراح و ظفرتم بهم. و قيل: إذا بالغتم في قتلهم و أكثرتم القتل حتّى ضعفوا فأحكموا وثاقهم في الأسر. أمر سبحانه بكثرة قتلهم ليذلّوا، فإذا ذلّوا بالقتل أسروا. فالأسر يكون بعد المبالغة في القتل. كما قال سبحانه: «ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى حتّى يثخن في الأرض».[٣] «فإمّا منّاً بعد»؛ أي: تمنّون عليهم منّاً بعد الأسر فتطلقوهم بغير عوض، و إمّا أن تفدوهم فداء. و اختلف في ذلك. فقيل: كان الأسر محرّماً بآية الأنفال، ثمّ أبيح بهذه الآية. لأنّ هذه السورة نزلت بعدها. فإذا أسر فالإمام مخيّر بين

١ـ روضة الواعظين ٢ / ٢٦٥.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٦.
٣ـ الأنفال (٨) / ٦٧.

المنّ و الفداء بأسارى المسلمين و بالمال و بين القتل و الاستعباد. و هو قول الشافعيّ. و قيل: الإمام مخيّر بين المنّ و الفداء و الاستعباد و ليس له القتل بعد الأسر. و قيل: حكم الآية منسوخ بقوله: «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم»[١] «فإمّا تثقفنّهم في الحرب» ـ الآية.[٢] [و] قيل: إنّ حكم الآية غير منسوخ. قالوا: لأنّ النبيّ منّ على أبي‌غرّة و قتل عتبة[٣] بن أبي‌معيط و فادى أسارى بدر. و المرويّ عن أئمّة الهدى عليهم السلام أنّ الأسارى ضربان: ضرب يؤخذون قبل انقضاء القتال و الحرب قائمة. فهؤلاء الإمام يكون مخيّراً بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و يتركهم حتّى ينزفوا، و لايجوز المنّ و الفداء. و الضرب الآخر الذين يؤخذون بعد أن وضعت الحرب أوزارها و انقضى القتال. فالإمام مخيّر فيهم بين المنّ و الفداء و بين الاسترقاق و ضرب الرقاب. «حتّى تضع الحرب»؛ أي: حتّى يضع أهل الحرب «أوزارهم»؛ أي: أسلحتهم فلايقاتلون. و قيل: حتّى لايبقى دين غير دين الإسلام. قال الزجّاج: أي: اقتلوهم و أسروهم حتّى يؤمنوا. فمادام الكفر، فالحرب قائمة أبداً. «ذلك»؛ أي: الأمر الذي ذكرنا. «و لو شاء الله لانتصر منهم»؛ أي: من الكفّار بإهلاكهم. «ولكن» أمركم بالحرب و بذل الأرواح ليمتحن بعضكم ببعض فيظهر المطيع من العاصي. «و الذين قتلوا». قرأ أهل البصرة و حفص: «قتلوا» على ما لم‌يسمّ فاعله، و الباقون: «قاتلوا» بالألف. «في سبيل الله»؛ أي: الجهاد يوم أحد. و من قرأ: «قاتلوا» فالمعنى: جاهدوا سواء قتلوا أو لم‌يقتلوا. «فلن يضلّ»؛ أي: لن يضيّع الله «أعمالهم».[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام: «فإذا لقيتم الذين كفروا» ـ الآية ـ: فهذا السيف الذي هو إلى عليّ عليه السلام[٥] على مشركي العجم من الزنادقة و من ليس عنده كتاب من عبدة النيران و الكواكب. و قوله: «فإذا لقيتم» المخاطبة للجماعة و المعنيّ رسول الله و الإمام من بعده عليهما السلام.[٦]

عن الباقر عليه السلام: انّ الله بعث محمّداً بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة لاتغمد إلى أن تضع

١ـ التوبة (٩) / ٥.
٢ـ الأنفال (٨) / ٥٧.
٣ـ المصدر: عقبة.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٧ ـ ١٤٨ و ١٤٥.
٥ـ المصدر: ـ «هو إلى عليّ عليه السلام».
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠١ ـ ٣٠٢.

الحرب أوزارها. [و لن تضع الحرب أوزارها] حتّى تطلع الشمس من مغربها ـ إلى قوله: ـ و سيف على مشركي العجم. قال الله: «فإذا لقيتم الذين كفروا». فهؤلاء لا يقبل منهم إلّا القتل أو الدخول في الإسلام.(١)

عن سليمان بن خالد قال: سألني أبوعبدالله عليه السلام فقال: أيّ شيء كنتم يوم خرجتم مع زيد؟ فقلت: مؤمنين. قال: فما كان عدوّكم؟ قلت: كفّاراً. [قال:] فإنّي أجد في كتاب الله: يا أيّها الذين آمنوا «إذا لقيتم» ـ الآية. فابتدأتم أنتم بتخلية من أسرتم. سبحان الله! ما استطعتم أن تسيروا بالعدل ساعة!(٢)

«ليبلو بعضكم ببعض»؛ أي: أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم، و الكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر.(٣)

[٥] «سَيَهْدِيهِمْ وَ يُصْلِحُ بَالَهُمْ».

«سيهديهم» إلى طريق الجنّة و الثواب و يصلح شأنهم و حالهم.(٤)

[٦] «وَ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ».

«عرّفها لهم». قال مجاهد: يهتدي أهل الجنّة إلى مساكنهم منها لا يخطئون كأنّهم كانوا سكّانها منذ خلقوا لا يستدلّون عليها. و قيل: إنّ الملك الذي وكّل بحفظ عمله في الدنيا، يمشي بين يديه فيعرّفه كلّ شيء أعطاه الله.(٥)

«عرّفها لهم»؛ أي: بيّنها لهم حتّى عرفوها إذا دخلوها و استقرّوا في منازلهم، فكانوا أعرف بها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم. و قيل: معناه: أعلمهم بوصفها على ما

١ـ الخصال / ٢٧٤ ـ ٢٧٥، ح ١٨.
٢ـ الكافي ٨ / ٢٥٠ ـ ٢٥١، ح ٣٥١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠١.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٨.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٣١٨.

يشوّق إليها فيرغبون فيها و يسعون لها. و قيل: معناه: طيّبها لهم. من العرف [و هو] الرائحة الطيّبة.(١)

[٧] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ».

«إن تنصروا الله»؛ أي: دين الله بالجهاد. «ينصركم» على عدوّكم «و يثبّت أقدامكم»؛ أي: يقوّي قلوبكم لتثبتوا. و قيل: ينصركم في الآخرة و يثبّت أقدامكم عند الحساب و على الصراط، أو في الدنيا و الآخرة، و هو الوجه.(٢)

[٨] «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ».

«و الذين كفروا». يحتمل الرفع على الابتداء و النصب بما يفسّره «فتعساً لهم». كأنّه قال: أتعس الذين كفروا. و قوله: «و أضلّ» عطف على الفعل الذي نصب تعساً. لأنّ المعنى: فقال: تعساً لهم، أو فقضى لهم تعساً؛ أي: عثوراً و انحطاطاً. و عن ابن عبّاس: في الدنيا القتل، و في الآخرة النار.(٣)

[٩] «ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ».

«ما أنزل الله». أعني القرآن و ما فيه من التكاليف. لأنّهم قد ألفوا إطلاق العنان في الشهوات فشقّ عليهم ذلك.(٤)

عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل على محمّد صلى الله عليه وآله بهذه الآية هكذا: «ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله في عليّ» إلّا أنّه كشط الاسم «فأحبط أعمالهم».(٥)

[١٠] «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٣١٨ ـ ٣١٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٣١٩.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠٢.

عَلَيْهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا».

«أ فلم يسيروا»؛ أي: ينظروا في أخبار الأمم الماضية. «دمّر الله عليهم»؛ أي: أهلكهم و عذّبهم. «و الكافرين». يعني الذين كرهوا ما أنزل الله في عليّ. «أمثالها»؛ أي: لهم مثل ما كان للأمم الماضية من العذاب و الهلاك.(١)

«دمّر الله عليهم». دمّر عليه: أهلك عليه ما يختصّ به. و المعنى: دمّر الله عليهم ما اختصّ بهم من الأموال و الأولاد و كلّ ما كان لهم. «أمثالها». الضمير للعاقبة المذكورة، أو للهلكة، لأنّ التدمير يدلّ عليها.(٢)

«و للكافرين أمثالها»؛ أي: للكافرين بك ـ يا محمّد ـ أمثالها من العذاب إن لم يؤمنوا. أي إنّهم يستحقّون أمثالها.(٣)

[١١] «ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلىٰ لَهُمْ».

«ذلك»؛ أي: الذي فعلناه في الفريقين.(٤)

ثمّ ذكر المؤمنين الذين ثبتوا على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «ذلك بأنّ الله مولى الذين آمنوا» ـ الآية.(٥)

«مولى الذين آمنوا»: وليّهم و ناصرهم. و أمّا قوله تعالى: «و ردّوا إلى الله مولاهم الحقّ»(٦) فالمولى هناك بمعنى الربّ و مالك الأمر. فلا تناقض.(٧)

[١٢] «إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَ النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠٢.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٣١٩.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٤٩.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٥١.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠٢.
٦ـ يونس (١٠) / ٣٠.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٣١٩.

«يتمتّعون»: ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أيّاماً قلائل. «و يأكلون» غير متفكّرين في العاقبة. «كما تأكل الأنعام» في مسارحها و معالفها غافلة عمّا هي بصدده من الذبح و النحر. «مثوًى لهم»: منزل و مقام.(١)

[١٣] «وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ».

«من قريتك»؛ أي: من أهلها. و لذلك قال: «أهلكناهم». و معنى أخرجوك: كانوا سبب خروجك. «فلا ناصر لهم». يجري مجرى الحال المحكيّة. كأنّه قال: أهلكناهم فهم لاينصرون.(٢)

[١٤] «أَ فَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ».

«أ فمن كان على بيّنة من ربّه». يعني أميرالمؤمنين عليه السلام. «كمن زيّن له سوء عمله». يعني الذين غصبوه «و اتّبعوا أهواءهم».(٣)

«زيّن له». و هم أهل مكّة الذين زيّن لهم الشيطان شركهم و عداوتهم لله و رسوله. و «من كان على بيّنة من ربّه»؛ أي حجّة من عنده و برهان و هو القرآن المعجز و سائر المعجزات. هو رسول الله صلى الله عليه و آله.(٤)

«كمن زيّن له سوء عمله». قيل: هم المنافقون. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.(٥)

[١٥] «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَ أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَ سُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ

١ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٠.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٥١.

أَمْعَاءَهُمْ».

ثمّ وصف الجنّات التي وعدها المؤمنين بقوله: «مثل الجنّة التي». قرأ عليّ عليه السلام و ابن عبّاس: «أمثال الجنّة» على الجمع. «غير آسن»؛ أي: غير متغيّر لطول المقام كمياه الدنيا. و قرأ ابن كثير: «أسن» مقصوراً، و الباقون بالمدّ. «و لم يتغيّر طعمه» بحموضة و لا غيرها لذيذة يلتذّون بشربها بخلاف خمر الدنيا التي لاتخلو من المرارة و السكر و الصداع. «مصفًّى»؛ أي: خالص من الشمع و القذى. «من كلّ الثمرات» ممّا يعرفون اسمها و ممّا لايعرفون. «و مغفرة من ربّهم»؛ أي: و لهم مع ذلك ستر ذنوبهم و ينسيهم إساءتهم حتّى لايتنغّص عليهم نعيم الجنّة. «كمن هو خالد»؛ أي: من كان في هذا النعيم، كمن هو خالد في النار؟ «حميماً»: شديد الحرّ يقطّع أمعاءهم.(١)

عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة أنهار من الجنّة: الفرات، و النيل، و سيحان، و جيحان. فالفرات الماء في الدنيا و الآخرة. و النيل العسل. و سيحان الخمر. و جيحان اللّبن.(٢)

«مثل الجنّة»؛ أي: صفة الجنّة فيما نقصّ عليكم. ثمّ شرع في قصّتها بقوله: «فيها أنهار». فيكون «مثل الجنّة» مبتدأ و خبره محذوف و الوقف على «المتّقون».(٣)

«مثل الجنّة». مبتدأ خبره «كمن هو خالد في النار». و تقدير الكلام: أمثل أهل الجنّة «كمن هو خالد في النار»؛ أي: كمثل من هو خالد في النار. أو: أمثل الجنّة كمثل جزاء من هو خالد؟ «فيها أنهار». استئناف لشرح المثل. أو حال من العائد المحذوف. أو خبر لمثل.(٤)

عبدالله بن سنان قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن الحوض. فقال: حوض مابين بصرى إلى صنعاء. تحبّ أن تراه؟ فأخذ بيدي [و أخرجني] إلى ظهر المدينة. ثمّ ضرب برجله. فنظرت إلى نهر تجري لاتدرك حافتاه إلّا الموضع الذي أنا فيه قائم و إنّه شبيه بالجزيرة و في جانبيه

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٥٠ ـ ١٥٢.
٢ـ الخصال / ٢٥٠، ح ١١٦.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ٢٦ / ٢٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٢.

ماء أبيض من الثلج و في وسطه خمر أحسن من الياقوت. فما رأيت شيئاً أحسن من [تلك] الخمر بين اللّبن و الماء. فقلت: جعلت فداك؛ و من أين يخرج هذا و مجراه؟ قال: هذه العيون التي ذكرها الله في الجنّة: عين من ماء، و عين من لبن، و عين من خمر، تجري في هذا النحر. و رأيت حافتيه عليهما شجر فيهنّ جوار معلّقات برؤوسهنّ ما رأيت شيئاً أحسن منهنّ و بأيديهنّ آنية. فأومى بيده لنفسه.[١] فنظرت إليها وقد مالت لتغرف من النهر فمال الشجر معها فاغترفت و ناولته فشرب. و أشار إليها فناولتني. فشربت، فما رأيت شراباً ألذّ منه. فنظرت في الطاس و إذا فيها ثلاثة ألوان من الشراب. و قال لي: هذا ما أعدّه الله لشيعتنا بعد الموت.[٢]

[١٦] «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتّٰى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ».

ثمّ بيّن حال المنافقين فقال: «و منهم»؛ أي: من الكفّار من يستمع إلى قرائتك و دعوتك و كلامك. «أوتوا العلم» من المؤمنين. عن عليّ عليه السلام قال: إنّا كنّا عند رسول الله فيخبرنا بالوحي فأعيه أنا و من يعيه. فإذا خرجنا قالوا: «ماذا قال آنفاً»؛ أي: أيّ شيء قال الساعة؟ و إنّما قالوه استهزاء و إظهار أنّا لم نشتغل بوعيه و فهمه. و قيل: بل قالوا ذلك تحقيراً لقوله. أي لم يقل شيئاً فيه فائدة. «طبع الله على قلوبهم»؛ أي: وسم قلوبهم بسمة الكفّار إذ خلّى بينهم و بين اختيارهم. «و اتّبعوا أهواءهم»: شهوات نفوسهم و ما مالت إليه طبائعهم دون ما قامت عليه الحجّة. في بعض الروايات عن ابن‌كثير: «أنفاً» بالقصر. و المشهور المدّ.[٣]

«ماذا قال آنفاً»؛ أي: يقولون لعلماء الصحابة: ماذا قال؟ استعلاماً؛ إذ لم يلقوا له آذانهم تهاوناً به.[٤]

١ـ المصدر: لتسقيه.

٢ـ بصائر الدرجات / ٤٢٣ ـ ٤٢٤، ح ٣.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٥٤ و ١٥٣.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٣.

[١٧] «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ».

«و الذين اهتدوا» بما سمعوا من النبيّ «زادهم» الله أو النبيّ أو قراءة القرآن. و قيل: زادهم استهزاء المنافقين إيماناً و تصديقاً. «وآتاهم تقواهم»؛ أي: وفّقهم الله للتقوى. أو آتاهم ثواب تقواهم. أو: بيّن لهم مايتّقون و هو ترك الرخص و الأخذ بالعزائم.(١)

[١٨] «فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ».

«فهل ينظرون إلّا الساعة»؛ أي: القيامة. «أشراطها»؛ أي: علاماتها. قال ابن عبّاس: و النبيّ من أشراطها. و قد قال: بعثت [أنا] و الساعة [كهاتين]. «فأنّى لهم»؛ أي: فمن أين لهم ذلك الوقت الاتّعاظ و التوبة. لأنّه لاينفع ذلك الوقت الإيمان و الطاعة لزوال التكليف.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الساعة. فقال: عند إيمان بالنجوم و تكذيب بالقدر.(٣)

و عنه صلى الله عليه وآله: من أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب.(٤)

عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من أشراط الساعة أن يفشوا الفالج و موت الفجأة.(٥)

أقول: و في تفسير الثقة عليّ بن إبراهيم رحمة الله عليه حديث طويل يشتمل على علامات القيامة. من أراده طلبه هناك.

[١٩] «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ اللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْوَاكُمْ».

ثمّ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله ـ و المراد جميع المكلّفين ـ: «فاعلم أنّه لا إله إلّا الله». قال الزجّاج: أي:

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٥٤.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٥٤ ـ ١٥٥.

٣ـ الخصال / ٦٢.

٤ـ علل الشرائع / ٩٥، ح ٣.

٥ـ الكافي ٣ / ٢٦١، ح ٣٩.

أقم على هذا العلم و اعمل في مستقبل عمرك ما تعلمه الآن. و قيل: إنّه يتعلّق بما قبله. أي: إذا جاءتهم [الساعة] فاعلم أنّه لا إله إلّا الله؛ أي: لا ملك و لا حكم لأحد إلّا له سبحانه. و قيل: إنّه كان ضيّق الصدر من أذى قومه، فقيل له: فاعلم أنّه لا كاشف لذلك إلّا الله. «و استغفر لذنبك». الخطاب له و المراد به الأمّة. و قيل: المراد بذلك الانقطاع إلى الله. فإنّ الاستغفار عبادة يستحقّ به الثواب. «متقلّبكم و مثواكم»؛ أي: متصرّفكم في أعمالكم في الدنيا و مسيركم في الآخرة إلى الجنّة أو النار. عن ابن‌عبّاس. و قيل: «يعلم متقلّبكم»: متصرّفكم بالنهار «و مثواكم»؛ أي: مضجعكم باللّيل. أو المعنى أنّه عالم بجميع أحوالكم.[١]

«فاعلم أنّه لا إله إلّا الله»؛ أي: إذا علمت سعادة المؤمنين و شقاوة الكافرين، فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانيّة و تكميل النفس بإصلاح أحوالها و هضمها بالاستغفار لذنبك. «متقلّبكم» في الدنيا. فإنّها مراحل لابدّ من قطعها. «و مثواكم» في العقبى. فإنّها دار إقامتكم. فاتّقوا الله و استغفروه و استعدّوا لمعادكم.[٢]

[٢٠ ـ ٢١] «وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ * طَاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ».

«لولا نزّلت سورة»: هلّا نزّلت. لأنّهم كانوا يأنسون بنزول القرآن و يستوحشون لإبطائه ليعلموا أوامر الله فيهم و تعبّده لهم.

«سورة محكمة» ليس فيها متشابه و لا تأويل. و قيل: سورة ناسخة لما قبلها من إباحة التخفيف في الجهاد. قال قتادة: كلّ سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة. و هي أشدّ [القرآن] على المنافقين. و قيل: محكمة؛ أي: مقرونة بوعيد يؤكّد الأمر. «و ذكر فيها القتال»؛ أي: أمر

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٥٥.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٣.

فيها بالقتال. «مرض»؛ أي: شكّ و نفاق. «نظر المغشيّ عليه». يريد أنّهم يشخصون نحوك بأبصارهم ـ كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت ـ لثقل ذلك عليهم. «فأولى لهم». تهديد و وعيد. قال الأصمعيّ: معنى قولهم في التهديد: أولى لك: وليك و قاربك ما تكره. وقيل: معناه: العقاب أو الوعيد لهم. فيكون أولى اسماً و «أولى لهم» مبتدأ و خبراً. و قيل معناه: طاعة الله و رسوله و قول معروف أولى لهم. فيكون «طاعة و قول معروف» متّصلاً بما قبله. و يجوز أن يكون «طاعة و قول معروف» مبتدأ و خبره محذوف تقديره: أمثل و أليق من حال هؤلاء المنافقين، أو: خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد. أو يكون خبر مبتدأ محذوف. أي: قولوا: أمرنا طاعة و قول معروف. [و هذا] أمر من الله سبحانه للمنافقين. و قيل: هو حكاية عنهم. يعني أنّهم كانوا يقولون ذلك. «عزم الأمر»؛ أي: جدّ الأمر و فرض القتال. و جواب إذا محذوف يدلّ عليه «صدقوا الله»؛ أي: نكلوا و كذبوا فيما وعدوا. [فلو] صدقوا الله فيما أمرهم من الجهاد، لكان خيراً من النفاق.(١)

«سورة محكمة»: مبيّنة غير متشابهة لاتحتمل وجهاً إلّا وجوب القتال. و قيل: آية القتال محكمة لأنّ النسخ لايرد عليها من قبل أنّ القتال قد نسخ ما كان من الصفح و المهادنة و هو غير منسوخ إلى يوم القيامة. «فإذا عزم الأمر»؛ أي: جدّ. و العزم و الجدّ لأصحاب الأمر و إنّما يسندان إلى الأمر إسناداً مجازيّاً.(٢)

[٢٢] «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ».

«فهل عسيتم» يا معاشر المنافقين «إن تولّيتم» الأحكام و جعلتم ولاة «أن تفسدوا في الأرض» بأخذ الرشاء و سفك الدم الحرام و قطع الأرحام، كما قتلت قريش بني‌هاشم و قتل بعضهم بعضاً. و قيل: «إن تولّيتم» معناه: إن أعرضتم. قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولّوا عن القرآن؟ ألم يسفكوا الدم الحرام و قطعوا الأرحام و عصوا الرحمن؟ قرأ يعقوب و

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٥٥ ـ ١٥٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

سهل: «و تقطعوا بفتح التاء و الطاء و سكون القاف.[1]

«فهل عسيتم»؛ أي: يتوقّع منكم الإفساد. فإن قلت: كيف يصحّ هذا في كلام الله و هو عالم بما كان و يكون؟ قلت: معناه: و إنّكم ـ لما عهد منكم ـ أحقّاء بأن يقول لكم كلّ من عرف رخاوة عقدكم في الإيمان: يا هؤلاء، ما ترون؟ هل يتوقّع منكم إن تولّيتم أمور الناس و تأمّرتم عليهم أن تفسدوا في الأرض و تقطّعوا أرحامكم تهالكاً على الدنيا؟ و قيل: إن أعرضتم و تولّيتم عن دين رسول الله أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه من الإفساد و قطع الأرحام؟ و في قراءة عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام: «تولّيتم» على المجهول. أي: إن تولّاكم ولاة غشمة خرجتم معهم و مشيتم تحت لوائهم و أفسدتم بإفسادهم.[2]

عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ عمر لقي أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: أنت الذي تقرأ هذه الآية: «بأيّكم المفتون»[3] تعرّض بي و بصاحبي؟ قال: أفلاأخبرك بآية نزلت في بني‌أميّة؟ «فهل عسيتم» إلى قوله: «و تقطّعوا أرحامكم». فقال عمر: كذبت! بنوأميّة أوصل للرحم منك، ولكنّك أثبتّ العداوة لبني‌أميّة و بني‌عديّ و بني‌تيم.[4]

[٢٣] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمىٰ أَبْصَارَهُمْ».

«لعنهم الله»؛ أي: أبعدهم عن رحمته فلايسمعون الخبر و لايرون ما فيه الاعتبار فكأنّهم صمّ عمي. و قيل: إنّهم في الآخرة لايهتدون إلى الجنّة بمنزلة الأصمّ الأعمى [في الدنيا].[5]

[٢٤] «أَ فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا».

«أفلايتدبّرون القرآن» بأن يتفكّروا فيه فيقضوا [ما] عليهم من الحقّ. «أم على

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٥٨ و ١٥٧.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٥.
٣ـ القلم (٦٨) / ٨.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠٨، و الكافي ٨ / ١٠٣، ح ٧٦.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٥٨.

قلوب». في تنكير القلوب إشارة إلى بطلان قول من قال: لايجوز تفسير شيء من القرآن إلّا بخبر سمع فيه.[١]

[٢٥] «إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلَىٰ لَهُمْ».

«ارتدّوا»؛ أي: رجعوا عن الحقّ. وهم المنافقون؛ كانوا يؤمنون عند النبيّ ثمّ يظهرون الكفر فيما بينهم، فتلك ردّة منهم. و قيل: هم كفّار أهل الكتاب كفروا بمحمّد ﷺ وقد عرفوه و وجدوا نعته مكتوباً عندهم. «سوّل لهم»؛ أي: زيّن لهم خطاياهم. و قيل: معناه: أعطاهم سؤلهم و أمنيّتهم إذ دعاهم إلى ما يوافق مرادهم و هواهم. «و أملى لهم» فاغترّوا به. و قيل: أوهمهم طول العمر مع الأمن من المكاره و أبعدهم في الأمل و الأمنيّة. أهل البصرة: «و أمليَ لهم» بضمّ الهمزة و فتح الياء و عن يعقوب سكونها.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «إنّ الذين ارتدّوا على أدبارهم» بتركهم الإيمان أي ولاية أميرالمؤمنين «الشيطان سوّل لهم» يعني الثاني «و أملى لهم».[٣]

«الشيطان سوّل لهم». مبتدأ و خبر.[٤]

[٢٦] «ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ».

«ذلك»؛ أي: ذلك التسويل والإملاء «بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما أنزل الله» في القرآن من الأحكام. و المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام أنّهم بنوأميّة كرهوا ما أنزل الله في ولاية عليّ عليه السلام. «سنطيعكم في بعض» ما تريدونه. «أسرارهم»؛ أي: ما أسرّه بعضهم إلى بعض من القول و

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٥٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٥٨ و ١٥٧.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠٨.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٦.

ما أسرّوه من الاعتقاد.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «إنّ الذين ارتدّوا» ـ الآية ـ: فلان و فلان و فلان؛ ارتدّوا عن الايمان في ترك ولاية عليّ عليه السلام. قلت: قوله تعالى: «ذلك بأنّهم قالوا للّذين كفروا»؟ قال: نزلت فيهما و في أتباعها. و هو قول الله الذي نزل به جبرئيل على محمّد: «ذلك بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله» في عليّ «سنطيعكم في بعض الأمر». قال: دعوا بني أميّة إلى ميثاقهم ألّا يصيّروا الأمر فينا بعد النبيّ و لا يعطونا من الخمس شيئاً و قالوا: إن أعطيناهم إيّاه، لم يحتاجوا إلى شيء و لم يبالوا ألّا يكون الأمر فيهم. قالوا: سنطيعكم في بعض الأمر الذي دعوتمونا إليه و هو الخمس ألّا نعطيهم منه شيئاً. و قوله: «كرهوا ما نزّل الله»؛ أي: ما افترض من ولاية أميرالمؤمنين. و كان معهم أبوعبيدة و كان كاتبهم. فأنزل الله: «أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون * أم يحسبون أنّا لانسمع سرّهم و نجواهم»[٢].[٣]

«يعلم أسرارهم». لأنّهم قالوا: «سنطيعكم في بعض الأمر» سرّاً، فأفشاه الله عليهم.[٤]

[٢٧ ـ ٢٨] «فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ * ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ».

«فكيف» حالهم إذا قبضت الملائكة أرواحهم؟ «ذلك بأنّهم»؛ أي: سبب ذلك الضرب. «ما أسخط الله» من المعاصي «وكرهوا رضوانه»: سبب رضوانه من الايمان و طاعة الرسول. فأحبط الله ما كانوا يعملون من الصلاة و الصدقة و غير ذلك، لأنّها في غير ايمان.[٥]

«ذلك»: التوفّي الموصوف. «ما أسخط الله» من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وآله. «رضوانه»؛ أي: الايمان برسول الله.[٦]

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٠.
٢ـ الزخرف (٤٣) / ٧٩ ـ ٨٠.
٣ـ الكافي ١ / ٤٢٠ ـ ٤٢١، ح ٤٣.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٧.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٠.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٧.

[٢٩] «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ».

«أضغانهم»؛ أي: أحقادهم على المؤمنين و لايبدي عوراتهم للنبيّ.[١]

[٣٠] «وَ لَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ».

«لأريناكهم» بأعيانهم ـ يا محمّد ـ حتّى تعرفهم. و هو قوله: «فلعرفتهم بسيماهم»؛ أي: بعلاماتهم التي ننصبها لك. أي: تعرفهم الآن في فحوى كلامهم و معناه و مقصده. لأنّ كلام الإنسان يدلّ على ما أضمره. و عن أبي‌سعيد الخدريّ قال: لحن القول بغضهم عليّ بن أبي‌طالب. قال: و كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ببغضهم عليّاً. عن عبادة بن الصامت قال: كنّا نختبر أولادنا بحبّ عليّ‌عليه‌السلام. فإذا رأينا أحدهم لايحبّه، علمنا أنّه لغير رشدة. قال أنس: ماخفي منافق على عهد رسول الله بعد هذه الآية. «أعمالكم»؛ أي: ظاهرها و باطنها.[٢]

«فلعرفتهم بسيماهم و لتعرفنّهم». اللّام الأولى هي الداخلة في جواب لو. و الثانية جواب قسم محذوف. «في لحن القول»؛ أي: أسلوبه. و عن ابن‌عبّاس: هو قولهم: ما لنا إن أطعنا من الثواب؟ و لايقولون: ما علينا إن عصينا من العقاب؟ و قيل: اللّحن أن تلحن بكلامك؛ أي: تميله إلى نحو من الأنحاء، ليفطن له صاحبك كالتعريض و التورية. و قيل للمخطيء لاحن، لأنّه يلحن؛ أي: يعدل بالكلام عن الصواب.[٣]

[٣١] «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ وَ نَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ».

«و لنبلونّكم»؛ أي: نعاملكم معاملة المختبر بما نكلّفكم من الأمور الشاقّة حتّى يتميّز المجاهدون في سبيل الله من جملتكم و الصابرون على الجهاد. و قيل: حتّى يعلم أولياؤنا

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٠. ٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٠.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٧.

المجاهدين منكم. و قيل: معناه: حتّى يعلم جهادكم موجوداً. لأنّ الغرض أن تفعلوا الجهاد فيثيبكم على ذلك. «و نبلو أخباركم»؛ أي: نختبر أسراركم بما تستقبلونه من أفعالكم. قرأ أبوبكر: «و ليبلونّكم» و ما بعده بالياء. و هو المرويّ عن الباقر عليه السلام. و الباقون بالنون. و يعقوب: «و نبلو» ساكنة الواو.(١)

«و نبلو أخباركم»؛ أي: ما يحكى عنكم و ما يخبر به عن أعمالكم لنعلم حسنها من قبيحها. لأنّ الخبر على حسب المخبر عنه؛ إن حسناً فحسن، و إن قبيحاً فقبيح.(٢)

[٣٢] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ شَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً وَ سَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ».

«و صدّوا عن سبيل الله»؛ أي: امتنعوا عن اتّباع دين الله و منعوا غيرهم عن اتّباعه تارة بالقهر و أخرى بالإغواء و عاندوا الرسول بعد ما ظهر لهم أنّه الحقّ. «لن يضرّوا الله» [و] إنّما ضرّوا أنفسهم. «و سيحبط» الله «أعمالهم» فلايرون لها في الآخرة ثواباً. و في الآية دلالة على أنّ هؤلاء الكفّار كانوا قد تبيّن لهم الهدى فارتدّوا عنه عناداً. و هم المنافقون. و قيل: هم أهل الكتاب؛ ظهر لهم أمره صلى الله عليه وآله فلم يقبلوه.(٣)

«و سيحبط أعمالهم» التي عملوها و مكايدهم التي نصبوها في مشاقّة الرسول؛ أي: سيبطلها فلايصلون منها إلى أغراضهم بل لايثمر لهم إلّا القتل و الجلاء عن أوطانهم. و قيل: هم رؤساء قريش المطعمون يوم بدر.(٤)

«و صدّوا عن سبيل الله». قال: عن أميرالمؤمنين. «و شاقّوا الرسول»؛ أي: قطعوه(٥) في أهل بيته بعد أخذ الميثاق عليهم.(٦)

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٦١.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٨.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٦١ ـ ١٦٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٨.
٥ـ المصدر: قاطعوه.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠٩.

[٣٣] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ».

«أطيعوا الله» بتوحيده. «و أطيعوا الرسول» بتصديقه. و قيل: أطيعوا الله في حرمة الرسول. و أطيعوا الرسول في تعظيم أمر الله. «و لاتبطلوا أعمالكم» بالنفاق و المعاصي.(١)

قال رسول الله: من قال: سبحان الله، غرس الله له في الجنّة بها شجراً. و كذلك الحمد لله، و لا إله إلّا الله، و الله أكبر، كلّ واحد شجرة. فقال رجل من قريش: إنّ أشجارنا في الجنّة لكثيرة! قال: نعم، ولكن إيّاكم أن تبعثوا عليها ناراً فتحرقها. و ذلك أنّ الله يقول: «يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله» ـ الآية.(٢)

«و لاتبطلوا أعمالكم» بما أبطل به هؤلاء الكفّار كالكفر و النفاق و العجب و الرياء و المنّ و الأذى و نحوها. و ليس فيه [دليل على] إحباط الطاعات بالكبائر.(٣)

«و لاتبطلوا أعمالكم»؛ أي: لاتحبطوا الطاعات بالكبائر. كقوله: «لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ [... أن تحبط أعمالكم]».(٤) و قيل: كان أصحاب النبيّ ﷺ يرون أنّه لايضرّ مع الإيمان ذنب كما لاينفع عمل مع الشرك، حتّى نزلت: «و لاتبطلوا أعمالكم». فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم حتّى نزل: «إنّ الله لايغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء».(٥) فكففنا عن القول في ذلك فكنّا نخاف على من أصاب الكبائر و نرجو لمن لم يصبها.(٦)

[٣٤] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٢.

٢ـ ثواب الأعمال / ١١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٥.

٤ـ الحجرات (٤٩) / ٢.

٥ـ النساء (٤) / ٤٨.

٦ـ الكشّاف ٤ / ٣٢٨ ـ ٣٢٩. و في عبارة المتن تشويش لا يخفى. فننقل نصّ المصدر لإيضاح المعنى: و عن ابن عمر: كنّا نرى أنّه ليس شيء من حسناتنا إلّا مقبولاً حتّى نزل: «و لاتبطلوا أعمالكم». فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر الموجبات و الفواحش؛ حتّى نزل: «إنّ الله لايغفر أن يشرك...» فكففنا عن القول في ذلك....

«ثمّ ماتوا و هم كفّار». عامّ في كلّ من مات على كفره و إن صحّ نزوله في أصحاب القليب. و يدلّ بمفهومه على أنّه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه.(١)

[٣٥] «فَلَا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ».

«و تدعوا إلى السلم»: و لاتدعوا إلى الصلح خوراً و تذلّلاً. و يجوز نصبه بإضمار أن. «و لن يتركم»؛ أي: لن يضيّع أعمالكم. من وترت الرجل، إذا قتلت متعلّقاً له من قريب أو حميم فأفردته عنه. من الوتر. شبّه به تعطيل ثواب العمل و إفراده منه. «إلى السلم». أبوبكر و حمزة بكسر السين.(٢)

«فلاتهنوا»؛ أي: لاتضعفوا عن القتال و لاتدعوا الكفّار إلى المصالحة و أنتم القاهرون الغالبون. و قيل: إنّ الواو للحال. أي: لاتدعوهم إلى الصلح في الحالة التي تكون الغلبة لكم فيها. و قيل: إنّه إخبار من الله عن حال المؤمنين أنّهم الأعلون يداً و منزلة و إن غلبوا في بعض الأحوال. «و الله معكم» بالنصر على عدوّكم. «و لن يتركم»؛ أي: لم ينقصكم شيئاً من ثوابها.(٣)

«و إن جنحوا للسلم فاجنح لها».(٤) قال: هي منسوخة بقوله: «و لاتهنوا» ـ الآية.(٥)

[٣٦] «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَ لَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ».

«لهو و لعب»؛ أي: سريعة الفناء و الانقضاء. «و لايسألكم أموالكم» كلّها في الصدقة و إن أوجب عليكم الزكاة في بعضها. و قيل: لايسألكم الرسول على أداء الرسالة أموالكم. [و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٦.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٣.
٤ـ الأنفال (٨) / ٦١.
٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٢٧٩.

قيل: لايسألكم أموالكم لأنّ الأموال كلّها لله فهو أملك لها و[(١)] هو المنعم بإعطائها.(٢)

[٣٧] «إِنْ يَسْئَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَ يُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ».

«فيحفكم» أي: يجهدكم بمسألة جميعها «تبخلوا» بها فلاتعطوها. و قيل: فيحفكم؛ أي: يلطف في السؤال بأن يعد عليه الثواب الجزيل. «و يخرج أضغانكم»؛ أي: يظهر بغضكم و عداوتكم لله و رسوله، ولكن فرض عليكم ربع العشر. و في بعض الروايات عن أبي‌عمرو: «يخرج» بالرفع.(٣)

[٣٨] «هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَ مَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَ اللهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَايَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ».

«ها أنتم هؤلاء»؛ أي: أنتم ـ يا مخاطبون ـ هؤلاء الموصوفون. و قوله: «تدعون» استئناف مقرّر لذلك، أو صلة لهؤلاء على أنّه بمعنى الذين. «يبخل عن نفسه». البخل يتعدّى بعن و على لتضمّنه معنى الإمساك و التعدّي. فإنّه إمساك عن المستحقّ.(٤)

«لتنفقوا في سبيل الله». يعني ما فرض عليهم في أموالهم. «من يبخل» بأداء الزكاة. «عن نفسه» لحرمانه الثواب. و قيل: معناه: فإنّما يبخل بداع من نفسه يدعوه إلى البخل. «و الله الغنيّ» عن أموالكم. «و أنتم الفقراء» إلى ما عند الله من الخير و الرحمة. أي: لايأمركم بالإنفاق لحاجته، ولكن لأجل انتفاعكم به في الآخرة. «و إن تتولّوا» عن طاعة الله و رسوله «يستبدل قوماً غيركم» أطوع لله. «ثمّ لايكونوا أمثالكم» بل يكونوا خيراً منكم. روي أنّ ناساً من أصحاب رسول الله قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه؟ وكان سلمان إلى جنب رسول الله. فقال: هذا و قومه. و الذي نفسي بيده، لو أنّ الايمان

١ـ في النسخة: «لأنّ الله» بدل ما بين المعقوفتين.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٣.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٣ و ١٦٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٦.

منوط بالثريّا، لتناوله رجال من فارس. و عن أبي جعفر عليه السلام[١]: «إن تتولّوا» يا معشر العرب «يستبدل قوماً غيركم» يعني الموالي. و قال عليه السلام: و الله أبدل [بهم] خيراً منهم الموالي.[٢]

«و إن تتولّوا». يعني عن ولاية عليّ عليه السلام. «يستبدل قوماً غيركم». قال: يدخلهم في هذا الأمر. «ثمّ لا يكونوا أمثالكم» في معاداتكم و خلافكم و ظلمكم لآل محمّد عليهم السلام.[٣]

١ـ المصدر: عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٣ ـ ١٦٤.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠٩.

٤٨.
سورة الفتح

الفتح: عنه‌ﷺ: من قرأها، فكأنّما شهد مع النبيّ‌ﷺ فتح مكّة و كان ممّن بايعه تحت الشجرة.(١)

و عن الصادق‌عليه السلام: حصّنوا أموالكم و نساءكم و ما ملكت أيمانكم من التلف بها ـ الخبر.(٢)

الفتح: من علّقها عليه، أمن من السلطان. و إن علّقت على حائط و بيت، لم يقربه شيطان. و إن شربت المرأة ماءها، درّ لبنها.(٣)

عن أبي عبدالله‌عليه السلام قال: حصّنوا أموالكم و نساءكم و ما ملكت أيمانكم من التلف بقراءة إنّا فتحنا. فإنّه إذا كان ممّن يدمن قراءتها، نادى مناد يوم القيامة حتّى تسمع الخلائق: أنت من عبادي. و أدخلوه جنّات النعيم. واسقوه من الرحيق المختوم بمزاج الكافور.(٤)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً».

«إنّا فتحنا لك». المراد فتح مكّة. وعده الله ذلك عام الحديبيّة عند انكفائه منها. عن جماعة [من] المفسّرين. و نزلت هذه الآية عند مرجع النبيّ من الحديبيّة؛ بشّر في ذلك الوقت بفتح مكّة. و تقديره: إنّا فتحنا [لك مكّة]؛ أي: قضينا لك بالنصر على أهلها. و عن جابر: ما كنّا نعلم فتح مكّة إلّا يوم الحديبيّة. و قيل: المراد بالفتح هنا صلح الحديبيّة. و كان

١ـ المصباح / ٥٩٢.
٢ـ المصباح / ٥٩٢.
٣ـ المصباح / ٦١١.
٤ـ ثواب الأعمال / ١٤٢، ح ١.

فتحاً بغير قتال. و ذلك أنّ المشركين اختلطوا بالمؤمنين فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم و أسلم في ثلاث سنين خلق كثير فكثر بهم سواد الإسلام.(١)

[٢] «لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً».

«ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك». قيل فيه أقوال كلّها غير موافق لمذهب الإماميّة من أنّ الأنبياء معصومون من الذنوب. و لأصحابنا فيه وجهان من التأويل. أحدهما: انّ المراد: ما تقدّم من ذنب أمّتك و ما تأخّر بشفاعتك. و أراد ما تقدّم زمانه و ما تأخّر. و عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية قال: ماكان له ذنب و لا همّ بذنب؛ ولكنّ الله حمّله ذنوب شيعتنا ثمّ غفرها له. الثاني: ما ذكره المرتضى رحمه الله من أنّ الذنب مصدر و هو هنا مضاف إلى المفعول. و المراد: ذنبهم إليك في منعهم إيّاك و صدّهم لك عن المسجد الحرام. و يكون المغفرة على هذا التأويل بمعنى الإزالة و النسخ لأحكام أعدائه من المشركين عليه. أي: يزيل الله ذلك عنك و يستر عليك تلك الوصمة بما يفتح لك من مكّة، فستدخلها من بعد. و لذلك جعله جزاء على جهاده و غرضاً في الفتح. و أمّا قوله: «ما تقدّم» و «ما تأخّر» فلايمتنع أن يريد به ما تقدّم زمانه من فعلهم القبيح بك و بقومك. «و يتمّ نعمته عليك» في الدنيا بإظهارك على عدوّك و في الآخرة برفع محلّك. «و يهديك صراطاً»؛ أي: يثبّتك على صراط يؤدّي بسالكه إلى الجنّة.(٢)

و أمّا لفظ ما تقدّم من الذنب و ما تأخّر، فالذي نقلناه من طريق أهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم أنّ المراد منه: ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر عند أهل مكّة و قريش. يعني ما تقدّم قبل الهجرة وما بعدها. فإنّك إذا فتحت مكّة بغير قتل لهم و لا استئصال و لا أخذهم بما قدّموه من العداوة و القتال، غفروا ما كانوا يعتقدونه ذنباً لك

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٦.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٨ ـ ١٦٩.

عندهم متقدّماً و متأخّراً و ما كان يظهر من عداوته في مقابلة عداوتهم له. فلمّا رأوه قد تحكّم و تمكّن و ما استقصى، غفروا ما ظنّوه من الذنب.(١)

«ليغفر لك الله» ـ الآية. و ذلك أنّ الناس قد علموا عام الفيل أنّ مكّة لا يتسلّط عليها عدوّ لله، فلمّا فتحت للرسول، عرف أنّه حبيب الله المغفور له.(٢)

عن الرضاعليه السلام في قوله: «ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر» قال عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي مكّة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه و آله. لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة و ستّين صنماً، فلمّا جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص، كبر ذلك عليهم و عظم و قالوا: «أ جعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عجاب».(٣) فلمّا فتح الله على يدي نبيّه مكّة قال له: يا محمّد، «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفرلك الله ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر» عند مشركي قريش بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدّم و ما تأخّر. لأنّ مشركي مكّة أسلم بعضهم و خرج بعضهم عن مكّة و من بقي منهم لم يقدر على [إنكار] التوحيد. فصار ذنبه في ذلك عندهم مغفوراً بظهوره عليهم.(٤)

«ليغفرلك الله». علّة للفتح من حيث إنّه مسبّب عن جهاد الكفّار و السعي في إعلاء الدين و إزاحة الشرك و تكميل النفوس الناقصة قهراً ليصير بالتدريج اختياراً و تخليص الضعفة عن أيدي الظلمة. «ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر»؛ أي: جميع ما فرط منك ممّا يصحّ أن تعاتب عليه.(٥)

[٣] «وَ يَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً».

«نصراً عزيزاً». النصر العزيز هو ما يمتنع به من كلّ جبار عنيد.(٦)

١ـ سعد السعود / ٢٠٧ ـ ٢٠٨.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ٥١.
٣ـ ص (٣٨) / ٥.
٤ـ عيون الأخبار ١ / ١٦٠ ـ ١٦١، ح ١.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٧.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٩.

[٤ ـ ٥] «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَ لِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً * لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ كَانَ ذٰلِكَ عِنْدَ اللّٰهِ فَوْزاً عَظِيماً».

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «هو الذي أنزل السكينة» قال: هو الإيمان.(١)

«أنزل السكينة»؛ أي: الثبات و الطمأنينة «في قلوب المؤمنين» حتّى يثبتوا حيث تقلق النفوس و تدحض الأقدام. «إيماناً مع إيمانهم»: يقيناً مع يقينهم برسوخ العقيدة و اطمئنان النفس عليها. أو: نزّل فيها السكون إلى ما جاء به الرسول صلى الله عليه و آله ليزدادوا إيماناً بالشرائع مع إيمانهم بالله و اليوم الآخر. «و لله جنود السموات و الأرض» يدبّر أمرها فيسلّط بعضها على بعض تارة و يوقع فيما بينهم السلم أخرى كما تقتضيه حكمته. «ليدخل المؤمنين». علّة بما بعدها لما دلّ عليه قوله: «و لله جنود السموات و الأرض» من معنى التدبير ـ أي: دبّر ما دبّر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه فيشكروها فيدخلوا الجنّة و يعذّب الكافرين و المنافقين لما غاظهم من ذلك ـ أو فتحنا أو أنزل أو جميع ما ذكر ليزدادوا. «و كان ذلك»؛ أي: الإدخال أو التكفير.(٢)

«و لله جنود السموات و الأرض» من الملائكة و الجنّ و الإنس و الشياطين. و المعنى أنّه لو شاء لأعانكم بهم. و فيه بيان أنّه لو شاء لأهلك المشركين لكنّه عالم بهم و بما يخرج من أصلابهم فأمهلهم لعلمه و حكمته و لم يأمر بالقتال عن عجز و احتياج، لكن ليعرض المجاهدين لجزيل الثواب. «ليدخل المؤمنين». علّة لقوله: «إنّا فتحنا لك».(٣)

[٦] «وَ يُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللّٰهِ ظَنَّ

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٧ ـ ٤٠٨.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٦٩.

السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيراً».

«و يعذّب المنافقين». عطف على يدخل. «ظنّ السوء»: ظنّ الأمر السوء، و هو أن لاينصر رسوله و المؤمنين. «دائرة السوء»: دائرة ما يظنّونه و يتربّصونه بالمؤمنين لايتخطّاهم. قرأ ابن‌كثير و أبوعمرو: «دائرة السوء» بالضمّ، و هما لغتان.[١]

و «ظنّ السوء». هو ظنّهم أنّ النبيّ لايعود إلى موضع ولادته أبداً. و قيل: ظنّهم أن لن يبعث الله أحداً.[٢]

[٧] «وَ لِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً».

«و لله جنود السموات والأرض». إنّما كرّر لأنّ الأوّل متّصل بذكر المؤمنين، أي: فله الجنود التي يقدر أن يعينكم بها، و الثاني متّصل بذكر الكافرين، أي: فله الجنود التي يقدر على الانتقام منهم بها. «عزيزاً». أي في قهره و انتقامه من أعدائه.[٣]

[٨] «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً».

«شاهداً» على أمّتك بما عملوه. أو: شاهداً عليهم بتبليغ الرسالة.[٤]

[٩] «لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً».

«لتؤمنوا بالله». علّة الإرسال. «و تعزّروه»؛ أي: تنصروا النبيّ بالسيف و اللّسان. «وتسبّحوه بكرة و أصيلاً»؛ أي: تصلّوا لله بالغداة و العشيّ. أو: تنزّهوه عمّا لايليق به. و كثير من القرّاء اختاروا الوقف على «توقّروه». لاختلاف الضمير فيه و فيما بعده. و قيل: «و تعزّروه»؛ أي: تنصروا الله. «و توقّروه»؛ أي: تعظّموه. فتكون الكنايات متّفقة.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٧١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٧١.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ١٧١.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٧١.

«لتؤمنوا بالله». [و قرأ] ابن‌كثير و أبوعمرو الأفعال الأربعة بالياء.(١)

[١٠] «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً».

«يبايعونك». هي بيعة الحديبيّة و هي بيعة الرضوان؛ بايعوا رسول الله على الموت. «إنّما يبايعون الله». لأنّ طاعتك طاعة الله. سمّيت بيعة لأنّها عقدت على بيع أنفسهم بالجنّة للزومهم في الحرب النصرة. «يد الله فوق أيديهم»؛ أي: عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم. لأنّهم بايعوا الله ببيعة نبيّه فكأنّهم بايعوه من غير واسطة. و قيل: معناه: قوّة الله في نصرة نبيّه فوق نصرتهم. أي: ثق بنصرة [الله] لك لا بنصرتهم و إن بايعوك. و قيل: نعمة الله عليهم بنبيّه فوق أيديهم بالمبايعة. «فمن نكث»؛ أي: نقض البيعة، فضرره راجع عليه. «عاهد عليه الله» من البيعة.(٢)

الريّان بن شبيب: انّ المأمون لمّا أراد أن يأخذ البيعة لنفسه بإمرة المؤمنين و للرضا عليه السلام بولاية العهد و لفضل بن سهل بالوزارة، فدخل الناس يبايعوه. فكانوا يصفقون بأيمانهم على أيمان الثلاثة من أعلى الإبهام إلى الخنصر حتّى بايع في آخر الناس فتىً من الأنصار فصفق بيمينه من أعلى الخنصر إلى أعلى الإبهام. فتبسّم أبوالحسن عليه السلام ثمّ قال: كلّ من بايعنا بايع بفسخ بيعته غير هذا الفتى فإنّه بايعنا بعقدها. فقال المأمون: فما فسخ البيعة و ما عقدها؟ قال أبوالحسن عليه السلام: عقدها من أعلى الخنصر إلى أعلى الإبهام و فسخها من أعلى الإبهام إلى أعلى الخنصر. فماج الناس في ذلك و أمر المأمون بإعادة الناس على البيعة. فقالوا: كيف يستحقّ الإمامة من لايعرف عقد البيعة؟ إنّ من علم بها أولى. فحمله ذلك على سمّه.(٣)

«إنّ الذين يبايعونك». نزلت في بيعة الرضوان: «لقد رضي الله» ـ الآية ـ و اشترط عليهم أن لاينكروا بعد ذلك على رسول الله شيئاً يفعل و لايخالفوه في شيء يأمرهم به. فقال

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٧١ ـ ١٧٢.
٣ـ عيون الأخبار ٢ / ٢٤٠ ـ ٢٤١، ح ٢.

الله بعد نزول آية الرضوان: «إنّ الذين يبايعونك» ـ الآية. و إنّما رضي عنهم بهذا الشرط أن يفوا بعد ذلك بعهد الله و ميثاقه و لاينقضوا عهده و عقده. فلهذا العقد رضي الله عنهم. فقدّموا في التأليف آية الشرط على بيعة الرضوان. و إنّما نزلت أوّلاً بيعة الرضوان ثمّ آية الشرط عليهم فيها.(١)

[١١] «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً».

«من الأعراب» الذين تخلّفوا عن صحبتك و عمرتك. و ذلك أنّه لمّا أراد المسير إلى مكّة عام الحديبيّة معتمراً ـ و كان في ذي القعدة من سنة ستّ من الهجرة ـ استنفر من حول المدينة من الأعراب إلى الخروج معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو بصدّ و أحرم بالعمرة و ساق الهدي ليعلم أنّه لايريد حرماً، فتتثاقل عنه كثير من الأعراب فقالوا: نذهب معه إلى قوم قدجاؤوا فقتلوا أصحابه. فتخلّفوا عنه و اعتلّوا بالشغل. فقال سبحانه: إنّهم يقولون لك إذا انصرفت إليهم تعاتبهم على التخلّف عنك: «شغلتنا أموالنا» عن الخروج معك. «فاستغفر لنا» في قعودنا عنك. «يقولون بألسنتهم». كذّبهم الله في اعتذارهم بما أخبر عمّا في ضمائرهم. أي لايبالون استغفر لهم النبيّ أم لا. «قل» لهم يا محمّد: «فمن يملك لكم من الله»؛ أي: فمن يمنعكم من عذاب الله؟ و ذلك أنّهم ظنّوا أنّ تخلّفهم يدفع عنهم الضرّ و يعجّل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم و أموالهم فأخبرهم سبحانه أنّه إن أراد بهم ذلك لم يقدروا على دفعه عنهم. «بما تعملون خبيراً»؛ أي: بسبب تخلّفكم.(٢)

حمزة و الكسائيّ: «ضرّاً» بالضمّ.(٣)

«عليه الله» بضمّ الهاء، حفص.(٤)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣١٥.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٧٣ ـ ١٧٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٩.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ٢٦ / ٤٦.

[١٢] «بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَ زُيِّنَ ذٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً».

«بل ظننتم» أنّ العدوّ يستأصلهم فلايرجعون إلى الأهل و الأولاد و زيّن الشيطان ذلك الظنّ في قلوبكم. «و ظننتم ظنّ السوء» في هلاك النبيّ. «قوماً بوراً»؛ أي: هلكى لايصلحون لخير.(١)

[١٣] «وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً».

«سعيراً»؛ أي: [ناراً] تسعرهم و تحرقهم.(٢)

«أعتدنا للكافرين سعيراً». وضع الكافرين موضع الضمير إيذاناً بأنّ من لم‌يجمع بين الله و رسوله فهو كافر و أنّه مستوجب للسعير بكفره. و تنكير سعيراً للتهويل و لأنّها نار مخصوصة.(٣)

[١٤] «وَ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ كَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً».

«و كان الله غفوراً رحيماً». فإنّ الغفران و المغفرة من ذاته و التعذيب داخل تحت قضائه بالعرض. و لذلك جاء في الحديث الإلهيّ: سبقت رحمتي غضبي.(٤)

[١٥] «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً».

«المخلّفون». يعني هؤلاء. «إلى مغانم». يعني غنائم خيبر؛ خصّ الله سبحانه بها من شهد

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٧٤.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٧٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٩.

الحديبيّة. فلمّا انطلقوا إليها، قال هؤلاء المخلّفون: «ذرونا نتّبعكم». فقال سبحانه: «يريدون أن يبدّلوا كلام الله»؛ أي: مواعيده لأهل الحديبيّة لغنيمة خيبر خاصّة بأن يشاركوهم فيها. عن ابن عبّاس. و قيل: أراد أمر الله نبيّه ألّا يسير [معه] منهم أحد. «من قبل»؛ أي: قال الله بالحديبيّة قبل الخيبر و قبل مرجعنا إليكم: إنّ غنيمة خيبر لمن شهد الحديبيّة لايشاركهم أحد. «بل تحسدوننا»؛ أي: يقولون لكم: بل تحسدوننا [أن] نشارككم في الغنيمة. فقال الله: ليس الأمر على ما قالوه. «بل كانوا لا يفقهون» الحقّ و ما تدعونهم إليه إلّا فقهاً قليلاً. و قيل: معناه: إلّا القليل منهم و هم المعاندون.[١]

«أن يبدّلوا كلام الله». و هو وعده لأهل الحديبيّة أن يعوّضهم من مغانم مكّة مغانم خيبر. «إلّا قليلاً»: إلّا فهماً قليلاً و هو فطنتهم لأمور الدنيا.[٢]

«بل كانوا لا يفقهون إلّا قليلاً». فإن قلت: ما الفرق بين حرفي الإضراب؟ قلت: الأوّل إضراب معناه ردّ أن يكون حكم الله أن لايتّبعوهم و إثبات الحسد. و الثاني إضراب عن وصفهم بإضاعة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطمّ منه و هو الجهل و قلّة الفقه.[٣]

[١٦] «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْراً حَسَناً وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً».

«للمخلّفين من الأعراب» الذين تخلّفوا عنك في الخروج إلى الحديبيّة. «ستدعون» فيما بعد «إلى قوم أولي بأس شديد» و هم هوازن و حنين. و قيل: هم بنوحنيفة مع مسيلمة الكذّاب. و قيل: هم أهل صفّين أصحاب معاوية. و الصحيح أنّ الداعي في قوله: «ستدعون» هو النبيّ ﷺ. لأنّه قد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة. «أو يسلمون»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٧٤ ـ ١٧٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٠٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٣٣٨.

إلى أن يسلموا. «فإن تطيعوا»؛ أي: تجيبوا إلى قتالهم. «و إن تتولّوا» عن القتال و تقعدوا عن القتال «كما تولّيتم من قبل» عن الخروج إلى الحديبيّة. عن ابن عبّاس: لمّا خرج رسول الله ﷺ معتمراً، فلمّا بلغ الحديبيّة، وقفت ناقته. فقال ﷺ: حبسها حابس الفيل. فدعا عمر بن الخطّاب ليرسله إلى أهل مكّة ليأذنوا له بأن يدخل مكّة و يحلّ من عمرته و ينحر هديه. فقال: يا رسول الله، ما لي بها من حميم و إنّما أخاف قريشاً. فأرسل عثمان بن عفّان إلى أبي‌سفيان و أشراف قومه يخبرهم أنّه لم‌يأت بحرب و إنّما أتى زائراً لهذا البيت. فاحتبسته قريش عندها. فبلغ رسول الله و المسلمين أنّ عثمان قد قتل. فقال ﷺ: لانبرح حتّى نناجز القوم. و دعا الناس إلى البيعة. فقال إلى الشجرة و استند إليها و بايع ﷺ الناس على أن يقاتلوا المشركين و لايفرّوا. فأتى إليه جماعة من قريش و كتبوا كتاب الصلح على أن يرجع عنهم هذه السنة فإذا كان القابل دخلها بأصحابه من غير سلاح إلى ثلاثة أيّام النسك. فلمّا رجع إلى المدينة، مكث بها عشرين ليلة، ثمّ خرج منها إلى خيبر، و كان بها حصون. و أوّل الفتح أنّ عليّاً قتل مرحباً ثمّ فتح باقي الحصون بالسيف. فلمّا سمع أهل فدك بما قال، أتوا إلى رسول الله يسألونه أن يحقن دماءهم و يخلّون بينه و بين الأموال و صالحهم على أن يعمروها على النصف من حاصلها على أنّه إذا شاء أن يخرجهم أخرجهم منها. فكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ.[1]

«قل للمخلّفين». كرّر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذمّ و إشعاراً بشناعة التخلّف.[2]

[١٧] «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمىٰ حَرَجٌ وَ لَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً».

«ليس على الأعمى حرج» ـ الآية ـ أي: ليس على هؤلاء الثلاثة ضيق في ترك الحضور

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٧٥ ـ ١٨٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤١٠.

مع المؤمنين في الجهاد. «و من يطع الله» في الأمر بالقتال.[١]

[١٨] «لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً».

«إذ يبايعونك». يعني بيعة الحديبيّة. و تسمّى بيعة الرضوان لهذه الآية. و رضا الله سبحانه عنهم هو إرادة تعظيمهم و إثابتهم. و تلك الشجرة كانت شجرة السمرة. «ما في قلوبهم» من صدق النيّة في القتال و الكراهة. لأنّه بايعهم على القتال. و قيل: ما في قلوبهم من اليقين و الصبر و الوفاء. «فأنزل الله السكينة». و هي اللّطف المقوّي لقلوبهم. «فتحاً قريباً». يعني فتح خيبر. عن أكثر المفسّرين. و قيل: فتح مكّة.[٢]

و كان عدد المبايعين ألفاً و خمسمائة و خمسة و عشرين. و قيل: ألفاً و ثلاثمائة. «فأنزل السكينة»؛ أي: الطمأنينة و الأمن بسبب الصلح على قلوبهم.[٣]

في قوله سبحانه: «عن المؤمنين» و لم يقل: عمّن بايعك، أو عن أصحابك، و كذلك في قوله: «إذ يبايعونك» دون أن يقول: لمّا بايعوك، رمز خفيّ بل نصّ ظاهر على خروج بعض من حضر البيعة من المطعون عليهم، أو على أنّه سبحانه إنّما رضي منهم ذلك العمل و لم يحكم عليهم بمطلق الإيمان. و الله سبحانه يحبّ عمل الخير حتّى من الكافر و إن أبغضه. فتأمّل. (من مؤلّف الكتاب علّامة المشارق و المغارب نعمة الله على العالمين السيّد نعمة الله رحمه الله).

[١٩] «وَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَ كَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً».

«و مغانم كثيرة». يعني مغانم خيبر. فإنّها كانت مشهورة بكثرة الأموال و العقار. و قيل: غنائم هوازن بعد فتح مكة. «عزيزاً»؛ أي: غالباً على أمره. «حكيماً» في أفعاله. و لذلك

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٧٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٧٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٣٤٠.

أمر بالصلح و حكم للمسلمين بالغنيمة.[١]

[٢٠] «وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَ لِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَ يَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً».

ثمّ ذكر سبحانه سائر الغنائم التي يأخذونها فيما يأتي من الزمان فقال: «وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها» مع النبيّ ومن بعده إلى يوم القيامة. «فعجّل لكم هذه». يعني غنيمة خيبر. «و كفّ أيدي الناس عنكم». و ذلك أنّ النبيّ لمّا قصد خيبر و حاصر أهلها، همّت قبائل من أسد و غطفان أن يغيروا على أموال المسلمين و عيالهم بالمدينة فكفّ الله أيديهم عنهم بإلقاء الرعب في قلوبهم «و لتكون آية»؛ أي لتكون الغنيمة التي عجّلها الله للمؤمنين آية لهم حيث وعدهم أن يصيبوها فوقع المخبر على وفق الخبر. «و يهديكم صراطاً»؛ أي: يزيدكم هدًى بالتصديق بمحمّد و بما جاء به ممّا ترون عن عدات الله في القرآن بالفتح و الغنيمة.[٢]

[٢١] «وَ أُخْرىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً».

«و أخرى». يعد النبيّ و المؤمنين فتوحاً أخرى. «لم تقدروا عليها» بعد. و قيل: معناه: و قرية أخرى لم تقدروا عليها قد أعدّها الله لكم. و هي مكّة. و قيل: المراد فارس و الروم. لأنّه عليه السلام بشّرهم كنوز كسرى و قيصر وما كانت العرب تقدر على فتح مدائن فارس و الروم حتّى قدروا عليها بالإسلام. «أحاط الله بها»؛ أي: أحاط علماً بها حتّى تفتحوها. فكأنّه قال: حفظها عليكم و منعها من غيركم حتّى تفتحوها.[٣]

[٢٢] «وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَ لَا نَصِيراً».

«الذين كفروا» من أسد و غطفان الذين أرادوا نهب ذراري المسلمين، أو كفّار قريش

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٧٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٧٦ ـ ١٧٧.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٨٦.

يوم الحديبيّة.(١)

[٢٣] «سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً».

«سنّة الله»؛ أي: هذه سنّتي في أهل طاعتي و أهل معصيتي؛ أنصر أوليائي و أعذّب أعدائي. و قيل: معناه: هذه طريقة الله و عادته السالفة أنّ كلّ قوم إذا قاتلوا أنبياءهم انهزموا و قتلوا. «و لن تجد لسنّة الله» في نصرة رسله تغييراً.(٢)

[٢٤] «وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً».

«كفّ أيديهم عنكم» بالرعب «و أيديكم عنهم» بالنهي. «ببطن مكّة». يعني الحديبيّة. ذكر الله منّته على المؤمنين بحجزه بين الفريقين حتّى لم يقتتلا و حتّى اتّفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح.(٣)

«من بعد أن أظفركم عليهم» حتّى طلبوا منكم الصلح من بعد أن كانوا يغزونكم بالمدينة صاروا يطلبون الصلح بعد أن كنتم تطلبون الصلح منهم.(٤)

[٢٥] «هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ الْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَ لَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً».

«و صدّوكم عن المسجد الحرام» أن تطوفوا و تحلّوا من عمرتكم. يعني قريشاً. «و الهدي معكوفاً»؛ أي: و صدّوا الهدي. و هي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ ـ و كانت سبعين

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٨٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٨٧.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ١٨٧.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣١٦.

بدنة ـ حتّى بلغ ذا الحليفة فقلّد البدن و أشعرها و أحرم بالعمرة و نزل الحديبيّة و منعه المشركون و كان الصلح. فلمّا تمّ الصلح، نحروا البدن. فذلك قوله: «معكوفاً»؛ أي: محبوساً عن «أن يبلغ محلّه»؛ أي: منحره. لأنّ هدي العمرة لايذبح إلّا بمكّة كما أنّ هدي الحجّ لايذبح إلّا بمنى. «رجال مؤمنون و نساء». يعني المستضعفين الذين كانوا بمكّة بين الكفّار من أهل الايمان. «لم تعلموهم» بأعيانهم لاختلاطهم بغيرهم. «أن تطؤوهم» بالقتل و توقعوا بهم. «معرّة»؛ أي: إثم و جناية. أو: عيب يعيبكم المشركون بأنّهم قتلوا أهل دينهم. و قيل: هو غرم الدية و الكفّارة في قتل الخطأ. و ذلك أنّهم لو كبسوا مكّة و فيها قوم مؤمنون لم يتميّزوا من الكفّار، لم يأمنوا أن يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفّارة و تلحقهم السيّئة بقتل من على دينهم. فهذه المعرّة التي صان الله المؤمنين عنها. و جواب لولا محذوف. تقديره: لولا المؤمنون الذين لم تعلموهم، لوطأتم رقاب المشركين بنصرنا إيّاكم. «في رحمته من يشاء». يعني من أسلم من الكفّار بعد الصلح. «لو تزيّلوا»؛ أي: لو تميّز الكافرون من المؤمنين، «لعذّبنا الذين كفروا» من أهل مكّة «عذاباً أليماً» بالسيف و القتل بأيديكم، ولكنّ الله يدفع بالمؤمنين عن الكفّار فلحرمة اختلاطهم بهم لم يعذّبهم.(١)

ثمّ أخبر عزّ وجلّ بعلّة الصلح بقوله: «و لولا رجال مؤمنون» ـ الآية. يعني بمكّة. و لولا الصلح و كان الحرب، لقتلوا. و يقال: إنّ ذلك الصلح [كان] أعظم فتحاً على المسلمين من غلبهم. قيل لأبي عبدالله عليه السلام: ألم يكن عليّ عليه السلام قويّاً في بدنه قويّاً في أمر الله؟ فقال: بلى. قال: فما منعه أن يدفع أو يمنع؟ قال: منعه آية من كتاب الله؛ و هي: «لو تزيّلوا لعذّبنا» ـ الآية. إنّه كان لله عزّ و جلّ ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين و منافقين. و لم يكن عليّ عليه السلام ليقتل الآباء حتّى يخرج الودائع. فلمّا خرجت، ظهر على من ظهر و قتله. و كذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتّى تخرج ودائع الله. فإذا خرجت، يظهر على من يظهر فيقتله.(٢)

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٨٧.
٢ـ تفسير القمّي ٢ / ٣١٦ ـ ٣١٧.

[٢٦] «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلَهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً».

«إذ جعل». إذ متعلّق بقوله: «لعذّبنا»؛ أي: أذنّا لك في قتالهم حين جعلوا في قلوبهم الأنفة التي تحمي الإنسان، أي حميت قلوبهم بالغضب. ثمّ فسّر تلك الحميّة فقال: «حميّة الجاهليّة»؛ أي: عاداتهم في الجاهليّة أن لايذعنوا لأحد و لاينقادوا له. و ذلك أنّ كفّار مكّة كانوا يقولون: قتل محمّد آباءنا و إخواننا و يدخلون علينا في منازلنا فتحدّث العرب أنّهم دخلوا علينا على رغم أنفنا. و اللّات و العزّى لايدخلونها علينا. فهذه حميّة الجاهليّة التي دخلت قلوبهم. و قيل: هي أنفتهم من الإقرار بمحمّد و الاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم حيث أراد أن يكتب كتاب العهد فيما بينهم. «كلمة التقوى». و هي قوله: لا إله إلّا الله. «و كانوا أحقّ بها»؛ أي: كان المؤمنون أهل تلك الكلمة و أحقّ بها من المشركين. أو: كانوا أحقّ بنزول السكينة عليهم و أهلاً لها. و قيل: كانوا أحقّ بمكّة أن يدخلوها.[1]

و قوله: «حميّة الجاهليّة» يعني قريشاً حين قالوا لرسول الله ﷺ: لانعرف الرحمن الرحيم، و قولهم: لو علمنا أنّك رسول الله ما حاربناك. فاكتب: محمّد بن عبدالله. «كلمة التقوى». قال: الايمان.[2]

«كلمة التقوى»: ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.[3]

الشحّام قال: قلت للكاظم عليه السلام: الرجل من مواليكم عارف يشرب الخمر و يرتكب الموبق من الذنب نتبرّأ منه؟ فقال: تبرّؤوا من فعله و لاتتبرّؤوا من خيره و أبغضوا عمله. فقلت: يتّسع لنا أن نقول: فاسق فاجر؟ فقال: لا. الفاسق الفاجر الكافر الجاحد لنا و لأوليائنا. أبى الله أن يكون وليّنا فاسقاً فاجراً و إن عمل ما عمل. ولكنّكم قولوا: فاسق

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٨٩ ـ ١٩٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣١٧.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٩٥، عن الرضا عليه السلام.

العمل فاجر العمل مؤمن النفس، خبيث الفعل طيّب الروح و البدن. و لايخرج وليّنا من الدنيا إلّا و نحن عنه راضون، و يحشره الله على ما فيه من الذنوب مبيضّاً وجهه لا خوف عليه و لا حزن. و ذلك أنّه لايخرج من الدنيا حتّى يصفّى من الذنوب إمّا بمصيبة في مال أو في نفس أو ولد أو مرض. و أدنى ما يصنع بوليّنا أن يريه الله رؤيا مهوّلة فيصبح حزيناً لما رآه، فيكون ذلك كفّارة [له]، أو خوفاً يرد عليه من أهل دولة الباطل، أو يشدّ عليه عند الموت فيلقى الله طاهراً من الذنوب آمنة روعته بمحمّد و أميرالمؤمنين. ثمّ يكون أمامه أحد الأمرين: الرحمة الواسعة، أو شفاعة محمّد و أميرالمؤمنين عليهما السلام. فعندها تصيبه رحمة الله الواسعة و كان أحقّ بها و أهلها و له إحسانها و فضلها.(١)

«كلمة التقوى». عنه عليه السلام [عن الله تعالى]: انّ عليّاً الكلمة التي ألزمتها المتّقين.(٢)

[٢٧] «لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً».

«لقد صدق» ـ الآية. قالوا: إنّ الله أرى نبيّه في المنام قبل أن يخرج إلى الحديبيّة أنّ المسلمين دخلوا المسجد الحرام، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا و حسبوا أنّهم يدخلون مكّة عامهم ذلك. فلمّا انصرفوا و لم يدخلوا مكّة، قال المنافقون: ما حلقنا و لا قصّرنا و لا دخلنا المسجد الحرام! فأنزل الله هذه الآية و أخبر أنّه أرى رسوله الصدق في منامه و أنّهم يدخلونه. و أقسم على ذلك فقال: «لتدخلنّ المسجد الحرام». يعني العام المقبل. «إن شاء الله آمنين». استثناء فيما يعلم ليستثني الناس فيما لايعلمون. و قيل: إنّ الاستثناء من الدخول. لأنّ منهم من علم الله أنّه يموت قبل السنة أو يمرض فلايدخلها. فأدخل الاستثناء لئلّايقع في الخبر خلف. و قيل: إنّ الاستثناء داخل في الخوف و الأمن. فأمّا الدخول فلا شكّ فيه. أي:

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٥٩٤.

٢ـ أمالي الصدوق / ٣٨٦، ح ٢٣.

لتدخلنّ المسجد الحرام آمنين من العدوّ إن شاء الله. قيل: إنْ هنا بمعنى إذ. أي: إذ شاء الله حين أرى رسوله ذلك. «محلّقين رؤوسكم و مقصّرين»؛ أي: محرمين يحلق بعضكم و يقصّر بعضكم. «فعلم» من الصلاح في صلح الحديبيّة «ما لم تعلموا». و قيل: علم في تأخير دخول المسجد الحرام من الصلاح ما لم تعلموه أنتم و هو خروج المؤمنين من بينهم. «من دون ذلك»؛ أي: قبل الدخول. «فتحاً قريباً». يعني فتح خيبر. و قيل: يعني صلح الحديبيّة. و كذلك جرى الأمر في عمرة القضاء في السنة التالية للحديبيّة. و هي سنة سبع من الهجرة في ذي القعده؛ و هو الشهر الذي صدّه فيه المشركون. فخرج النبيّ و دخل مكّة مع أصحابه معتمرين و أقاموا بمكّة ثلاثة أيّام ثمّ رجعوا إلى المدينة.[1]

[٢٨] «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً».

«بالهدى»؛ أي: القرآن. أو: الدليل الواضح. «ليظهره على الدين»؛ أي: على جميع الأديان بالبراهين، أو بالغلبة و القهر و الانتشار في البلدان. و قيل: إنّ تمام ذلك عند خروج المهديّ عليه السلام حتّى لايبقى في الأرض دين سوى دين الإسلام. «شهيداً». أي بذلك.[2]

[٢٩] «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَ رِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوىٰ عَلىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً».

«محمّد رسول الله». تمّ الكلام هاهنا ثمّ أثنى على المؤمنين فقال: «و الذين معه اشدّاء»

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٩٠ ـ ١٩١.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٩١ ـ ١٩٢.

ـ الآية. محمّد مبتدأ، و رسول الله عطف بيان، و الذين معه عطف على محمّد، و أشدّاء خبر محمّد. وقيل: محمّد مبتدأ، و رسول الله خبره، و الذين معه مبتدأ و ما بعده خبر. «ركّعاً سجّداً». إخبار عن كثرة صلاتهم. «سيماهم في وجوههم»؛ أي: علاماتهم يوم القيامة أن يكون مواضع سجودهم كالقمر ليلة البدر. و قيل: هو التراب على الجباه لأنّهم يسجدون على التراب لا على الأثواب. و قيل: هو الصفرة و النحول. قال الحسن: إذا رأيتهم [حسبتهم] مرضى و ما هم بمرضى. «في التوراة». يعني أنّ ما ذكر من وصفهم هو ما وصفوا به في التوراة. ثمّ ذكر نعتهم في الإنجيل: «كزرع أخرج شطأه»؛ أي: فراخه. و قيل: ليس بينهما وقف. أي: مثلهم في التوراة و مثلهم في الإنجيل كزرع. «فآزره»؛ أي: أعانة و قوّاه. يعني أنّ هذه الأفراخ لحقت الأمّهات حتّى صارت مثلها. «فاستغلظ»؛ أي: غلظ. «على سوقه»؛ أي: قصبه و أصوله، فاستوى الصغار مع الكبار. و السوق: جمع الساق. و المعنى أنّه تناهى و بلغ الغاية. ابن كثير: «شطأه» بفتح الطاء، و الباقون بسكونها. و ابن عامر: «فأزره» بقصر الهمزة، و الباقون بالمدّ. «كزرع أخرج شطأه». قال الواحديّ: هذا مثل ضربه الله تعالى لمحمّد [و أصحابه. فالزرع محمّد] و الشطء أصحابه و المؤمنون حوله. و كانوا في ضعف و قلّة كما يكون أوّل الزرع دقيقاً [ثمّ غلظ] و قوي و تلاحق. و كذلك المؤمنون قوّى بعضهم بعضاً حتّى استغلظوا و استووا على أمرهم. «ليغيظ بهم الكفّار». و إنّما كثّرهم الله و قوّاهم ليكونوا غيظاً للكافرين باتّفاقهم على الطاعة.(١)

«سيماهم». و هي السمة التي تحدث في جبهة السجّاد من كثرة السجود. «من أثر السجود»؛ أي: من التأثير الذي يؤثّره السجود كما كان لعليّ بن الحسين عليه السلام. «ذلك» الوصف «مثلهم»؛ أي: وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعاً. ثمّ ابتدأ فقال: «كزرع». يريد: هم كزرع. و قيل: تمّ الكلام عند قوله: «ذلك مثلهم في التوراة» ثمّ ابتدأ: «و مثلهم في الإنجيل كزرع». و يجوز أن يكون ذلك إشارة مبهمة أوضحت بقوله: «كزرع أخرج شطأه».

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٩٢ و ١٨٩.

كقوله تعالى: «و قضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين».[١] و قيل: مكتوب في الإنجيل: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع؛ يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر.[٢]

«سيماهم». عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «سيماهم في وجوههم». قال: هو السهر في الصلاة.[٣]

عن ابن‌عبّاس في قوله: «كزرع أخرج شطأه» قال: أصل الزرع عبد المطّلب، و شطؤه محمّد. و «يعجب الزرّاع». قال: عليّ بن أبي‌طالب.[٤]

«شطأه». يعني فلاناً. «فآزره». يعني فلاناً.[٥]

«وعد الله» ـ الآية. عن ابن‌عبّاس قال: سئل النبيّ عن هذه الآية فيمن نزلت، فقال: إذا كان يوم القيامة، عقد لواء من نور أنور و نادى مناد: ليقم سيّد المؤمنين و معه الذين آمنوا و قد بعث الله محمّداً.[٦] فيقوم عليّ عليه السلام فيعطى اللّواء من النور الأبيض بيده تحته جميع السابقين الأوّلين من المهاجرين و الأنصار لايخالطهم غيرهم حتّى يجلس على منبر من نور ربّ العزّة و يعرض الجميع عليه رجلاً رجلاً فيعطى أجره و نوره. فإذا أتي على آخرهم قيل لهم: قد عرفتم منازلكم من الجنّة. إنّ ربّكم يقول لكم: عندي لكم مغفرة و أجر عظيم. يعني الجنّة. فيقوم عليّ و القوم تحت لوائه حتّى يدخل الجنّة. ثمّ يرجع إلى منبره و لايزال يعرض عليه جميع المؤمنين فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنّة و يترك أقواماً إلى النار ـ الحديث.[٧]

١ـ الحجر (١٥) / ٦٦.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

٣ـ الفقيه ١ / ٢٩٩، ح ١٣٦٩.

٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٠٠.

٥ـ لم نجده في المصادر.

٦ـ المصدر: ... الذين آمنوا بعد بعث محمّد.

٧ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٣٨٧.

٤٩.
سورة الحجرات

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الحجرات في كلّ ليلة و في كلّ يوم، كان من زوّار محمّد.[١]

و عنه صلى الله عليه و آله: من قرأ سورة الحجرات، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ من أطاع الله و رسوله.[٢]

الحجرات: إذا علّقت في مكان، لم يقربه شيطان.[٣] و إن شربت المرأة ماءها، درّ لبنها.

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

عن أبي جعفر عليه السلام: ما سلّت السيوف و لا أقيمت الصفوف في صلاة و لا جهر بأذان و لا أنزل الله «يا أيّها الذين آمنوا» حتّى أسلم أبناء قبيلة الأوس و الخزرج. «لا تقدّموا بين يدي الله و رسوله». أي لا تعجلوا بالأمر دونه. و قيل: معناه: لا تقدّموا أعمال الطاعة قبل الوقت الذي أمر الله و رسوله؛ حتّى قيل: إنّه لا يجوز تقديم الزكاة قبل وقتها. و قيل: معناه: لا تمكّنوا أحداً يمشي أمام رسول الله، بل كونوا له تبعاً و أخّروا أقوالكم و أفعالكم عن قوله و فعله. و قيل: نزل في قوم ذبحوا الأضحيّة قبل العيد فأمرهم رسول الله بالإعادة. و قال ابن عبّاس: نهوا أن يتكلّموا قبل كلامه. أي: إذا كنتم جالسين في مجلس فسئل عن مسألة

١ـ المصباح / ٥٩٢.
٢ـ المصباح / ٥٩٢.
٣ـ المصباح / ٦١١. و ما يأتي بعده لا يوجد في المصدر.

فلاتسبقوه بالجواب. و الأولى حمل الآية على الجميع.[١]

«و لاتقدّموا». معنى القراءة المشهورة: لاتقدّموا أمراً على ما أمركم الله به. فالمفعول محذوف. يعقوب بفتح التاء و الدال.[٢]

[و في قوله تعالى:] «لاتقدّموا» من غير ذكر مفعول وجهان: أن يحذف ليتناول كلّ ما يقع في النفس ممّا تقدّم، و أن لايقصد قصد مفعول و لا حذفه و يتوجّه بالنهي إلى نفس التقدمة؛ كأنّه قيل: لاتقدّموا على التلبّس بهذا الفعل. و يجوز أن يكون من قدّم بمعنى تقدّم.[٣]

«لاتقدّموا بين يدي الله». نزلت في وفد بني تميم كانوا إذا قدموا على رسول الله وقفوا على باب حجرته فنادوا: يا محمّد، اخرج إلينا. و إذا خرج إليهم، تقدّموه في المشي و إذا كلّموه رفعوا أصواتهم فوق صوته و يقولون: يا محمّد، يا محمّد، ما تقول في كذا؟ كما يكلّم بعضهم بعضاً.[٤]

[٢] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ».

«أصواتكم». لأنّه إمّا نوع استخفاف به، و هو الكفر، و إمّا سوء الأدب و هو خلاف التعظيم المأمور به. «و لاتجهروا له بالقول»؛ أي: غضّوا أصواتكم عند مخاطبتكم إيّاه. و قيل: معناه: لاتقولوا له: يا محمّد، كما يخاطب بعضكم بعضاً، بل خاطبوه بالتعظيم بأن تقولوا: يا رسول الله. «أن تحبط»؛ أي: لأن تحبط. و قال أصحابنا: إنّ المعنى في قوله: «أن تحبط أعمالكم» أنّه يحبط ثواب ذلك العمل. لأنّهم لو أوقعوه على وجه التعظيم، لاستحقّوا الثواب، فلمّا فعلوه خلاف ذلك الوجه، استحقّوا العقاب و فاتهم الثواب فانحبط عملهم.[٥]

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٩٥.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٩٤.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٣٤٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣١٨.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ١٩٦.

«أعمالكم». منصوب الموضع على أنّه مفعول له. و في متعلّقه وجهان: أحدهما أن يتعلّق بمعنى النهي فيكون المعنى: انتهوا عمّا نهيتم عنه لحبوط أعمالكم؛ أي: لخشية حبوطها، على تقدير [حذف] المضاف. و الثاني أن يتعلّق بنفس الفعل و يكون المعنى أنّهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لأجل الحبوط. لأنّه لمّا كان بصدد الأداء إلى الحبوط، جعل كأنّه فعل لأجله. و قد دلّت الآية على أمرين هائلين: أحدهما أنّ فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله. و الثاني أنّ في آثامه ما لايدري أنّه محبط و لعلّه عند الله كذلك. فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لايزال يتحرّز و يتوقّى.(١)

[٣] «إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ».

«عند رسول الله»؛ أي: في مجلسه، إجلالاً له. «امتحن الله قلوبهم»؛ أي: اختبرها فأخلصها للتقوى. مأخوذ من امتحان الذهب بالنار حتّى يذهب غشّه و يبقى خالصه.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام في حديث ذكر فيه وفاة الحسن عليه السلام و ما كان من الحميراء عند ذلك، و فيه قال الحسين عليه السلام: و قد قال الله: «يا أيّها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ». و لعمري، لقد ضربتي لأبيك و فاروقه عند أذن رسول الله المعاول. و قال الله: «الذين يغضّون أصواتهم» ـ الآية. و لعمري، لقد أدخل أبوك و فاروقه على رسول الله بقربهما منه الأذى و ما رعيا من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله: إنّ الله حرّم من المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياء.(٣)

[٤] «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ».

«ينادونك من وراء الحجرات». و هم الجفاة من بني تميم لم يعلموا في أيّ هجرة هو فكانوا

١ـ الكشّاف ٤ / ٣٥٤ ـ ٣٥٥. ٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٩٦.
٣ـ الكافي ١ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣، ح ٣.

يطوفون على الحجرات و ينادونه. أبوجعفر: «الحـجرات» بـفتح الجـيم. «لايـعقلون». إذ لم يعرفوا مقدار ما يستحقّه من التعظيم، فهم بمنزلة البهائم.(۱)

[۵] «وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«لكان خيراً لهم» من أن ينادوك من وراء الحجرات في دينهم بما يحرزونه من الثواب و في دنياهم باستعمالهم حسن الأدب في مخالطة الأنبياء. و قيل: معناه: لأطلقت أسراهم من غير فداء. فإنّ رسول الله كان سبى قوماً من بني‌العنبر فجاؤوا في فدائهم فأعتق نصفهم و فادى النصف. فيقول: و لو أنّهم صبروا، لكنت تعتق كلّهم. «و الله غفور رحيم» لمن تاب منهم.(۲)

[۶] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ».

«إن جاءكم» ـ الآية. نزل في الوليد بن عقبة؛ بعثه رسول الله في صدقات بني‌المصطلق، فخرجوا يتلقّونه فرحاً به. و كانت بينهم عداوة في الجاهليّة، فظنّ أنّهم همّوا بقتله. فرجع إلى رسول الله و قال: إنّهم منعوا صدقاتهم. و كان الأمر بخلافه. فغضب رسول الله و همّ أن يغزوهم. فنزلت الآية. «بنبأ»؛ أي: خبر عظيم الشأن. «فتبيّنوا» صدقه من كذبه و لاتبادروا إلى العمل بخبره. «أن تصيبوا»: حذراً من أن تصيبوا قوماً في أنفسهم و أموالهم بغير علم بحالهم و ما هم عليه من الطاعة. «نادمين» لايمكنكم تداركه. و فيه دلالة على أنّ خبر الواحد لايوجب العلم و لا العمل. لأنّ المعنى: إن جاءكم من لاتأمنون أن يكون خبره كذباً، فتوقّفوا فيه. و هذا التعليل موجود في خبر يجوز فيه الكذب. و قد استدلّ بعضهم بالآية على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلاً، من حيث إنّ الله أوجب التوقّف في خبر الفاسق فدلّ على أنّ خبر العدل لايجب التوقّف فيه. و هذا لايصحّ. لأنّ دليل الخطاب

۱ـ مجمع البيان ۹ / ۱۹۷ و ۱۹٤.

۲ـ مجمع البيان ۹ / ۱۹۷.

لايعوّل [عليه] عندنا و عند أكثر المحقّقين.[١]

«إن جاءكم فاسق». نزلت في الوليد بن عقبة أخي عثمان لأمّه. و هو الذي ولّاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقّاص فصلّى بالناس و هو سكران صلاة الفجر أربعاً ثمّ قال: هل أزيدكم؟ فعزله عثمان. و[٢] لمّا كان رسول الله و الذين معه بالمنزلة التي لايجسر أحد أن يخبرهم بكذب و ماكان يقع مثل ما فرط من الوليد إلّا في الندرة، قيل: «إن جاءكم» بحرف الشكّ. و فيه أنّ على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلّا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور.[٣]

«إن جاءكم فاسق بنبأ» ـ الآية. نزلت في مارية القبطيّة أمّ إبراهيم. و ذلك أنّ عائشة قالت لرسول الله: إنّ إبراهيم ليس هو منك. و إنّما هو من جريج القبطيّ يدخل إليها في كلّ يوم. فغضب رسول الله و قال لأميرالمؤمنين عليه السلام: خذ السيف و ائتني برأس جريج. فقال: يا رسول الله، إذا بعثتني في أمرك أكون فيه كالسفّود المحماة في النار[٤]. فكيف تأمرني هنا؟ أتثبّت فيه أم أمضي على ذلك؟ فقال: بل تثبّت. فجاء أميرالمؤمنين إلى مشربة أمّ إبراهيم. فلمّا نظر إليه جريج، هرب منه [و صعد النخلة]. فقال له أميرالمؤمنين: انزل. فقال له: يا عليّ اتّق الله ما هاهنا بأس[٥]. إنّي مجبوب. ثمّ كشف عورته فإذا هو مجبوب. فأتى به رسول الله فقال: يا رسول الله، القبط مجبوب. فقال له: ما شأنك يا جريج؟ فقال: يا رسول الله، إنّ القبط يجبّون حشمهم و من يدخل إلى أهليهم. و القبطيّون لايأنسون إلّا بالقبطيّين. فبعثني أبوها لأدخل عليها و أخدمها و أونسها. فأنزل الله: «يا أيّها الذين» ـ الآية.[٦]

أقول: إن صحّ هذا الخبر، فلعلّه إنّما بعث عليّاً عليه السلام ليظهر الحقّ و يصرف السوء و كان قد علم أنّه لايقتله بمحض دخولها. (حسن)

١ـ مجمع البيان ٩ / ١٩٨ ـ ١٩٩.

٢ـ في النسخة زيادة: إنّما قال إن جاءكم.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

٤ـ المصدر: الوبر.

٥ـ المصدر: أناس.

٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣١٨ ـ ٣١٩.

حمزة و الكسائيّ: «فتثبّتوا»؛ أي: فتوقّفوا إلى أن يظهر لكم الحال.(١)

[٧] «وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيَانَ أُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ».

«فيكم رسول الله». فاتّقوا أن تكذبوه. فإنّ الله يخبره بذلك فتفتضحوا. و قيل: معناه: و اعلموا بما أخبر الله من كذب الوليد. «لعنتّم»؛ أي: لوقعتم في العنت، و هو الإثم و الهلاك. «و زيّنه في قلوبكم» بالألطاف الداعية إليه. «و الفسوق»؛ أي: الخروج عن الطاعة. و قيل: هو الكذب. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. «أولئك». يعني الذين وصفهم بالإيمان و زيّنه في قلوبهم. «هم الراشدون»؛ أي: المهتدون إلى محاسن الأمور.(٢)

و عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «حبّب إليكم الإيمان و زيّنه في قلوبكم»: يعني أميرالمؤمنين عليه السلام. «كرّه إليكم الكفر و الفسوق و العصيان»: الأوّل و الثاني و الثالث.(٣)

[٨] «فَضْلاً مِنَ اللهِ وَ نِعْمَةً وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«فضلاً». تعليل لكرّه أو حبّب وما بينهما اعتراض.(٤)

[٩] «وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

«فأصلحوا بينهما». لا دلالة فيه على أنّهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان و يطلق عليهما هذا الاسم. و لايمتنع أن يفسق إحدى الطائفتين أو يفسقا جميعاً. «فإن بغت» كأن طلبت ما

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤١٦.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ١٩٩ ـ ٢٠٠.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣١٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤١٦.

لايجوز لها. «تفيء إلى أمر الله»: ترجع إلى طاعة الله و تترك قتال الطائفة المؤمنة. «المقسطين»؛ أي: العادلين. و هذه الآية نزلت في الأوس و الخزرج وقع بينهما قتال بالسعف و النعال.(١)

«فأصلحوا بينهما» بالنصح و الدعاء إلى حكم الله. «يحبّ المقسطين» يحمد فعلهم بحسن الجزاء.(٢)

فإن قلت: ما وجه قوله: «اقتتلوا» و القياس اقتتلتا؟ قلت: هو حمل على المعنى دون اللّفظ لأنّ الطائفتين بمعنى القوم و الناس.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «وإن طائفتان» ـ الآية ـ: إنّما جاء تأويل هذه الآية يوم البصرة وهم أهل هذه الآية. و هم الذين بغوا على أميرالمؤمنين و كان الواجب عليه قتالهم و قتلهم حتّى يفيئوا إلى أمر الله. و لو لم يفيئوا، لكان الواجب عليه فيما أنزل الله أن لايرفع عنهم السيف حتّى يرجعوا عن رأيهم. لأنّهم بايعوه طائعين غير مكرهين، و هي الفئة الباغية. فكان الواجب على أميرالمؤمنين أن يعدل فيهم حيث كان ظفر بهم، كما عدل رسول الله في أهل مكّة. إنّما هو منّ عليهم و عفا. و كذلك صنع أميرالمؤمنين بأهل البصرة حيث ظفر بهم حذو النعل بالنعل.(٤)

[١٠] «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ».

«بين أخويكم»؛ أي: بين كلّ رجلين تقاتلا و تخاصما. و معنى الاثنين يأتي على الجمع لأنّ تأويله: بين كلّ أخوين. و سمّى المؤمنين إذا كانوا متّفقين في دينهم إخوة لاتّفاقهم في الدين و رجوعهم إلى أصل النسب لأنّهم لأمّ واحدة و هي حوّاء.(٥)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٠٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٣٦٤.
٤ـ الكافي ٨ / ١٨٠، ح ٢٠٢.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٠٠.

[١١] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَ لَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَ لَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَ لَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

ثمّ نهى سبحانه عن أسباب الفرقة فقال: «لايسخر». السخريّة: الاستهزاء. و القوم يقع على الرجال دون النساء لقيام بعضهم مع بعض في الأمور و لأنّهم قوّامون على النساء. أي: لايسخر غنيّ من فقير لفقره. و لو سخر مؤمن من كافر احتقاراً له، لم يكن مأثوماً. «و لاتلمزوا أنفسكم»؛ أي: لايطعن بعضكم على بعض. لأنّ المؤمنين كنفس واحدة. و الهمز لايكون إلّا باللّسان. و اللّمز يكون بالعين و اللّسان و الإشارة. و [قيل:] اللّمز: العيب في المشهد. و الهمز: العيب في المغيب. «بالألقاب». و هو كلّ اسم إذا دعي به كرهه. و قيل: هو قوله: يا كافر، يا فاسق، يا منافق. و قيل: كان اليهوديّ و النصرانيّ يسلم فيقال له بعد ذلك: يا يهوديّ و يا نصرانيّ. [فنهوا عن ذلك.] أو أن يعيّر الإنسان بما فعل من القبيح بعد التوبة. «بئس الاسم الفسوق بعد الايمان»؛ أي: بئس الاسم أن يقول له: يا يهوديّ و يا نصرانيّ، و قد آمن. أي: بئس الشيء أن تسمّوه باسم الفسوق ـ يعني الكفر ـ بعد الايمان. و قيل: معناه: بئس الشيء اكتساب اسم الفسوق باغتياب المسلمين. «و من لم يتب» من التنابز و المعاصي. «الظالمون» أي نفوسهم باستحقاق العقاب.(١)

«لايسخر قوم» ـ الآية. نزلت في صفيّة بنت حييّ بن أخطب و كانت زوجة رسول الله. و ذلك أنّ عائشة و حفصة كانتا يؤذيانها و يشتمانها و يقولان لها: يا بنت اليهوديّة! فشكتها إلى رسول الله. فقال لها: ألاتجيبينهما؟ فقالت: بماذا يا رسول الله؟ قال لها: قولي: إنّ أبي هارون نبيّ الله، و عمّي موسى كليم الله، و زوجي محمّد رسول الله. فما تنكران منّي؟ فقالت لهما. فقالتا: هذا ممّا علّمك رسول الله. فأنزل الله: «ياأيّها الذين آمنوا» ـ إلى آخرها.(٢)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥. ٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢١ ـ ٣٢٢.

[١٢] «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ لَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ».

«كثيراً من الظنّ». و هو أن يظنّ بأهل الخير سوءاً. فأمّا أهل السوء و الفسق، فلنا أن نظنّ بهم ما ظهر منهم. و قيل: أن يظنّ بأخيه المسلم سوءاً. فلا بأس به ما لم يتكلّم به. فإذا تكلّم بذلك الظنّ، فهو آثم. و قوله: «إنّ بعض الظنّ إثم» يعني ما أعلنه ممّا ظنّه بأخيه. و قيل: إنّما قال: «كثيراً» لأنّ بعض الظنّ ما يجب العمل عليه و إنّما يكون إثماً إن كان طريق إلى العلم بدله. و الظنّ المحمود مثل قوله: «لولا اذ سمعتموه ظنّ المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيراً».[١] «تجسّسوا»؛ أي: تتبّعوا عثرات المؤمنين و عيوبهم لتهتكوا العيوب التي سترها أهلها. «أن يأكل لحم أخيه». يعني أنّ ذكرك بالسوء من لم يحضرك، بمنزلة أن تأكل لحمه و هو ميّت. « فكرهتموه». أي كأنّهم قالوا: لا، فقيل: فكرهتموه. أي: فكما كرهتم لحمه ميتاً، فاكرهوا غيبته حيّاً. «و اتّقوا الله». معطوف على هذا الفعل المقدّر.[٢]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه. فأمّا الأمر الظاهر فيه ـ مثل الحدّة و العجلة ـ فلا. و البهتان أن تقول فيه ما ليس فيه.[٣]

و عنه صلى الله عليه و آله: من اغتاب مسلماً، بطل صومه و نقض وضوءه، و جاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة يتأذّى به أهل الموقف. و من مات قبل أن يتوب، مات مستحلاً لما حرّم الله عزّ و جلّ. و من ردّ غيبة عن أخيه، ردّ الله عنه ألف باب من الشرّ في الدنيا و الآخرة. فإن هو لم يردّها و هو قادر على ردّها، كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرّة.[٤]

و روي أنّ أبابكر و عمر بعثا سلمان إلى رسول الله ليأتي لهما بطعام. فبعثه إلى أسامة بن

١ـ النور (٢٤) / ١٢.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦.
٣ـ الكافي ٢ / ٣٥٨، ح ٧.
٤ـ الفقيه ٤ / ٨ ـ ٩، ح ١.

زيد ـ و كان خازن رحل رسول الله ـ فقال: ما عندي شيء. فعاد إليهما. فقالا: بخل أسامة. و لو بعثنا سلمان إلى بئر سمحة[١] لغار ماؤها. ثمّ انطلقا إلى رسول الله، فقال: ما لي أرى خضرة اللّحم في أفواهكما؟ قالا: يا رسول الله، ما تناولنا اليوم لحماً. قال: ظللتم [تأكلون] لحم سلمان و أسامة. فنزلت الآية.[٢]

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك منه. و لاتظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً و أنت تجد لها في الخير محملاً.[٣]

و قال عليه السلام: و الذي لا إله إلّا هو، ما أعطي مؤمن قطّ خير الدنيا و الآخرة إلّا بحسن ظنّه بالله و رجائه و حسن خلقه و الكفّ عن اغتياب المؤمنين.[٤]

و قال عليه السلام: إذا استولى الصلاح على الزمان و أهله، ثمّ أساء رجل الظنّ برجل لم يظهر منه خزيه، فقد ظلمه. و إذا استولى الفساد على الزمان و أهله، ثمّ أحسن رجل الظنّ برجل، فقد غرر.[٥]

و قال النبيّ صلى الله عليه و آله: إيّاكم و الغيبة. فإنّ الغيبة أشدّ من الزنى. لأنّ صاحب الزنى يتوب فيتوب الله عليه و صاحب الغيبة يتوب فلايتوب الله عليه حتّى يكون صاحبه الذيّ يحلّه.[٦]

و يستثنى من الغيبة المحرّمة أمور تسعة. الأوّل: المتظلّم عند من يرجو إزالة ظلم إذا نسب من ظلمه إلى الآثام. و الأحوط الاقتصار بقدر الحاجة. الثاني: الاستعانه على تغيير المنكر و ردّ العاصي إلى منهج الصلاح. الثالث: الاستفتاء. كما يقول للمفتي: ظلمني أبي و أخي، فكيف طريقي في الخلاص؟ الرابع: تحذير المسلم من الوقوع في الخطر و الشرّ و نصح المستشير. كما إذا رأيت رجلاً يتردّد إلى فاسق يخفى أمره و خفت عليه بسبب الصحبة الوقوع فيما لايوافق الشرع، فلك أن تنبّهه على فسقه. الخامس: الجرح و التعديل للشاهد و

١ـ المصدر: سميحة.
٢ـ جوامع الجامع / ٤٥٩.
٣ـ الكافي ٢ / ٣٦٢.
٤ـ الكافي ٢ / ٧١.
٥ـ نهج البلاغة / ٤٨٩.
٦ـ وسائل الشيعة ١٢ / ٢٨٤.

راوي الحديث. السادس: أن يكون المقول فيه متظاهراً به كالفاسق المتظاهر بفسقه. السابع: أن يكون الإنسان معروفاً باسم يعرب عن عيبه كالأعرج و الأعمش و الأشتر. الثامن: شهود الزنى و الحدّ و التعزير. التاسع: إذا علم المحكيّ له المعصية. لأنّ حكايتها له لا يؤثّر. و فيه تخصيص للعمومات من غير حجّة فيما أعلم. (من الكفاية. نقله ح.)

[١٣] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ».

«من ذكر و أنثى»: من آدم و حوّاء. يعني أنّكم متساوون في النسب. «شعوباً»: جمع شعب و هو الحيّ العظيم مثل مضر و ربيعة. «و قبائل». هي دون الشعب كبكر من ربيعة و تميم من مضر. هذا قول أكثر المفسّرين. سمّيت بذلك لتشعّبها و تفرّقها. «لتعارفوا»؛ أي: يعرف بعضكم بعضاً بنسبه و قومه و أبيه و أمّه لا لتتفاخروا. و روي أنّ رجلاً سأل عيسى عليه السلام: أيّ الناس أفضل؟ فأخذ قبضتين من التراب ثمّ قال: أيّ هاتين أفضل؟ الناس خلقوا من تراب. فأكرمهم أتقاهم.[١]

الشعب: الطبقة الأولى من الطبقات الستّ التي عليها العرب؛ و هي: الشعب، و القبيلة، و العمارة، و البطن، و الفخذ، و الفصيلة. فالشعب يجمع القبائل، و القبيلة يجمع العمائر، و العمارة يجمع البطون، و البطن يجمع الأفخاذ، و الفخذ يجمع الفصائل. خزيمة شعب. و كنانة قبيلة. و قريش عمارة. و قصيّ بطن. و هاشم فخذ. و العبّاس فصيلة.[٢]

عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم» قال: أعملكم بالتقيّة.[٣]

[١٤] «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ إِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَ رَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧. ٢ـ الكشّاف ٤ / ٣٧٤.

٣ـ كمال الدين / ٣٧١، ح ٥.

«قالت الأعراب». و هم قوم من بني‌أسد أتوا النبيّ في سنة جدبة و أظهروا الإسلام و لم يكونوا مؤمنين في السرّ إنّما كانوا يطلبون الصدقة. و المعنى أنّهم قالوا: صدّقنا بما جئت به، فأمره سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون معجزة له. «قل لم تؤمنوا»؛ أي: لم تصدّقوا في الباطن حقيقة. «ولكن قولوا أسلمنا»؛ أي: انقدنا و استسلمنا مخافة السبي و القتل. ثمّ بيّن سبحانه أنّ الايمان محلّه القلب و اللّسان. قال: «و لمّا يدخل الإيمان في قلوبكم»؛ أي: لم تصدّقوا بعد ما أسلمتم تعوّذاً من القتل. فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر. و الذي يظهر الإسلام تعوّذاً من القتل غير مؤمن في الحقيقة إلّا أنّ حكمه في الظاهر حكم المسلمين. «لا يلتكم»؛ أي: لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً. لات يليت؛ أي: نقص. أهل البصرة: «لا يألتكم» بالألف.(١)

«و لمّا يدخل». توقيت لقولوا. فإنّه حال من ضميره. أي: ولكن قولوا أسلمنا و لم تواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد.(٢)

[١٥ ـ ١٦] «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * قُلْ أَ تُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَ اللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«إنّما المؤمنون». نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام.(٣)

«لم يرتابوا»؛ أي: لم يشكّوا في دينهم بعد الايمان. «هم الصادقون» في أقوالهم دون من يقول ما ليس في قلبه. فلمّا نزلت الآيتان، أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله يحلفون أنّهم مؤمنون صادقون في دعواهم الايمان، فأنزل الله: «قل أتعلّمون الله بدينكم»؛ أي: إنّه عالم بذلك فلا يحتاج إلى إخباركم به. و هذا استفهام إنكار و توبيخ. أي: كيف تعلّمون الله بدينكم و الله يعلم ما في السموات و ما في الأرض؟(٤)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨ و ٢٠٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤١٨.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٢.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

«ثمّ لم يرتابوا». فإن قلت: ما معنى ثمّ و هي للتراخي و عدم الارتياب يجب أن يكون مقارناً للإيمان لأنّه وصف فيه لما بيّنت من إفادة الإيمان معنى الثقة و الطمأنينة التي حقيقتها التيقّن و انتفاء الريب؟ قلت: الجواب على طريقين. أحدهما: انّ من وجد منه الإيمان، ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلّين فشكّكه و قذف في قلبه ما يثلم يقينه ثمّ يستمرّ على ذلك لايطلب له مخرجاً. فوصف المؤمنون حقّاً بالبعد عن هذه الموبقات. و نظيره قوله: «ثمّ استقاموا».(١) و الثاني: انّ الإيقان و زوال الريب لمّا كان ملاك الإيمان، أفرد بالذكر بعد تقدّم الإيمان، تنبيهاً على مكانه. و عطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعاراً باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضّاً جديداً.(٢)

[١٧] «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«يمنّون عليك». كانوا يقولون: آمنّا بك من غير قتال و قاتلك بنو فلان. فقال: يمنّون عليك بأن أسلموا. «إن كنتم صادقين» في ادّعائكم الإيمان.(٣)

و قوله: «يمنّون عليك أن أسلموا» نزلت في عثمان يوم الخندق. و ذلك أنّه مرّ بعمّار بن ياسر و هو يحفر الخندق و قد ارتفع الغبار من الحفرة، فوضع كمّه على أنفه و مرّ. فقال عمّار:

لايستوي من يعمر المساجد | فيصلّي فيها راكعاً و ساجداً
كمن يمرّ بالغبار حائلاً(٤) | يعرض عنه جاحداً معانداً

فالتفت إليه عثمان فقال: يابن السوداء، إيّاي تعني؟ ثمّ أتى رسول الله فقال: لم ندخل معك لتسبّ أعراضنا! فقال رسول الله: قد أقلتك إسلامك. فاذهب. فأنزل الله: «يمنّون» ـ الآية. أي ليسوا صادقين.(٥)

١ـ فصّلت (٤١) / ٣٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٣٧٧.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٠٩.
٤ـ المصدر: حائداً.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

و عن جابر قال: كنت عند رسول الله و قد حفر الناس و حفر عليّ عليه السلام. فقال النبيّ: بأبي من يحفر و جبرئيل يكنس التراب بين يديه و يعينه ميكائيل و لم يكن يعين قبله أحداً من الخلق. ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعثمان بن عفّان: احفر. فغضب عثمان و قال: لا يرضى محمّد أن أسلمنا على يده حتّى يأمرنا بالكدّ! فأنزل الله على نبيّه: «يمنّون» ـ الآية.(١)

[١٨] «إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

ابن كثير: «يعملون» بالياء.(٢)

١ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٠٧ ـ ٦٠٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٠٨.

٥٠.
سورة ق

عن أبي جعفرعليه السلام: من أدمن في فرائضه و نوافله سورة ق، وسّع الله في رزقه و أعطاه كتابه بيمينه و حاسبه حساباً يسيراً.(١)

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، هوّن الله عليه سكرات الموت.(٢)

ق: من كتبها في صحيفة و محاها بماء المطر و شربها الخائف و الولهان و الشاكي بطنه و فمه، زال ألمه. و إذا غسل بمائها فم الطفل الصغير، خرجت أسنانه بغير ألم.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ».

«ق». إنّه اسم من أسماء الله. عن ابن‌عبّاس. و قيل: هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمرّدة خضراء خضرة السماء منها. و قيل: معناه: قضي الأمر، أو قضي ما هو كائن. «المجيد»: أي: الكريم على الله. و الجواب محذوف. أي: إنّكم مبعوثون. أو: انّ محمّداً رسول الله.(٤)

«ق». قيل: قسم، و هو من أسماء الله. و جوابه: «قد علمنا». (تفسير م ح)

«ق»: أي: قادر قاهر، و نحو ذلك من أسماء الله ممّا أوّله ق.(٥)

عن الصادق عليه السلام: و أمّا «ق» فهو الجبل المحيط بالأرض و خضرة السماء منه. و به يمسك الأرض أن تميد بأهلها.(٦)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٠.
٢ـ المصباح / ٥٩٢.
٣ـ المصباح / ٦١١.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢١١.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ٢٦ / ١٠٥.
٦ـ معاني الأخبار / ٢٢ ـ ٢٣، ح ١.

«ق». جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج و مأجوج. و هو قسم.(١)

و عن أبي جعفرعليه السلام قال: «عسق» عدد سني القائم. و «ق» جبل محيط بالدنيا من زمرّدة خضراء. فخضرة السماء من ذلك الجبل. و علم عليّعليه السلام كلّه في «عسق».(٢)

[٢ ـ ٣] «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ».

«بل عجبوا أن جاءهم»؛ أي: ما كذّبك قومك لأنّك كاذب، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم و حسبوا أنّه لايوحى إلّا إلى ملك. «عجيب». عجبوا من كون محمّد رسولاً إليهم فأنكروا رسالته و أنكروا البعث. و قالوا: «أإذا متنا و كنّا تراباً» أنردّ أحياء؟ «ذلك»؛ أي: الردّ. «بعيد» عن الأوهام.(٣)

«بل عجبوا». إنكار لتعجّبهم ممّا ليس بعجب و هو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم و قد عرفوا عدالته و أمانته و من كان على صفته لم‌يكن إلّا ناصحاً. و إنكار لتعجّبهم ممّا أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله على خلق السموات و الأرض و ما بينهما و إقرارهم بالنشأة الأولى.(٤)

«فقال الكافرون». نزلت في أبيّ بن خلف؛ قال لأبي جهل: تعال إليّ لأعجبك من محمّد. ثمّ أخذ عظماً ففتّه ثمّ قال: يا محمّد، تزعم أنّ هذا يحيى؟ فقال الله: «بل كذّبوا بالحقّ» ـ الآية.(٥)

[٤] «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ».

«ما تنقص الأرض»: تأكل الأرض «منهم»: من لحومهم و دمائهم و تبليه من عظامهم،

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٣.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦٨.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢١١ ـ ٢١٢.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٣٧٩.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٣.

فلايتعذّر علينا ردّهم. «كتاب حفيظ»؛ أي: حافظ لعدّتهم و أسمائهم. و هو اللّوح المحفوظ. و قيل: حفيظ؛ أي: محفوظ من البلى و الدروس. و هـو كـتاب الحـفظة الذيـن يكـتبون أعمالهم.(١)

«قد علمنا». قيل: إنّه جواب القسم. و اللّام محذوف لطول الكلام.(٢)

«ما تنقص الأرض» أي: تأكله من لحومهم. و عنهﷺ: كلّ ابن آدم يبلى إلّا عـجب الذنب. و قيل: ما تنقص الأرض ما يموت فيدفن في الأرض منهم. «حفيظ»؛ أي: محفوظ من الشياطين و من التغيّر. و هو اللّوح المحفوظ. أو: حافظ لما أودعه و كتب فيه.(٣)

[٥] «بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ».

«بالحقّ»؛ أي: القرآن، أو الرسول. «مريج»؛ أي: مختلط. فمرّة قالوا مجنون، و تارة قالوا شاعر، و مرّة قالوا [ساحر]، فتحيّروا في أمرهم لجهلهم بحاله و لم يثبتوا على شيء واحد. و قالوا للقرآن إنّه سحر [مرّة] و مفترًى [مرّة]. قيل: ما ترك قوم الحقّ إلّا مرج أمرهم.(٤)

«بل كذّبوا». إضراب أتبع الإضراب الأوّل للدلالة على أنّهم جاؤوا بما هو أفظع مـن تعجّبهم و هو التكذيب بالحقّ الذي هو النبوّة من غير تفكّر و لا تدبّر.(٥)

[٦] «أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ زَيَّنَّاهَا وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ».

«أ فلم ينظروا إلى السماء». دليل على كونه قادراً على البعث. أي: ألم يـتفكّروا في بـناء السماء و حسن ترتيبها؟ «و زيـنّاها» بالكواكب. «فروج»؛ أي: شقوق و فتوق. و قـيل: معناه: ليس فيها تفاوت و اختلاف.(٦)

«من فروج»؛ أي: فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق.(٧)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٢.
٢ـ ض ٢ / ٤٢٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٣٨٠.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٢.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٣٨٠.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٣.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢١.

«من فروج»؛ أي: من فتوق. يعني أنّها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها و لا صدع و لا خلل. كقوله: «هل ترى من فطور»[١].[٢]

[٧] «وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ».

«مددناها»؛ أي: بسطناها. «رواسى»؛ أي: جبالاً رواسخ يمسكها عن الميدان. «زوج بهيج»؛ أي: من كلّ صنف حسن المنظر.[٣]

[٨] «تَبْصِرَةً وَ ذِكْرىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ».

«تبصرة و ذكرى»؛ أي: فعلنا ذلك تبصرة لأمر الدين و تذكيراً «لكلّ عبد» راجع إلى الله.[٤]

[٩] «وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ».

«جنّات»؛ أي: بساتين فيها أشجار. «و حبّ الحصيد»؛ أي: حبّ البرّ و الشعير و كلّ ما يحصد لأنّ من شأنه إذا تكامل أن يحصد.[٥]

عنه صلى الله عليه و آله: إنّ الله أهبط آدم إلى الأرض فكانت السماء رتقاً لاتمطر و كانت الأرض رتقاً لاتنبت. فلمّا تاب الله عزّ و جلّ على آدم، أمر السماء فقطرت بالغمام، ثمّ أمر الأرض فأنبتت الأشجار.[٦]

و عن أبي جعفر عليه السلام: كانت السماء رتقاً لاتنزل المطر. و كانت الأرض رتقاً لاتنبت الحبّ. فلمّا خلق الله الخلق و بثّ فيها من كلّ دابّة، فتق السماء بالمطر و الأرض بالنبات و الحبّ.[٧]

١ـ الملك (٦٧) / ٣.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٣٨١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٣.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٣.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٣.
٦ـ الكافي ٨ / ١٢١، ح ٩٣.
٧ـ الكافي ٨ / ٩٥، ح ٦٧.

[١٠] «وَ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ».

«و النخل»؛ أي: و أنبتنا به النخل «باسقات»؛ أي: طويلات عاليات. «نـضيد»؛ أي: نضد بعضه على بعض. و هو نضيد في أكمامه، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد.[١]

[١١] «رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ».

«رزقاً»؛ أي: أنبتنا هذه الأشياء للرزق. و أحيينا بذلك الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة قحطاً لاتنبت شيئاً. «الخروج» من القبور. أي: مثل ما أحيينا هذه الأرض الميتة بالماء، نحيي الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم. فإنّ من قدر على أحدهما، قدر على الآخر. و إنّما دخلت الشبهة على هؤلاء من حيث إنّهم رأوا العادة مستمرّة في إحياء الموتى من الأرض بنزول المطر و لم تجر العادة بإحياء الموتى من البشر. و لو أمعنوا النظر، علموا أنّه لا تفاوت بينهما.[٢]

[١٢] «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحَابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ».

«كذّبت». تسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله و تهديد للكفّار. «قوم نوح». فأغرقهم الله. «و أصـحاب الرسّ». و هم أصحاب البئر التي رسّوا نبيّهم فيها حتّى قتلوه. و قيل: كان سحق النساء في أصحاب الرسّ. و روي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام. «و ثمود». و هم قوم صالح.[٣]

[١٣] «وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوَانُ لُوطٍ».

«و عاد». و هم قوم هود. «و فرعون» كذّب موسى. «و إخوان لوط» كـذّبوا لوطاً. و سمّاهم إخوانه لكونهم من نسبه.[٤]

[١٤] «وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَ قَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٣.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٤.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٥.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٥.

«و أصحاب الأيكة»: قوم شعيب. «و قوم تبّع» الحميريّ. «كلّ» من هؤلاء المذكورين كذّب المبعوث إليهم، فوجب عليهم عذابي الذي وعدتهم به فأنتم ـ معاشر العرب ـ مثلهم.[١]

[١٥] «أَ فَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ».

ثمّ قال سبحانه جواباً لقولهم: «ذلك رجع بعيد»: «أ فعيينا بالخلق الأوّل» حين خلقناهم من غير شيء؟ فكيف نعجز عن بعثهم و إعادتهم؟ و هذا تقرير لهم لأنّهم اعترفوا بأنّ الله هو الخالق ثمّ أنكروا البعث. «بل هم في لبس»؛ أي: في شكّ من البعث بعد الموت.[٢]

عن جابر بن يزيد قال: سألت أباجعفر عليه السلام عن قول الله: «أ فعيينا بالخلق الأوّل» ـ الآية. قال: تأويل ذلك ـ يا جابر ـ أنّ الله إذا أفنى هذا الخلق و هذا العالم و أسكن أهل الجنّة الجنّة و أهل النار النار، جدّد الله عالماً غير هذا العالم و جدّد خلقاً من غير فحولة و لا إناث يعبدونه و يوحّدونه و خلق لهم أرضاً غير هذا الأرض تحملهم و سماء غير هذه السماء تظلّهم. لعلّك ترى أنّ الله إنّما خلق هذا العالم الواحد و ترى أنّ الله لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى و الله لقد خلق ألف ألف عالم و ألف ألف آدم و أنت في أواخر تلك العوالم و أولئك الآدميّين.[٣]

«بل هم في لبس من خلق جديد»؛ أي: هم لاينكرون قدرتنا على الخلق الأوّل، بل هم في خلط و شبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة.[٤]

[١٦] «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ».

«و لقد خلقنا الإنسان». المراد به الجنس يعني ابن آدم. «و نعلم» ما يحدّث به قلبه. «و

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٥.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٥ ـ ٢١٦.
٣ـ التوحيد / ٢٧٧، ح ٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢١.

نحن أقرب إليه» بالعلم «من حبل الوريد». و هو عرق يتفرّق في البدن يخالط الإنسان في جميع أعضائه. و قيل: هو عرق في الحلق. و قيل: في القلب. يعني: نحن أقرب إليه من قلبه.(١)

[١٧] «إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ».

ثمّ ذكر سبحانه أنّه مع علمه به، وكّل به ملكين يحفظان عليه عمله إلزاماً للحجّة فقال: «إذ يتلقّى المتلقّيان». و هما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه. «عن اليمين»؛ أي: عن اليمين قعيد «و عن الشمال قعيد». و أراد بالقعيد هاهنا الملازم الذي لا يبرح لا ضدّ القائم. و قيل: عن اليمين كاتب الحسنات، و عن الشمال كاتب السيّئات. و قيل: الحفظة أربعة؛ ملكان بالنهار، و ملكان باللّيل.(٢)

«إذ يتلقّى». مقدّر باذكر. أو متعلّق بأقرب. أي: هو أعلم بحاله من كلّ قريب حين يتلقّى الحفيظان ما يتلفّظ به. و فيه إيذان بأنّه غنيّ عن استحفاظ الملكين فإنّه أعلم منهما و مطّلع على ما يخفى عليهما.(٣)

عنه صلى الله عليه و آله أنّه سئل عن العبد كم معه ملك؟ فقال صلى الله عليه و آله: ملك على يمينك يكتب حسناتك. وملك على شمالك يكتب السيّئات. و ملكان بين يديك و من خلفك. يقول الله: «له معقّبات من بين يديه ومن خلفه».(٤) و ملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك و إذا تجبّرت لله فضحك. و ملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلّا الصلاة على محمّد. و ملك قائم على فيك لا يدع أن تدبّ الحيّة في فيك. و ملكان على عينيك. فهذه عشرة أملاك على كلّ آدم ملائكة اللّيل على ملائكة النهار لأنّ ملائكة اللّيل سوى ملائكة النهار. فهؤلاء عشرون. و إبليس بالنهار و ولده باللّيل. قال الله: «و إنّ عليكم لحافظين». و قال: «إذ يتلقّى المتلقّيان» ـ الآية.(٥)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢٢.
٤ـ الرعد (١٣) / ١١.
٥ـ سعد السعود / ٢٢٥.

[١٨] «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ».

«ما يلفظ»؛ أي: ما يتكلّم بكلام فيرميه من فيه إلّا لديه حافظ حاضر. يعني الملك ـ إمّا صاحب اليمين و إمّا صاحب الشمال ـ يحفظ عمله لا يغيب عنه. و عنه ﷺ: صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال. فإذا عمل حسنة، كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها. و إذا عمل سيّئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها، قال له صاحب اليمين: أمسك. فيمسك عنه سبع ساعات. فإن استغفر الله منها، لم يكتب عليه شيء. و إن لم يستغفر، كتب عليه واحدة. و في الحديث أنّه إذا مات، قال الملكان: يا ربّ قد قبضت عبدك فلاناً. فإلى أين؟ قال: سمائي مملوّة بملائكتي و يعبدونني. و أرضي مملوّة بخلقي يطيعونني. اذهبا إلى قبر عبدي إلى يوم القيامة.(١)

[١٩] «وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ».

«سكرة الموت»: شدّته التي تغلب عقل الإنسان. «بالحقّ» حتّى عرفه صاحبه. و قيل: المراد بالحقّ الموت. «ذلك»؛ أي: الموت الذي كنت تهرب منه.(٢)

[٢٠] «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ ذٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ».

«يوم الوعيد»؛ أي: وقوع الوعيد الذي خوّف به عباده ليستعدّوا للعمل.(٣)

[٢١] «وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ».

«و جاءت كلّ نفس». يعني يوم الوعيد. «سائق» من الملائكة يحثّها على السير إلى الحساب. «و شهيد» يشهد عليها بما يعلم من حالها و كتبه عليها. فلا يجد إلى الهرب و لا إلى الجحود سبيلاً. و قيل: السائق من الملائكة. و الشهيد الجوارح.(٤)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٧.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٩.

«سائق» يسوقها إلى محشرها يشهد عليها بعملها.(١)

أبوعبدالله عليه السلام: كم بينك و بين البصرة؟ قلت: على الظهر ثمان. قال: ما أقرب هذا! قال: تزاوروا و تعاهدوا بعضكم بعضاً. فإنّه لابدّ يوم القيامة من أن يأتي كلّ إنسان بشاهد يشهد له على دينه.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: السائق أميرالمؤمنين. و الشهيد رسول الله صلى الله عليه وآله.(٣)

عن عليّ عليه السلام: ما من يوم يمرّ على ابن آدم إلّا قال له: أنا يوم جديد. و أنا عليك شهيد. فاعمل فيّ خيراً، أشهد به لك يوم القيامة. فإنّك لاتراني بعد هذا أبداً.(٤)

[٢٢] «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ».

«لقد كنت»؛ أي: يقال له: لقد كنت. «في غفلة»؛ أي: سهو و نسيان. «من هذا» اليوم في الدنيا. «غطاءك» الذي كان في الدنيا يغشى قلبك و سمعك و بصرك حتّى ظهر لك الأمر. و إنّما تظهر الأمور في الآخرة بما يخلق الله من العلوم الضروريّة فيهم فيصير بمنزلة كشف الغطاء لما يرى. و يراد به جميع المكلّفين. «فبصرك اليوم»؛ أي: فعينك اليوم حادّة النظر لايدخل عليها شكّ و لا شبهة. و قيل: المراد البصيرة بمعنى العلم لا بصر العين. و قيل: هو خاصّ في الكافر. أي: فأنت اليوم تعلم بما كنت تنكره في الدنيا.(٥)

[٢٣] «وَ قَالَ قَرِينُهُ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ».

«قرينه». يعني الملك الشهيد عليه. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: قرينه من الإنس. «هذا ما لديّ». إن كان المراد به الملك الشهيد، فمعناه: هذا حسابه حاضر لديّ في هذا الكتاب. أي يقول لربّه: كنت وكّلتني به. فما كتبت من عمله حاضر عندي. و إن كان

١ـ نهج البلاغة / ١١٦، الخطبة ٨٥.
٢ـ الكافي ٨ / ٣١٥ـ٣١٦، ح ٤٩٦.
٣ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٠٩، ح ٢.
٤ـ الفقيه ٤ / ٢٨٤، ح ٨٤٥.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢١٩ ـ ٢٢٠.

المراد من الإنس، فالمعنى: هذا العذاب حاضر عندي معدّ لي بسبب سيّئاتي.[1]

[٢٤] «أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ».

«ألقيا». هذا خطاب لخازن النار. قيل: للملكين الموكّلين به و هما السائق و الشهيد. و عن أبي‌سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله: إذا كان يوم القيامة، يقول الله لي و لعليّ عليه السلام: ألقيا في النار من أبغضكما و أدخلا الجنّة من أحبّكما. و ذلك قوله: «ألقيا في جهنّم».[2]

[٢٥] «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ».

«منّاع للخير» الذي أمر الله من بذل المال في وجوهه. «معتد»؛ أي: ظالم متجاوز عن حدود الله. «مريب»؛ أي: شاكّ في الله و فيما جاء من عند الله. قيل: نزلت في الوليد بن مغيرة حين استشاره بنو أخيه في الإسلام فمنعهم.[3]

«منّاع للخير». قال: المنّاع الثاني. و الخير ولاية عليّ و حقوق آل محمّد عليهم السلام. و لمّا كتب الأوّل كتاب فدك يردّها على فاطمة، منعه الثاني، فهو معتد مريب.[4]

[٢٦] «الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ».

«إلهاً آخر» من الأوثان و الأصنام. «فألقياه في العذاب». تأكيد لما تقدّم.[5]

«إلهاً أخر». قال: هو ما قالوا نحن كافرون بمن جعل لكم الإمامة و الخمس.[6]

[٢٧] «قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَ لٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ».

«قرينه»؛ أي: شيطانه الذي أغواه. عن ابن‌عبّاس. سمّي قرينه لأنّه يقرن به في العذاب. و قيل: قرينه من الإنس و هم علماء السوء و المتبوعون. «ما أطغيته»؛ أي: ما أوقعته في

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٠.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٠.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٦.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٠.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٦.

الطغيان و الضلال باستكراه، ولكنّه «كان في ضلال» من الايمان «بعيد» و طغى باختياره السوء. و هذا مثل قوله: «و ماكان لي عليكم سلطان» الآية[۱].[۲]

قوله: « قال قرينه»؛ أي: شيطانه و هو الثاني. «ما أطغيته». يعني الأوّل. فيقول الله: «لاتختصموا لديّ».[۳]

[۲۸] «قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ».

«لاتختصموا لديّ»؛ أي: فيقول الله لهم: لايخاصم بعضكم بعضاً عندي. «و قد قدّمت إليكم بالوعيد» في دار الدنيا فخالفتم أمري.[٤]

[۲۹] «مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

«ما يبدّل القول لديّ»؛ أي: إنّ الذي قدّمت لكم من أنّي أعاقب من جحدني و كذّب رسلي، لايبدّل بغيره و لايكون خلافه. و لست أظلم أحداً في عقابي بل هو الظالم لنفسه.[۵]

[۳۰] «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ».

«و تقول هل من مزيد». هذا القول إمّا بلسان الحال أو المقال، أو هو خطاب للخزنة و كذا الجواب. نافع و أبوبكر: «يقول» بالياء.[٦]

«هل امتلأت». استفهام. لأنّ الله وعد النار أن يملأها. فتمتلئ النار فيقول لها: هل امتلأت؟ و تقول: هل من مزيد؟ على حدّ الاستفهام. أي: ليس فيّ مزيد. قال: فتقول الجنّة: يا ربّ وعدت النار أن تملأها و وعدتني أن تملأني. فلم لاتملؤني كما ملأت النار؟ فيخلق الله يومئذ خلقاً فيملأ بهم الجنّة. قال أبوعبدالله عليه السلام: طوبى لهم؛ لم‌يروا غموم الدنيا و همومها.[۷]

۱ـ إبراهيم (۱٤) / ۲۲.

۲ـ مجمع البيان ۹ / ۲۲۰.

۳ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۳۲٦.

٤ـ مجمع البيان ۹ / ۲۲۰.

۵ـ مجمع البيان ۹ / ۲۲۰.

٦ـ مجمع البيان ۹ / ۲۲۱ و ۲۱۸.

۷ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۳۲٦.

«يوم نقول». منصوب بظلّام أو باذكر أو أنذر مقدّراً. و سؤال جهنّم و جوابها من التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب. و فيه معنيان: أحدهما أنّها تمتلئ مع اتّساعها و تباعد أطرافها حتّى لايسعها شيء و لايزاد على امتلائها؛ لقوله: «لأملأنّ جهنّم».[١] و الثاني أنّها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها و فيها موضع للمزيد. أو يكون طلباً للزيادة غيظاً على العصاة.[٢]

و في حديث الوسيلة أنّ رضوان يأتي بمفاتيح الجنّة و مالك بمفاتيح النار يدفعانها إلى رسول الله فيدفعها النبيّ ﷺ إلى عليّ ﷺ فيقعد على شفير النار و يقول: يا نار، هذا لي و هذا لك.[٣]

[٣١] «وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ».

«و أزلفت الجنّة»؛ أي: زيّنت. «غير بعيد»؛ أي: بسرعة.[٤]

«غير بعيد». نصب على الظرف ـ أي: مكاناً غير بعيد ـ أو على الحال و تذكيره لأنّه على زنة المصادر و المصادر يستوي في الوصف بها المذكّر و المؤنّث.[٥]

[٣٢] «هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ».

«هذا ما توعدون». جملة اعتراضيّة. «لكلّ أوّاب». بدل من قوله: «للمتّقين» بتكرير الجارّ. و هذا إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت. و الأوّاب: الرجّاع إلى ذكر الله. و الحفيظ: الحافظ لحدوده.[٦]

[٣٣ ـ ٣٤] «مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وَ جَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ».

١ـ هود (١١) / ١١٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٣٨٨ ـ ٣٨٩.
٣ـ انظر: بحارالأنوار ٧ / ٣٢٧.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٧.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٣٨٩.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٣٨٩.

«من خشي». بدل بعد بدل تابع لكلّ. و يجوز أن يكون مبتدأ خبره: يقال لهم: «ادخلوها بسلام»، لأنّ «من» في معنى الجمع. و يجوز أن يكون منادًى. «بالغيب». حال من المفعول. أي خشيه و هو غائب لم يعرف كونه معاقباً إلّا بطريق الاستدلال. أو صفة لمصدر خشي. أي: خشيه خشية متلبّسة بالغيب حيث خشي عقابه و هو غائب. أو: خشيه في الخلوة حيث لايراه أحد. «المنيب»: الراجع إلى الله.(١)

[٣٥] «لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ».

«و لدينا مزيد»؛ أي: و عندنا زيادة على كلّ ما يشاؤونه ممّا لايخطر ببالهم و لاتبلغه أمانيّهم. و قيل: هو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم.(٢)

«و لدينا مزيد». قال: النظر إلى رحمة الله.(٣)

و عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ المزيد هو أنّه في كلّ يوم جمعة يزاد على ما أعطاه سبعين ضعفاً فمن ثمّ ورد الأمر بالذكر فيها.(٤)

[٣٦] «وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ».

ثمّ خوّف سبحانه كفّار مكّة فقال: «و كم أهلكنا»؛ أي: كثيراً أهلكنا قبل هؤلاء من القرون الذين كذّبوا رسلهم كانوا أشدّ قوّة من هؤلاء و أكثر عدّة. «فنقّبوا في البلاد» بشدّة بطشهم. أصله من النقب و هو الطريق. و قيل: معناه: ساروا في البلاد و طافوا بها بقوّتهم و سلكوا كلّ طريق و سافروا في أعمار طويلة. «محيص» من الموت. أي: لم يجدوا ملجأ و مهرباً.(٥)

١ـ الكشّاف ٤ / ٣٨٩ ـ ٣٩٠.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٤.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٧.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٦٩.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٤.

«فنقّبوا في البلاد»: جالوا في الأرض كلّ مجال. و قيل: الضمير في نقّبوا لأهل مكّة. أي: ساروا في أسفارهم في بلاد القرون. فهل رأوا لهم محيصاً حتّى يتوقّعوا مثله لأنفسهم؟ (١)

[٣٧] «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ».

«إنّ في ذلك»؛ أي: فيما قصصته. «لذكرى»؛ أي: ما يعتبر به و يتفكّر فيه. «قلب»؛ أي: عقل. «و هو شهيد» لما يسمع فيفقهه غير غافل عنه. قال ابن‌عبّاس: كان المنافقون يجلسون عند رسول الله ثمّ يخرجون فيقولون: ماذا قال آنفاً؟ ليس قلوبهم معهم. و قيل: هو شهيد على صفة النبيّ في الكتب السالفة. يريد أهل الكتاب.(٢)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: و إنّي مخصوص في القرآن بأسماء. احذروا أن تغلبوا عليها فتضلّوا في دينكم. أنا ذوالقلب. يقول الله: «إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب» ـ الآية.(٣)

[٣٨] «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ».

روي أنّ اليهود سألت النبيّ صلى الله عليه و آله عن خلق السموات و الأرض، فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد و الاثنين. و خلق الجبال و ما فيهنّ يوم الثلثاء، و يوم الأربعاء الشجر و الماء و المدائن و العمران و الخراب، و يوم الخميس السماء، و يوم الجمعة النجوم و الشمس و القمر و الملائكة. قالت اليهود: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ استوى على العرش. قالوا: قد أصبت لو أتممت. قالوا: ثمّ استراح. فغضب النبيّ غضباً شديداً فنزل: «و لقد خلقنا السموات» ـ الآية.(٤)

عبدالله بن سلام(٥) أنّه سأل رسول الله فقال: أخبرني عن أوّل يوم خلق الله. قال: يوم الأحد. قال: و لم سمّي يوم الأحد؟ قال: لأنّه واحد محدود. قال: فالاثنين؟ قال: هو يوم

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢٤.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥.
٣ـ معاني الأخبار / ٥٩، ح ٩.
٤ـ روضة الواعظين ٢ / ٣٩٤.
٥ـ المصدر: يزيد بن سلام.

الثاني. قال: فالثلثاء؟ قال: الثالث من الدنيا. قال: فالأربعاء؟ قال: الرابع من الدنيا. قال: فالخميس؟ قال: هو يوم الخامس من الدنيا. و هو يوم أنيس لعن فيه إبليس و رفع فيه إدريس. قال: فالجمعة؟ قال: هو يوم مجموع له الناس. و ذلك يوم مشهود. و هو شاهد و مشهود. قال: فالسبت؟ قال: يوم مسبوت. و ذلك قوله: «و لقد خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما في ستّة أيّام» و السبت معطّل. قال: صدقت يا محمّد.[١]

ذكر عليّ بن إبراهيم في تفسيره: انّ الله خلق الجانّ و هو أبو الجنّ يوم السبت، و الأرض يوم الأحد، و دوابّ البحر و البرّ يوم الاثنين ـ و هما اليومان اللّذان أشار سبحانه إليهما بقوله: «خلق الأرض في يومين»[٢] ـ و الشجر و نبات الأرض و الأنهار و ما فيها و الهوامّ يوم الثلثاء و الطير يوم الأربعاء، و الملائكة يوم الخميس، و آدم يوم الجمعة. و ذكر ابن الجوزيّ أنّ النبيّ ولد يوم الاثنين، و بعث يوم الاثنين، و قبض يوم الاثنين، و خرج من مكّة يوم الاثنين، و دخل المدينة يوم الاثنين. و هو ثاني أيّام الدنيا. الأربعاء يحمد للعلوم و الحكمة و الكتابة و الاستحمام. و عن النبيّ: ما من أمر بدئ فيه يوم الأربعاء إلّا و قد تمّ. و هو مشؤوم عندهم خصوصاً الذي لايدور. انتهى.[٣] يعنى أربعاء آخر الشهر. لأنّ أكثر بلاد فارس ما يكسبون فيه لتطيّرهم منه لا سيّما أربعاء صفر و المحرّم.

«لغوب»؛ أي: نصب و تعب. أكذب الله بهذا اليهود. فإنّهم قالوا: استراح الله يوم السبت فلذلك لانعمل فيه شيئاً.[٤]

[٣٩] «فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ».

«فاصبر على ما يقولون» من كذبهم وقولهم انّك ساحر أو مجنون. و احتمل ذلك حتّى يأتي الله بالفرج. و هذا قبل أن أمر بالقتال. «و سبّح بحمد ربّك»؛ أي: و صلّ بحمد الله. سمّى

١ـ علل الشرائع / ٤٧١، ح ٣٣.
٢ـ فصّلت (٤١) / ٩.
٣ـ المصباح / ٥١٦ و ٥١٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٥.

الصلاة تسبيحاً لأنّ الصلاة تشتمل على التسبيح و التحميد. و قيل: أراد بالتسبيح تنزيه الله عمّا لايليق به. «قبل طلوع الشمس و قبل الغروب». يعني صلاة الفجر و صلاة الظهر و العصر.[١]

[٤٠] «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ أَدْبَارَ السُّجُودِ».

«و من اللّيل[٢] فسبّحه». يعني صلاة المغرب و العشاء. [و قيل: «و من اللّيل» يعني صلاة اللّيل و يدخل فيه صلاة المغرب و العشاء.] و روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سئل عن قوله: «و سبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس و قبل الغروب» فقال: تقول حين تصبح و حين تمسي عشر مرّات: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له. له الملك. و له الحمد. يحيي و يميت و يميت و يحيي. و هو على كلّ شيء قدير. قرأ أهل الحجاز و حمزة: «إدبار» بكسر الهمزة.[٣]

عن الرضا عليه السلام عن قول الله: «و من اللّيل فسبّحه و أدبار السجود» قال: أربع ركعات المغرب.[٤]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: الركعتان اللّتان بعد المغرب هما أدبار السجود.[٥]

[٤١] «وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ».

«يوم ينادي المناد». قال: ينادي المناد باسم القائم و اسم أبيه عليهما السلام.[٦]

[٤٢] «يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ».

«يوم يسمعون الصيحة». قال: صيحة القائم من السماء. و «ذلك يوم الخروج». قال: هي الرجعة.[٧]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٥.

٢ـ في النسخة زيادة: «يعني صلاة اللّيل».

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٥ و ٢٢٢.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٧.

٥ـ قرب الإسناد / ٦١.

٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٧.

٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٧.

[٤٣] «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ إِلَيْنَا الْمَصِيرُ».

«نحيي و نميت». أخبر سبحانه عن نفسه أنّه الذي يحيي الخلق بعد أن كانوا جماداً أمواتاً، ثمّ يميتهم بعد أن كانوا أحياء، ثمّ يحييهم يوم القيامة و هو قوله: «و إلينا المصير».[١]

[٤٤] «يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ».

«يوم تشقّق»؛ أي: تتشقّق و تتصدّع فيخرجون منها «سراعاً» يسرعون إلى الداعي بلا تأخير. «ذلك حشر». و الحشر: الجمع بالسوق من كلّ جهة. «علينا يسير»؛ أي: سهل غير شاقّ هيّن غير متعذّر مع تباعد ديارهم و قبورهم.[٢]

«يوم تشقّق الأرض». قال: في الرجعة.[٣]

[٤٥] «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ».

«بجبّار»؛ أي: بمسلّط قادر على قلوبهم فتجبرهم على الإيمان. و قيل: معناه: ما أنت عليهم بفظّ غليظ لاتحلم عنهم. فاحتمل أذاهم. قال تغلب: جاءت أحرف على فعّال بمعنى مفعل، مثل درّاك بمعنى مدرك و سرّاع بمعنى مسرع و سقّاط بمعنى مسقط. و قيل: جبّار من جبرته على الأمر بمعنى أجبرته. و هي لغة كنانة. «فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد». إنّما خصّ بالذكر من يخاف وعيد الله لأنّه الذي ينتفع به.[٤]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٦.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٢٧.

۵۱. سورة الذاريات

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ ريح جرت و هبّت في الدنيا.[۱]

و عن الصادق عليه السلام: من قرأها في يومه أو ليلته، أصلح الله له معيشته ـ الخبر.[۲]

الذاريات: إذا علّقت على من تطلق، وضعت سريعاً.[۳]

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الذاريات في يومه أو ليلته، أصلح الله له معيشته و أتاه برزق واسع و نوّر له قلبه بسراج يزهر إلى يوم القيامة.[٤]

[۱] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ الذَّارِيَاتِ ذَرْواً».

«و الذاريات»: الرياح تذرو التراب و تهشم النبات؛ أي: تفرّقه.[۵]

«و الذاريات»: النساء الولود. فإنّهنّ يذرين الأولاد.[٦]

[۲] «فَالحامِلَاتِ وِقْراً».

«فالحاملات»: السحاب تحمل ثقلاً من الماء من بلد إلى آخر. و الوقر ـ بالكسر: ثقل الحمل على ظهر أو بطن.[۷]

۱ـ المصباح / ۵۹۲.

۲ـ المصباح / ۵۹۲.

۳ـ المصباح / ٦۱۱.

٤ـ مجمع البيان ۹ / ۲۲۸.

۵ـ مجمع البيان ۹ / ۲۳۰.

٦ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٤۲۷.

۷ـ مجمع البيان ۹ / ۲۳۰.

[٣] «فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً».

«فالجاريات»؛ أي: السفن تجري ميسّرة على الماء جرياً سهلاً إلى حيث سيّرت. و قيل: هي النجوم السبعة السيّارة.(١)

[٤] «فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً».

«فالمقسّمات» من الملائكة يقسّمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به. أقسم الله بهذه الأشياء لما فيها من المنافع و لما تضمّنته من الدلالة على الوحدانيّة و بدائع الصنع.(٢)

و قال الرضاعليه السلام في قول الله: «فالمقسّمات أمراً» قال: الملائكة تقسّم الأرزاق بين بني آدم ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. فمن نام بينهما، نام عن رزقه.(٣)

[٥] «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ».

«إنّ ما توعدون». هو المقسم عليه. أي: إنّ ما توعدون من الثواب و العقاب و الجنّة و النار «لصادق»: واقع البتّة.(٤)

عن أبي جعفرعليه السلام: «إنّ ما توعدون لصادق». يعني في عليّعليه السلام.(٥)

عن أبي جعفرعليه السلام في قوله: «إنّ ما توعدون لصادق» في عليّعليه السلام. هكذا نزلت.(٦)

[٦] «وَ إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ».

«و إنّ الدين»؛ أي: الجزاء و الحساب «لكائن» يوم القيامة.(٧)

«و إنّ الدين لواقع». يعني عليّاً. و عليّ هو الدين.(٨)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٠.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٠.

٣ـ الفقيه ١ / ٣١٩، ح ١٤٥٤.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٠.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٩.

٦ـ تأويل الآيات ٢ / ٦١٤.

٧ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٠.

٨ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٩، عن الباقرعليه السلام.

[٧] «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ».

«و السماء ذات الحبك». قال: السماء رسول الله. و عليّ ذات الحبك.(١)

«ذات الحبك»: ذات الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظّار و يتوصّل بها إلى المعارف، أو النجوم.(٢)

«ذات الحبك». و هو الطرائق مثل حبك الرمل و الماء إذا ضربته الريح و كذلك حبك الشعر إذا تثنيه و تكسره. و الدرع محبوكة لأنّ حلقها مطرق طرائق. و يقال: إنّ خلقة السماء كذلك.(٣)

«ذات الحبك»؛ أي: الطرق، لكنّها لاترى لبعدها. و قيل: ذات الحسن و الزينة. عن عليّ عليه السلام. و عن الرضا عليه السلام: «ذات الحبك» إنّها محبوكة إلى الأرض. و شبّك بين أصابعه. فقيل: كيف يكون محبوكة إلى الأرض و الله يقول: «رفع السموات بغير عمد»؟(٤) فقال: سبحان الله! أليس الله يقول: « بغير عمد ترونها»؟ قال: فثمّ عمد ولكن لاترى. ثمّ بسط كفّه اليسرى ثمّ وضع اليمنى عليها فقال: هذه أرض الدنيا و سماء الدنيا فوقها قبّة. و هكذا إلى السماء السابعة. و عرش الرحمن فوقها قبّة. و هو قوله: «خلق سبع سموات و من الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ».(٥) فصاحب الأمر هو النبيّ و الوصيّ من بعده و هو على وجه الأرض. ثمّ قال: ما تحتنا إلّا أرض واحدة و إنّ الستّ لفوقنا.(٦)

[٨] «إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ».

«مختلف»؛ أي: مختلف فيه. يعني اختلفت الأمّة في ولاية عليّ عليه السلام. فمن استقام على ولايته، دخل الجنّة. و من خالف عن ولايته، دخل النار.(٧)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٩، عن الباقر عليه السلام.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢٧.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٣٩٥ ـ ٣٩٦.
٤ـ الرعد (١٣) / ٢.
٥ـ الطلاق (٦٥) / ١٢.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٠ ـ ٢٣١.
٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٩، عن الباقر عليه السلام.

«إنّكم لفي قول». جواب القسم. أي: إنّكم ـ يا أهل مكّة ـ في شأن محمّد مختلفون. و بعضكم يقول شاعر. و بعضكم يقول ساحر. و بعضكم يقول مجنون. و كذلك في القرآن أنّه إمّا سحر و كهانة أو من أساطير الأوّلين.[١]

[٩] «يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ».

و قوله: «يؤفك عنه من أفك» فإنّه يعني عليّاً. فمن أفك عن ولايته، أفك عن الجنّة.[٢]

«يؤفك عنه». الضمير للقرآن أو الرسول. أي: يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشدّ منه و أعظم. كقوله: لايهلك على الله إلّا هالك. و قيل: يصرف عنه من صرف في سابق علم الله؛ أي: علم فيما لم يزل أنّه مأفوك عن الحقّ لايرعوي. و يجوز أن يكون الضمير لما توعدون. أي: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك. و وجه آخر و هو أن يرجع الضمير إلى «قول مختلف» و عن للسببيّة. أي: يصدر إفكهم عن القول المختلف.[٣]

«يؤفك عنه»؛ أي: يصرف عن الخيرات كلّها من صرف عن هذا الدين. و قيل: إنّ الصارف لهم رؤساء البدع و أئمّة الضلال. لأنّ العامّة تبع لهم.[٤]

[١٠] «قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ».

«قتل الخرّاصون»؛ أي: الكذّابون. و هم أهل القول المختلف. و اللّام إشارة إليهم. كأنّه قيل: قتل هؤلاء الخرّاصون.[٥]

«قتل الخرّاصون»؛ أي: لعن الكذّابون على الله و على رسوله.[٦]

[١١] «الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ».

«في غمرة»؛ أي: شبهة و غفلة عن الجهل. «ساهون»؛ أي: لاهون عمّا يجب عليهم. و

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣١.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٢٩، عن الباقر عليه السلام.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٣٩٦ ـ ٣٩٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣١.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٣٩٧.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣١.

قيل: هم في ضلالتهم متمادون.[١]

[١٢ ـ ١٤] «يَسْئَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ».

«يسألون أيّان يوم الدين»؛ أي: متى وقت الجزاء؟ إنكاراً أو استهزاء. فأجيبوا بما يسوؤهم من العذاب الذي هو نازل بهم: «يوم هم»؛ أي: يكون هذا الجزاء في يوم يعذّبون فيه و يحرقون بالنار. قال عكرمة: ألم تر أنّ الذهب إذا أدخل النار قيل فتن؟ أي: فهؤلاء يفتنون بالإحراق كما يفتن الذهب بإحراق الغشّ الذي فيه و يقول لهم خزنة النار: «ذوقوا فتنتكم»؛ أي: عذابكم و حريقكم. «كنتم به تستعجلون» في الدنيا تكذيباً و استبعاداً له. فقد حصلتم الآن فيه و عرفتم صحّته.[٢]

«ذوقوا فتنتكم»؛ أي: يقال لهم: ذوقوا فتنتكم.[٣]

[١٥ ـ ١٦] «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنِينَ».

«ما آتاهم»؛ أي: ما آتاهم من الخير و الكرامة. «محسنين» يفعلون الطاعات و يحسنون إلى غيرهم بضروب الإحسان.[٤]

[١٧] «كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ».

«قليلاً من اللّيل»؛ أي: كانوا يهجعون قليلاً من اللّيل يصلّون أكثر اللّيل.[٥]

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ العبد يوقظ في اللّيل ثلاث مرّات. فإن لم يقم، أتاه الشيطان فبال في أذنه. و [سألته] عن قوله: «كانوا قليلاً من اللّيل ما يهجعون». قال: كانوا أقلّ اللّيالي

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣١.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣١.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٣٩٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٤.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٤.

تفوتهم لايقومون فيها.[١]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «كانوا قليلاً من اللّيل ما يهجعون» قال: كان القوم ينامون، ولكن كلّما انقلب أحدهم قال: سبحان الله، و الحمد لله، و لا إله إلّا الله، و الله أكبر.[٢]

«ما يهجعون». ما زائدة.[٣]

[١٨] «وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ».

قال أبوعبدالله عليه السلام: كانوا يستغفرون الله في الوتر سبعين مرّة في السحر. و قيل: معناه: و بالأسحار هم يصلّون. و ذلك أنّ صلاتهم بالأسحار طلب منهم للمغفرة.[٤]

[١٩] «وَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ».

«و المحروم». و هو المتعفّف الذي لايسأل، أو الذي لا سهم له في الغنيمة. و الأصل أنّ المحروم الممنوع الرزق بترك السؤال أو ذهاب المال و نحو ذلك. و يريد سبحانه بقوله: «حقّ» ما يلزمهم [لزوم] الديون من الزكاة و غير ذلك.[٥]

«للسائل و المحروم». عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام: المحروم الرجل الذي ليس بعقله بأس و لايبسط له في الرزق و هو محارف.[٦]

[٢٠] «وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ».

«آيات»؛ أي: دلالات بيّنات للّذين يلازمون توحيد الله. و آيات الأرض ما فيها من أنواع المخلوقوت.[٧]

[٢١] «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلَا تُبْصِرُونَ».

١ـ الكافي ٣ / ٤٤٦، ح ١٨.
٢ـ تهذيب الأحكام ٢ / ٣٣٥، ح ١٣٨٤.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٣٩٨.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٤.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
٦ـ تهذيب الأحكام ٤ / ١٠٨، ح ٣١٣.
٧ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٥.

«و في أنفسكم» أيضاً دلالات على وحدانيّته. أفلاترون أنّها مصرّفة من حال إلى حال إذ كنتم نطفاً فصرتم أحياء، ثمّ كنتم أطفالاً فصرتم شباباً، ثمّ كهولاً؛ يصرّفها على مقتضى الحكمة. و قيل: المراد بذلك اختلاف الصور و الألسنة و الطبائع. عن ابن‌عبّاس. و تمّ الكلام عند قوله: «و في أنفسكم».(١)

«و في أنفسكم». قال أميرالمؤمنين عليه السلام: عرفت الله بفسخ العزائم و نقض الهمّ. لمّا أن هممت فحال بيني و بين همّي و عزمت فخالف القضاء عزمي، علمت أنّ المدبّر غيري.(٢)

[٢٢] «وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ».

«و في السماء رزقكم» ينزله إليكم بالغيث و المطر فيخرج به ما تقتاتونه و تلبسونه و تنتفعون به. «و ما توعدون» من الثواب و العقاب و الجنّة و النار. و قيل: معناه: و في السماء مقدّر رزقكم؛ أي: ما قسّمه لكم مكتوب في أمّ الكتاب و جميع ما توعدونه في السماء أيضاً. لأنّ الملائكة تنزل من السماء لقبض الأرواح و لإنزال العذاب.(٣)

قال الأصمعيّ: أقبلت من جامع البصرة. فطلع أعرابيّ فقال: من الرجل؟ فقلت: من بني‌أصمع. قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى [فيه] كلام الرحمن. قال: اتل عليّ. فتلوت و الذاريات. فلمّا بلغت قوله: «و في السماء رزقكم» قال: حسبك. فقام إلى ناقته فنحرها و وزّعها على من أقبل و أدبر. و عمد إلى سيفه و قوسه فكسرهما و ولّى. فلمّا حججت مع الرشيد، طفت أطوافاً، فإذا أنا بصوت يهتف بي. فالتفتّ، فإذا أنا بالأعرابيّ قد نحل و اصفرّ. فسلّم عليّ و استقرأ السورة. فلمّا بلغت الآية، صاح و قال: قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً. ثمّ قال: و هل غير هذا؟ فقرأت: «فوربّ السماء و الأرض إنّه لحقّ». فصاح و قال: سبحان الله! من ذا الذي أغضب الجليل حتّى حلف؟ لم يصدّقوه بقوله حتّى ألجؤوه إلى اليمين! قالها ثلاثاً و خرجت معها نفسها.(٤)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٥.
٢ـ الخصال / ٣٣، ح ١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٥.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٠٠.

عن الحسن عليه السلام أنّه سأله ملك الروم عن أرزاق الخلائق فقال عليه السلام: في السماء الرابعة؛ تنزل بقدر و تبسط بقدر.(١)

[٢٣] «فَوَ رَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ».

«فوربّ السماء و الأرض». أقسم سبحانه بنفسه أنّ ما ذكر من أمر الرزق و الآيات حقّ لا شكّ فيه. و قيل: يعني أنّ ما قضي في الكتاب كائن. «مثل ما أنّكم تنطقون»؛ أي: مثل نطقكم الذي تنطقون به. فكما لاتشكّون فيه، فكذلك لاتشكّوا بحصول ما وعدتم به. شبّه الله تحقّق ما أخبر به بتحقّق نطق الآدميّ، فأراد أنّه لحقّ كما أنّ نطق الآدميّ حقّ.(٢)

«مثل». منصوب على الحال من المستكنّ في الحقّ، أو الوصف لمصدر محذوف، أي: إنّه لحقّ حقّاً مثل نطقكم. و قيل: إنّه مبنيّ على الفتح لإضافته إلى غير متمكّن و هو ما لأنّها بمعنى شيء.(٣)

[٢٤] «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ».

«هل أتاك حديث». فيه تفخيم لشأن الحديث و تنبيه على أنّه أوحي إليه. و الضيف في الأصل مصدر و لذلك يطلق للواحد و المتعدّد. و قيل: كانوا اثني‌عشر ملكاً. و قيل: ثلاثة: جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل. و سمّاهم ضيفاً لأنّهم كانوا في صورة الضيف. «المكرمين»؛ أي: مكرمين عند الله أو عند إبراهيم إذ خدمهم بنفسه و زوجته.(٤)

[٢٥] «إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ».

«إذ دخلوا». ظرف للحديث أو الضيف أو المكرمين. «فقالوا سلاماً»؛ أي: نسلّم عليكم سلاماً. «قال سلام»؛ أي: سلام عليكم. عدل به إلى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتّى يكون

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧١.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٥ ـ ٢٣٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢٩.

تحيّة أحسن من تحيّتهم. «قوم منكرون»؛ أي: أنتم قوم منكرون. و إنّما أنكرهم لأنّه ظنّ أنّهم بنو آدم و لم يعرفهم، أو لأنّ السلام لم يكن تحيّتهم و هو علامة الإسلام. حمزة و الكسائيّ: «سلم».(١)

[٢٦ ـ ٢٧] «فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ».

«فراغ إلى أهله»: فذهب إليهم في خفية من ضيفه. فإنّ من أدب المضيف أن يبادر بالقرى حذراً من أن يكفّه [الضيف] أو يصير منتظراً. «بعجل سمين». لأنّه كان عامّة ماله البقر. «فقرّبه إليهم» بأن وضعه بين أيديهم.(٢)

[٢٨] «فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ».

«فأوجس منهم خيفة»: فأضمر منهم خوفاً لمّا رأى إعراضهم عن طعامه لظنّه أنّهم جاؤوا بشرّ. و قيل: وقع في نفسه أنّهم ملائكة أرسلوا للعذاب. «لاتخف». إنّا رسل الله. قيل: مسح جبرئيل عليه السلام العجل بجناحه فقام يروح حتّى لحق بأمّه، فعرفهم و أمن منهم. «بغلام». هو إسحاق. «عليم» يكمل علمه إذا بلغ.(٣)

«فأوجس منهم خيفة». عن أبي عبدالله عليه السلام: فلمّا أن رأى ذلك جبرئيل، حسر العمامة عن وجهه و عن رأسه. فعرفه إبراهيم فقال: أنت هو؟ قال: نعم. و مرّت سارة فبشّرها بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب.(٤)

[٢٩] «فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَ قَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ».

«فأقبلت» امرأته سارة إلى بيتها. و كانت في زاوية تنظر إليهم. «في صرّة»: في صيحة. من الصرير. و محلّه النصب على الحال. «فصكّت وجهها»: لطمت بأطراف أصابعها جبهتها

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢٩.
٤ـ الكافي ٨ / ٣٢٨، ح ٥٠٥.

فعل المتعجّب. و قيل: وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء. «عجوز عقيم»: أي: أنا عجوز عاقر. فكيف ألد؟[١]

«في صرّة»: أي: في جماعة. عن الصادقﷺ. و قيل: في أنّة. و المعنى: أخذت تصيح و تولول كما قالت: «يا ويلتى»[٢].[٣]

[٣٠] «قَالُوا كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ».

«كذلك»: أي: مثل الذي بشّرنا به «قال ربّك». و إنّما نخبرك به عنه. «الحكيم العليم». فيكون قوله حقّاً و فعله محكماً.[٤]

[٣١] «قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ».

«أيّها المرسلون». لمّا علم أنّهم ملائكة الله و أنّهم لاينزلون مجتمعين إلّا لأمر عظيم، سأل عنه.[٥]

و عنهﷺ: انّ الله بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط: جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و كروبيل صلوات الله عليهم.[٦]

«فما خطبكم»: أي: فما شأنكم ولأيّ أمر جئتم؟ كأنّه قال: قد جئتم لأمر عظيم. فما هو؟[٧]

[٣٢] «قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ».

«قوم مجرمين». يعني قوم لوط.[٨]

«مجرمين»: أي: عاصين لله كافرين بنعمه. و أصل الجرم القطع. فهؤلاء أجرموا بأن قطعوا

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٠.
٢ـ هود (١١) / ٧٢.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٠.
٦ـ الكافي ٨ / ٣٢٨، ح ٥٠٥، عن الصادقﷺ.
٧ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٨.
٨ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٠.

الإيمان بالكفر.[١]

[٣٣ ـ ٣٤] «لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ».

«من طين». يريد السجّيل. فإنّه طين محجّر. «مسوّمة»: مرسلة. من أسمت الماشية. أو: معلّمة. من السومة و هي العلامة.[٢]

«للمسرفين»؛ أي: المكذّبين المتجاوزين الحد. قيل: أرسلت الحجارة على الغـائبين و قلبت القرية بالحاضرين.[٣]

[٣٥] «فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

«من كان فيها»؛ أي: في قرى لوط. و ذلك قوله: «فأسر بأهلك» ـ الآية. و ذلك أنّ الله أمر لوطاً بأن يخرج هو و من معه من المؤمنين لئلّايصيبهم العذاب.[٤]

[٣٦] «فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

«غير بيت»؛ أي: أهل بيت. يعني لوطاً و بناته.[٥]

«من المسلمين». استدلّ به على اتّحاد الإسـلام و الإيمـان. و هـو ضـعيف. لأنّ ذلك لايقتضي إلّا صدق المسلم و المؤمن على من اتّبعه و ذلك لايقتضي اتّحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة.[٦]

[٣٧] «وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ».

«و تركنا فيها»؛ أي: أبقينا في مدينة قوم لوط علامة للّذين يخافون العذاب الأليم يدلّهم على أنّ الله أهلكهم فيخافون مثل عذابهم. و معناه: انّا أبقينا فيها عبرة. و قيل: إنّه الانقلاب.

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٨.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٨.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٠.

لأنّ إقلاع البلدان لايقدر عليه إلّا الله.[۱]

«آية»؛ أي: علامة. و هي تلك الأحجار أو صخر منضود فيها أو ماء أسود منتن.[۲]

عن أبي جعفرعليه السلام أنّه قال جبرئيل للنبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي نوديت من تلقاء العرش: يا جبرئيل، حقّ القول منّي في عذاب قوم لوط. فاهبط إلى قرية قوم لوط و ما حوت فاقلبها من تحت سبع أرضين، ثمّ اعرج بها إلى السماء حتّى يأتيك أمر الجبّار في قلبها. و دع منها آية بيّنة من منزل لوط عبرة للسيّارة. فهبطت على أهل القرية الظالمين فضربت بجناحي الأيمن على ما حوى عليه شرقها و ضربت بجناحي الأيسر على ما حوى عليه غربها فاقتلعتها ـ يامحمّد ـ من تحت سبع أرضين إلّا منزل لوط للسيّارة. ثمّ عرجت بها في خوافي جناحي حتّى وقفتها حيث يسمع أهل السماء زقاء ديوكها و نباح كلابها. فلمّا طلعت الشمس، نوديت من تلقاء العرش: يا جبرئيل، اقلب القرية على القوم. فقلبتها عليهم حتّى صار أسفلها أعلاها ـ الحديث.[۳]

[۳۸] «وَ فِي مُوسىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ».

«و في موسى» أيضاً آية. «بسلطان مبين»؛ أي: بحجّة ظاهرة. [و هي] العصا.[٤]

«بسلطان مبين». و هو آياته كالعصا و اليد.[۵]

[۳۹] «فَتَوَلّٰى بِرُكْنِهِ وَ قَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ».

«بركنه». الركن: الجانب. أي: فأعرض بما كان يتقوّى به من جنده و قومه كالركن الذي يتقوّى [به] البنيان. «و قال ساحر». أي قال فرعون لموسى. و [في] ذلك دلالة على جهله. لأنّ الساحر هو اللّطيف الحيلة و ذلك ينافي صفة المجنون المختلط العقل، فكيف يوصف

۱ـ مجمع البيان ۹ / ۲۳۸.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٤۳۰.
۳ـ علل الشرائع / ۵۵۰ ـ ۵۵۱، ح ۵.
٤ـ مجمع البيان ۹ / ۲٤۰.
۵ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٤۳۰.

شخص واحد بهاتين الصفتين![1]

«فتولّى بركنه»؛ أي: أعرض عن الإيمان به. كقوله، «و نأى بجانبه».[2] «ساحر أو مجنون». كأنّه جعل ما عليه من الخوارق منسوباً إلى الجنّ و تردّد في أنّ ذلك جعل باختياره و سعيه أم بغيرهما.[3]

[٤٠] «فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَ هُوَ مُلِيمٌ».

«فنبذناهم»؛ أي: فطرحناهم في البحر. «مليم»؛ أي: يلام على ما أتى من الكفر و الجحود.[4]

«مليم»؛ أي: آت بما يلام عليه من الكفر و العناد. و الجملة حال من الضمير في «فأخذناه».[5]

[٤١] «وَ فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ».

«و في عاد»؛ أي: وفيه أيضاً دلالة و آية. «العقيم». و هي التي عقمت عن أن تأتي بخير من تنشئة سحاب أو تلقيح شجر أو نفع حيوان. فهي كالمرأة الممنوعة من الولادة إذ هي ريح الإهلاك.[6]

«العقيم». سمّاها عقيماً لأنّها أهلكتهم و قطعت دابرهم. و هي الدبور أو الجنوب.[7]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: الريح العقيم تخرج من تحت الأرضين السبع. و ما خرج منها شيء قطّ إلّا على قوم عاد حين غضب الله عليهم فأمر الخزّان أن يخرجوا منها بقدر مثل سعة الخاتم. فعصت على الخزّان فخرج منها مقدار منخر الثور تغيّظاً منها على قوم عاد. فضجّ الخزنة إلى الله من ذلك و قالوا: يا ربّنا، إنّها عتت علينا. و نحن نخاف أن يهلك من لم يعصك

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٠.
٢ـ الإسراء (١٧) / ٨٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٠.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٠ ـ ٤٣١.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٠.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣١.

من خلقك و عمّار بلادك. فبعث الله جبرئيل فردّها بجناحه و قال لها: اخرجي على ما أمرتي. فأهلكت قوم عاد و من كان بحضرتهم.[١]

[٤٢] «مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ».

«ما تذر من شيء»؛ أي: ما تترك شيئاً «أتت عليه إلّا جعلته كالرميم»؛ أي: كالشيء الهالك البالي. و هو نبات الأرض [إذا يبس و ديس]. و قيل: الرميم العظم البالي المسحوق.[٢]

[٤٣] «وَ فِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ».

«و في ثمود» أيضاً آية. «إذ قيل لهم». و ذلك أنّهم لمّا عقروا الناقة قال لهم صالح: «تمتّعوا» ثلاثة أيّام.[٣]

[٤٤] «فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ».

«فعتوا»: فترفّعوا عن أمر ربّهم و استكبروا عنه، فأخذهم العذاب بعد ثلاثة أيّام. و الصاعقة: كلّ عذاب مهلك. «و هم ينظرون» إليها جهاراً لا يقدرون على الامتناع منها. قرأ الكسائيّ: «الصعقة». و قال الأصمعيّ: هي بمعنى الصاعقة.[٤]

[٤٥] «فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَ مَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ».

«فما استطاعوا»؛ أي: لم يقدروا على النهوض من تلك الصاعقة.[٥]

«فما استطاعوا من قيام». كقوله: «فأصبحوا في دارهم جاثمين»[٦].[٧]

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٣٠.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٠.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٠ و ٢٣٩.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٠.
٦ـ الأعراف (٧) / ٧٨.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣١.

[٤٦] «وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ».

أبوبكر[١] و أهل الكوفة [غير عاصم]: «و قوم نوح» بالجرّ، عطفاً على «و في موسى». [أي: و في قوم نوح آية. و قرأ الباقون بالنصب.] أي: و أهلكنا قوم نوح من قبل عاد و ثمود. «فاسقين»؛ أي: خارجين عن الايمان إلى الكفر.[٢]

[٤٧] «وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ».

«و السماء بنيناها بأيد»: رفعناها على أحسن نظام. «لموسعون»؛ أي: قادرون على ما هو أعظم منها. و قيل: معناه: إنّا قادرون على توسيع الرزق على الخلق بالمطر.[٣]

[٤٨] «وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ».

«فرشناها»؛ أي: بسطناها. «فنعم الماهدون» نحن، إذ فعلنا ذلك لمصالح العباد.[٤]

[٤٩] «وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

«و من كلّ شيء» من الأجناس خلقنا نوعين لتعلموا أنّ التعدّد من خواصّ الممكنات و أنّ الواجب بالذات لايقبل التعدّد و الانقسام.[٥]

«زوجين»؛ أي: صنفين، مثل اللّيل و النهار و السماء و الأرض و الشمس و القمر و النور و الظلمة. و قيل: الزوجين الذكر و الأنثى. «تذكّرون»: تعلمون أنّ خالق الأزواج واحد لايشبهه شيء.[٦]

[٥٠] «فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ».

«ففرّوا إلى الله»؛ أي: فاهربوا من عقاب الله إلى رحمته و ثوابه بإخلاص العبادة له. و

١ـ المصدر: أبوعمرو.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٣٩ ـ ٢٤١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٢.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣١.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٢.

قيل: معناه: حجّوا. عن الصادق عليه السلام. «لكم منه»؛ أي: من الله. [«نذير»:] مخوّف من عقابه. «مبين» لكم ما أرسلت به.(١)

«مبين»: بيّن كونه منذراً من الله بالمعجزات. أو: مبين ما يجب أن يحذر عنه.(٢)

[٥١] «وَ لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ».

«إلهاً آخر». إفراد لأعظم ما يجب أن يفرّ منه. «إنّي لكم منه نذير». كرّره للتأكيد. أو الأوّل مرتّب على ترك الايمان و الطاعة و الثاني على الإشراك.(٣)

[٥٢] «كَذٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ».

«كذلك»؛ أي: الأمر مثل ذلك. و الإشارة إلى تكذيبهم الرسول و تسميتهم إيّاه ساحراً أو مجنوناً [و قوله:] «ما أتى الذين» كالتفسير له.(٤)

«كذلك»؛ أي: الأمر كذلك. و هو أنّه ما أتى الذين من قبل كفّار قريش من الأمم رسول إلّا قالوا: هو ساحر محتال بالحيل اللّطيفة، أو مجنون مغطًّى على عقله لايتوجّه للإدراك.(٥)

[٥٣] «أَ تَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ».

«أتواصوا»: أوصى أوّلهم آخرهم. «به»: بالتكذيب. و الاستفهام للتوبيخ. «بل هم»؛ أي: لم يتواصوا بذلك، لكنّ الطغيان بسبب النعم حملهم على تكذيب الأنبياء.(٦)

«بل هم». إضراب عن أنّ التواصي جامعهم لتباعد أيّامهم إلى أنّ الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان.(٧)

[٥٤] «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣١.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٣.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٣.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٢.

«فتولّ عنهم»: فأعرض عنهم يا محمّد. فقد بلّغت و أنذرت. و هو قوله: «فما أنت بملوم» في كفرهم و جحودهم بل اللّائمة و الذمّ عليهم من حيث عدم قبولهم ما تدعوهم إليه. قال المفسّرون: لمّا نزلت هذه الآية، حزن رسول الله و المؤمنون و ظنّوا أنّ الوحي قد انقطع و أنّ العذاب قد حلّ، حتّى نزلت الآية الثانية.(١)

عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام: انّ الناس لمّا كذّبوا رسول الله، همّ الله بهلاك أهل الأرض إلّا عليّاً فما سواه بقوله: «فتولّ عنهم» ـ الآية. ثمّ بدا له فرحم المؤمنين. ثمّ قال لنبيّه صلّى الله عليه و آله: «و ذكّر فإنّ الذكرى» ـ الآية.(٢)

[٥٥] «وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ».

«و ذكّر»؛ أي: و عظ بالقرآن من أمن من قومك. فإنّ الذكرى تنفعهم.(٣)

«تنفع المؤمنين»: من قدّر الله سبحانه إيمانه. أو: من آمن. فإنّها تزداده بصيرة.(٤)

[٥٦] «وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ».

«و ما خلقت الجنّ و الإنس». لمّا خلقهم على صور متوجّهة إلى العبادة مغلّبة(٥) لها، جعل خلقهم مغيّاً بها مبالغة في ذلك.(٦)

«إلّا ليعبدون». أي ليعبدوه مختارين لا مضطرّين. لأنّه خلقهم ممكّنين فاختار بعضهم ترك العبادة.(٧)

«إلّا ليعبدون»؛ أي: لعبادتهم إيّاي. و قيل: معناه: إلّا ليقرّوا بالعبودّية طوعاً و كرهاً.(٨)

[٥٧] «مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٣.
٢ـ الكافي ٨ / ١٠٣، ح ٧٨.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٢.
٥ـ في النسخة: معلنة.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٢.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٠٦.
٨ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٣.

«و ما أريد منهم»؛ أي: ليس الفائدة في عبادتهم ترجع إليّ بل هي راجعة إليهم. و قيل: معناه: ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي. و إنّما أسند الطعام إلى نفسه لأنّ الخلق كلّهم عيال الله و من أطعم عيال الله فقد أطعمه.[١]

«ما أريد» أن أصرفكم في تحصيل رزقي. فاشتغلوا بما أنتم كالمخلوقين له. و المراد أن يبيّن أنّ شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم. فإنّهم يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم. و يحتمل أن يقدّر بقل فيكون بمعنى قوله: «قل لا أسألكم عليه أجراً» ـ الآية[٢].[٣]

[٥٨] «إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ».

«المتين»؛ أي: الذي يستحيل عليه العجز و الضعف.[٤]

[٥٩] «فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ».

«الذنوب»: الدلو العظيم. و هذا تمثيل أصله في السقاة يتقسّمون الماء فيكون لهذا ذنوب و لهذا ذنوب. و المعنى: فإنّ الذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من أهل مكّة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم و نظرائهم من القرون.[٥]

[٦٠] «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ».

«من يومهم»: من يوم القيامة. و قيل: من يوم بدر.[٦]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٣ ـ ٢٤٤.
٢ـ الأنعام (٦) / ٩٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٢.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٤.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٠٧.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٠٧.

٥٢.
سورة الطور

عن أبي جعفرعليه السلام: من قرأ سورة الطور، جمع الله له خير الدنيا و الآخرة.(١)

إذا أدمن قراءتها المسجون خرج و المسافر أمن و حرس.(٢)

و عنه صلى الله عليه وآله: من قرأ سورة الطور، كان حقّاً على الله أن يؤمنه من عذابه و ينعّمه في جنّته.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ الطُّورِ».

«و الطور». أقسم سبحانه بالجبل الذي كلّم الله عليه موسى بالأرض المقدّسة.(٤)

«و الطور». و هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى و هو بمدين.(٥)

و الطور: الجبل بالسريانيّة.(٦)

[٢ ـ ٣] «وَ كِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ».

«و كتاب مسطور». قيل: هو القرآن يكتبه المؤمنون في رقّ [و] ينشرونه للقراءة. و الرقّ : ما يكتب فيه. و قيل: هو الورق. و قيل: ذكر الرقّ لأنّه من أحسن ما يكتب فيه.(٧)

«و كتاب مسطور * في رقّ منشور». الرقّ: الصحيفة. و قيل: الجلد الذي يكتب فيه

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٣، ح ١.
٢ـ المصباح / ٦١١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٥.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٧.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٠٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٣.
٧ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٧.

الأعمال. كما قال: «و نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً».[١] و قيل: هو ما كتبه الله لموسى و هو يسمع صرير القلم. و قيل: اللّوح المحفوظ. و قيل: القرآن. و نكّر لأنّه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب.[٢]

«و كتاب مسطور». و هو ما كتبه الله في قلوب أوليائه من المعارف و الحكم. «في رقّ». الرقّ: الجلد الذي يكتب فيه. و تنكير الكتاب و الرقّ للتعظيم و للإشعار بأنّهما ليسا من المتعارف بين الناس.[٣]

عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «و كتاب مسطور * في رقّ منشور» قال: كتاب كتبه الله في ورقة آس و وضعه على عرشه قبل خلق الخلق بألفي عام: شيعة آل محمّد، إنّي أنا الله. أجبتكم قبل أن تدعوني. و أعطيتكم قبل أن تسألوني. و غفرت لكم قبل أن تستغفروني.[٤]

[٤] «وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ».

«و البيت المعمور». عنه صلى الله عليه و آله قال: البيت المعمور في سماء الدنيا. و في السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبرئيل كلّ يوم و إذا خرج انتفض فتجري منه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كلّ قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلّون فيه [فيفعلون] و لا يعودون إليه أبداً.[٥]

«و البيت المعمور»: الضُّراح في السماء الرابعة. و عمرانه كثرة غاشيته من الملائكة. و قيل: الكعبة لكونها معمورة بالحجّاج.[٦]

«و البيت المعمور». هو قلب المؤمن. و عمارته بالمعرفة و الإخلاص.[٧]

«و البيت المعمور». قال: هو في السماء الرابعة. و هو الضراح. يدخله كلّ يوم سبعون

١ـ الإسراء (١٧) / ١٣.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٠٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٣.
٤ـ تأويل الآيات ٢ / ٦١٦.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٧.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٠٨.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٣.

ألف ملك ثمّ لا يعودون إليه أبداً.(١)

عن الباقر عليه السلام: انّ الله وضع تحت العرش أربع أساطين و سمّاهنّ الضراح ـ و هو البيت المعمور ـ و قال للملائكة: طوفوا به. ثمّ بعث ملائكة فقال: ابنوا في الأرض بيتاً بمثاله و قدره. و أمر من في الأرض أن يطوفوا بالبيت.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث يذكر فيه معنى السلام على رسول الله: لمّا خلق محمّداً و أهل بيته و شيعتهم، أخذ عليهم الميثاق بأن يصبروا و يصابروا و يرابطوا و أن يتّقوا الله و وعد أن يسلّم لهم الأرض و أن ينزل لهم البيت المعمور و يريهم الله من عدوّهم و يسلّم لهم الأرض لا خصومة فيها ـ الحديث.(٣)

[٥] «وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ».

«و السقف المرفوع»: السماء.(٤)

[٦] «وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ».

«و البحر المسجور»؛ أي: الموقد المحمى بمنزلة التنّور. لأنّ البحار تحمى يوم القيامة فتجعل نيراناً ثمّ يفجر بعضها في بعض ثمّ يفجر إلى النار. و ورد به الحديث.(٥)

«و البحر المسجور»: المملوّ. و قيل: الموقد. من قوله: «و إذا البحار سجّرت».(٦)

و روي أنّ الله يجعل يوم القيامة البحار كلّها ناراً تسجر بها نار جهنّم. و عن عليّ عليه السلام أنّه سأل يهوديّاً: أين موضع النار في كتابكم؟ قال: في البحر. قال عليّ عليه السلام: ما أراه إلّا صادقاً؛ لقوله: «و البحر المسجور».(٧)

«و البحر المسجور». قال: يسجر يوم القيامة.(٨)

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣١.

٢ـ فقه القرآن ١ / ٢٩٢.

٣ـ الكافي ١ / ٤٥١، ح ٣٩.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٠٨.

٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

٦ـ التكوير (٨١) / ٦.

٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٠٨.

٨ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣١.

[٧ـ٨] «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ».

«إنّ عذاب ربّك». أي للمشركين.[١]

«لواقع»؛ أي: لنازل.[٢]

[٩] «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً».

«تمور»؛ أي: تضطرب و تجيء و تذهب.[٣]

[١٠] «وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً».

«و تسير الجبال»؛ أي: تسير عن وجه الأرض فتصير هباء.[٤]

[١١] «فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ».

«فويل»؛ أي: إذا كان هذا، فويل لمن يكذّب بالله و رسوله.[٥]

[١٢] «الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ».

«في خوض»؛ أي: في حديث باطل يخوضون. و هو الحديث الذي كان يخوض فيه الكفّار من إنكار البعث.[٦]

[١٣] «يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً».

[١٤] «هٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ».

«هذه النار»؛ أي: يقول لهم خزنتها إذا دفعوا إليها: «هذه النار التي كنتم بها تكذّبون» في

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٨.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٠٩.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٠٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٤.

٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٨.

٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٨.

الدنيا.[١]

[١٥] «أَ فَسِحْرٌ هٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ».

ثمّ وبّخهم لمّا عاينوا ما كانوا يكذّبون به بقوله: «أ فسحر هذا»؟ و ذلك أنّهم كانوا ينسبون محمّداً ﷺ إلى السحر و إلى أنّه يغطّي على الأبصار.[٢]

[١٦] «اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

ثمّ يقال لهم: «اصلوها»؛ أي: قاسوا شدّتها. «ما كنتم تعلمون» في الدنيا من المعاصي.[٣]

«إنّما تجزون». تعليل للاستواء. فإنّه لمّا كان الجزاء واجب الوقوع، كان الصبر و عدمه سيّان في عدم النفع.[٤]

[١٧] «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ».

«في جنّات»؛ أي: بساتين تجنّها الأشجار.[٥]

«في جنّات»؛ أي: أيّة جنّات و أيّ نعيم. أو: في جنّات و نعيم مخصوصة بهم.[٦]

[١٨] «فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ».

«فاكهين»؛ أي: ناعمين متلذّذين.[٧]

فإن قلت: علام عطف قوله: «و وقاهم ربّهم»؟ قلت: على قوله: «في جنّات» أو على «آتاهم ربّهم» على أن تجعل ما مصدريّة و المعنى: فاكهين بإيتائهم ربّهم و وقايتهم عذاب الجحيم. و يجوز أن يكون الواو للحال و قد بعدها مضمرة.[٨]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٨.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٨.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٤.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٠.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٤.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٤.
٨ـ الكشّاف ٤ / ٤١٠.

[١٩] «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«هنيئاً»: مأمون العاقبة من التخمة و السقم.(١)

«هنيئاً»؛ أي: طعاماً و شراباً هنيئاً. و هو الذي لا تنغيص فيه.(٢)

[٢٠] «مُتَّكِئِينَ عَلىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ».

«مصفوفة»؛ أي: مصفّة متّصل بعضها ببعض. و قيل: تقديره: متّكئين على نمارق موضوعة على سرير. و حذف لدلالة الكلام عليه. لأنّ الاتّكاء للراحة إنّما يكون عليه. «بحور عين». الحور: البيض النقيّات في حسن و كمال. و العين: الواسعات الأعين في صفاء و بهاء. و عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أباالقاسم، تزعم أنّ أهل الجنّة يأكلون و يشربون؟ فقال: و الذي روحي بيده، إنّ الرجل منهم ليؤتى قوّة مائة رجل في الأكل و الشرب و الجماع. قال: فإنّ الذي يأكل و يشرب يكون له الحاجة. فقال: عرق يفيض مثل ريح المسك. فإذا كان ذلك ضمر بطنه.(٣)

«و زوّجناهم بحور». الباء لما في التزويج من معنى الوصل و الإلصاق.(٤)

[٢١] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ».

أبوعمرو: «أتبعناهم» بالنون و الألف و قطع الهمزة «ذرّيّاتهم» بالألف و كسر التاء «ألحقنا بهم ذرّيّاتهم» كذلك. و قرأ أهل المدينة: «و اتّبعتهم» بالتاء و وصل الهمزة «ذرّيّتهم» بالرفع «ألحقنا بهم ذرّيّاتهم». و ابن‌عامر: «اتّبعتهم ذرّيّاتهم» و «ألحقنا بهم ذرّيّاتهم» أيضاً. و ابن‌كثير: «و ما ألتناهم» بكسر اللّام. «و اتّبعتهم ذرّيّتهم». المراد بالذرّيّة أولادهم الصغار و الكبار. لأنّ الكبار يتّبعون الآباء بإيمان منهم و الصغار يتّبعون الآباء [بإيمان من الآباء].

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤١٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٤.

فالولد يحكم له بالإسلام تبعاً لوالده. و أتبع بمعنى تبع. و من قرأ: «و أتبعناهم» فهو منقول من تبع يتعدّى إلى المفعولين و المعنى: انّا نلحق الأولاد بالآباء في الجنّة و الدرجة من أجل إيمان الآباء لتقرّ أعين الآباء باجتماعهم معهم في الجنّة كما كانت تقرّ بهم في الدنيا. وفي رواية أخرى عن ابن عبّاس: انّهم البالغون ألحقوا بدرجة آبائهم و إن قصرت أعمالهم تكرمة لآبائهم. و المراد أنّهم مجتمعون معهم لا في الثواب و الرتبة. و عن الصادق عليه السلام: أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة. «و ما ألتناهم»؛ أي: لم ننقص الآباء من الثواب [حين] ألحقنا بهم ذرّيّاتهم. «بما كسب». تمّ الكلام، ثمّ ذكر سبحانه أهل النار فقال: «كلّ امرئ بما كسب رهين»؛ أي: كلّ امرئ كافر مرتهن في النار بما كسب. و المؤمن لا يكون مرتهناً لقوله: «كلّ نفس بما كسبت رهينة * إلّا أصحاب اليمين».(١) و قيل: كلّ إنسان يعامل بما يستحقّه من الطاعات و المعاصي.(٢)

«و اتّبعتهم ذرّيّتهم». اعتراض للتعليل. «ألحقنا بهم» في دخول الجنّة أو في الدرجة. «و ما ألتناهم» بهذا لإلحاق. فإنّه كما يحتمل أن يكون بنقص مرتبة الآباء [أو] بإعطاء الأبناء بعض مثوباتهم، يحتمل أن يكون بالتفضّل عليهم، و هو اللّائق بكمال لطفه. و قرأ ابن كثير بكسر اللّام من ألت يألت و المعنى واحد.(٣)

عن الصادق عليه السلام: «الذين آمنوا» النبيّ و أميرالمؤمنين و ذرّيّته الأئمّة و الأوصياء عليهم السلام. «ألحقنا بهم» و لم ننقص ذرّيّتهم الحجّة التي جاء بها محمّد في عليّ و حجّتهم واحدة و طاعتهم واحدة.(٤)

و عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية: قصرت الأبناء عن أعمال الآباء فألحق الأبناء بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم.(٥)

و في حديث آخر: أطفال المؤمنين يلحقون بآبائهم. و أطفال المشركين يلحقون بآبائهم.

١ـ المدّثر (٧٤) / ٣٨ ـ ٣٩.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٤٩ ـ ٢٥١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

٤ـ الكافي ١ / ٢٧٥، ح ١، و تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٢.

٥ـ الكافي ٣ / ٢٤٩، ح ٥.

و هو قول الله: «ألحقنا بهم ذرّيّتهم».(١)

و عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ أطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيهم فاطمة عليها السلام.(٢)

و في حديث آخر عنه عليه السلام: انّ الله كفّل إبراهيم و سارة أطفال المؤمنين يغذوانهم بشجرة من الجنّة لها أخلاف كأخلاف البقر في قصر من درّة. فإذا كان يوم القيامة، لبسوا و أطيبوا و أهدوا إلى آبائهم. فهم ملوك في الجنّة مع آبائهم. و هذا قول الله: «و الذين آمنوا و اتّبعتهم ذرّيّتهم».(٣)

[٢٢] «وَ أَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ».

«و أمددناهم»؛ أي: أعطيناهم حالاً بعد حال.(٤)

[٢٣] «يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَا لَغْوٌ فِيهَا وَ لَا تَأْثِيمٌ».

«يتنازعون»؛ أي: يتعاطون كأس الخمر. ثمّ وصف الكأس فقال: «لا لغو فيها»؛ أي: لايجري بينهم باطل و لا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا بين شرب الخمر. و التأثيم تفعيل من الإثم. يعني تلك الكأس لاتجعلهم آثمين.(٥)

[٢٤] «وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ».

«و يطوف عليهم غلمان» للخدمة. «مكنون»؛ أي: مصون مخزون. قيل: يا رسول الله، الخادم كاللّؤلؤ، فكيف المخدوم؟ فقال: و الذي نفسي بيده، إنّ فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب.(٦)

[٢٥ ـ ٢٧] «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ

١ـ الكافي ٣ / ٢٤٨، ح ٢.
٢ـ الفقيه ٣ / ٤٩٠.
٣ـ الفقيه ٣ / ٣١٦.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥١.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥١.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥١.

* فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ».

«يتساءلون»؛ أي: يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف في الدنيا. و هو قوله: «قالوا إنّا كنّا قبل في أهلنا مشفقين»؛ أي: خائفين في دار الدنيا من العذاب. «فمنّ الله علينا» بالمغفرة و وقانا عذاب جهنّم. و السموم من أسماء جهنّم. و قيل: إنّ المعنى: يسأل بعضهم بعضاً عمّا فعلوه في الدنيا فاستحقّوا به المصير إلى الجنّة فيقولون: إنّا كنّا في دار التكليف خائفين رقيق القلب.(١)

[٢٨] «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ».

«من قبل»؛ أي: في دار الدنيا. «ندعوه» ـ أي الله ـ و نوحّده. «البرّ»؛ أي: اللّطيف. أو: الصادق فيما وعده.(٢)

«إنّه هو البرّ». نافع و الكسائي: «أنّه» بالفتح.(٣)

[٢٩] «فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَ لَا مَجْنُونٍ».

«فذكّر» يا محمّد. أي: فعظ هؤلاء المكلّفين و لاتترك دعوتهم و إن أساؤوا قولهم فيك. «بنعمة ربّك»؛ أي: بإنعامه عليك. و هذا قسم. «بكاهن». و هو الذي يوهم أنّه يعلم [الغيب] من خدمة الجنّ. و قد علم الكفّار أنّه ﷺ ليس بكاهن و لا مجنون، لكن قالوا ذلك على جهة التكذيب عليه ليستريحوا إلى ذلك.(٤)

«فذكّر»؛ أي: اثبت على التذكير و لاتكترث بقولهم. «بنعمة ربّك»؛ أي: بحمد الله و إنعامه.(٥)

[٣٠] «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥١ ـ ٢٥٢.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٢.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٥.

٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٥.

«أم يقولون»؛ أي: بل أيقولون. «نتربّص»؛ أي: ننتظر [به] حـوادث «المـنون»؛ أي: الدهر. و هو أن يموت كما يموت من تقدّمه من الشعراء.(١)

«المنون»: ما يقلق النفوس [من] حوادث الدهر.(٢)

«ريب المنون»؛ أي: الموت. من منّه: إذا قطعه. لأنّ الموت قطوع. قالوا: ننتظر هلاكه كما هلك من قبله من الشعراء زهير و النابغة.(٣)

[٣١] «قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ».

«قل تربّصوا» على جهة التهديد لهم. أي: إن تربّصتم فيّ حوادث الدهر، فإنّي منتظر بكم مثل ذلك.(٤)

«من المتربّصين» لهلاككم كما تتربّصون هلاكي.(٥)

[٣٢] «أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ».

«أحلامهم»؛ أي: عقولهم. «بهذا»؛ أي: بما يقولون لك. و كانت عظماء قريش توصف بالأحلام و العقول، فأزرى الله سبحانه بعقولهم حيث لم تميّز لهم بين الحقّ و الباطل. «أم هم قوم طاغون»؛ أي: الذي حملهم على تكذيبك هو الطغيان لا الأحلام و العقول.(٦)

«أحلامهم بهذا»؛ أي: بهذا التناقض في القول. فإنّ الكاهن يكون ذا فطنة و دقّة نظر و المجنون مغطًّى عقله، و الشاعر يكون ذا كلام موزون و لايتأتّى ذلك مـن المجـنون. و أمـر الأحلام به مجاز عن أدائها إليه. «طاغون»: مجاوزون الحدّ في العناد.(٧)

[٣٣] «أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٥.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤١٣.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٤.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٦.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٤.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٦.

«تقوّله»: افتعل القرآن و تكذّبه من تلقاء نفسه. و التقوّل: تكلّف القول. و لا يقال ذلك إلّا في الكذب. «لايؤمنون»؛ أي: ثبت أنّه من عند الله ولكنّهم لايصدّقون به عناداً و حسداً.(١)

«بل لايؤمنون» فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم و عنادهم.(٢)

[٣٤] «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ».

«مثله»؛ أي: مثل القرآن. «إن كانوا صادقين» في أنّ محمّداً ﷺ تقوّله.(٣)

«إن كانوا صادقين» في زعمهم. إذ فيهم كثير ممّن عدّوا [فصحاء]. فهو ردّ للأقوال المذكورة بالتحدّي. و يجوز أن يكون ردّاً للقول الأخير. لأنّ سائر الأقوال ظاهرها الفساد.(٤)

[٣٥ ـ ٣٦] «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ».

«أم خلقوا من غير شيء»؛ أي: خلقوا باطلاً لا يحاسبون و لايؤمرون و لاينهون. و قيل: معناه: أخلقوا من غير خالق و مدبّر؟ «أم هم الخالقون» لأنفسهم فلايجب عليهم لله أمر. عن ابن‌عبّاس. «أم خلقوا السموات و الأرض» فلذلك لايقرّون بالله و بأنّه خالقهم؟ «بل لايوقنون» بأنّ لهم إلهاً يستحقّ العبادة و أنّك نبيّ من جهته.(٥)

«أم خلقوا»؛ أي: أحدثوا من غير محدث فلذلك لايعبدونه. أو: من أجل لا شيء من عبادة و مجازاة. «أم هم الخالقون». يؤيّد الأوّل. فإنّ معناه: خلقوا أنفسهم. و لذلك عقّبه بقوله: «أم خلقوا السموات و الأرض». و أم في هذه الآيات منقطعة. و معنى الهمزة فيها

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٦.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٤.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٦.

٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٤.

الإنكار. «لا يوقنون»؛ أي: إذا سئلوا من خلقكم و من خلق السموات و الأرض قالوا الله. إذ لو أيقنوا ذلك، لما أعرضوا عن عبادته.[١]

[٣٧] «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ».

«خزائن ربّك»؛ أي: مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا. و قيل: المطر و الرزق. و قيل: خزائن مقدوراته فلايأتيهم إلّا ما يحبّون. «المصيطرون»؛ أي: الأرباب المسلّطون على الناس فليس عليهم مسيطر و لا لهم ملزم و مقوّم. و [قيل:] معناه: أم هم المالكون للناس القاهرون لهم؟ ابن‌كثير بالسين. و حمزة بالإشمام. و الباقون بالصاد.[٢]

«خزائن ربّك»: خزائن رزقه حتّى يرزقوا النبوّة من شاؤوا. أو: خزائن علمه حتّى يختاروا لها من اختارته حكمته. «المصيطرون»: الغالبون على الأشياء يدبّرونها كيف شاؤوا.[٣]

«المصيطرون»؛ أي: الأرباب الغالبون حتّى يدبّروا أمر الربوبيّة و يبنوا الأمور على إرادتهم و مشيّتهم.[٤]

[٣٨] «أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ».

«سلّم»؛ أي: مرقًى إلى السماء و مصعد. «يستمعون فيه» الوحي من السماء. فقد وثقوا بما هم عليه و ردّوا ما سواه. «بسلطان»؛ أي: بحجّة واضحة على ما يقولون.[٥]

«أم لهم سلّم» منصوب إلى السماء يستمعون صاعدين فيه إلى كلام الملائكة و ما يوحى إليهم من علم الغيب حتّى يعلموا ما هو كائن من تقدّم هلاكه على هلاكهم و ظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون؟[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٦.
٢ـ مجمع البيان / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ و ٢٥٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٦.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤١٤.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٥.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤١٤.

[٣٩] «أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَ لَكُمُ الْبَنُونَ».

«أم له البنات». تسفيه لأحلامهم و إشعار بأنّ من هذا رأيه لايعدّ من العقلاء فضلاً أن يترقّى روحه إلى عالم الملكوت فيطّلع على الغيب.(١)

«أم له البنات». تسفيه لأحلامهم حيث أثبتوا له الولد و اختاروا له ما أنفوا منه و هو البنات.(٢)

«أم له البنات». و هو ما قالت قريش إنّ الملائكة بنات الله.(٣)

[٤٠] «أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ».

«أم تسألهم أجراً»؛ أي: ثواباً على أداء الرسالة و تعليم الأحكام فيكون قد أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم عن الإيمان بك؟(٤)

[٤١] «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ».

«أم عندهم الغيب» حتّى علموا أنّ محمّداً يموت قبلهم؟(٥)

«الغيب»؛ أي: اللّوح المحفوظ. «فهم يكتبون» ما فيه حتّى يقولوا لانبعث و إن بعثنا لانعذّب.(٦)

[٤٢] «أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ».

«أم يريدون كيداً». و هو كيدهم في دار الندوة برسول الله و بالمؤمنين. «فالّذين كفروا». إشارة إليهم. أو أريد بهم كلّ من كفر بالله. «هم المكيدون»؛ أي: الذين يعود عليهم وبال كيدهم و يحيق بهم. و ذلك أنّهم قتلوا يوم بدر. أو: المغلوبون في الكيد. من كايدته

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٦.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٥.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٣.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٥.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٦.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤١٤.

فكذّبته.[١]

[٤٣] «أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

[٤٤] «وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ».

«كسفاً». الكسف: القطعة. و هو جواب قولهم: «أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً».[٢] يريد أنّهم لشدّة طغيانهم و عنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا: «سحاب مركوم» بعضه فوق بعض يمطرنا، و لم يصدّقوا أنّه كسف ساقط للعذاب.[٣]

[٤٥] «فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ».

«يصعقون»: يموتون. و ذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق.[٤]

ابن عامر و عاصم: «يصعقون» بضمّ الياء، و الباقون بفتحها.[٥]

[٤٦] «يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَ لَا هُمْ يُنْصَرُونَ».

[٤٧] «وَ إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذٰلِكَ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«للّذين ظلموا»؛ أي: هؤلاء الظلمة. «عذاباً دون ذلك»: دون يوم القيامة. و هو القتل ببدر و القحط سبع سنين و عذاب القبر.[٦]

«للّذين ظلموا» آل محمّد حقّهم «عذاباً دون ذلك». قال: عذاب الرجعة بالسيف.[٧]

[٤٨] «وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ».

١ـ الكشّاف ٤ / ٤١٤.
٢ـ الإسراء (١٧) / ٩٢.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤١٥.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤١٥.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٥.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤١٥.
٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٤.

«لحكم ربّك» بإمهالهم وما يلحقك فيه من المشقّة و الكلفة. «فإنّك بأعيننا». هذا مثل. أي: بحيث نراك و نكلؤك. و جمع العين لأنّ الضمير بلفظ ضمير الجماعة. ألا ترى إلى قوله: «و لتصنع على عيني»؟[١] «حين تقوم» من أيّ مكان قمت. و قيل: من منامك.[٢]

«و سبّح بحمد ربّك حين تقوم». قال: صلاة اللّيل.[٣]

[٤٩] «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبَارَ النُّجُومِ».

«و إدبار النجوم»: إذا أدبرت النجوم. و المراد الأمر بقوله: «سبحان الله و بحمده» في هذه الأوقات. و قيل: التسبيح الصلاة إذا قام من نومه. و «من اللّيل» صلاة العشاءين. و «إدبار النجوم» صلاة الفجر.[٤]

و عن الرضاعليه السلام قال: «أدبار السجود»[٥] أربع ركعات بعد المغرب و «إدبار النجوم» ركعتان قبل صلاة الفجر.[٦]

١ـ طه (٢٠) / ٣٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤١٥.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٣.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤١٥.
٥ـ ق (٥٠) / ٤٠.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٣.

٥٣. سورة النجم

عن أبي عبدالله: من كان يدمن قراءة و النجم في كلّ ليلة، عاش محموداً بين الناس، و كان مغفوراً، و كان محبوباً بين الناس.[١]

عنه ﷺ: من قرأ سورة و النجم، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمّد و من جحد به.[٢]

قوله تعالى: «أ فمن هذ الحديث» إلى: «سامدون»[٣] يكتب و يعلّق لبكاء الأطفال.[٤]

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * وَ النَّجْمِ إِذَا هَوىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوىٰ».

أقسم بجنس النجوم أو الثريّا ـ فإنّه غالب فيه ـ إذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو انقضّ أو طلع، أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل، أو النبات إذا سقط على الأرض و إذا نما. «ما ضلّ صاحبكم»: ما عدل محمّد عن الطريق المستقيم. و الخطاب للقريش. «و ما غوى»: و ما اعتقد باطلاً. و المراد نفي ما ينسبون إليه.[٥]

عن أبي جعفر ﷺ في قوله «و النجم»: أقسم بقبر[٦] محمّد إذا قبض. «ما ضلّ صاحبكم»

١ـ ثواب الأعمال / ١٤٣.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٥٨.

٣ـ النجم (٥٣) / ٥٩ ـ ٦١.

٤ـ المصباح / ٦١١.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٨.

٦ـ المصدر: بقبض.

بتفضيله أهل بيته.(١)

«و النجم». قال: النجم رسول الله لمّا أسري به إلى السماء و هو في الهواء.(٢)

[٣ ـ ٤] «وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ».

«و ما ينطق»؛ أي: ما يصدر نطقه بالقرآن «عن الهوى». «إن هو إلّا وحي». احتجّ من لم ير الاجتهاد به. و أجيب عنه بأنّه إذا أوحى إليه بأن يجتهد، كان اجتهاده و ما يستند إليه وحيه. و فيه نظر. لأنّ ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا أخذ رسول الله بيد عليّ عليه السلام يوم الغدير، صرخ إبليس صرخة فلم يبق منهم في برّ و لا بحر إلّا أتوه فقالوا: يا سيّدهم و مولاهم، ماذا دهاك؟ فما سمعنا لك صرخة أوحش من صرختك هذه! فقال لهم: فعل هذا النبيّ فعلاً إن تمّ له لم يعص الله. فقالوا: يا سيّدهم، أنت كنت لآدم. فلمّا قال المنافقون: إنّه ينطق عن الهوى و قال أحدهما لصاحبه: أما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنّه مجنون ـ يعنون رسول الله صلى الله عليه و آله ـ صرخ إبليس صرخة بطرب فجمع أولياءه فقال لهم: أما علمتم أنّي كنت لآدم من قبل؟ قالوا: نعم. قال: آدم نقض العهد [و لم يكفر بالربّ و هؤلاء نقضوا العهد] و كفروا بالرسول صلوات الله عليه و آله.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا مرض النبيّ مرضه الذي قبض فيه، اجتمع أهل بيته و أصحابه فقالوا: يا رسول الله، إن حدث بك حدث، فمن القائم بأمرك بعدك؟ فلم يجبهم. ففعلوا معه ثلاثة أيّام فقال لهم: إذا كان غداً، هبط نجم من السماء في دار رجل من أصحابي. فانظروا من هو. فهو خليفتي عليكم من بعدي و القائم فيكم. فلمّا كان اليوم الرابع، جلس كلّ رجل منهم في حجرته ينتظر هبوط النجم إذ انقضّ نجم من السماء قد غلب ضوؤه على ضوء الدنيا حتّى وقع في حجرة عليّ عليه السلام. فهاج القوم و قالوا: و الله لقد ضلّ هذا الرجل! فنزلت الآية:

١ـ الكافي ٨ / ٣٨٠، ح ٥٧٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٨.
٤ـ الكافي ٨ / ٣٤٤، ح ٥٤٢.

«و النجم إذا هوى».[١]

و عن ابن‌عبّاس قال: صلّينا العشاء الآخرة ذات ليلة مع رسول الله. فلمّا سلّم أقبل علينا فقال: إنّه سينقضّ كوكب من السماء مع طلوع الفجر فيسقط في دار أحدكم. فمن سقط في داره، فهو الإمام و الخليفة من بعدي. فلمّا كان قرب الفجر، جلس كلّ واحد منّا في داره و كان أطمع القوم في ذلك أبي العبّاس. فلمّا طلع الفجر، انقضّ الكوكب في دار عليّ عليه السلام. فقال رسول الله لعليّ عليه السلام: يا عليّ، و الذي بعثني بالنبوّة، لقد وجبت لك الوصيّة و الخلافة و الإمامة بعدي. فقال المنافقون ـ عبدالله بن أبيّ و أصحابه ـ: لقد ضلّ محمّد في محبّة ابن عمّه و غوى. و ما ينطق في شأنه إلّا بالهوى. فأنزل الله: «و النجم إذا هوى». يقول: [و] خالق النجم إذا هوى، «ما ضلّ صاحبكم» في محبّة عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام [«و ما غوى و ما ينطق عن الهوى» يعني في شأنه. «إن هو إلّا وحي يوحى»].[٢]

[٥ ـ ٧] «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوىٰ * وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلىٰ».

«شديد القوى»؛ أي: جبرئيل. «ذو مرّة»؛ أي: قوّة و شدّة. من قوّته أنّه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود فرفعها إلى السماء، ثمّ قلبها. و قيل: «شديد القوى» في ذات الله. «ذو مرّة»؛ أي: صحّة و خلق في الجسم. و قيل: «ذو مرّة»؛ أي: مرور في الهوى ذاهباً و جائياً. «فاستوى» جبرئيل على صورته التي خلق عليها بعد انحداره إلى محمّد. و قيل: ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمّد مرّتين؛ مرّة في السماء، و مرّة في الأرض.[٣]

و قيل: «استوى» بقوّته على ما جعل له من الأمر. «و هو»؛ أي: جبرئيل «بالأفق الأعلى»: أفق السماء.[٤]

١ـ أمالي الصدوق / ٤٦٨، ح ١.

٢ـ أمالي الصدوق / ٤٥٣، ح ٤. و يوجد في النسخة بعده: «و روي هذا الحديث عن الصادق عليه السلام». و لا وجه لهذه العبارة حيث حديث الصادق عليه السلام قبل هذا الخبر.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٦١ ـ ٢٦٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٨.

عن أبي‌الحسن‌عليه السلام: ما بعث الله نبيّاً إلّا صاحب مرّة سوداء صافية. و قوله: «و هو بالأفق الاعلى» يعني رسول الله من ربّه.[١]

[٨ ـ ٩] «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ».

«ثمّ دنا» من النبيّ «فتدلّى»: فتعلّق به. و هو تمثيل لعروجه بالرسول. و قيل: ثمّ تدلّى من الأفق الأعلى فدنا من الرسول. فيكون إشعاراً بأنّه عرج به غير منفصل عن محلّه و تقريراً لشدّة قوّته. فإنّ التدلّي استرسال مع تعلّق كتدلّي الثمرة. «فكان». أي جبرئيل ـ كقولك: هو منّي معقد الإزار ـ أو المسافة بينهما. «قاب قوسين»: مقدارهما. «أو أدنى» على تقديركم. كقوله: «أو يزيدون».[٢] و المقصود تمثيل ملكة الاتّصال و تحقيق استماعه لما أوحى إليه بنفي البعد الملبّس.[٣]

«فتدلّى». قال: إنّما نزلت: ثمّ دنا فتدانى. «فكان قاب قوسين أو أدنى». قال: كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية. «أو أدنى». أي من نعمته و رحمته. قال: بل أدنى من ذلك. و فيه: «و كان قاب قوسين أو أدنى». كان بين لفظه و بين سماع محمّد كما بين وتر القوس و عوده.[٤]

عن زين العابدين‌عليه السلام في قوله: «ثمّ دنا فتدلّى» قال: ذلك أنّ رسول الله دنا من حجب النور فرأى ملكوت السموات، ثمّ تدلّى فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتّى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى.[٥]

عن أميرالمؤمنين‌عليه السلام لمّا سأله يهوديّ أنّ سليمان سخّر الله له الرياح غدوّها شهر و رواحها شهر، قال: إنّ الله عرج بمحمّد في ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف عام في أقلّ من ثلث ليلة حتّى انتهى إلى ساق العرش فدنا بالعلم.[٦]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٤.
٢ـ الصافّات (٣٧) / ١٤٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٨ ـ ٤٣٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٤.
٥ـ علل الشرائع / ١٣١ ـ ١٣٢، ح ١.
٦ـ الاحتجاج / ٢٢٠.

قال رسول الله: لمّا عرج بي إلى السماء و دنوت من ربّي، كان بيني و بينه قاب قوسين أو أدنى. قال لي: [يا] محمّد، من تحبّ من الخلق؟ قلت: عليّ بن أبي طالب. قال: التفت يا محمّد. فالتفتّ عن يساري، فإذا عليّ بن أبي طالب.(١)

[قال رسول الله ﷺ: لمّا أسري بي إلى السماء، كنت من ربّي كقاب قوسين أو أدنى فأوحى إليّ ربّي ما أوحى.] ثمّ قال لي: يا محمّد، اقرأ عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين إنّي ما سمّيت بهذا أحداً قبله و لا أسمّي به أحداً بعده.(٢)

[١٠] «فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحىٰ».

«فأوحى» جبرئيل «إلى عبده»؛ أي: عبد الله «ما أوحى» جبرئيل ـ و فيه تفخيم للموحى به ـ أو الله إليه. و قيل: الضمائر كلّها لله. و هو المعنيّ بشديد القوّة ـ كقوله: «هو الرزّاق ذو القوّة المتين»(٣) ـ و دنوّه منه برفع مكانته، و تدلّيه جذبه بشراشره إلى جناب القدس.(٤)

«فأوحى إلى عبده ما أوحى». قال رسول الله: أوحى إليّ أنّ عليّاً عليه السلام سيّد المؤمنين و إمام المتّقين و قائد الغرّ المحجّلين.(٥)

عن أبي عبدالله «فأوحى إلى عبده ما أوحى» قال: دفع إليه كتاب أصحاب اليمين و أصحاب الشمال، فنظر في الصحيفتين و قرأ أهل الجنّة و أهل النار. ثمّ نزل و معه الصحيفتان فدفعهما إلى عليّ بن أبي طالب.(٦)

[١١] «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأىٰ».

أبو جعفر: «كذّب» بالتشديد.(٧)

١ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٣٦٢.
٢ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٣٠١.
٣ـ الذاريات (٥٢) / ٥٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٩.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٤.
٦ـ بصائر الدرجات / ٢١٠ ـ ٢١١، ح ١.
٧ـ مجمع البيان ٩ / ٢٦٣.

«ماكذب الفؤاد ما رأى»: ما رأى ببصره من صورة جبرئيل أو الله تعالى. أي: ماكذب بصره بما حكاه له. فإنّ الأمور القدسيّة تدرك أوّلاً بالقلب ثمّ ينتقل منه إلى البصر. أو: ما قال فؤاده لما رآه: لم أعرفك. و لو قال ذلك كان كاذباً. لأنّه عرفه بقلبه كما رآه ببصره. أو: ما رآه بقلبه. و المعنى: لم يكن تخيّلاً كاذباً. ويدلّ عليه أنّه ﷺ سئل: هل رأيت ربّك؟ فقال: رأيته بفؤادي.(١)

عن الرضا ﷺ: «ماكذب الفؤاد ما رأى». يقول: ماكذب فؤاد محمّد ما رأت عيناه. ثمّ أخبر بما رأى فقال: «لقد رأى من آيات ربّه الكبرى». و آيات الله غير الله.(٢)

[١٢] «أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ».

«أفتمارونه»؛ أي؛ تجادلونه عليه. حمزة و الكسائيّ: «أفتمرونه»؛ أي؛ افتغلبونه في المراد. من ماريته فمريته. أو: أفتجحدونه. من مراه حقّه، إذا جحده. و «على» لتضمّن الفعل معنى الغبلة. فإنّ المماري و الجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم.(٣)

[١٣] «وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ».

«نزلة أخرى»: مرّة أخرى. فعلة من النزول أقيمت مقام المرّة و نصبت نصبها إشعاراً بأنّ الرؤية في هذه المرّة كانت أيضاً بنزلة و دنوّ. و قيل: تقديره: و لقد رآه نازلاً نزلة أخرى. و نصبها على المصدر. و المراد به نفي الريبة عن المرّة الأخيرة.(٤)

[١٤] «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ».

«عند سدرة المنتهى» التي ينتهي إليها علم الخلائق و أعمالهم و ما ينزل من فوقها و يصعد من تحتها. و روي أنّها في السماء السابعة.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٩.
٢ـ الكافي ١ / ٩٦، ح ٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٩.

[١٥] «عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَـأْوىٰ».

«جنّة المأوى»: الجنّة التي يأوي إليها المتّقون أو أرواح الشهداء.(١)

[١٦] «إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشىٰ».

«ما يغشى». تعظيم و تكثير لما يغشاها بحيث لايكتنهها نعت و لايحصيها عدّ. و قيل: ما يغشاها الجمّ الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها.(٢)

[١٧] «مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغىٰ».

«ما زاغ البصر»؛ أي؛ ما مال بصر رسول الله عمّا رآه «و ما طغى»؛ أي: ما تجاوزه بـل أثبته إثباتاً صحيحاً.(٣)

[١٨] «لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ».

«آيات ربّه الكبرى»؛ أي: الكبرى من آياته الملكيّة و الملكوتيّة ليلة المعراج. و قـد قيل: إنّها المعنيّة بما رأى.(٤)

[١٩] «أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزّىٰ * وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرىٰ».

«اللّات و العزّى و مناة». هي أصنام كانت لهم. فاللّات كانت لثقيف في الطائف. و هي فعلة من لوى، لأنّهم كانوا يلوون عليها؛ أي: يطوفون. و العزّى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله فقطعها. و أصلها تأنيث الأعزّ. و مناة صخرة كانت لهذيل. عن مناه: إذا قطعه. فإنّهم كانوا يذبحون عندها القرابين و هو بمنى. و قوله: «الثالثة الأخرى» صفتان للتأكيد، أو الأخرى من التأخّر في الرتبة. و قرأ ابن‌كثير: «و مناءة»(٥) مفعلة مـن النـوء.

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٩.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

٥ـ في النسخة و المصدر: مناة.

[فإنّهم] كانوا يستمطرون الأنواء عندها تبرّكاً بها.[١]

[٢١] «أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنثىٰ».

«ألكم الذكر و له الأنثى». إنكار لقولهم: الملائكة بنات الله. و هذه الأصنام استوطنها جنّـيّات هي بناته أو هياكل الملائكة.[٢]

[٢٢] «تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزىٰ».

«ضيزى»: جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه. و قوله: «ضيزى» ابن‌كثير بالهمزة من ضأزه، إذا ظلمه، على أنّه مصدر نعت به.[٣]

[٢٣] «إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُـلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدىٰ».

«إن هي». الضمير للأصنام. أي: ما هي باعتبار الألوهيّة إلّا أسماء تطلقونها عـليها و ليس فيها شيء من معنى الألوهيّة. «من سلطان»: أي: برهان يتعلّقون به. «إلّا الظنّ»: إلّا توهّم أنّ ما عليه آباؤكم [حقّ] تقليداً و توهّماً باطلاً. «الهـدى»: الرسـول و الكـتاب، فتركوه.[٤]

[٢٤ ـ ٢٥] «أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَـنّىٰ ＊ فَلِلّٰهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولىٰ».

ثمّ أنكر عليهم شفاعة الأوثان فقال: «أم للإنسان»: أي: للكافر «ما تمنّى» من شفاعة الأوثان؟ «فللّه الآخرة و الأولى» لايملك فيها أحد شيئاً إلّا بإذنه. و قيل: معناه: بل للإنسان ما تمنّى من غير جزاء؟ [لا] ليس الأمر كذلك. لأنّ لله الآخرة و الأولى يعطي و يمنع منها. و قيل: معناه: ليس للإنسان ما يـتمنّى مـن نـعيم الدنـيا و الآخـرة بـل يـفعله الله بحسب

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٠.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٠.

المصلحة.[١]

«أم للإنسان». أم منقطعة. و معنى الهمزة فيه الإنكار. و المراد نفي طمعهم في قولهم: «و لئن رجعت إلى ربّي إنّ لي عنده للحسنى»[٢] و قولهم: «لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»[٣] و نحوهما. «فللّه الآخرة و الأولى» ليس لأحد أن يتحكّم عليه في شيء منهما.[٤]

[٢٦] «وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللّٰهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضىٰ».

«من بعد أن يأذن الله» لهم في الشفاعة «لمن يشاء» من أهل الإيمان.[٥]

«لمن يشاء» من الملائكة أن يشفع، أو من الناس أن يشفع له. فكيف تشفع الأصنام؟[٦]

[٢٧ ـ ٢٨] «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثىٰ ۞ وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً».

«تسمية الأنثى»؛ أي: بنات الله. «وما لهم به»؛ أي: بالتسمية «من علم» بأنّهم إناث. «من الحقّ». الحقّ هنا بمعنى العلم. أي: الظنّ هنا لايقوم مقام العلم.[٧]

«من الحقّ». فإنّ الحقّ الذي هو حقيقة الشيء لايدرك إلّا بالعلم. و الظنّ لا اعتبار له في المعارف الحقيقيّة و إنّما العبرة [به] في العمليّات و ما يكون وصلة إليها.[٨]

[٢٩] «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنَا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا».

«عن ذكرنا»؛ أي: التوحيد. أي: لاتقابلهم على أفعالهم و لاتدع مع هذا دعاءهم إلى

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٦٨.
٢ـ فصّلت (٤١) / ٥٠.
٣ـ الزخرف (٤٣) / ٣١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٠.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٦٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤١.
٧ـ مجمع البيان ٩ / ٢٦٩.
٨ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤١.

الحقّ.[١]

«فأعرض عمّن تولّى»؛ أي: عن دعوته و الاهتمام بشأنه. فإنّ من غفل عن الله و انهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همّه و مبلغ علمه، لاتزيده الدعوة إلّا عناداً و إصراراً على الباطل.[٢]

[٣٠] «ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدىٰ».

«ذلك مبلغهم من العلم»؛ أي: الإعراض عن التدبّر في أمور الآخرة و صرف الهمّة إلى اللّذّات العاجلة منتهى علمهم وهو مبلغ خسيس لايرضى به عاقل لأنّه من طبائع البهائم [أن] تأكل في الحال ولا تنظر العواقب.[٣]

«ذلك»؛ أي: أمر الدنيا و كونها شهيّة «مبلغهم من العلم» لايتجاوزه علمهم. و الجملة اعتراض مقرّر لقصور همّتهم. «إنّ ربّك». تعليل للأمر بالإعراض. أي: إنّما يعلم الله من يجيب ممّن لايجيب. فلاتتعب نفسك في دعوتهم؛ إذ ما عليك إلّا البلاغ و قد بلّغت.[٤]

في حديث طويل عن أميرالمؤمنين عليه السلام و قد ذكر الملحدين في آيات الله: و وكّلوا تأليف القرآن و نظمه إلى بعض من وافقهم على معاداة أولياء الله. فألّفه على اختيارهم و بما يدلّ للمتأمّل على اختلال تميزهم و افترائهم و تركوا منه ما قد رأوا أنّه وهن عليهم و زادوا فيه ما ظهر تناكره و تنافره. و علم الله أنّ ذلك يظهر و يبين فقال: «ذلك مبلغهم من العلم».[٥]

[٣١] «وَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ».

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٦٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤١.

٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٦٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤١.

٥ـ الاحتجاج / ٢٥٧.

«و لله ما في السموات و ما في الأرض». اعتراض. و اللّام في «ليجزي» لام العاقبة. «أساؤوا»؛ أي: أشركوا. «الذين أحسنوا»؛ أي: وحّدوا ربّهم. «بالحسنى»؛ أي: الجنّة. و قيل: اللّام في ليجزي متعلّق بما في قوله: «و لله ما في السموات». يعني أنّه خلقهم ليتعبّدهم، فمنهم المحسن و منهم المسيء، و إنّما كلّفهم ليجزي كلّاً بعلمه. فيكون اللّام للغرض.[١]

«بالحسنى»؛ أي: بأحسن من أعمالهم. أو بسبب الأعمال الحسنى.[٢]

[٣٢] «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ».

«كبائر الإثم»: عظائم الذنوب. «و الفواحش»: أقبح الذنوب و أفحشها. و قيل: الكبيرة كلّ ذنب ختم بالنار. و الفواحش كلّ ذنب فيه الحدّ. «إلّا اللّمم». قيل: هو صغار الذنوب كالنظرة و القبلة و ما كان دون الزنى. و قيل: هو ما ألمّوا به في الجاهليّة من الإثم، فإنّه معفوّ عنه في الإسلام. فيكون الاستثناء منقطعاً. و قيل: هو أن يلمّ بالذنب مرّة ثمّ يتوب منه و لايعود. و يدلّ على ذلك قوله: «إنّ ربّك واسع المغفرة». و قال ابن‌عبّاس: لمن فعل ذلك و تاب. و معناه أنّ رحمته تسع جميع الذنوب. و تمّ الكلام هنا ثمّ قال: «هو أعلم بكم». يعني قبل أن خلقكم إذ أنشأ أباكم آدم من الأرض.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش» قال: الفواحش الزنى و السرقة. و اللّمم الرجل يلمّ بالذنب فيستغفر الله منه. قلت: بين الضلال والكفر منزلة. فقال: ما أكثر عرى الإيمان![٤]

و قال في حديث آخر: اللّمم هو الذنب يلمّ به الرجل فيمكث ما شاء الله، ثمّ يلمّ به

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤١.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧١ ـ ٢٧٢.
٤ـ الكافي ٢ / ٤٤٢، ح ٣.

بعد.[١]

و عنهعليه السلام: اللّمم العبد يلمّ بالذنب بعد الذنب ليس من سابقته[٢]؛ أي: من طبعه.[٣]

«كبائر الإثم». حمزة و الكسائيّ: «كبير الإثم». و إفراد الإثم على إرادة الجنس أو الشرك.[٤]

عن الرضاعليه السلام: الكبائر هي: قتل النفس التي حرّم الله، و الزنى، و السرقة، و شرب الخمر، و عقوق الوالدين، و الفرار من الزحف، و أكل مال اليتيم ظلماً، و أكل الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما أهلّ لغير الله [به] من غير ضرورة، و أكل الربا بعد البيّنة، و السحت، و الميسر ـ و هو القمار ـ و البخس في المكيال و الميزان، و قذف المحصنات، و اللّواط، و شهادة الزور، و اليأس من روح الله، و الأمن من مكر الله، و القنوط من رحمة الله، و معاونة الظالمين و الركون إليهم، و اليمين الغموس، و حبس الحقوق من غير عسر، و الكذب، و الكبر، و الإسراف، و التبذير، و الخيانة، و الاستخفاف بالحجّ، و المحاربة لأولياء الله، و الاشتغال بالملاهي، و الإصرار على الذنوب.[٥]

عن أبي إسحاق اللّيثيّ، عن الباقرعليه السلام في حديث طويل يذكر فيه طينة الشيعة و طينة الناصب و أنّ الله مزج بينهما إلى قوله: فما رأيت من شيعتنا من زنىً أو لواط أو ترك صلاة أو صيام أو حجّ أو زكاة أو جهاد أو خيانة أو كبعض[٦] من هذه الكبائر، فهو من طينة الناصب و عنصره الذي قد مزج فيه. لأنّ من سنخ الناصب و عنصره و طينته اكتساب المآثم و الفواحش و الكبائر. و ما رأيت من الناصب و مواظبته على الصلاة و الصيام و الزكاة و الحجّ والجهاد و أبواب البرّ، فهو من طينة المؤمن و سنخه الذي مزج فيه. لأنّ من سنخ المؤمن و عنصره اكتساب الحسنات. و في آخره قالعليه السلام: اقرأ يا إبراهيم: «الذين يجتنبون» ـ الآية. يقول: لايفتخر أحدكم بكثرة صلاته و صيامه و نسكه و زكاته. لأنّ الله أعلم بمن

١ـ الكافي ٢ / ٤٤١، ح ١.

٢ـ المصدر: سليقته.

٣ـ الكافي ٢ / ٤٤٢، ح ٥.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤١.

٥ـ عيون الأخبار ٢ / ١٢٥، ح ١.

٦ـ المصدر: كبيرة.

اتّقى منكم. فإنّ ذلك من قبل اللّمم و هو المزج.[١]

«أنشأكم من الأرض»: [يعني من] الأرض الطيّبة و الأرض المنتنة.[٢]

يلمّ بالذنب: يقاربه و ينزل إليه ليفعله.

«فلاتزكّوا أنفسكم»؛ أي: لاتنسبوها إلى زكاء [العمل] و زيادة الخير و عمل الطاعات ـ أو إلى الزكاء و الطهارة من المعاصي ـ و لاتثنوا عليها و اهضموها. فقد علم الله الزكيّ منكم و التقيّ أوّلاً و آخراً قبل أن يخرجكم من صلب آدم و قبل أن تخرجوا من بطون أمّهاتكم. و قيل: كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثمّ يقولون: صلاتنا و صيامنا و حجّنا، فنزلت. و هذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء. فأمّا من اعتقد أنّ ما عمله بتوفيق الله و لم يقصد به التمدّح، لم يكن من المزكّين أنفسهم. لأنّ المسرّة بالطاعة طاعة و ذكرها شكر.[٣]

قال سفيان: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما يجوز أن يزكّي المرء نفسه؟ قال: نعم، إذا اضطرّ إليه أما سمعت قول يوسف: «اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ عليم»[٤] و قول العبد الصالح: «و أنا لكم ناصح أمين»[٥].[٦]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «فلاتزكّوا أنفسكم» قال: قول الناس: صلّيت البارحة و صمت أمس. فقال عليه السلام: إنّ قوماً كانوا يصبحون فيقولون: صلّينا البارحة و صمنا أمس. فقال عليّ عليه السلام: لكنّي أنام اللّيل و النهار. و لو أجد بينهما شيئاً لنمعة.[٧]

[٣٣ ـ ٣٥] «أَ فَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلّٰى * وَ أَعْطىٰ قَلِيلاً وَ أَكْدىٰ * أَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرىٰ».

١ـ علل الشرائع / ٦٠٨ و ٦١٠، ح ٨١.

٢ـ هذا جزء من رواية أبي‌إسحاق المنقولة من العلل ملخّصاً؛ و قد حذف في الفقرة السابقة عند التلخيص ثمّ ذكر في حاشية أخرى.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٦.

٤ـ يوسف (١٢) / ٥٥.

٥ـ الأعراف (٧) / ٦٨.

٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ١٨١.

٧ـ معاني الأخبار / ٢٤٣، ح ١.

«و أكدى»؛ أي: قطع عطيّته. روي أنّ عثمان كان يعطي ماله في الخير، فقال له ابن أبي‌سرح ـ و هو أخوه من الرضاعة ـ: يوشك أن لايبق لك شيء. فقال عثمان: إنّ لي ذنوباً. و إنّي أطلب بما أصنع عفو الله. فقال له أخوه: أعطني ناقتك برحلها و أنا أتحمّل عنك ذنوبك كلّها، فأعطاه و أشهد عليه و أمسك عن العطاء. فنزلت. و معنى «تولّى»: ترك المركز يوم أحد. فعاد عثمان إلى أجمل من ذلك. «يرى»؛ أي: يعلم أنّ ما قال أخوه من احتمال أوزاره حقّ.(١)

[٣٦ ـ ٣٧] «أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسىٰ * وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ».

«وفّى». مبالغة في الوفاء. من ذلك تبليغه الرسالة و الصبر على ذبح ولده و على نار نمرود و أنّه كان كلّ يوم يمشي فرسخاً يرتاد ضيفاً، فإن وافقه أكرمه و إلّا نوى الصوم.(٢)

«وفّى». أي بما أمره الله من الأمر و النهي و ذبح ابنه.(٣)

«و إبراهيم الذي وفّى». عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان إذا أصبح قال: «أصبحت و ربّي محمود. أصبحت لاأشرك بالله شيئاً و لاأدعو معه إلهاً و لاأتّخذ من دونه وليّاً.» ثلاثاً، و إذا أمسى قال ثلاثاً. فهو قد وفّى.(٤)

[٣٨] «أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ».

«ألّاتزر». أن مخفّفة من الثقيلة. أي: أنّه لاتزر، و الضمير للشأن. و محلّ أن و ما بعدها الجرّ بدلاً من «ما في صحف» أو الرفع على: هو أن لاتزر. كأنّ قائلاً قال: و ما في صحف موسى و إبراهيم؟ فقيل: ألّا تزر.(٥)

[٣٩] «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعىٰ».

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٧.
٢ـ الكشّاف ٤ / ١٠٨.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٨.
٤ـ الكافي ٢ / ٥٣٤ ـ ٥٣٥، ح ٣٨.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

«إلّا ما سعى»: إلّا سعيه. فإن قلت: أما صحّ في الأخبار الصدقة عن الميّت و الحجّ عنه و له الاضعاف؟ قلت: فيه وجهان. أحدهما: انّ سعي غيره لمّا لم ينفعه إلّا مبنيّاً على سعي نفسه، و هو أن يكون مؤمناً صالحاً، و كذلك الاضعاف، كان سعي غيره كأنّه سعي نفسه لكونه تابعاً له و قائماً بقيامه. و الثاني: انّ سعي غيره لاينفعه إذا عمله لنفسه. ولكن إذا نواه به، فهو في حكم الشرع كالنائب عنه و الوكيل القائم مقامه.(١)

«إلّا ما سعى»؛ أي: كما لايؤاخذ بذنب غيره، لايثاب بفعله.(٢)

«و أن ليس للإنسان إلّا ما سعى». عن ابن‌عبّاس: انّ هذا منسوخ الحكم في شريعتنا. لأنّه سبحانه يقول: «ألحقنا بهم ذرّيّتهم».(٣) رفع درجة الذرّيّة و إن لم يستحقّوها بأعمالهم. و من قال: إنّه غير منسوخ الحكم قال: الآية تدلّ على منع النيابة في الطاعات إلّا ما قام عليه الدليل كالحجّ.(٤)

[٤٠] «وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ».

[٤١] «ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفىٰ».

«يجزاه»؛ أي: يجزى العبد سعيه. يقال: جزاه الله عمله، و جزاه على عمله، بحذف الجارّ و إيصال الفعل. و يجوز أن يكون الضمير للجزاء ثمّ فسّره بقوله: «الجزاء الأوفى».(٥)

[٤٢] «وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ».

«المنتهى»: بمعنى الانتهاء. أي: ينتهي الخلق و يرجعون إليه.(٦)

«و أنّ إلى ربّك المنتهى». قال: إذا انتهى الكلام إلى الله، أمسكوا. و تكلّموا فيما دون العرش و لاتكلّموا فيما فوق العرش. فإنّ قوماً تكلّموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم حتّى

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٢.
٣ـ الطور (٥٢) / ٢١.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧٣.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٨.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٨.

كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه و بالعكس.[١]

[٤٣] «وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكىٰ».

«أضحك و أبكى»؛ أي: خلق قوّتي الضحك و البكاء.[٢]

«أضحك و أبكى». قال: أبكى السماء بالمطر. و أضحك الأرض بالنبات.[٣]

[٤٤] «وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا».

[٤٥ ـ ٤٦] «وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنىٰ».

«إذا تمنى»؛ أي: تدفق في الرحم.[٤]

«إذا تمنى». قال: تتحوّل النطفة إلى الدم.[٥]

[٤٧] «وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرىٰ».

«و أنّ عليه النشأة»؛ أي: واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الإحسان و الإساءة.[٦]

«النشأة الأخرى». ابن‌كثير و أبوعمرو: «النشاءة» بالمدّ. و هو أيضاً مصدر نشأ.[٧]

[٤٨] «وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنىٰ وَ أَقْنىٰ».

«و أقنى»: أعطى القنية و هي المال الذي تأثّلته و عزمت أن لاتخرجه من يدك.[٨]

[٤٩] «وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرىٰ».

«الشعرى»: مرزم الجوزاء، و هي التي تطلع وراءها و كانت خزاعة تعبدها. سنّ ذلك

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٨ ـ ٣٣٩.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٨.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٨.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٩.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٨.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٣.
٨ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٨.

أبوكبشة رجل من أشرافهم. و كانت قريش تقول لرسول الله أبوكبشة، تشبيهاً له [به] لمخالفته إيّاهم في دينهم. يريد أنّه [ربّ] معبودهم.[١]

«ربّ الشعرى»؛ أي: مالكها. فلاتتّخذوا المربوب إلهاً. قيل: كانت خزاعة يعبدونها. و أوّل من عبدها أبوكبشة أحد أجداد النبيّ من قبل أمّهاته.[٢]

«ربّ الشعرى». عبدها أبوكبشة أحد أجداد النبيّ و خالف قريشاً في عبادة الأوثان. و لذلك كانوا يسمّون الرسول ابن أبي‌كبشة. و لعلّ تخصيصها للإشعار بأنّه ﷺ و إن و افق أباكبشة في مخالفته، خالفه أيضاً في عبادتها.[٣]

[٥٠ ـ ٥١] «وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولىٰ ❊ وَ ثَمُودَ فَمَا أَبْقىٰ».

«عاداً الأولى»: قوم هود. و عاد الأخرى إرم. و قيل: الأولى القدماء، لأنّهم أوّل الأمم هلاكاً بعد قوم نوح، أو المتقدّمون في الدنيا الأشراف.[٤]

«عاداً الأولى». نافع و أبوعمرو: «عاداً الّولىٰ» بحذف الهمزة و نقل ضمّته إلى لام التعريف مع جعل الواو همزة. «و ثمود». عاصم و حمزة بغير تنوين و يقفان بغير ألف. و الباقون بالتنوين و يقفون بالألف.[٥]

[٥٢] «وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغىٰ».

«و قوم نوح من قبل» عاد و ثمود.[٦]

«أظلم و أطغى». لأنّهم كانوا يؤذونه و يضربونه حتّى لايكون به حراك و ينفّرون عنه حتّى كانوا يحذّرون صبيانهم أن يسمعوا منه و ما أثّر فيهم دعاؤه قريباً من ألف سنة.[٧]

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٨ ـ ٤٢٩.

٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧٦.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٣.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٣.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٣.

٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٢٩.

[٥٣ ـ ٥٤] «وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوىٰ * فَغَشّٰاهَا مَا غَشّٰى».

«و المؤتفكة»: المنقلبة. و هي التي صار أسفلها أعلاها و أعلاها أسفلها. و هي قرية قوم لوط. «أهوى»؛ أي: أسقط. أهواها جبرئيل بعد أن رفعها و أتبعهم الله بالحجارة. فذلك قوله: «فغشّاها ما غشّى»؛ أي: ألبسها من العذاب ما ألبس. يعني الحجارة المسوّمة التي رموا بها من السماء. و قيل: إنّه تفخيم للعذاب النازل الذي نالها من جهة إبهامه في قوله: «ما غشّى».[١]

قال: «المؤتفكة» البصرة. و الدليل على ذلك قول أميرالمؤمنين عليه السلام: يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة، يا جند المرأة و أتباع البهيمة، رغا فأجبتم و عقر فهربتم. ماؤكم زعاق. و أخلاقكم رقاق. و فيكم ختم النفاق. و لعنتم على لسان سبعين نبيّاً. إنّ رسول الله أخبرني أنّ جبرئيل أخبره أنّه طوت له الأرض فرأى البصرة أقرب الأرضين إلى الماء و أبعدها من السماء، فيها تسعة أعشار الشرّ و الداء العضال. المقيم فيها مذنب. و الخارج منها برحمة الله. و قد ائتفكت بأهلها مرّتين. و على الله تمام الثلاثة. و تمام الثلاثة في الرجعة.[٢]

[٥٥] «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارىٰ».

«فبأيّ آلاء ربّك تتمارى»؛ أي: بأيّ نعم ربّك ترتاب و تشكّ أيّها الإنسان؟ و ذلك لأنّ النقم بكفرانهم التي عدّت، هي نعم علينا لما لنا فيها من اللّطف في الانزجار عن القبيح.[٣]

[٥٦] «هٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولىٰ».

«هذا نذير من النذر». إشارة إلى الرسول. «و النذر الأولى»؛ أي: الرسل قبله. و قيل: هو القرآن. و النذر الأولى صحف إبراهيم و موسى. و قيل: معناه: هذه الأخبار التي أخبرتها عن إهلاك الأمم الأولى نذير لكم.[٤]

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧٥ و ٢٧٧.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧٧.

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله لمّا ذرأ الخلق في الذرّ الأوّل، أقامهم صفوفاً قدّامه و بعث الله محمّداً[١] فآمن به قوم و أنكره قوم. فقال الله: «هذا نذير من النذر الأولى». يعني محمّداً حيث دعاهم إلى الله في الذرّ الأوّل.[٢]

[٥٧] «أَزِفَتِ الْآزِفَةُ».

«أزفت»؛ أي: دنت القيامة. و إنّما سمّيت القيامة آزفة ـ أي: دانية ـ لأنّ كلّ ماهو آت قريب.[٣]

[٥٨] «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ».

«من دون الله»؛ أي: [إذا] غشيت الخلق شدائدها، لم يكشف عنهم أحد. و تأنيث «كاشفة» على تقدير نفس كاشفة. و يجوز أن يكون مصدراً كالعافية.[٤]

[٥٩ ـ ٦١] «أَ فَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَبْكُونَ * وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ».

«أفمن هذا الحديث». يعني بالحديث ما قدّم من الأخبار. عن الصادق عليه السلام. و قيل: من هذا الحديث و نزوله من عند الله على محمّد و كونه معجزاً. «تعجبون» أيّها المشركون. «و تضحكون» استهزاء. «و لاتبكون» انزجاراً لما فيه من الوعيد. «و أنتم سامدون»؛ أي: غافلون لاهون معرضون. و قيل: هو الغناء. كانوا إذا سمعوا القرآن، عارضوه بالغناء ليشتغلوا عن استماعه.[٥]

[٦٢] «فَاسْجُدُوا لِلّٰهِ وَ اعْبُدُوا».

«فاسجدوا لله و اعبدوا». الأمر هنا للوجوب.[٦]

١ـ في النسخة زيادة: «حيث دعاهم».
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٠.
٣ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧٧.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧٧.
٥ـ مجمع البيان ٩ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢٨٨.

٥٤.
سورة القمر

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأ القمر في كلّ غبّ، بعث و وجهه كالقمر ليلة البدر.(١)

القمر: من كتبها يوم الجمعة وقت صلاة الظهر و جعلها تحت عمامته، كان محبوباً مقبولاً.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأها، أخرجه الله من قبره على ناقة من نوق الجنّة.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ».

قال ابن‌عبّاس: اجتمع المشركون إلى رسول الله فقالوا: إن كنت صادقاً، فشقّ لنا القمر فرقتين. فقال لهم رسول الله: إن فعلت تؤمنون؟ قالوا: نعم. و كانت ليلة بدر. فسأل رسول الله ربّه أن يعطيه ما قالوا، فانشقّ القمر فرقتين و رسول الله ينادي: اشهدوا. اشهدوا. و إنّما ذكر سبحانه اقتراب الساعة مع انشقاق القمر، لأنّ انشقاقه من علامة نبوّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله و نبوّته و زمانه من أشراط اقتراب الساعة.(٤)

[٢] «وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ».

«يعرضوا». أي عن تأمّله و الايمان به. «مستمرّ»: مطّرد. و هو يدلّ على أنّهم رأوا قبله آيات أخرى مترادفة و معجزات متتابعة حتّى قالوا ذلك. أو: محكم. من المرّة. يقال: أمررته

١ـ المصباح / ٥٩٢.
٢ـ المصباح / ٦١١.
٣ـ ثواب الأعمال / ١٤٣، ح ١.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٨١ ـ ٢٨٢.

فاستمرّ، إذا أحكمته فاستحكم. أو: مستبشع. من استمرّ، إذا اشتدّت مرارته. أو: مارّ ذاهب لا يبق.[١]

[٣] «وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ».

«أهواءهم». وهو ما زيّن لهم الشيطان من ردّ الحقّ بعد ظهوره. «مستقرّ»؛ أي: منته إلى غاية من خذلان أو نصر في الدنيا و شقاوة أو سعادة في الآخرة. فإنّ الشيء إذا انتهى إلى غايته، ثبت و استقرّ.[٢]

و عن أبي جعفر: «مستقرّ» بالجرّ عطفاً على الساعة. أي: اقتربت الساعة و اقتربت كلّ أمر مستقرّ يستقرّ و يتبيّن حاله.[٣]

[٤] «وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ».

«جاءهم». أي في القرآن من أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة ما فيه ازدجار من تعذيب أو وعيد.[٤]

«من الأنباء»: من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة و ما وصف من عذاب الكفّار.[٥]

[٥] «حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ».

«حكمة بالغة» غايتها لا خلل فيها. و هي بدل من ما أو خبر لمحذوف. «فما تغن». ما نافية، أو استفهام إنكار. أي: فأيّ إغناء يغني النذر؟ و هو جمع نذير بمعنى المنذر أو المنذر منه، أو مصدر بمعنى الإنذار.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٥.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٣١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٥.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٢.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٥.

[٦] «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ».

«فتولّ عنهم» لعلمك بأنّ الإنذار لايغني فيهم. «الداع»: إسرافيل. و إسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف.[١] «نكر»: فظيع تنكره النفوس لأنّها لم تعهد مثله و هو هول القيامة. «نكر». ابن كثير بالتخفيف.[٢]

«الداع». قال: الإمام، إذا خرج يدعوهم إلى ما ينكرون.[٣]

أبوجعفر و أبوعمرو: «الداعي» بإثبات الياء في الوصل و الوقف.[٤]

[٧] «خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ».

«خشّعاً أبصارهم»؛ أي: يخشعن أبصارهم. و هي لغة من يقول: أكلوني البراغيث. و خشوع الأبصار كناية عن الذلّة. لأنّ ذلّة الذليل و عزّة العزيز يظهران في عيونهما. «من الأجداث»: من القبور. «كأنّهم جراد». مثل في الكثرة و التموّج.[٥]

[٨] «مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ».

«مهطعين إلى الداع»: مسرعين مادّي أعناقهم إليه. أو: ناظرين إليه.[٦]

«عسر»؛ أي: صعب شديد.[٧]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: إذا كان يوم القيامة، بعث الله الناس من حفرهم عزلاً جرداً مرداً في صعيد تسوقهم النار و تجمعهم الظلمة حتّى يقفوا على عقبة المحشر فيركب بعضهم بعضاً و يزدحمون دونها و يمنعون من المضيّ فتشتدّ[٨] أنفاسهم و يكثر عرقهم و ترفع أصواتهم. و هو أوّل هول من أهوال القيامة. فيشرف الجبّار عليهم من فوق عرشه [في ظلال من

١ـ في النسخة زيادة: «يوم يخرجون». و في المصدر: «و انتصاب يوم بيخرجون أو بإضمار اذكر».
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٥ ـ ٤٤٦.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤١.
٤ـ مجمع البيان ٩ / ٢٨٠.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٢.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٢.
٧ـ مجمع البيان ٩ / ٢٨٣.
٨ـ في النسخة: فتشرد.

الملائكة فيأمر ملكاً من الملائكة فينادي:] يا معشر الخلائق، أنصتوا و اسمعوا منادي الجبّار فتنكسر[١] أصواتهم عند ذلك و تخشع أبصارهم و تضطرب فرائصهم و يرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي. فعند ذلك يقول الكافر: «هذا يوم عسر».[٢]

[٩] «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَ قَالُوا مَجْنُونٌ وَ ازْدُجِرَ».

فإن قلت: ما معنى قوله: «فكذّبوا» بعد قوله: «كذّبت»؟ قلت: معناه: كذّبوا فكذّبوا عبدنا؛ أي: كذّبوه تكذيباً على عقيب تكذيب كلّما مضى منهم قرن مكذّب تبعه قرن مكذّب. أو: كذّبت قوم نوح الرسل فكذّبوا عبدنا؛ أي: لمّا كانوا مكذّبين بالرسل جاحدين للنبوّة رأساً، كذّبوا نوحاً لأنّه من جملة الرسل. «مجنون»؛ أي: هو مجنون. «و ازدجر»: و انتهروه بالشتم و الضرب و الوعد بالرجم في قولهم: «لتكوننّ من المرجومين».[٣] و قيل: هو من جملة قيلهم. أي: قالوا هو مجنون و قد ازدجرته الجنّ و تخبّطته و ذهبت بلبّه.[٤]

[١٠] «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ».

«مغلوب»: غلبني قومي فلم يسمعوا منّي و استحكم اليأس من إجابتهم. «فانتصر»: فانتقم منهم بالعذاب. روي أنّ الواحد من أمّته كان يلقاه فيخنقه حتّى يخرّ مغشيّاً عليه فيفيق و هو يقول: اللّهمّ اغفر لقومي فإنّهم لايعلمون.[٥]

عن أميرالمؤمنين عليه السلام ـ و قد قيل له: لم لا حاربت أبابكر و عمر كما حاربت طلحة و معاوية ـ: انّ لي أسوة بستّة من الأنبياء أوّلهم نوح حيث قال: «إنّي مغلوب فانتصر». فإن قال قائل: إنّه قال هذا لغير خوف، فقد كفر؛ و إلّا فالوصيّ أعذر.[٦]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لبث نوح فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم سرّاً و

١ـ في النسخة: فتنكس.
٢ـ الكافي ٨ / ١٠٤، ح ٧٩.
٣ـ الشعراء (٢٦) / ١١٦.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٣.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٤.
٦ـ الاحتجاج / ١٨٩.

علانيةً. فلمّا أبوا وعتوا، قال: «ربّ إنّي مغلوب فانتصر».[١]

[١١] «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ».

«ففتحنا أبواب السماء»؛ أي: أجرينا الماء من السماء كجريانه إذا فتح عنه باب كان مانعاً له.[٢]

«منهمر»؛ أي: منصبّ في كثرة و تتابع لم ينقطع أربعين يوماً.[٣]

عن أمير المؤمنين عليه السلام في المجرّة التي في السماء قال: هي شرح في الماء و أمان لأهل الأرض من الغرق. و منه أغرق الله قوم نوح بماء منهمر.[٤]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: [كان أبي][٥] يكره أن يتداوى بالماء المرّ و ماء الكبريت. [و كان يقول: إنّ نوحاً لمّا كان الطوفان، دعا المياه، فأجابته كلّها إلّا الماء المرّ و ماء الكبريت] فدعا عليهما فلعنهما.[٦]

[١٢] «وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ».

«و فجّرنا الأرض عيوناً»: جعلنا الأرض كلّها كأنّها عيون تتفجّر. «فالتقى الماء». يعني ماء السماء و الأرض. «أمر قد قدر»؛ أي: على حال قدّرها الله كيف شاء. و قيل: على حال جاءت مقدّرة مستوية. و هي أنّ قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء. و قيل: على أمر قد قدّر في اللّوح أنّه يكون و هو هلاك قوم نوح بالطوفان.[٧]

[١٣] «وَ حَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَ دُسُرٍ».

«ذات ألواح». و هو السفينة. «و دسر»: جمع دسار، و هو المسمار.[٨]

١ـ الكافي ٨ / ٢٨٢ ـ ٢٨٣، ح ٤٢٤.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٨٥ ـ ٢٨٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٤.
٤ـ الاحتجاج / ٢٦٠.
٥ـ في النسخة: «انّه كان» بدل «كان أبي».
٦ـ الكافي ٦ / ٣٩٠، ح ٤.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٤.
٨ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

قيل: الدسر ضرب من الحشيش شدّ به السفينة.[١]

[١٤] «تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ».

«تجري بأعيننا»؛ أي: بحفظنا و حراستنا. و منه قولهم: عين الله عليك. و قيل: بأعين أوليائنا و من وكّلناهم بها من الملائكة.[٢]

«جزاء». مفعول له لما قدّم من فتح أبواب السماء و ما بعده. أي: فعلنا ذلك جزاء «لمن كان كفر» و هو نوح عليه السلام. وجعله مكفوراً لأنّ النبيّ نعمة من الله و رحمة فكان نوح نعمة مكفورة.[٣]

[١٥ ـ ١٦] «وَ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ».

«و لقد تركناها». الضمير للسفينة أو للفعلة. أي: جعلناها آية يعتبر بها. أبقاها الله بأرض الجزيرة ـ و قيل: على الجوديّ ـ دهراً طويلاً حتّى نظر إليها أوائل هذه الأمّة. و «المدّكر»: المعتبر. و «نذر»: جمع نذير و هو الإنذار.[٤]

[١٧] «وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ».

«يسّرنا القرآن للذكر»: سهّلناه للادّكار و الاتّعاظ بأن شحنّاه بالمواعظ الشافية و صرّفنا فيه من الوعد و الوعيد. «فهل من» متّعظ؟ و قيل: و لقد سهّلناه للحفظ و أعنّا عليه من أراد حفظه. فهل من طالب لحفظه ليعان عليه؟[٥]

«يسّرنا القرآن»؛ أي: سهّلناه للحفظ و القراءة حتّى يقرأ كلّه ظاهراً. و ليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كلّه ظاهراً إلّا القرآن.[٦]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٤٢.
٢ـ مجمع البيان ٩ / ٢٨٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٥.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٥.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٥.
٦ـ مجمع البيان ٩ / ٢٨٦.

[١٨] «كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ».

«كذّبت عاد» الرسول الذي أرسل إليهم و هو هود.(١)

«و نذر»؛ أي: إنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله. أو: إنذاراتي في تعذيبي لمن بعدهم.(٢)

[١٩] «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ».

«في يوم نحس»؛ أي: يوم شوم «مستمرّ» على صغيرهم و كبيرهم حتّى لم يبق نسمة. و كان في أربعاء في آخر الشهر لاتدور. و يجوز أن يريد بالمستمرّ الشديد المرارة و البشاعة.(٣)

«صرصراً»: بارداً. أو: شديد الصوت.(٤)

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: توقّوا الحجامة و النورة يوم الأربعاء. فإنّ يوم الأربعاء يوم نحس و فيه خلقت جهنّم.(٥)

في خبر الشاميّ أنّه قال لأميرالمؤمنين عليه السلام: أخبرني عن يوم الأربعاء و تطيّرنا منه و ثقله و أيّ أربعاء هو. قال: آخر أربعاء في الشهر و هو المحاق. و فيه قتل قابيل هابيل. و يوم الأربعاء أرسل الله الريح على قوم عاد.(٦)

[٢٠] «تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ».

«تنزع الناس»: تقتلعهم عن أماكنهم. و كانوا يصطفّون آخذين بعضهم بأيدي بعض و يتداخلون في الشعاب و يحفرون الحفر فيندسّون فيها فتنزعهم و تكبّهم و تدقّ رقابهم. «كأنّهم أعجاز نخل». و هي أصولها بلا فروع. «منقعر»: منقلع عن مغارسها. و قيل: شبّهوا بأعجاز النخل لأنّ الريح كانت تقطع رؤوسهم فيبقى أجساداً بلا رؤوس.(٧)

١ـ مجمع البيان ٩ / ٢٨٧.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٦.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٧.
٥ـ الخصال / ٦٣٧.
٦ـ عيون الأخبار ١ / ١٩٣، ح ١.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٦.

[٢١] «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ».

«فكيف كان عذابي و نذر». كرّره للتهويل. و قيل: الأوّل لما حاق بهم في الدنيا. و الثاني لما يحيق بهم في الآخرة. كما قال في قصّتهم: «لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا و لعذاب الآخرة أخزى»[١].[٢]

[٢٢] «وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ».

[٢٣ ـ ٢٥] «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَ بَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلَالٍ وَ سُعُرٍ * أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ».

«بالنذر»؛ أي: بالإنذارات و المواعظ. أو: الرسل.[٣]

«أبشراً منّا». نصب بفعل يفسّره «نتّبعه». «و سعر»؛ أي: نيران، جمع سعير. كأنّه يقول: إن لم تتّبعوني، كنتم في ضلال عن الحقّ و نيران. فعكسوا عليه فقالوا: إن اتّبعناك كنّا إذاً كما تقول. و قيل: السعر: الجنون. و قوله: «أبشراً منّا واحداً نتّبعه» إنكار لأن يتّبعوا مثلهم في الجنسيّة و طلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر و هم الملائكة. و قوله: «واحداً» إنكار لأن تتّبع الأمّة رجلاً واحداً. أو أرادوا واحداً من أفنائهم ليس بأشرفهم و أفضلهم. و يدلّ عليه قوله: «أألقي الذكر عليه من بيننا»؛ أي: أنزل عليه الوحي من بيننا و فينا من هو أحقّ منه بالاختيار للرسالة؟ «أشر»: متكبّر حمله تكبّره علينا على ادّعاء ذلك.[٤]

[٢٦] «سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ».

«سيعلمون» عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة. «من الكذّاب الأشر» أصالح أم من كذّبه.[٥]

١ـ فصّلت (٤١) / ١٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٧.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٧.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٧.

ابن‌عامر و حمزة: «ستعلمون» بالتاء، على الالتفات، أو حكاية ما أجابهم به صالح.[١]

[٢٧] «إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ».

«مرسلو الناقة»: مخرجوها من الهضبة كما سألوا. «فتنة لهم»: امتحاناً و ابتلاء. «فارتقبهم» و تبصّر ما هم صانعون. «و اصطبر» على أذاهم و لاتعجل حتّى يأتيك أمري.[٢]

[٢٨] «وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ».

«قسمة»؛ أي: مقسوم بينهم، لها شرب يوم و لهم شرب يوم. و إنّما قال: «بينهم» تغليباً للعقلاء. «محتضر»: بحضور لهم او للناقة. و قيل: يحضرون الماء في نوبتهم و اللّبن في نوبتها.[٣]

«محتضر» يحضره صاحبه في نوبته.[٤]

[٢٩] «فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ».

«صاحبهم»: قدار بن سالف أحيمر ثمود. «فتعاطى»؛ أي: اجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة. و قيل: فتعاطى الناقة فعقرها. أو: فتعاطى السيف.[٥]

[٣٠] «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ».

[٣١] «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ».

«صيحة واحدة»: صيحة جبرئيل. و الهشيم: الشجر اليابس المتهشّم المتكسّر. و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٨.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٨.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٨.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٨.

المحتظر: الذي يعمل الحظيرة و يحتظر به ييبس بطول الزمان و تتوطّاه البهائم فيتحطّم و يتهشّم.[١]

«كهشيم المحتظر»: كالشجر اليابس المتكسّر الذي يتّخذه من يعمل الحظيرة لأجلها. أو: كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: قالت ثمود لصالح: لن نؤمن لك حتّى تخرج لنا من هذه الصخرة الصمّاء ناقة عشراء. و كانت الصخرة يعبدونها و يذبحون عندها في كلّ رأس سنة و يجتمعون عندها. فقالوا له: إن كنت كما تزعم نبيّاً رسولاً، فادع لنا إلهك حتّى يخرج لنا من هذه الصخرة الصمّاء ناقة عشراء. فأخرجها الله كما طلبوا، ثمّ أوحى إلى صالح: قل لهم: إنّ الله قد جعل لهذه الناقة شرب يوم و لكم شرب يوم. فكانت الناقة يوم شربها يحلبونها و لا يبقى أحد إلّا يشرب من لبنها ذلك اليوم. فمكثوا بذلك ثمّ عتوا و قالوا: اعقروا هذه الناقة و استريحوا منها. فجاءهم رجل أشقر أرزق أحمر ولد الزنى يقال له قدار، فقعد في طريق الناقة فقتلها بالسيف. و هرب فصيلها حتّى صعد إلى الجبل و رغا ثلاث مرّات إلى السماء. فقتلوه و لم يبق أحد إلّا شركه في ضربته و اقتسموا لحمها فأكل الكلّ من لحمها. فأوحى الله إلى صالح أن قل لهم: إنّي مرسل إليكم عذابي إلى ثلاثة أيّام. فإن هم رجعوا قبلت توبتهم؛ و إلّا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث. فلمّا قال لهم ذلك، كانوا أعتى ما كانوا و قالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. فقال: إنّكم تصبحون غداً و وجوهكم مصفرّة، و اليوم الثاني محمرّة، و الثالث مسودّة. فلمّا كان أوّل يوم، اصفرّت وجوههم فقال العتاة منهم: لانقبل قول صالح. و كذلك قالوا في اليوم الثاني. فلمّا كان اليوم الثالث، اسودّت وجوههم. فلمّا كان نصف اللّيل، صرخ بهم جبرئيل صرخة خرقت تلك الصرخة أسماعهم و فلقت قلوبهم و صدعت أكبادهم. و قد كانوا في تلك الثلاثة الأيّام قد تحنّطوا و تكفّنوا و علموا أنّ العذاب نازل بهم. فماتوا أجمعين في طرفة عين. ثمّ أرسل عليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقهم

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٨.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٨.

أجمعين.(١)

[٣٢] «وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ».

[٣٣ ـ ٣٥] «كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ».

«حاصباً»: ريحاً تحصبهم بالحجارة؛ أي: ترميهم. «بسحر»: بقطع من اللّيل. و هو السدس الأخير منه. و قيل: هما سحران. فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر، و الآخر عند انصداعه. «نعمة»: إنعاماً. مفعول له. «من شكر» نعمة الله بإيمانه و طاعته.(٢)

[٣٦] «وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ».

«لقد أنذرهم» لوط «بطشتنا»: أخذتنا بالعذاب. «فتماروا»؛ أي: كذّبوا «بالنذر» متشاكّين.(٣)

[٣٧] «وَ لَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نُذُرِ».

«راودوه عن ضيفه»: قصدوا الفجور بهم. «فطمسنا أعينهم»: مسحناها و جعلناها كسائر الوجه لايرى لها شقّ. روي أنّهم لمّا عالجوا [باب] لوط ليدخلوا، قالت الملائكة: خلّهم يدخلوا. «إنّا رسل ربّك لن يصلوا إليك». فصفقهم جبرئيل بجناحه صفقة فتركهم يتردّدون لايهتدون إلى الباب حتّى أخرجهم لوط. «فذوقوا»؛ أي: قلت لهم: ذوقوا على ألسنة الملائكة.(٤)

[٣٨] «وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ».

١ـ الكافي ٨ / ١٨٧ ـ ١٨٩، ح ٢١٤.

٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٨ ـ ٤٣٩.

٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٩.

٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٩.

«مستقرّ»؛ أي: ثابت عليهم حتّى يفضي بهم إلى عذاب الآخرة.[١]

[٣٩ـ ٤٠] «فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نُذُرِ * وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ».

«فذوقوا عذابي». كرّر ذلك في كلّ قصّة إشعاراً بأنّ تكذيب كلّ رسول مقتض لنزول العذاب.[٢]

فإن قلت: ما فائدة تكرير قوله: «فذوقوا عذابي و نذر * و لقد يسّرنا القرآن للذكر»؟ قلت: فائدته أن يجدّدوا عند استماع كلّ نبأ من أنباء الأوّلين ادّكاراً و اتّعاظاً و أن يستأنفوا استيقاظاً إذا سمعوا الحثّ على ذلك و البعث عليه و أن يقرع لهم العصا مرّات و يقعقع لهم الشنّ تارات لئلّايغلبهم السهو و يستولي عليهم الغفلة. و هذا حكم التكرير لقوله: «فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان» عند كلّ نعمة عدّها في سورة الرحمن و قوله: «ويل يومئذ للمكذّبين» في سورة المرسلات و كذلك تكرير الأنباء و القصص في أنفسها، لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مذكورة في كلّ أوان.[٣]

[٤١] «وَ لَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ».

«النذر»: موسى و هارون و غيرهما من الأنبياء، لأنّهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون. أو جمع نذير و هو الإنذار.[٤]

[٤٢] «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ».

«بآياتنا كلّها»: بالآيات التسع. «عزيز»: غالب لايغالب. «مقتدر» لايعجزه شيء.[٥]
عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «كذّبوا بآياتنا كلّها»: يعني الأوصياء كلّهم.[٦]

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٩.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٩.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٣٩.
٦ـ الكافي ١ / ٢٠٧، ح ٢.

[٤٣] «أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ».

«أكفّاركم» يا أهل مكّة «خير من أولئكم» الكفّار المعدودين قوم نوح و هود و صالح و لوط و آل فرعون؟ أي: أهم خير قوّة و آلة و مكانة في الدنيا أو أقلّ كفراً و عناداً؟ يعني أنّ كفّاركم مثل أولئك بل هم شرّ منهم. «أم» أنزلت عليكم ـ يا أهل مكّة ـ براءة في الكتب المتقدّمة أنّ من كفر منكم كان آمناً من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة؟[1]

[٤٤] «أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ».

«جميع»؛ أي: جماعة أمرنا مجتمع. «منتصر»: ممتنع لانرام و لانضام.[2]

«منتصر». أي من الأعداء لانغلب. أو: متناصر بعضنا بعضاً. و التوحيد على لفظ الجميع.[3]

[٤٥] «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ».

و عن أبي جهل أنّه ضرب فرسه يوم بدر فتقدّم في الصفّ و قال: نحن ننتصر اليوم من محمّد و أصحابه. فنزلت: «سيهزم الجمع». «الدبر»؛ أي: الأدبار.[4]

«و يولّون الدبر»؛ أي: الأدبار. و إفراده لإرادة الجنس، أو لأنّ كلّ واحد يولّي دبره. و قد وقع ذلك في يوم بدر.[5]

[٤٦] «بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهىٰ وَ أَمَرُّ».

«موعدهم»: موعد عذابهم الأصليّ و ما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه. «و أمرّ»؛ أي: أمرّ مذاقاً من عذاب الدنيا.[6]

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٩.
٤ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٩.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٩.

«أدهى»: أشدّ و أفظع. «أمرّ». أي من الهزيمة و القتل و الأسر.[١]

[٤٧] «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَ سُعُرٍ».

«ضلال و سعر»؛ أي: هلاك و نيران. أو: في ضلال عن الحقّ في الدنيا و نيران في الآخرة.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: وجدت لأهل القدر أسماء في كتاب الله: «إنّ المجرمين» ـ الآية. فهم المجرمون.[٣]

[٤٨] «يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ».

عليّ بن سالم عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن الرقى أ تدفع من القدر شيئاً. قال: هي من القدر. و قال عليه السلام: إنّ القدريّة مجوس هذه الأمّة. و هم الذين أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه. و فيهم نزلت هذه الآية: «يوم يسحبون» ـ الآية.[٤]

«ذوقوا مسّ سقر». [عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ في جهنّم لوادياً للمتكبّرين يقال له سقر.] شكا إلى الله شدّة حرّه و سأله أن يأذن له [أن] يتنفّس، فتنفّس فأحرق جهنّم.[٥]

«ذوقوا مسّ سقر». ذوقوا على إرادة القول. و سقر علم لجهنّم. من سقرته النار، إذا لوّحته. و عدم صرفها للتعريف و التأنيث.[٦]

[٤٩] «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ».

«بقدر». القدر: التقدير. أي: خلقنا كلّ شيء مقدّراً محكماً مرتّباً على حسب المصلحة و ما اقتضته الحكمة. أو: مقدّراً مكتوباً في اللّوح معلوماً قبل كونه قد علمنا حاله و زمانه.[٧]

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٠.
٢ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٠.
٣ـ ثواب الأعمال / ٢٥٢، ح ١.
٤ـ التوحيد / ٣٨٢، ح ٢٩.
٥ـ ثواب الأعمال / ٢٥٦، ح ٧.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٠.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٤١.

عن أبي جعفرعليه السلام: ما أنزل الله هذه الآيات إلّا في القدريّة: [«إنّ المجرمين في... خلقناه بقدر»].[١]

عن أميرالمؤمنين في قوله تعالى: «إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر» قال: يقول: إنّا كلّ شيء خلقناه لأهل النار بقدر أعمالهم.[٢]

[٥٠] «وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ».

«إلّا واحدة»؛ أي: كلمة واحدة سريعة التكوين «كلمح بالبصر». أراد قوله: «كن». يعني إذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه.[٣]

«إلّا واحدة»؛ أي: فعلة واحدة و هو الإيجاد بلامعالجة و معاناة «كلمح بـالبصر» في اليسر و السرعة.[٤]

[٥١] «وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ».

«أشياعكم»: أشباهكم في الكفر من الأمم السالفة.[٥]

[٥٢] «وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ».

«في الزبر»؛ أي: في دواوين الحفظة.[٦]

[٥٣] «وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ».

«صغير و كبير». أي من الأعمال و من كلّ ما هو كائن. «مسـتطر»؛ أي: مسـطور في اللّوح.[٧]

١ـ ثواب الأعمال / ٢٥٢، ح ٢، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٢ـ التوحيد / ٣٨٣، ح ٣٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٤١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠.
٥ـ الكشّاف ٤ / ٤٤١.
٦ـ الكشّاف ٤ / ٤٤١.
٧ـ الكشّاف ٤ / ٤٤١.

[٥٤] «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ».

«و نهر»: أنهار. و اكتفى باسم الجنس. و قيل: هو السعة و الضياء. من النهار.[١]

و عنه ﷺ: يا عليّ، أما علمت أنّه من أحبّنا و انتحل محبّتنا، أسكنه الله معنا؟ و تلا هذه الآية: «إنّ المتّقين» ـ الآية.[٢]

[٥٥] «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ».

«مقعد صدق»؛ أي: مكان مرضيّ. «عند مليك مقتدر»؛ أي: مقرّبين عند مليك مبهم أمره في الملك و الاقتدار فلا شيء إلّا و هو تحت ملكه و قدرته. فأيّ منزلة أكرم من تلك المنزلة و أجمع للغبطة كلّها و السعادة بأسرها؟[٣]

١ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٢.
٢ـ تأويل الآيات ٢ / ٦٣٠.
٣ـ الكشّاف ٤ / ٤٤٢.